دائرة البحوث والدراسات

جهود علماء المسلمين

في دراسة الأديان

دراسة تحليلية نقدية

الدكتور
حازم عدنان احمد



جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
دائرة البحوث والدراسات

دائرة البحوث والدراسات
سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة
(٣٠٩)

جهود علماء المسلمين في دراسة الأديان

دراسة تحليلية نقدية

الدكتور
حازم عدنان احمد

١٤٣٨هـ الطبعة الأولى ٢٠١٧م

دائرة البحوث والدراسات
برقـــم ١٢٥١
لســنة ٢٠١٥
الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية
جميع مطبوعات الدائرة محكمة علمياً

الآراء التي في هذا المطبوع
تعبر عن رأي كاتبها

٢١٠,٤
ح ٢٣٥
حازم عدنان احمد
جهود علمـاء المسلمين في دراسـة الاديـان. دراسـة تحليليـة نقديـة بغداد:
ديوان الوقف السني، ٢٠١٧.
٨٢٣ص. ٢٥سم. (سلسلة الدراسات الاسلامية المعاصرة ٣٠٩)
١. الاديان- تاريخ أ- العنوان. ب. السلسلة

العراق – بغداد – سبع أبكار – ديوان الوقف السني

E.mail: mabdaw_1@yahoo.com

صندوق البريد – ٥٣٠٠٨ باب المعظم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ
يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾

الشورى:١٣

الاهداء

- الى المبعوث رحمة للعالمين خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ.
- والى علماء المسلمين الابرار الذين افنوا أعمارهم في نصرة الدين القويم.
- والى من علمنا واحسن الينا واخص منهم فضيلة الشيخ محمد فاضل السامرائي (رحمه الله).
- والى امي وأبي ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ والى زوجتي صاحبة الدرب والطريق.
- والى من اتوسم فيها الخير والمستقبل المشرق ولداي (عمار واحمد).
- والى اخوتي (هاشم وحاتم وعلي واخواتي ايمان وحنان) في بلاد الغربة.

فيا حسرتي من فراق قوم....هم الفرح والسرور

اهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث

المقـــدمة

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، المنزه عن الصاحبة والولد والشريك، المتعالي عن ذلك علوا كبيرا، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى إخوانه النبيين والمرسلين، وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الراشدين. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب، أما بعد:

فان مختلف العلوم إنما تنشأ نتيجة لحاجة البشر إليها، وكلما تجددت تلك الحاجات في مراحل زمنية مختلفة، نهض بعض العلماء المتخصصين لفرز دراسات مختصة تتماشى مع تجدد وتطور تلك الحاجات، لتعطي تلك الدراسات نتائج معرفية مثمرة لها آثارها الواقعية في المجتمعات الإنسانية.

وعلم مقارنة الأديان من العلوم التي نشأت وتطورت، تبعا لمراحل زمنية متعددة، حملت في ثناياها أسباب وبواعث عدة، التي بجملتها عبرت عن الحاجة الملحة لانبثاقه، ومن بين تلك البواعث: الانفتاح على الشعوب ومحاورتها لهدايتهم إلى دين الحق. والانفتاح بهذا الاعتبار قد فرض على الدعاة معرفة عقائد القوم، ومناقشتها وفق المنهج المقارن.

ومن البواعث الأخرى في انبثاق علم مقارنة الأديان حراك الجدل الديني مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وخاصة بعد الفتح الإسلامي المجيد واحتكاك المسلمين بالمجتمعات التي تعتنق اليهودية والمسيحية، ومن الشواهد في هذا المقام حراك الجدل الديني بين المسلمين والنصارى في بلاد الأندلس بعد الفتح الإسلامي التي تمثلت بالمناظرات والمحاورات،

وبهذا الاعتبار فإن حركة الجدال الديني تعد من البواعث الرئيسة في انبثاق علم مقارنة الأديان.

ولم يقتصر الأمر على المناظرات والمحاورات فحسب، بل ان المصادر تشير إلى انبثاق حركة الردود الإسلامية على الرسائل التي ألفها أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وما حوت من شبهات حول الدين الإسلامي الحنيف، ونبيه الكريم(ﷺ)، والشبهات الأخرى التي حاولوا بها الاستدلال على صحة دينهم، ومذاهبهم، وذلك بتأويلهم بعض آيات القرآن الكريم حسب أهوائهم.

وجملة ذلك فان الأمر قاد (علماء الإسلام)، إلى فرز دراسة علمية متخصصة في الأديان، تسمى بـ(علم مقارنة الأديان)، الذي يعنى بالدراسات الموضوعية لمختلف الأديان من حيث أصولها ومعتقدها وشريعتها.

والحق ان بواكير هذا العلم ظهر منذ القرن الأول الهجري للحضارة الإسلامية، إذ ظهر وفق إشارات قرآنية جلية في وصف الديانات ومعتقداتها وبيان تهافتها وبطلانها، وتحريفها وتبديلها، وذلك لتوجيه أصحابها نحو الديانة الحقة، ومجادلتهم بالتي هي أحسن، لذا فان القرآن الكريم وضع أمام العلماء اللبنة الأولى في الدين المقارن، وفق أفضل الأساليب واحكم المناهج، لأهداف دعوية وتربوية. وكذلك السنة النبوية المطهرة التي شهدت في ثناياها محاورات ومناظرات، ودعوات عدة لأهل الديانات.

ثم جاء القرن الثاني الهجري، وكانت بدايات عصر تدوين العلوم، عندها ظهرت طلائع المؤلفات في علم مقارنة الأديان، ثم ازداد التأليف في العصور التي تلت عصر التدوين، عندها أضحت المكتبة الإسلامية تحمل سمات التمايز عن غيرها من المكتبات، ذلك إنها باتت تحوي ثروة مثرية بمؤلفات علماء الإسلام في الأديان، التي لها قيمة علمية لا غنى عنها في الأوساط الأكاديمية، والمراكز العلمية والثقافية العالمية. لذا فان علماء الإسلام هم أول من وضع قواعد وأسس علم الدين المقارن، وان هذه القواعد والأسس شكلت الرصيد الثقافي الأصيل لإرث الأمة الإسلامية.

ولعل الناظر في تلك المؤلفات، يجد ان هناك مناهج علمية عدة اتخذها العلماء في مناقشة الديانات ومقالاتها، وان أسس تلك المناهج لم تُبنَ على التعصب الديني، ولا على الخيال والأوهام ولا على الهوى، بل أسندوا دراستهم إلى نصوص الوحي الإلهي، وإيمانهم المطلق بعصمته، وبالنظر إلى النصوص المقدسة لدى القوم، عندها حققوا مرامي المنهج النصي، الذي يرفد منهجي: (المنهج العقلي، ومنهج الإلزام)، في محاجة القوم وإلزامهم.

ولم يقتصر علماؤنا على تلك المناهج فحسب، بل ان هناك مناهج أخرى اتبعوها في دراسة الأديان منها: المنهج الوصفي الذي هو تقرير المقالات كما تدين بها أصحابها دون نقدها. والمنهج التاريخي الذي يتبين فيه نشأة الديانات، والعوامل المؤثرة فيها، وكذالك مراحل التطور العقدي في الديانة عبر الأزمنة المختلفة. والمنهج التحليلي المقارن الذي يندرج

فيه دراسة العقائد والمقالات بكل تفصيلاتها، وعقد مقارنات بينها لإثبات تناقضها وتهافتها، ثم يُتبع ذلك كله المنهج النقدي الذي يفند تلك العقائد تفنيدا علميا، ضمن القواعد والأسس العلمية. وجملة تلك المناهج شكلت الأسس الضابطة لدراسة الأديان، وفي ذلك فقد حقق علماء المسلمين الرؤية المنهجية العلمية تجاه تلك الدراسات.

وبالنظر إلى الكم الهائل لمؤلفات علماء المسلمين، فإننا نجد تفاوتا جلياً في مناهجهم، وقد تكون هناك صبغة تضفو على منهجيتهم، ذلك لتنوع تخصصاتهم، فالمدارس الكلامية اتخذت المنهج العقلي في محاجة القوم، وإثبات تهافت مقالات الديانات، وأصحاب المنهج النصي عمدوا إلى اتخاذ نصوص القرآن الكريم، وآثار السنة المطهرة، سبيلا في مناقشة الديانات، ودحضها، لذا فان تحديد ملامح مناهج علماء الإسلام يحتاج إلى دراسة تحليلية، ينظر فيها إلى قوام المناهج، تنجلي أمام العيان تلك الجهود الجليلة لعلماء الإسلام في دراسة الأديان تبعا لمؤلفاتهم.

وبالنظر إلى الكم الهائل لتلك المؤلفات، فلابد لنا من توجيه دراستنا نحو المؤلفات التي لها أهميتها المؤثرة في الأوساط العلمية، التي سار على مناهجها جم غفير من العلماء والمحققين، وظهور مؤلفات كثيرة عبر مراحل زمنية مختلفة، وقد عمدنا بمشيئة الله تعالى إلى محاولة إحصاء لبعض من مؤلفات علماء المسلمين المتقدمين، وكذا المعاصرون فقد وفقنا إلى إحصاء مائتي مؤلفٍ في علم مقارنة الأديان.

وبناء على ما تقدم فقد استخرت الله تعالى في مقصدي، فشاورت بعض أساتذتي من ذوي الاختصاص في كليتنا (حرسها الله تعالى)، في

تخصيص دراسة لي لإبراز جهود علماء المسلمين في علم مقارنة الأديان في مؤلف مستقل، والتركيز على الصفوة من العلماء المشتغلين في دراسة الأديان ومقالاتهم، كـ(الإمام ابن حزم الأندلسي، والإمام الجويني، والإمام القرافي، والقاضي الباقلاني وغيرهم من علماء الصفوة). فشرح الله صدري في التوجه إلى إبراز جهود تلك الصفوة من علماء المسلمين، إلى أطروحتي أسميتها بـ(جهود علماء المسلمين في دراسة الأديان دراسة تحليلية نقدية).

وكان هناك مسوغات أخرى لاختيار الدراسة، أجملها فيما يأتي:

١. إبراز الإرث المعرفي وقواعده العلمية الرصينة لعلماء المسلمين في دراستهم للأديان.
٢. جمع ألوان تلكم المناهج، ووضعها في اطر دراسية، لتعطي فيضا من التراكم الموسوعي والثقافي أمام الباحثين والمتخصصين في تلك الدراسات.
٣. إبراز زيادة تلك الدراسات، وخاصة دراسة التوراة والأناجيل ونقدها، قبل ظهور علم مقارنة الأديان عند غير المسلمين، من علماء الغرب وغيرهم. وفي ذلك فقد حقق علماء الإسلام السبق الأول للنقد الموضوعي لنصوص الكتاب المقدس بعهديه.
٤. إبراز مكانة تلكم المؤلفات الجليلة بين أخواتها من المؤلفات العلمية، وأنها لا تقل نفاسة عنها.
٥. إبراز بضاعة علماء المسلمين في الأديان، وان مستقاها من مصادر معتبرة، وهي بجملتها أعطتهم سيلا وافراً من الثقافة الموسوعية.

٦. ان أتتلمذ على تلك الطرق المنهجية في مناقشة المقالات والرد عليها، وكذا الرد على الشبهات الواهية التي من أهم مراميها الطعن والنيل من الدين الإسلامي.

منهجي في البحث:

وكما هو معلوم ان طبيعة دراستنا هي دراسة تحليلية تقويمية، لذا قمت بتحليل المنهج الذي يتخذه العالم في مؤلفه، الذي ارتكز عليه في عرض الموضوعات الرئيسة، ثم عمدت إلى اخذ نماذج من المسائل التي يحاورها المؤلِّف في مؤلفه، وبالنظر إلى الطرق التي يتبعها في مناقشة النصوص المقدسة لدى القوم، وكذا مقالاتهم، وقد وضعتها في عناوين رئيسة، ومن ثم أدرجت تحتها تلك المسائل المراد مناقشتها وبكل تفصيلاتها، عندها تبين لون المنهج الذي يتبعه العالم في مناقشة المسائل، ومما هو جدير بالذكر فان هناك مناهج عدة يستعملها العالم في مؤلفه.

ثم اتخذت المنهج النقدي فيما يستلزم نقده، والوقف عليه، وتقويمه وفق المنهج العلمي، بعد ان قمت بتحليل المسألة من جوانب عدة. وقد تعاضد مع منهجي التحليل والنقد مناهج أخرى، كي تكون الدراسة وافية تبعا لأصول البحث العلمي، والمناهج هي:

١. <u>**المنهج الاستقرائي:**</u> وذلك باستقراء مؤلفات علماء المسلمين التي اعتمدتها في دراستي، للتأصيل البحثي وبناء قاعدة للتوجه إلى المنهج الرئيس لدراستنا. وكذا قمت باستقراء بعض المصادر التخصصية في عقائد أهل الكتاب، وتأصيل تلك العقائد من واقع نصوص وتفسيرات

معتبرة سواء كانت تلك المؤلفات من قبل علماء أهل الكتاب أم من المحققين الإسلاميين الذين نقلوا تلك المقالات بكل أمانة وفي ذلك حققت موضوعات الحوار الرئيسة التي اعتمدها علماء الإسلام في مؤلفاتهم.

٢. **المنهج التاريخي:** وذلك في الوقوف على المراحل التاريخية التي لها اثر بليغ في تطور الديانات مشفوعة بالوقائع التاريخية، وكذا الوقوف على بعض الشواهد في كتب السير التاريخية.

٣. **المنهج المقارن:** وذلك في عقد مقابلات بين بعض المسائل والمناهج، وكذا بين النصوص المقدسة في الديانات.

٤. **المنهج التطبيقي:** وذلك بعدما درسنا القضايا والمسائل دراسة نظرية عمدنا إلى اخذ نماذج تطبيقية من تلك الدراسات كشواهد عملية في بيان الجهد العلمي بين النظرية والتطبيق لتلك الجهود الجليلة.

٥. عزوت الآيات القرآنية التي وردت في البحث إلى سورها وأرقامها وذلك في الهامش.

٦. تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث من كتب السنة المعتمدة.

٧. ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم وذلك في الهامش.

٨. عزوت نصوص الكتب المقدسة التي وردت في البحث إلى أسفارها وأرقام إصحاحاتها وذلك في الهامش.

المؤلفات التي اعتمدتها في دراستي:

اعتمدت في إبراز جهود علماء المسلمين من واقع مؤلفاتهم المذكورة أدناه، التي تعد بجملتها أساسا لدراستنا:

١. التمهيد، للقاضي الباقلاني، ت(٤٠٣هـ).

٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام ابن حزم الأندلسي، ت(٤٥٦هـ).

٣. شفاء الغليل بما وقع في التوراة والإنجيل من تبديل، للإمام الجويني، ت(٤٧٨هـ).

٤. الملل والنحل، الشهرستاني، ت(٥٤٨هـ).

٥. بذل المجهود في إفحام اليهود، السموءل بن يحيى المغربي، ت(٥٧٠هـ).

٦. الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، للإمام القرافي، ت(٦٨٤هـ).

٧. الإعلام بما في دين النصارى من فساد وأوهام، القرطبي.

٨. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، للإمام ابن تيميه، ت(٧٢٨هـ).

٩. هداية الحيارى في أجوبة النصارى، للإمام ابن قيم الجوزية، ت(٧٥١هـ).

١٠. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، العلامة عبد الله الترجمان، ت(٨٣٢هـ).

١١. إظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي، ت(١٣٠٦هـ).

١٢. الفارق بين المخلوق والخالق، العلامة عبد الرحمن الباجه جي، ت(١٣٣٠هـ).

١٣. الديانات القديمة، الشيخ أبو زهرة، ت(١٣٩٤هـ).

١٤.مسالة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، الشيخ احمد ديدات، ت(١٤٢٦هـ).

وهناك مؤلفات أخرى، اعتمدتها في البحث للتأصيل المعرفي البحثي، وهي بجملتها مصادر مساندة للدراسة الرئيسة.

خطة البحث:

قمت بتقسيم موضوع الدراسة على خمسة فصول، مسبوقة بمقدمة، ثم عرجنا بعدها عروجا إلى خاتمة نحاول فيها معالجة موضوعات البحث، وبيان أهم النتائج التي توصل إليها الباحث. وهي على النحو الآتي:

١. المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، ومسوغات اختيار البحث، ومنهج البحث، والمؤلفات المعتمدة في الدراسة، وخطة البحث.

٢. الفصل الأول: جعلته بعنوان نشأة علم الدين المقارن عند المسلمين وتطوره، وقسمت الفصل على ثلاثة مباحث، ففي المبحث الأول عرفت الدين وتصنيفه وفق فكر المذاهب. وأما المبحث الثاني فقد درست فيه نشأة علم الدين المقارن عند المسلمين وتطوره في مطلبين. أما المبحث الثالث فقد عمدت فيه إلى بيان أهمية دراسة علم مقارنة الأديان وفوائدها.

٣. الفصل الثاني: وقد جعلته بعنوان مؤلفات علماء المسلمين في الأديان، وقد قسمت الفصل على أربعة مباحث، ففي المبحث الأول درست فيه العوامل التي دفعت علماء المسلمين إلى التأليف في الأديان، في ثلاثة مطالب، ثم ختمت المبحث بإيراد نماذج تطبيقية في بيان أسباب التأليف، وجعلتها في المطلب الرابع من المبحث

الأول. وأما المبحث الثاني فقد درست فيه مصادر علماء المسلمين في الأديان وجعلته في مطلبين. وأما المبحث الثالث فقد أبرزت فيه أهم سمات مناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان، وأما المبحث الرابع فقد درست المباحث المشتركة في مؤلفات علماء المسلمين، وجعلتها في أربعة مطالب، ثم عرجت بعدها إلى عقد مطلبا خامسا في محاولة إحصاء لبعض مؤلفات علماء المسلمين في الأديان.

٤. الفصل الثالث: وقد جعلته بعنوان جهود علماء المسلمين في دراسة الديانة اليهودية، وقد قسمت الفصل على ستة مباحث، ففي المبحث الأول قمت بتقديم مقدمات تأصيلية لدراسة الديانة اليهودية، في خمسة مطالب، وأما في المبحث الثاني فقمت تأصيل الجهود الإسلامية في دراسة إسفار العهد القديم في ثلاثة مطالب، وأما المبحث الثالث فقد درست فيه جهود الإمام ابن حزم في دراسة اليهودية ونقد أصولها في أربعة مطالب. وأما المبحث الرابع قمت فيه بدراسة جهود الإمام الجويني في دراسة الأصول اليهودية في أربعة مطالب. وأما المبحث الخامس فقد درست فيه جهود الإمام ابن قيم الجوزية في عرض ونقد التوراة، في أربعة مطالب، وأما المبحث السادس درست فيه جهود الحكيم السموأل بن يحيى المغربي في إثبات التحريف والتبديل في التوراة في أربعة مطالب.

٥. الفصل الرابع: وقد جعلته بعنوان جهود علماء المسلمين في دراسة الديانة المسيحية، وقد قمت بتقسيم الفصل على خمسة مباحث، مسبوقة بمبحث تمهيدي في بيان جوهر الديانة المسيحية، ثم جاء

المبحث الأول بعنوان: الأناجيل المسيحية وجهود علماء المسلمين في دراستها ونقدها، وقسمته على ثلاثة مطالب. فأما الأول ففي بيان الأناجيل المسيحية، وأما الثاني فكان في بيان جهود الإمام القرافي في دراسة ونقد الأناجيل المسيحية، وأما المطلب الثالث فكان في بيان جهود الشيخ رحمت الله الهندي في دراسة الأناجيل الأربعة ونقدها.
وأما **المبحث الثاني** فقد كان بعنوان: جهود علماء المسلمين في نقد عقيدة التثليث، وقسمته على أربعة مطالب. ففي المطلب الأول درست فيه عقيدة التثليث من المنظور المسيحي، وأما المطلب الثاني فقد قمت ببيان المنظور القرآني لعقيدة التثليث، وأما المطلب الثالث فقد درست فيه جهود الإمام الباقلاني في نقد عقيدة التثليث، وأما المطلب الرابع فقد درست فيه جهود الإمام القرطبي في نقد عقيدة التثليث. وأما **المبحث الثالث** فقد كان بعنوان: جهود علماء المسلمين في دراسة عقيدة الاتحاد والحلول، وهو على ثلاثة مطالب، أما المطلب الأول ففي بيان عقيدة الاتحاد والحلول تبعا للمنظور المسيحي، وأما المطلب الثاني فقد درست فيه جهود الإمام ابن تيميه في نقد عقيدة الاتحاد والحلول، وأما المطلب الرابع فقد درست فيه جهود العلامة عبد الله الترجمان في نقد عقيدة الاتحاد والحلول. وأما **المبحث الرابع** فقد كان بعنوان: جهود علماء المسلمين في نقد عقيدة الصلب والفداء، وهو على ثلاثة مطالب، أما المطلب الأول فقد كان في بيان عقيدتا الفداء والصلب في المنظور المسيحي، وأما المطلب الثاني فقد درست فيه جهود العلامة عبد الرحمن الباجه جي زاده في

نقد عقيدة الفداء والصلب، وأما المطلب الثالث فقد درست فيه جهود الشيخ احمد ديدات في مناقشة عقيدة الفداء والصلب.

ثم جاء المبحث الأخير الذي هو أزكى وأعظم المباحث الذي تضمن جهود علماء المسلمين في إثبات بشائر نبوة نبينا محمد(ﷺ)، من واقع كتب القوم المقدسة.

٦. الفصل الخامس: جعلته بعنوان جهود علماء المسلمين في دراسة الديانات القديمة، وهو على ثلاثة مباحث، فأما المبحث الأول فقد بينت فيه جهود علماء المسلمين في دراسة الصابئة، وأما المبحث الثاني فقد درست فيه جهود الشهرستاني في دراسة مقالات الثنوية ومعطلة العرب، وفيه ثلاثة مطالب، ثم عقدت في المطلب الرابع من المبحث الثاني مقارنة بين منهجية ابن حزم والشهرستاني، وأما المبحث الثالث فقد درست فيه جهود الإمام (محمد أبي زهرة) في دراسة الديانات القديمة.

٧. ثم الخاتمة واهم النتائج والتوصيات والمصادر والمراجع.

والله اسأل ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يثقل به موازيننا ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [(١)]، وأن يسدد خطانا ويوفقنا ويرشدنا إلى خدمة العلم والعلماء، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب وهو رب العرش

(١) سورة المؤمنون، الاية (١٠٢).

العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الفصل الأول

نشأة علم الدين المقارن عند المسلمين وتطوره

المبحث الأول: تعريف الدين وتصنيفه وفق فكر المذاهب.

المبحث الثاني: نشأة علم الدين المقارن عند المسلمين وتطوره.

المبحث الثالث: أهمية دراسة علم مقارنة الأديان وفوائدها.

المبحث الأول

تعريف الدين وتصنيفه وفق فكر المذاهب

إذا كان لكل ديانة وحدها عالم معقد، ومتشعباً يتسع فيها الزمان والمكان، فدنيا الديانات هي الأخرى أكثر تعقيداً وتشعباً، لذا فالباحث في علوم الديانات ملزم بالتخصص في إستكشافات عالم ديني معين بفعل هذا التنوع فلا إمكانية للمقارنة إلا من خلال تحليل دقيق لعوالم دينية معينة[1]، غير ان هذا التحليل الدقيق لتلك العوالم لا يسعفنا في وضع تعريف مشترك (للدين) يتناسب وفق الأفكار، والمعتقدات، والمذاهب، والأهواء، يقول الأستاذ جواد علي في كتابه المفصل: "ان أراء العلماء المعنيين بتاريخ الأديان وفلسفتها على اختلاف كبير جدا في وضع حد علمي مقبول بين الجميع لموضوع الدين، وصار من المستحيل وضع إطار يتفق عليه بصورة يجمع على أنها تمثل الدين"[2]. لذا فان الأمر قاد إلى وضع تعاريف عدة للدين يتعذر حصرها.

ولعل الناظر في تلك التعاريف يجدها تسير وفق نظريات وفلسفات محددة، ووفق أنظار خاصة تزينت بألوان مدارس الغرب وغيرهم، كـ(مدارس علم الاجتماع، ومدارس علم النفس والفلسفة وغيرها). وإنها

---

(١) ينظر: الأديان في علم الاجتماع، جان. بول ويليم، ترجمة بسمة بدران، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، ط(١): ٥.

(٢) المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط/١، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٠م: ٥/٦.

صنفت الأديان إلى أصناف عدة يهدفون بذلك الوصول إلى التعريف الحقيقي (للدين) عما سنرى بعد قليل ان شاء الله تعالى.

وأما الإسلاميون فقد صنفوا الدين وفق المنظور الإسلامي، وبعيدا عن مذاهب ومناهج المدارس النفسية، والاجتماعية، والفلسفية، وعن كل التحليلات، والتوصيفات المعقدة لدى مدارس الغرب التي عكفت عليها طويلا.

فصنفوا الدين إلى صنفين:

الأول: أديان سماوية.

والثاني: أديان باطلة.

من اجل ذلك سنفرد مطلبين نعالج فيهما تعريف الدين وتصنيفه بحسب تلك الأنظار المتعددة له، ونجعلها قيد الدراسة والنقد والتحليل. **أما المطلب الأول:** فسنعرف معاني الدين عند الإسلاميين وتصنيفه. **وأما المطلب الثاني:** ففيه بيان مذاهب الغربيين من علماء النفس والاجتماع والماديين في تعريف الدين.

المطلب الأول: تعريف الدين عند الإسلاميين وتصنيفه.

أولا: تعريف:(الدين) في اللغة:

الدين في اللغة "اسم عام يطلق على كل ما يُتعبد الله (تعالى) به، كما يطلق على معان مختلفة منها: الطاعة، الخضوع، والاستسلام، والاستعلاء والملك، والسلطان،

والجـــزاء والحســـاب، والعـــادة، والقضـــاء، والمـــذهب، والملـــة، والشريعة"[1].

وتلكم الألفاظ ومرادفاتها تعطينا آفاقا متعددة لمعنى الدين، وقد نقل الدكتور رشدي عليان (رحمه الله) في كتابه الأديان، قولا يجمع فيه تلكم المعاني في ثلاث كلمات، فيقول: "أرجع أحد الباحثين المعاصرين الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه (الدين) تلكم المعاني المختلفة لكلمة (دين) إلى ثلاثة كلمات هي اشتقاقات الكلمة وبيان ذلك: "إن كلمة (الدين) تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه (دانه يدينه)، وتارة من فعل متعد باللام (دان له)، وتارة من فعل متعد بالياء (دان به) وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة"[2].

فقوله: (دانه يدينه) يكون معناه: انه ملكه وحكمه وساسه، ودبره، وقهره، وحاسبه، وقضى في شأنهفالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى (الملك والتصرف) بما هو شأن الملوك من السياسة (التدبير)[3]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[4]، أي يوم الحساب للخلائق،

---

(١) ينظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور المصري ت٧١١هـ، دار صادر – بيروت، مادة دين، دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي ط/٣، بيروت ١٩٧١م، ١٠٦/٤، القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي ت٨١٧هـ المكتبة التجارية – القاهرة – مادة دين.

(٢) الأديان، دراسة مقارنة، د.رشدي عليان، د.سعدون الساموك، بغداد، ص٢٠.

(٣) ينظر: أصول الدين، د.قحطان الدوري، ود.رشدي عليان، ط/٤، بغداد(١٤١١هـ ١٩٨٠م)، ص٢٠.

(٤) سورة الفاتحة، الآية (٤)

وهو يوم القيامة يدينهم أعمالهم[١]، وقوله: (دان له)، أردنا به أنه أطاعه وخضع له، وقوله: (دان بالشيء) كان معناه انه اتخذه دينا ومذهبا، أي اعتقد[٢].

وقصارى القول ان هذه المعاني لكلمة الدين، تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا وحكما وإلزاما، وإذا نظر بها إلى الرابط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة والذي يعنينا من كل هذه الاستعمالات هو الاستعمالان الأخيران وعلى الأخص الاستعمال الثالث فكلمة الدين يراد بها تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً أو عملاً[٣].

مناقشة التصريف اللغوي لكلمة الدين:

(دانه يدينه): بمعنى خضع وانقاد ظاهراً وباطناً، يعني الخضوع المطلق لكل فرد من أفراد المجتمعات، وهذا لا يصح في مقام التعريف أو دلالته: لان "البشر لا يقدر على الإكراه على المعتقد"[٤]، ويؤيد هذا

(١) تفسير القرآن العظيم، للحافظ بن كثير ٧٧٤هـ، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ٨٥/١.

(٢) أصول الدين، د. قحطان الدوري، د. رشدي عليان، ص٢٠.

(٣) أصول الدين، ص٢٢، نقلا عن الدين د. محمد عبد الله دراز، ص٢٥.

(٤) فقه الإيمان، وميض العمري، راجعه فضلية الشيخ ابراهيم النعمة، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ص٤١

الخطاب القرآني بقول الحق: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[١]، لأن الآية بينت "أثر بيان دلائل التوحيد للإيذان بأنه لا يتصور الإكراه في الدين، لأنه في الحقيقة إلزام الغير فعلا لا يرى فيه خيراً يحمله عليه جواز أن تكون إخباراً في معنى النهي، أي لا تُكرهوا في الدين وتُجبروا عليه"[٢].

وكذلك لا إجبار على الدين الحق، وهو دين الإسلام، فليس الإكراه على دين الله تعالى من دين الله، لان الحق قال: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[٣]، أي: تميز الهدى من الضلال، قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة فلا يحتاج ان يكره احد على الدخول فيه، بل هو من هداه الله بالإسلام وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه، وختم سمعه وبصره، فانه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا[٤]. قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة، من الآية (٢٥٦).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ت١٢٧٠هـ، تحقيق محمد احمد وعمر عبد السلام، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ٢/ ١٩

(٣) سورة البقرة، من الآية (٢٥٦).

(٤) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ط/٣، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ١/ ٦١٠.

(٥) سورة يونس، الآية (٩٩).

لذلك قيل: "عبد يعبد ابلغ من (دان يدين) من جهة ان العبادة أكثر تضمنا للمعاني القلبية المختلفة، كالخضوع والتعظيم والمحبة، وغير ذلك"(١).

من اجل ذلك قال الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه أصول الدعوة في تعريف الإسلام:

"الإسلام هو الخضوع، والاستسلام، والانقياد لله رب العالمين، ويشترط فيه ان يكون اختياريا لا قسريا، لان الخضوع القسري لله رب العالمين أي لسنته الكونية أمر عام بالنسبة لجميع المخلوقات ولا ثواب، ولا عقاب، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(٢). فكل مخلوق خاضع لله ولسنته في وجوده وبقائه وفنائه فيعد هذا الخضوع القسري، اما الخضوع الاختياري لله رب العالمين، فهذا هو جوهر الإسلام المطالب بها الإنسان، وعليه يكون الثواب والعقاب، ومظهره الانقياد التام لشرع الله بتمام الرضا والقبول"(٣).

من اجل ذلك أرى اعتماد تعريف لغوي يتماشى مع حال الناس، وان صرفه اللغوي قد يعطي معاني ابعد عن المراد منه، وكذا مناظير الناس

---

(١) فقه الإيمان، وميض العمري، ص٤١.

(٢) سورة آل عمران، الآية (٨٣).

(٣) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط/٩ ، مؤسسة الرسالة (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص٩ وما بعدها.

الفكرية قد تختلف مع التصريف اللغوي الذي حاول فيه شيخنا (دراز)، تفسيره بثلاث كلمات، ولان مرجع التدين على الإجمال الالتجاء إلى قوة يستعينها الإنسان في ضيقه، وضعفه، " واختلف الناس في تصوير تلك القوة، فمنهم من تصورها ولم يراها وبعضهم صورها بيده، ونصبها في معابده، وبعضهم فعل غير ذلك وتقسم بأجمالها إلى روحية ومادية."[1]. وقد صور ذلك القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾[2].

ثانيا: وأما التعريف الاصطلاحي للدين عند الإسلاميين:

فقد عرفه الإسلاميون بتعريفات متقاربة في ألفاظها، متحدة في معناها:

1) الدين: وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل.
2) الدين: وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول.

---

(١) طبقات الأمم أو السلائل البشرية، جورجي زيدان، مطبعة الهلال، مصر، (١٩١٢م)، ص٤٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية (٤٣).

٣) الدين: وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات[١].

وقد يلاحظ على تلكم التعاريف انها جاءت وفق المعاني العامة للدين لا بالمعاني الخاصة، وقد ذكر د. رشدي عليان (رحمه الله) صراحة في مؤلفه فيقول: "كان ذلك تعريف الدين بمعناه العام وأما الدين بمعناه الخاص فيقصد به الإسلام وهو المقصود في هذا البحث، قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٢][٣].

هذا كلام حسن لما ذهب إليه الأساتذة الكرام من تعريف لكلمة (الدين) وفق المنظور الإسلامي، غير ان هناك من الإسلاميين من ينكر ذلك ويقصر معاني الدين على دين الإسلام فحسب!، لذا لابد لنا من وقفة لبيان الأمر.

نقد وتحليل:

مما تقدم فإننا وجدنا المحققين الإسلاميين قد شقوا التعريف الاصطلاحي للدين إلى معنى عام ومعنى خاص، غير أن ذلك لا يعد إجماعاً، بل ان هناك منهم لا يقرون المسألة البتة لا بمفهوم الدين العام

---

(١) الأديان، د.رشدي عليان، و د. سعدون الساموك، ص٢٢. نقلا عن دائرة المعارف الإسلامية ٣٦٨/٩، والتعريف مأخوذ عن كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ص٥٠٣، والجرجاني، ص٩٤.

(٢) سورة المائدة، من الآية (٣).

(٣) كتاب أصول الدين، د. قحطان الدوري، د.رشدي عليان، ص٢٣.

ولا الخاص، ويعدون كل إطلاق على غير دين الإسلام باطلاً، وقد تكون لهم أدلتهم، ومن المانعين الشيخ محمود محمد شاكر[1].

في كتابه أباطيل وأسمار[2].

إذ ذهب إلى منع إطلاق لفظ دين على ما سوى الإسلام، فيقول: "صار بيناً بعد هذا أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى لنا أن نسمي شيئا من الملل، من نصرانية، ويهودية وغيرها ديناً، سوى ملة إبراهيم (عليه السلام) وملة الأنبياء جميعا، وهي الإسلام دين الله، الذي لا يقبل من عباده سواه[3]، والذي أرسل به رسوله محمدا (ﷺ) ليبطل الملل كلها، ولا يكون شيء منها يسمى دينا سوى الإسلام[4] فقول المسلم مثلا: الأديان السماوية قول مخالف لعقيدة أهل الإسلام في حقيقة هذه الملل"[5].

---

(١) هو العلامة محمد شاكر، ولد في الإسكندرية سنة (١٨٦٦م)، ودرس في الأزهر الشريف، وعين قاضي القضاة بالسودان، ثم شيخا لعلماء الإسكندرية (سنة ١٣٢٣هـ)، ثم وكيلا للأزهر، توفي بالقاهرة عام (١٩٧٩م).ومن مؤلفاته: الإيضاح لمتن اساغولوجي، الدروس الأولية في العقائد الدينية ينظر: الأعلام، خير الدين الزر كلي، ٧/ ٢٧.

(٢) أباطيل وأسمار، الشيخ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٣٩١هـ/١٩٧٢م) ٢/ ٥٥٠.

(٣) كأنه يرد ان يحتج بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ سورة آل عمران: الآية (٨٥).

(٤) وكذا قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: من الآية(٣).

(٥) أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، ٢/ ٥٥٠ وما بعدها.

والجواب على ما ذهب إليه من وجوه عدة:

١) ان المدلول الشرعي لكلمة (الدين) الذي هو ما بعث الله به أنبياءه، ورسله جميعا، فهو دين واحد، هو الإسلام، وقد يكون ذلك تأييداً لما ذهب إليه الشيخ وبعض المحققين في هذا الجانب. غير ان الأمر يتحتم علينا أن ننظر نظرة هادئة في جوهر المسألة. فالمعنى اللغوي للدين أعطانا بعدا واسعا في المفهوم، لذلك من العسير أن نقصر كلمة الدين على(دين الإسلام)، لأن كلمة الدين جامعة لدين الحق الذي هو (الإسلام وعقائده وشعائره)، وكذلك تجمع (عقائد، وأحوال، وشعائر) أقوام ساروا عليها منذ زمن بعيد بالرغم من بطلانها؛ لذلك عندما وجدنا الإسلاميين وهم يصنفون الديانات إلى صنفين: (أديان سماوية، وأديان وضعية) كانوا يسعون في تقريب المنظور القرآني ومعاني اللغة، من هذا التصنيف، ونقول كان الأجدر بتسميتهم بـ(أهل النحل)[١]، أولى من كونها ديانة باطلة، وذلك تلطفا بالخطاب، وسيرا مع حرص القرآن في دعوتهم وجذبهم في ترك باطلهم ودخولهم الإسلام.

٢) ونظرة هادئة إلى القرآن الكريم نجد أن الحق (جل ثناؤه) قيّد لفظ الدين لنفسه، بقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي

---

(١) النحل جمع نحلة بالكسر، والنحلة الديانة والملة، يقال: هذا نحِلته أي دينه. ينظر: الجامع لإحكام القرآن، القرطبي، ٢٤/٥.

﴿ ... ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾[1]، غير إنه أضاف سبحانه وتعالى لفظة الدين إلى غيره، فقد سمى الذين اتخذوا غير دين الله من أهل الكتاب، وغيرهم بأصحاب دين، ومن قوله تعالى: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾[3]، وقد سمى سبحانه وتعالى ما أحدثه المحرفون من اللعب واللهو دينا، فقال تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴾[4].

٣) يجوز إطلاق لفظ الدين أو الأديان على ما سوى الإسلام[5]، باعتبار تدينهم بها، وكما جاز إطلاق لفظ (الآلهة) على ما يُعبد من دون الله،

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٨٣).

(٢) سورة الكافرون، الآية (٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٢٤).

(٤) سورة الأنعام، من الآية (٧٠).

(٥) أطلق الشيخ محمد بن صالح العثيمين في شرحه للعقيدة الواسطية لفظ (الأديان السماوية)، في معرض حديثه عن الإيمان بالبعث، وهذا نصه: "هذا البعث الذي اتفقت عليه الأديان السماوية، وكل متدين بدين هو احد أركان الإيمان الستة وهو من=

مع انه الإله الواحد الحق القهار، باعتبار تأليههم لها، مع ان الأصل منع الإطلاق، والقرآن ذكر ذلك صراحة، قال تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾(١). من أجل هذا يجوز إطلاق تعدد الأديان، كما أطلق القرآن الكريم ذلك على معتنقيها. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢).

أما إطلاق لفظ الدين الدال على الإسلام، فهو له خصوصيته التامة في مضانها، ولا يحيد عنها عالم ولا متعلم من المسلمين لأن الاسم الديني "الذي يجمعنا –شعوبا وقبائل وأقواما– في أمة واحدة، إنما هو الإسلام، فنحن مسلمون حيث كنا، ومن أي عرق انحدرنا، وبأية لغة نطقنا ولهذا الاسم حقيقة تتمثل بالمبادئ التي بني عليها الإسلام، وبالمنهاج العلمي

=معتقدات أهل السنة والجماعة." شرح العقيدة الواسطية، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص٤٣.

(١) سورة الكهف، الآية (١٥).

(٢) سورة البقرة، الآية (٦٢).

الذي رسمه، وبالهدف والغاية التي حددها وعلينا أن نتفهم معنى كلمة الإسلام في مفهوم هذه الديانة الربانية الحقة"[1].

فيكون الدين بهذا الاعتبار هو الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[2]. فالإسلام هو مجموع ما أنزله الله تعالى على رسوله محمد (ﷺ) من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات، والأخبار في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وقد أمره الله بتبليغها إلى الناس وما انزله الله تعالى عليه فيه جميع الأحكام[3].

أما قضية أحقيته أي الدين الإسلامي كونه دين توحيد، له نظرة أخرى في موازين الفهم الدقيق في الإسلام، يقول الشهرستاني (رحمه الله) في كتابه الملل والنحل في معرض كلامه عن الفرقة الناجية: "فأهل الأهواء ليست تنضبط في عدد معلوم، وأهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها. فافترقت المجوس على سبعين فرقة. واليهود على إحدى وسبعين فرقة. والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة. والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة، والناجية أبدا من الفرق واحدة، إذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة، ولا يجوز ان يكون قضيتان متناقضتان ومتقابلتان

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٧٧.

(٢) سورة البينة، الآية (٥).

(٣) ينظر: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص١١.

علـى شـرائع التقابـل إلا وان تقتسـما الصـدق والكـذب، فيكـون الحـق فـي أحداهما دون الأخرى وإذا كان الحق في كل مسألة عقلية واحدا فالحق في جميع المسائل يجب ان يكون مع فرقة واحدة، وإنما عرفنا ذلك بالسمع، وعنه اخبر التنزيل في قوله (عز وجل) ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾[1].

واخبـر النبـي(ﷺ): (سـتفرق أمتـي علـى ثـلاث وسـبعين فرقـة، الناجيـة منهـا واحـدة والبـاقون هلكـى، وقيـل ومـن الناجيـة؟ قـال أهـل السـنة والجماعـة، قيـل: ومـا السـنة والجماعـة: قـال: مـا أنـا عليـه وأصحابي"[2][3].

٤) تعـد لفظـة "الـدين أعـم مـن كـل ذلـك، فهـو أعـم مـن لفـظ الإسـلام، إذ ان الإسـلام ديـن، ولـيس كـل ديـن إسـلاما، وهـو أعـم مـن الملـة والشـريعة لأنهمـا أسـم للعبـادات والمعـاملات دون العقائـد، وهـو أعـم مـن المـذهب، لأنـه يـراد بـه جملـة مـن آراء اجتهاديـة اسـتنبطها بعـض علمـاء المسـلمين وعمـل بهـا جمهـور مـنهم كالمذاهب المعروفة"[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٨١).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم الحديث (٢٦٤٠)، وهو (حديث صحيح).

(٣) الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني ت ٥٤٨هـ، تحقيق أبي محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢١/١.

(٤) أصول الدين، د. قحطان الدوري، و.د رشدي عليان، ص٢٣.

مما تقدم فنقول إن الضابط والفيصل الرئيس في حسم المسألة هو القرآن الكريم، وإطلاق لفظ الدين على غير دين الإسلام (للتجوز) لتعدد الشواهد القرآنية في ذلك، ولقد رأينا الإسلاميين يصنفون الديانات على صنفين بـ(أهل الملل) أي أصحاب الشريعة أو الدين، وهو (ديانات صحيحة)، نزلت من الله تعالى، ومع تحريفها، وتبديلها، وتزويرها فقد تم إطلاق لفظ الصحيحة عليها.

ثالثا: تصنيف الأديان عند الإسلاميين:

عرفنا ان الإسلاميين صنفوا الأديان صنفين هدفوا بذلك وضع الحد الحقيقي لمعاني الدين، ولعل دليلهم في هذا هو استشعارهم لمعاني الدين التي وردت في القران الكريم والسنة النبوية المطهرة فالأديان تقسم بنظرهم إلى:

١) أديان صحيحة: وهي الأديان الموحى بها من عند الله تعالى، التي تتطلب من معتنقيها أن يعبدوا إلها واحدا لا إله غيره، وتأمرهم بالتحلي بالأخلاق الفاضلة، وتلزمهم بجملة من العبادات، والطقوس، والشعائر، وعلى هذا سمي هذا الصنف من المعتنقين له بـ(أهل الملل).

٢) أديان باطلة: وهي الديانات الطبيعية (الوضعية) أي التي قام بوضعها البشر سواء كانوا أفرادا أم جماعات تبعا لسياسة الناس، وتنظيم

أمورهم، وسمي هذا الصنف بـ(أهل النحل)[1]. وهذا التصنيف يحتاج إلى بيان، وتقويم لبعض معانيه.

نقد وتحليل:

ان تصنيف الإسلاميين للأديان فيه نظر، وذلك من وجهين:

الأول: كون ان تكون الديانات السماوية صحيحة فلا بد من توافر أركان تقومها، ومن تلك الأركان كما هو معلوم وثابت في الأديان السماوية (التوحيد الذي هو تاج الديانات السماوية والملازم لها، وديمومة الشريعة السماوية التي أمر الله بها ان تقام)، وإذا ما اتجه معتنقو ذلك الدين السماوي نحو زوايا الشرك، فأي صحة بعد يحمله ذلك الدين؟ وشاهدنا في ذلك الديانتين اليهودية والنصرانية، وعقائدها الشركية التي يندى لها الجبين، التي وضعها القوم على الله تعالى علوا كبيرا. وهما دينان سماويان وإذا ما قورنت تلك العقائد بعقائد أهل الديانات الوضعية لنجدها تسير مع بعضها سيرا عظيما، لذلك أرى ان يكون التصنيف بـ(دين توحيد) و(دين أهل نحل).

الثاني: ان تصنيف الإسلاميين على ظاهره يبطل كل دين من الديانات الوضعية، وبالتالي لا يعد دينا، لذلك أرى ترك تصنيف مثل هذا النوع من الأديان بهذا الاعتبار أولى، واقتصارها على تسمية (أهل النحل)، لان كلمة (أديان باطلة) تحمل في ثناياها تعريفا أخرا لوجه أخر لمعاني الدين كما يفهمه المتدينون الآخرون من غير المسلمين، وكذلك لو

---

(١) اصول الدين، ص٢٢الهامش، نقلا عن الفصل، لابن حزم، ١/٩٥، والملل والنحل، الشهرستاني، ١/٤٤.

ذهبنا إلى السياق القرآني نجده قد سماهم بأسمائهم صراحة، وكناية، فمن الصريح، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٢]. ومن قوله تعالى في الكناية[٣] عنهم:(طائفة)، (فريق)، (من قبلهم) أو غير ذلك من الألفاظ، فعلى ذلك يكون تسميتهم بـ(طائفة) أو (فريق) أو (أهل نحلة) أولى تلطفا في الخطاب، ومن باب الدعوة والإرشاد إلى الله تعالى. ويؤيد ذلك مؤلفات علماء المسلمين فيما ذهبوا إليه في تأليفهم التي حملت عناوين باسم: (الملل والنحل).

الثالث: ان فهم معنى الدين لابد له من قواعد، وهذه القواعد ساقها الإسلاميون تبعا لتفسيرات الكتاب العظيم والسنة المطهرة، وكذا كلام

---

(١) سورة البقرة، الآية (٦٢).

(٢) سورة الحج، الآية (١٧).

(٣) الكناية في اللغة: هي ان تتكلم بشيء وتريد غيره، يقال: تكنى إذ تستر من كنى عنه، إذا ورَّى، فاصل الكناية ترك التصريح بالشيء وستره بحاجب ما، مع إرادة التعريف به بصورة فيها إخفاء ما بحاجب غير ساتر سترا كاملا، وبهذا ان المعنى الاصطلاحي للكناية قريب من المعنى اللغوي لها. ينظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ١٣٥/٢.

الصحابة(رضي الله عنهم أجمعين)، الذين كانوا يبينون المعاني والأحكام التي كانت تواجههم بعد وفاة النبي(ﷺ) وبهذا الاعتبار فلابد من قواعد ترتكز على أسس صحيحة لفهم الدين.

مما تقدم فان فهم الدين يعود إلى فهم المتدينين انفسهم، وان تصنيف الإسلاميين بشقيه يقودنا إلى النظر في كل حيثياته تبعا لفهم الجماعات، وكذا قوة تمسكهم بتلك المفاهيم، وإذا أردنا محاولين ان نضع حدا مشتركا للدين بعد هذا التصنيف يصل بنا المطاف إلى ان الدين بعموميته هو "اسم لكل عقيدة متبوعة، ولكل نظام ينقاد له الناس في الظاهر والباطن، تقول: دان يدين إذا خضع وانقاد ظاهرا وباطنا"[1]، ناهيك عن كونه سماويا أو غير سماوي. أو ان "الدين عبارة عن الاعتقاد بأمور تتعلق بما فوق الفطرة، وخالقها، ولا يخلو دين من الأديان من هذه العقيدة بشكل أو آخر"[2].

(١) فقه الإيمان، وميض العمري، ص٤١.

(٢) الدين والعلوم العقلية، تأليف عبد الباري الندوي، قدم له أبو الحسن الندوي، دار ابن حزم، للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ط(٢)، ص١٣.

المطلب الثاني: مذاهب علماء النفس وعلم الاجتماع والماديين في تعريف الدين:

لقد احتار علماء الغرب في تحديد عناصر الدين وتعريفه، وهذه الحيرة قادت إلى حصول خلاف بينهم على وضع تعريف يعرب عن حقيقة الدين وماهيته، كل ذلك يدل على ان العلم لم يكشف الحجب عن الدين وأسراره، وربما كان من غرور العقل البشري ان يزعم لنفسه القدرة على هدم بناء متين متغلغل الأسس في الفطرة الإنسانية من قبل ان يعرف مواد هذا البناء أو يعرف كيف تم بناؤه(١).

وربما كانت هذه الحيرة تدور وفق مذاهبهم لتحديد عناصر الدين وفق دراستهم قديما(٢)، إلا ان محاولات البحث الحديث التي ظهرت بعد القرن التاسع عشر الميلادي قد آتت ببعض ما نقص من القديم، وأخرجه من حيرته، فقد ظهر ولأول مرة (علم الأديان) بحلة جديدة على يد عالمين:

---

(١) ينظر: الدين والوحي والإسلام، مصطفى عبد الرزاق باشا، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، ص٢١

(٢) نقل الاستاذ رشدي عليان في كتابه (الديانات القديمة) ص٢٣، تعاريف عدة لعلماء الغرب لمعاني الدين، وذلك تبعا لاختلاف تخصصاتهم، نذكر منها:

أ) قال كانت في كتابه (الدين في حدود العقل): الدين هو شعور بواجبتنا من حيث كونها قائمة على أوامر الهية.

ب) قال الاب شاتل في كتابه (قانون الانسانية) الدين مجموعة واجبات المخلوق نحو الخالق.

ج) قال تايلور في كتابه (المدنيات البدائية): الدين هو الايمان بكائنات روحية.

احدهما: هو (فريديك ماكس موللر–F.M.Muller) الألماني الجنسية، (١٨٢٣/١٩٠٠م) الذي يعد من رواد الباحثين المشتغلين في مذاهب نشأة الدين في القرن التاسع عشر الميلادي، ثم اشتغل في علم الدين المقارن، بعد أن بدا هذا العلم يأخذ طريقته في أوربا في أواخر هذا القرن.

والثاني: (ادوارد تيلور، (R.Tylor)، الانجليزي الجنسية، (١٨٣٢/١٩١٧م)، وهو يأتي بعد ماكس مولر في دراسة الدين المقارن في القرن التاسع عشر، وقد استفاد الحديث من القديم في دراستهم وزاد عليه، وأفاد الدارسون لهذه المادة بتوسع من دراسة المنهجين: من القديم بوصفه ودقته، ومن الحديث باستقصائه كاملة واستنباط العنصر أو العناصر المتحدة فيها ووجوه التشابه بينها(١). وسنبين مذاهب علماء الغرب في المحوريين الآتيين:

أولاً: مذاهب علماء الاجتماع والنفس في تعريف وتصنيف الدين وضرورته:

لقد نهضت همم العلماء الباحثين من الفرنجة وغيرهم، ومنذ قرن من الزمان لتحديد الدين وبيان أصله ذلك انه قد تكوّن في القرن التاسع عشر علم اللغات، وأدى تعاون الباحثين في ألسنة البشر منذ أقدم أدوارها إلى أحدثها، أي من دور التكون الأولى للغة إلى معرفة العناصر المؤلفة للغات الإنسانية، وهناك رأى الباحثون انه يمكن على هذا المثال إدراك

---

(١) ينظر: بحوث في تاريخ الأديان، الشيخ محمد أبو فرحة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الالكترونية، ١٠/٤٤٠ وما بعدها (http://www.iu.edu.sa/Magazine). تاريخ الزيارة ١٥/٢/٢٠١١م.

عناصر الفكر الإنساني دينيا كان ذلك الفكر أم غير ديني ذلك بان الإنسان هو أولٌ وبالذات مفكر، واللغة أول مظهر من مظاهر تفكيره الديني وغيره[1].

لذلك يقول (ماكس موللر): يمكن ان يقال في الدين ما قيل في اللسان من ان كل جديد فيه فهو قديم، وكل قديم فيه فهو جديد، وانه منذ بداية العالم لم يوجد قط دين كله مبتدع، وإنا لنجد عناصر الدين ومكوناته مهما سمونا في تاريخ الإنسانية إلى ابعد مدى مستطاع، وتاريخ الدين كتاريخ اللغة يرينا في كل مكان ألوانا متتابعا من التأليف المستحدث بين عناصر أصلية قديمة واني لاشك في ان يكون قد آن الأوان لوضع خطة ثابتة لعلم الدين كالخطة التي وضعت لعلم اللغة.[2].

ومع نظرة (موللر) الفلسفية إلى تأخير علم الدين في أوروبا، إلا ان نظرة العلماء الباحثين في هذا المجال قد تختلف عن (موللر)، وخاصة الباحثين في علم الاجتماع، وتركيزهم على اثر الظاهرة الدينية لدى المجتمعات باعتبارها ظاهرة اجتماعية. "فقد وضع كثير من العلماء الدراسات الدينية في قمة العلوم الاجتماعية الفرعية، اعتقاداً منهم ان النظم الدينية هي أهم النظم الاجتماعي. هذا وتحتل الظاهرة الدينية أيضا مكان الصدارة من تأمل وتفكير، وعناية الرجل العادي، فليس هناك ثمة

---

(١) ينظر: الدين والوحي والإسلام، مصطفى عبد الرزاق، ص٩ وما بعدها.

(٢) ينظر: الدين والوحي والاسلام، مصطفى عبد الرزاق، ص ١٠، نقلا عن: Max Muller: Essays sure Histories des Religions

عاطفة إنسانية ابعد غوراً واشد تأثيراً في نفوس الأفراد، والجماعات من العاطفة الدينية"[1].

غير ان الظاهرة الدينية قد تخضع للتطور على أنها أحداث اجتماعية تستلزم تمدين المجتمع، فلا تفريق بين انبثاق تحليل علمي للديانات، وتطور اجتماعي عام يتميز بخسارة الدين لوظيفته الجامعة. ان بروز العلوم الدينية ارتبط بعملية تمدين سمحت بتأسيس أماكن مخصصة لاستنباط معارف مستقلة حول الدين[2].

وهذا ما ذهب إليه كل من (أميل دور كهايم، ١٨٥٨/١٩١٧م) من مدرسة علم الاجتماع الفرنسية، و(فريدك انجلز ١٨٢٠/١٨٩٥م)، فقد ذهب الأخير في تحليل الظواهر الدينية، فاقترح تفسيراً شاملا لتطور الدين في البداية تبرز في المجتمعات السابقة للتقسيم الطبقي ما يسميه (انجلز)، الديانات الطبيعية، عبادة الأصنام لدى الزنوج، أو أديان الآريين البدائية. وقد وافقه (دور كهايم). إذ عمد إلى دراسة الظواهر الدينية بطريقة علمية عبر اقتراح تعريف للدين وتمحور هذا التعريف حول التفريق بين المقدس والدنيوي في نهاية بلورة تدريجية لفكرة المقدس عند (دوركهايم) وتلامذته وبالتالي فهو يضع الفارق بين المقدس وغيره وفق التعريف الآتي:

(ان الدين عبارة عن نظام متضامن من المعتقدات، والممارسات المتعلقة بالمقدسات، أي المنفصلة والممنوعة، ان هذه المعتقدات

---

(١) الاجتماع الديني مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، د.احمد الخشاب، ط/٣، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧٠م: ص٥.

(٢) ينظر: الأديان في علم الاجتماع، جن-بول ويليم، ص١٣.

والممارسات توحد جميع من يعتنقها في مجتمع معنوي واحد يسمى الكنيسة)[١]. وقال دور كهايم في كتابه (العصور الأولية للحياة الدينية): الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة: اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة.[٢].

لقد ساهم فكر علم الاجتماع في رد اعتبار الأمور الدينية عبر إبراز أهمية الدين في الأنظمة الاجتماعية مع تصوير بعض الرسوم البيانية وقد تكون هذه الأفكار التي نجدها في الفكر الاجتماعي المحافظ في المحاور الأربع:

١) ان الدين ضروري في المجتمع.

٢) لا غنى عن البحث في شؤون الدين لفهم التاريخ والتغير الاجتماعي.

٣) ليس الدين مجرد عقيدة، بل هو أيضا طقوس، ومجموعة ومنظمة تمارس فيها السلطة.

٤) ان الدين يشكل مصدر كل الأفكار، والمعتقدات الأساسية لدى الإنسان[٣].

ولان الإنسان يحتاج في طريقه إلى السعادة الحقيقية أو الاستقرار النفسي ان يحدد له دينا يتبعه، فيعيش في كنفه ويحتمي بشعائره، وهذا ما لوحظ على مر العصور، فكان الإنسان يبحث دوما عن اله يعبده، وقام

---

(١) الأديان في علم الاجتماع ص٢٤ وما بعدها.

(٢) الديانات القديمة، رشدي عليان، ص٢٣.

(٣) ينظر: الأديان في علم الاجتماع، ص١٠ وما بعدها.

فعلا بالتخبط لفترات طويلة بين ذلك وذاك، فعبد الحجر، وقام بعبادة الشجر وبعبادة البقر، وحتى وصل إلى عبادة البشر وغيرها[١].

من اجل ذلك كان اثر الظاهرة الدينية جلية في سلوك المجتمعات، لذلك عد "علماء الاجتماع الدين من أهم القواعد التي قام عليها بنيان المجتمع البشري، وانه قمة النماذج الخلقية المثالية التي تقبلها المجتمع لرسم العلاقات الاجتماعية على أسس إنسانية واقعية."[٢].

ومما حذا بعلماء الاجتماع الوقوف والاعتكاف على دراستها وبيان أثرها البالغ في المجتمع يقول الأستاذ الخشاب في كتابه الاجتماع الديني: "لقد كانت دراسة المعتقدات والطقوس الدينية ونشأة فكر التقديس والإلوهية اللبنة الأولى في تكوين صرح الدراسات الاجتماعية فالمتتبع لمراحل نشأة علم الاجتماع العام يلمس بوضوح اعتماد أساطينه الأوائل على التراث الثقافي الذي زخرت به الأساطير والكتب المقدسة التي وصفت وصورت وعكست أحوال مجتمعات غابرة أو جماعات بائدة، لا سبيل إلى تحقيق ما ورد عنها إلا تفسير مورثاتها المقدسة"[٣].

---

(١) ينظر: موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، د. سعد رياض، ط/١، دار ابن الجوزي، القاهرة ٢٠٠٨م، ص٢٩.

(٢) تاريخ الأديان وفلسفتها، طه الهاشمي، بيروت، (١٩٦٣م)، ط(١)، ص٣٥.

(٣) الاجتماع الديني، د. احمد الخشاب، ص٦.

غير أن الأستاذ رشدي عليان عمد إلى نقد علماء الاجتماع في قضية استبعادهم لفكرة الالوهية عن الدين، فيقول: وإذا أردنا أن نستخلص القواعد التي يقوم عليها تعريف الدين من حيث هو لوجدنا أن (مبدأ الإلوهية) هو أهم تلكم القواعد التي لابد أن يقوم عليها تعريف الدين، لذلك نحن لا نوافق بعض علماء الاجتماع مثل دوركهايم على حذف المبدأ في تعريف الدين ونقول لدور كهايم وأمثاله ممن يبعدون فكرة الإلوهية من التعريف بحجة أديان الشرق كالبوذية وغيرها تقوم على أساس أخلاقي بحت خال من تاليه كائن ما، وان الذين يألهون (بوذا)، انما هم مبتدعون، ونقول: ان هذه الديانات ما استحقت ان تدرج في جدول الأديان الا منذ دخلتها فكرة التأليه، أو على اعتبار أنها كانت كذلك منذ نشأتها[1].

وقد نقل الأستاذ علي النشار في كتابه نشأة الدين ماهية الدين تبعا لمناظير علماء الاجتماع، فيقول: أرجعوا علماء الاجتماع ماهية الدين تبعاً لثلاثة مناهج: أ) المنهج النفسي. ب) المنهج الحدسي. ج) المنهج الموضوعي.

أما **المنهج النفسي**، فقد ذهب أصحاب هذا المنهج إلى ان الدين: (هو الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر من الأسرار)، وأما أصحاب **المنهج الحدسي** فقالوا بوجود نوعين من الدين: **الأول**: هو من

---

(١) ينظر: الديانات القديمة، د. رشدي عليان، ص٢٣ وما بعدها.

خلق الإنسان، وهو من صفوة البشر سما إلى فكرة مثالية، وحاول ان ينبثق من أعماقه (دين)، أو فكرة تفيض عن الإنسانية كلها، وقد حقق بعض كُمّل الخلق من أمثال المسيح(عليه السلام) فكرة هذا الدين.

والثاني: انه رد فعل تقوم به الطبيعة من ممارسة العقل، مما يشل حركة الفرد، ويقضي على تماسك المجتمع. وأما أصحاب **المنهج الموضوعي**، فقد ذهبوا إلى بداية ظهور فكرة الآلهة، فحدوا الدين بأنه: (تحقيق الحياة الإنسانية بوساطة الإحساس، وانه رباط يصل الروح الإنسانية بالنفس الخفية التي تعترف الأولى بما لها من سلطان على العالم، أو عليها، والتي يجب ان تكون شاعرة بالاتصال بها دائما)[١].

ثانيا) تصنيف الدين وفق النظريات:

صنف بعض العلماء الدين تبعا لنظريات مختلفة، في محاولة للوقوف على بيان نشأة الدين في المجتمعات، والتصنيف الذي دار في فلك النظريات هو كما ياتي:

<u>الصنف الأول:</u> الأديان الطبيعية أو الفطرية، وهي أديان الصين[٢]

---

(١) ينظر: نشأة الدين، علي سامي النشار، ط/ ٢، دار الثقافة، الإسكندرية، ١٩٤٩م، ص٢١.

(٢) اديان الصين وهي: الكنفوشيوسية التي عبدت مظاهر الطبيعة، وانكرت اليوم الآخر، والداوية التي لها اتجاهات فلسفية حيال المعبودات من الالهة بعد موت مؤسسها(لاو)، وبمضي الزمن اعتقدوا السحر والشعوذة. ينظر: قصة الاديان، مظهر سليمان، ص١٨١، ٢١٩، ٢٢٨.

والفرس[1]، وقدماء المصريين، والبراهمة[2][3]. وهي بجملتها أديان بدائية، وتقتصر عبادة هذا الصنف على مظاهر الطبيعة، بيد ان العلماء الذين خاضوا في دراسة هذا النوع من الديانات ارجعوا تلكم العبادات إلى نظرية (عبادة مظاهر الطبيعة)، غير ان مظاهر الطبيعة متعددة، فكيف يكون الاهتداء إلى نوع معين من بين تلك الأنواع؟ فقد انقسم أصحاب هذه النظرية على قسمين:

الأول: قالوا: ان التأمل والنظر في الظواهر الطبيعية العادية لا يكفي لإثارة الفكرة الدينية، وإنما الذي يثيرها هو الطبيعة الشاذة العنيفة، فهذه الحوادث الرهيبة تبعث الفزع، والخوف بنفس الإنسان وتجعله يستفسر عن مصدرها، فينسبها إلى قوة خفية غيبية.

الثاني: ان العامل في إثارة الفكرة الدينية هو التأمل والنظر في مشاهد الطبيعة تأمل يجعل الإنسان يشعر بمزيد من الدهشة والإعجاب فيخلص من التفكير إلا انه محاط بقوى مستقلة عن إرادة البشر يخضع

---

(١) سيأتي تعريفها في محلها ضمن دراستنا لجهود الشهرستاني في دراسة الديانات القديمة، في الفصل الخامس المبحث الثاني(ان شاء الله تعالى).

(٢) سيأتي تعريفها في محلها ضمن دراستنا لجهود الإمام أبي زهرة في دراسة البراهمة في الفصل الخامس المطلب الثاني من المبحث الثالث.

(٣) ينظر: تاريخ الأديان وفلسفتها، طه الهاشمي، ص ٣١.

أفراد المجتمع لتأثيرها[١]. ولذلك فان أصحاب هذه النظرية بقسميها يقرون بوجود قوة خفية غيبية، تحتم على الإنسان الإيمان بها.

<u>الصنف الثاني:</u> الأديان الملهمة أو الموحى بها، وعدّوا منها اليهودية والإسلام[٢]، وهذا الصنف يتماشى مع مذهب الوحي" يؤكد أصحاب هذا المذهب على ان الدين موحى به من عند الله، وان الإنسان الأول قد عرف فكرة الدين، ودان بالتوحيد عن طريق الوحي، وليس عن طريق العقل. ولا يزال هذا المذهب السائد عند رجال الدين، وهو ما تسعى الديانات الكبرى الثلاث: (اليهودية، والمسيحية، والإسلام) لإثباته تارة بإقامة البراهين على إمكانية الوحي، وصدق براهين النبوة، وتارة أخرى بالتماس سند عقلي يربط الدين بما يحقق من مصالح"[٣].

ولتسهيل دراسة الأديان ذهب كثير من العلماء إلى تصنيفها كل باصطلاحاته المختلفة، وهي كما يأتي:

١) هناك من صنفها الى: أديان مطلقة وكاملة، وهي المسيحية[٤].

٢) وهناك من صنفها تصنيفا ثلاثيا[٥]:

أ) أديان قبلية. ب) أديان قومية. ت) أديان عامة.

---

(١) ينظر: الاجتماع الديني، الخشاب، ص١٠٤.

(٢) ينظر: تاريخ الأديان وفلسفتها، الهاشمي، ص٣١.

(٣) مقارنة الأديان، د. رشدي عليان، ص٤٦ وما بعدها.

(٤) ينظر: تاريخ الأديان وفلسفتها، الهاشمي، ص٣١.

(٥) ينظر: المدخل إلى دراسة الأديان، عبد الرزاق اسود، ص٢١.

٣) ومن التصنيف الثلاثي إلى التصنيف الثنائي، فقد صنف بعض المحققين "الأديان بإجمالها إلى روحية ومادية، والمادية هي الوثنية على اختلاف ظواهرها. والديانات الروحية التي معبودها روح لا يرى، وتدخل في عدة طوائف أهمها:

١) الديانات الإلهية التي يعبد أصحابها آلهة عظيمة غير منظورة.

٢) عبادة أرواح الأسلاف أو نحوها.

٣) عبادة القوى الطبيعية"(١).

ومع تنوع التصانيف إلا ان الأمر يقودنا إلى القول بوجود قاسم مشترك في مفاهيم الدين سواء أكانت جماعات أم قبائل، أم أقوام، أم مجتمعات فالكل يدور في فلك واحد، وحول نواة واحدة هي(الاعتقاد بأمر مقدس). لذا أدرك الشيخ محمد دراز تلكم الحقائق من واقع جمع العناصر الرئيسة وتحليلها عند المذاهب، وأعطى الحد الحقيقي للدين رغم النظريات ك(نظرية عبادة مظاهر الطبيعة، ونظرية عبادة مظاهر الروح(٢). والنظرية

---

(١) طبقات الأمم، جرجي زيدان، ص٤٧ وما بعدها.

(٢) نظرية عبادة مظاهر الروح أو المذهب الحيوي؛ تنسب هذه النظرية إلى العالم الانكليزي (تايلور) في كتابه المدنيات البدائية، وقد بين فيها ان البشر الأول تنبه إلى الروح، واعتقد بان للموجودات ان الأخرى أرواحا، وان تلك الأرواح عبارة عن كائنات تتصل بالناس، وان جميع ما يصيب النفس الإنسانية من نجاح وتوفيق، أو من الآم ومصائب إنما يرجع إلى تلك الأرواح وإذا كان الموت هو الذي حول النفس الإنسانية إلى روح مقدسة، فان أول عبادة إنسانية في تصور (تايلور) إنما اتجهت إلى عبادة=

التوتمية[1]، نظرية التوحيد الفطري وغيرها من النظريات التي أقحمت العقل البشري وأدخلته في متاهات لا يستطيع ان يجد لها مخرجا. فالدين: "هو الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه ان يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة وفي خضوع وتمجيد"[2].

وبالجملة فان هناك قواعد ثلاثة وضعها العالم الاجتماعي (موريس جاسترو) من حيث هو وهي[3]:

=الموتى، أي عبادة نفوس الإسلاف وكانت أولى القرابين قرابين غذائية تشبع حاجات الموتى. ينظر: الاجتماع الديني، الخشاب، ص٢٤٦، التفكير الديني في العلم، د.رؤوف شلبي، ص٧٦.

(١) النظرية التوتمية: التوتم هو الرمز الذي تتخذه العشائر البدائية لنفسها، ويعتقد كل فرد من أفراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين واحد منها، أي انهم منحدرون فعلا من هذا التوتم، وتقوم الديانة التوتمية على أساس التقديس للعشيرة تقديساً عظيما، وأشكال التقديس ان كان حيوانا يحرم أكله، وان كان نباتا يحرم قطعه، وقد وردت كلمة توتم لأول مرة سنة (١٧٩١م)، أي أواخر القرن الثامن عشر، إذ أدخلت هذه اللفظة اللغات الإفرنجية من لغة الاوجيني من هنود أمريكا، ويراد بها كائنات تحترمها بعض القبائل المتوحشة، ولما كانت هذه المجتمعات تدين بالتوتمية، استنتج أصحاب النظرية التوتمية. ينظر: طبقات الأمم، جرجي زيدان ص٤٩، تاريخ الأديان وفلسفتها، الهاشمي، ص٨١، والاجتماع الديني، الخشاب، ص٢٥٤.

(٢) الدين، بحوث ممهدة لدراسة الاديان، الشيخ محمد دراز، دار القلم، الكويت ط(٢)، ١٩٧٠م، ص ٢٥.

(٣) الديانات القديمة، د. رشدي عليان، ٢٤.

١. **القاعدة الأولى:** من حيث ان (مبدأ الإلوهية) أي الاعتقاد بقوة أو قوى غيبية، هو أهم تلكم القواعد التي لا بد ان يقوم عليها تعريف الدين.

٢. **القاعدة الثانية:** اعتقاد المتدين بوجود صلة له بهذه القوة أو القوى، يدفعه إلى التوجه إليها.

٣. **القاعدة الثالثة:** سعي المتدين لتوثيق صلته بهذه القوة أو القوى، وذلك بخضوعه التام عن رغبته واختياره.

وقبل مغادرة المبحث، فإننا نخلص إلى:

١) أن ما يستفاد من تعريف الإسلاميين للدين، وتصنيفه، هو تأسيس قاعدة معرفية للفظة الدين، وتوجيه الظاهرة الدينية، وقد وجدنا منظورهم الفكري لمعان الدين يدور في فلك البيان القرآني له، ومرادفات معانيه، وما يستنبط منها، وأنهم لم يخضعوا تفسيراته تبعاً لمفاهيم المذاهب الاجتماعية أو النفسية، أو النظريات الأخرى، وفي ذلك فقد أغنانا القرآن الكريم عن كل حيرة.

٢) بينما نجد ان علماء مدارس علم الاجتماع والنفس، أعطوا معاني للدين بحسب مذاهبهم ونظرياتهم، وبحسب فلسفاتهم المتعددة، وقد تكون بعيدة عن منظور كتبهم السماوية، ولم يلحظ ذلك المنظور في تعريف وتوجيه النفس الإنسانية تجاهها، الذي هو ضابطها، لذلك باتت جملة تحليلاتهم لهذه المادة تتأرجح، ومن الملاحظ على تلك المذاهب أنها مذاهب فردية شخصية أو جماعات تعكس نفسيتها، قد

تبتنى على الاستنباط تارة، وعلى الإحساس النفسي تارة أخرى، لذلك اخضعوا مفهوم (الدين) لتلك النظريات. وتعرضت مجمل جهودهم للتقويم والنظر من قبل مدارسهم الفكرية بالدرجة الرئيسة.

المبحث الثاني

نشأة علم الدين المقارن عند المسلمين وتطوره

مدخل:

الدين ضرورة في حياة المجتمعات، وشأنه عظيم في تحديد سلوكه الأخلاقي والاجتماعي، وبالتالي فهو المهيمن على كل المجتمعات رغم تنوعه، لذا فان مظاهر التدين في المجتمعات تتمثل بمناهج حياتهم وسلوكهم. والناظر في أعماق التاريخ ليجد الفكرة الدينية منتشرة، ومتحققة في الأقوام منذ زمن بعيد. لذا فان الباحث ليقف أمام كم عظيم من الديانات وما انضوت عليها من عقائد وطقوس مقدسة، تتطلب من الباحثين إلى بذل جهود عظيمة، لتتجلي أمامهم طبيعة تلك العقائد، وكيفية التعامل معها.

وقد فرض كل ذلك على الباحثين الاستعداد إلى زيادة رصيدهم الثقافي في تلك الديانات وتنوعه، فتحتم عليهم الأمر إلى فرز دراسات متخصصة في أصول الديانات، ونموها، وتطورها في الزمان والمكان. ناهيك عن بيان حقيقة المعتقد الذي يدور في أفلاكها، واستخدام المناهج العلمية في تلك الدراسات، لذلك انبثق علم جديد يسمى بـ(علم دراسة الأديان) والحق الذي يجب ذكره في هذا المقام هو ان بواكير دراسة تاريخ الديانات عند المسلمين كانت منذ القرن الأول الهجري للحضارة الإسلامية، إذ ظهر هذا العلم وفق إشارات قرآنية ساعدت علماء الإسلام في العصور الزاهرة ان يظهروا هذا العلم، باسم (علم تاريخ الأديان) أو

(علم الملل والنحل)، ويعنى بعلم الأديان: هو الدراسة الموضوعية لمختلف الأديان من حيث أصولها وشريعتها.

وإذا ما قورنت تلك الجهود الإسلامية المباركة، مع علماء الغرب وغيرهم من المشتغلين بفلسفة الدين، نجد ان هذا العلم لم يعرف طريقه إلى الغرب حتى القرن التاسع عشر الميلادي، بالرغم من وجود بعض البدايات التي أفرزها الفكر اليوناني القديم في الغرب في قضايا فلسفية أرهقت الفكر الإنساني الغربي، كمسألة (حدوث العالم، ومصير الأرواح بعد فناء الجسد، والعلاقة الإلهية بالعدل، وغيرها من المسائل) وهي بجملتها لا تعد منهجا، ولا علما حقيقيا لمعاني علم تاريخ الأديان، أو علم مقارنة الأديان.

وانه لأثر جميل تركته تلك الجهود الإسلامية التي امتازت بطابعين جديدين لم يسبق اليهما احد فيما نعلم، أما أحدهما:

فان الحديث عن الأديان بعد ان كان في العصور السابقة إما مغموراً في لجة الأحاديث عن شؤون الحياة، وأما مدفوعاً في تيار البحوث النفسية والفلسفية أو الجدلية، أصبح في كتب العرب دراسة وصفية واقعية منعزلة عن سائر العلوم، والفنون شاملة لكافة الأديان المعروفة في تدوينه علما مستقلا قبل ان تعرفه أوربا الحديثة بعشرة قرون. ثانيهما: وهو ليس اقل نفاسة من سابقه، فهو انهم في وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيلة، والظنون، ولا على الأخبار المحتملة للصدق، والكذب، ولا على العوائذ، والخزعبلات الشائعة في الطبقات الجاهلة. ولكنهم كانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها، ويستقونها من منابعها

الأولى[١]. لذلك تركوا ثروة مثرية من الكتب والمؤلفات في هذا العلم التي أغنت المكتبة العربية.

وقد شهد علماء الغرب لتلك الجهود الإسلامية في هذا العلم، وقد "كتب علماء أوروبا أسفارا جمة مابين وسيع ووجيز عن حضارة العرب[٢]، وعن مدى إفادة الغربيين من معارف العرب أنفسهم في الأدب، والشعر، والتشريع، والطب، والفلك، والتاريخ، والكيمياء ومختلف الفنون، والذي يعنينا هنا إنما هو اثر العرب المسلمين في علم الأديان، وانه من الافتراء، وعدم الإنصاف ان يقال عن الإسلام انه لم يصنع شيئا في تاريخ الدين المقارن"[٣].

بل ان من "مفاخر المسلمين انهم هم الذين ابتكروا علم مقارنة الأديان. ومن الطبيعي ان هذا العلم لم يظهر قبل الإسلام، لان المقارنة تحتاج إلى تعدد، والأديان قبل الإسلام لم يعترف ايٌّ منها بالأديان الأخرى، إذ كان كل دين يعدُّ ما سواه من الأديان والأفكار

---

(١) الدين، دراز، ص٢١.

(٢) كتاب حضارة العرب، للمستشرق (غوستاف لوبون)، طبع في سنة ١٣٩٩هـ، وقام بترجمته عادل زعيتر.

(٣) الدين، دراز، ص٢١.

هرطقة[1]وضلالا"[2].

المطلب الأول: نشأة علم الدين المقارن عند المسلمين

لعل المتتبع لبواكير علم مقارنة الأديان عند المسلمين، ليجد ان جذور هذا العلم مستقاه من المصدرين الرئيسين التشريعين للمسلمين: (القران الكريم، والسنة النبوية المطهرة)، اللذين لهما آثار عظيمة في تحقيق مسالة الدين المقارن.

أولا) القران الكريم وأثره في نشأة علم مقارنة الأديان:

لقد وضع القرآن الكريم أمام العلماء اللبنة الأولى لعلم مقارنة الأديان، وذلك وفق توجيهه الخطابي لأهل الديانات بأفضل الأساليب واحكم المناهج. وهو في ذلك اختط لنا الأسس الأولية في تنوع الأساليب المنهجية في دراسة وتحليل ونقد الديانات، تبعا لأهداف دعوية وتربوية. والمتأمل في تلك الأسس والمناهج والأساليب، يجدها تدور في المحاور الآتية:

---

(١) الهرطقة كما فهمتها الكنيسة، اذ ذاك هي مخالفة رأي الكنيسة، فرأي يراه عالم في العلوم الكونية هرطقة، ومحاولة فهم الكتاب المقدس لرجل غير كنسي هرطقة، وانتقاد شيء يتصل بالكنيسة هرطقة، ومساعدة واحد من هؤلاء او الرضا على اتجاه هرطقة، على ان رؤساء الكنيسة طالما رمى بعضهم بعضا بالهرطقة خدمة لمطامعهم الخاصة ينظر: مقارنة الاديان المسيحية، د. احمد شلبي، ص ٢٥٧.

(٢) مقارنة الأديان، اليهودية، د.احمد شلبي، ط/١٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٧م، ٢٣.

١) منهجية جدال أهل الكتاب.

٢) منهجية المقارنة بين عقائد الديانات وبين العقيدة الإلهية الحقة.

٣) القصة القرآنية وآثرها في توجيه المقارنات العقدية.

٤) المنهج الدعوي والإرشادي في القران الكريم وأثره في الديانات.

وجملة المحاور تعطينا دلالات واضحة على منهج القرآن الكريم وآثره في علم مقارنة الأديان. وسنقف بالدرس والتحليل لتلك المحاور التي هي مرادنا في بيان نشأة علم مقارنة الأديان:

١) منهجية جدال أهل الكتاب:

بين الحق جل ثناؤه أسساً لمنهجية جدال أهل الكتاب، ومنها:

أ) المجادلة بالحسنى، عملا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]،

أي بالخصلة التي هي أحسن كمقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح[2].

فالمجادلة بالحسنى هي مفهوم هذا العلم[3]، والمسلمون حريصون كل الحرص على تدبر القرآن الكريم، تبعا لما رسمته الآية الكريمة: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[4]، وقوله تعالى:

---

(١) سورة العنكبوت، من الآية (٤٦).

(٢) روح المعاني، الالوسي، ٥/٣١

(٣) مقارنة الأديان، د. احمد شلبي، ص٢٩.

(٤) سورة ص، الآية (٢٩).

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1].

أي: شيء جعلك لهم نبيا لولا رحمت الله بك وبهم والفظ الغليظ، أي غليظ الكلام غليظ القلب: أي لو كنت سيء الكلام قاسي القلب عليهم لتركوك[2]. لأنه ما من سبيل إلى التغيير، والإصلاح في مجتمع من المجتمعات إلا بأخذ بتنمية الأخلاق في النفوس، وإرشادها إلى السلوك القويم، وعليه فالشريعة الإسلامية انتهجت وهي في مهدها مناهج في إيقاظ ضمائر الناس عامة ليتغلبوا على قوة الشر والطغيان التي تنشر الإلحاد، والكفر والشرك، ويتخلصوا من عقائد تلك القوى المهيمنة على النفوس، والعقول، وكشف الأستار عن الظلم، والظلمات، وأدخلت النور إلى تلك الضمائر.

ومن أمره تعالى لنبيه (ﷺ) في قوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[3]، نستدل على ان منهج المرونة لازم للدعاة، وان اللين والرفق في الخطاب واجب، لذا وجب على الدعاة الابتعاد عن التعسف، والفظاظة، ولان الله تعالى قد أمر بالاعتدال، والتوسط، قال

---

(١) سورة آل عمران، من الآية (١٥٩).

(٢) تفسير القران العظيم، للحافظ ابن كثير، ت٧٧٤هـ، تحقيق د. السيد محمد السيد. وآخرون، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٢م، ٢/١٦٤ ومابعدها.

(٣) سورة النحل، الآية (١٢٥).

تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

"فالاعتدال إذن هو الكمال، وهو إعطاء كل شيء حقه من غير زيادة ولا نقص، وهو ينشأ عن معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه ومعرفة حدودها، وغاياتها، ومنافعها، وهو الحكمة المنوه بها في قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾[2][3].

وكذلك السماحة التي هي "سهولة المعاملة فيما اعتاد الناس فيه المشادة فهي وسط بين الشدة والتساهل، ولفظ السماحة هو ارشق لفظ يدل على هذا المعنى. فتدل السماحة على خلق الجود والبذل"[4].

فالتوسط والسماحة طريقان نفاذان إلى قلوب الناس، وقد علمنا من كتب السير والتاريخ مدى تأثر أقوام بأخلاق المسلمين السمحة والرفيعة التي تنبع من الشريعة الإسلامية، أدى بهؤلاء الأقوام اعتناق الإسلام وشواهد ذلك كثير لا مجال لذكرها، وإذا كانت الدعوة بهذه الطريقة رقت

---

(١) سورة البقرة، من الآية (١٤٣).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٦٩).

(٣) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، الشركة التونسية، ١٩٧٩م، ص٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٥.

لها النفوس ووجدت طريقا إلى القلوب، فان ذلك يعد من تهيئة النفوس لاستقبال الدعوة الإسلامية.

ب) والجدل يعتمد على الأخلاق الإسلامية، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بأسس النظر في القران الكريم، والسنة المطهرة لأنه مأخوذ منهما، وان من أهم مرامي المنهج القرآني لتلك المجادلة هي الدعوة "إلى الدخول في الإسلام والإيمان بمحمد(ﷺ) مبينا ان دعوته التي جاء بها موافقة في جوهرها لما دعا إليه الأنبياء السابقون(عليهم السلام)، وان معجزته الكبرى القران الكريم جاءت مصدقة للكتب السماوية السابقة ومهيمنة عليها، ولكن القران لم يكره أحدا على قبول عقائده، بل أكد أهمية الإقناع والاقتناع في مجال قبول العقائد."[1].

ومن أعظم المسائل التي ذكرها القرآن الكريم، كإحدى الشواهد هي مسالة العقائد الألوهية في الأديان، وقد كشف القرآن الكريم في آيات عدة حقائق زيفها، ومن ثم إبطالها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

---

(١) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. محمود علي حماية، ط/١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ٣ وما بعدها.

(٢) سورة المائدة، الاية (١٧).

٢) منهجية المقارنة بين عقائد الديانات وبين العقيدة الإلهية الحقة.

نحى القرآن الكريم منحاً رائعاً في علم المقارنة، فقارن بين عقائد الديانات وبين العقيدة الحقة ثم صرف العقول إلى التدبر فيها، ومن تلك الشواهد:

١) قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[١]. أي لو كان في السموات والارضين آلهة غير الله معبودات لفسدتا والمعنى لو كان الهان لفسد التدبير، ومعنى لفسدتا أي خربتا وهلك من فيهما بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء[٢]، فهذه الآية "تقارن بين الوحدانية وبين التعدد"[٣]، ولأنه "لو تعددت الآلهة في الكون لفسد نظام السموات والأرض، وأختل تماسكها القائم على وحدة نظام، ووحدة تيسير، وهذا من الأمور البديهية المشاهدة، والكون كله مخلوق مترابط بوحدة نظام وتيسير، فلو كان فيها آلهة أرباب غير الله لفسد نظامه، واختل وجوده، وبقاؤه"[٤].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٢٢).

(٢) الجامع لاحكام القران، القرطبي، ٢٧٨/١١ وما بعدها.

(٣) مقارنة الأديان، د. احمد شلبي، ص٢٩.

(٤) العقيدة الإسلامية، الميداني، ص١٧٨.

ويسمى هذا البرهان ببرهان التمانع أي التخالف والتنازع[1] وبالتالي صرف العقول نحو عظمة الله تعالى وتوحيده.

٢) قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2]، ففي الآية: تبكيت للكفرة وإبطال شركهم وعبادتهم غيره تعالى، شأنه من الأصنام بإنكار ما يستلزم ذلك من المشابهة بينه سبحانه وبينه بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا، وتعقيب الهمزة بالفاء لتوجيه الإنكار إلى ترتيب توهم المشابهة المذكورة على ما فعل سبحانه من الأمور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى والاقتصار على ذكر الخلق من بين ما تقدم لكونه أعظمه وأظهره، واستتباعه إياه واستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل عن ذلك بالمرة كما هو قضية إشراككم[3]، وفي الآية نوع من المقارنة، فالخالق الأعظم لا يمكن ان

---

(١) وهذا دليل على وحدانية الله تعالى، وقد اثبت علماء الكلام برهاناً قاطعاً سموه بـ(برهان التمانع)، وتحقيقه: انه لو امكن وجود الهين لما وجد شيء من العالم، لانهما اما ان يتفقا على فعل الممكن او يختلفا، فان اتفقا فيلزم اجتماع مؤثرين على شيء واحد، واشتراكهما في ايجاده دليل على عدم امكان قيام احدهما بايجاده مستقلا فهما عاجزان، ولا يصلح ان يكون العاجز الها، وان اختلفا في وجوده وعدمه، بان اراد احدهما ايجاده والاخر عدمه، فيلزم اجتماع الضدين، واما ان ينفذ احدهما ارادته دون الآخر فيلزم عجز لم تنفذ ارادته، وعجز من نفذت ايضا، لانه مماثل له ومماثل العاجز عاجز. ينظر: شرح العقائد النسفية في العقيدة الإسلامية، د. عبد الملك السعدي، مكتبة دار الانبار، بغداد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ط(١)، ص٥٢.

(٢) سورة النحل، الآية (١٧).

(٣) روح المعاني، الالوسي، ١٣/٤٨١.

يماثله هذا النوع من الآلهة التي لا تستطيع ان تخلق ذبابا، ولو اجتمعت هذه الإلهة لخلقه[١].

فان الإعجاز في هذه الآية هو ان المعبودات من دون الله عاجزة عن خلق ذبابة، فالخلق مقصور على الخالق لا ينازعه بذلك منازع ان الذباب عندما يأخذ شيئا من طعام يفرز عليه عصارة خاصة من لعابه، فتختلط بسرعة كبيرة تقدر بأجزاء من الثانية بهذا الطعام مما يسهل على الذباب ارتشافه بخرطومه، وعليه فالطعام المسلوب وان كان تافها لا قيمة له لا يمكن استنقاذه لأنه يتحول كيميائيا إلى مركب من نوع آخر بفعل هذه العصارة، قبل ان يدخل في جوف الذبابة، وكذلك من يطلب هذا الطعام المسلوب ضعيف دون استنقاذه فلا يملك البشر ولا معبودات البشر من دون الله خلق حشرة ضعيفة كالذباب، وأكثر من ذلك لا يملكون استنقاذ شيء مما يسلبهم إياه من طعام[٢].

٣) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٣].

---

(١) مقارنة الأديان، د. احمد شلبي، ص٢٩.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القران الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج احمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٥١٤.

(٣) سورة البقرة، الآية (٩٣).

أي خذوا التوراة أخذا قويا، واسمعوا ما أمرتكم به فيها، سماع قبول، وعمل، ثم (قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)، أي سمعنا قولك وعصينا أمرك أُمروا أن يكون سماعهم طاعة، فكان سماعهم عصيان، ومن ثم (وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ)، أي اشربوا حبه حتى خلص إلى قلوبهم، فداخلهم حبه، والحرص على عبادته، كما يتداخل الصبغ الثوب[(١)].

فأراد الله تعالى أن يبين حقيقة إيمان اليهود به، وعقيدتهم بعبادة العجل، فوجه المقارنة" هم يدّعون الإيمان، والإيمان يقتضي طاعة، وهم يعصون هم يدّعون الإيمان بالتوراة، وليس في التوراة عبادة العجل، فأي إيمان هذا الذي يأمرهم بعبادة العجل فإذا كان هذا هو إيمانهم الذي سول لهم مثل هذه القبائح، فانه هو نفس الإيمان الذي يسوّل لهم أفظع وأقبح، وهو عدم الإيمان بالقران"[(٢)].

٤) قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ

---

(١) الأساس في التفسير، سعيد حوى، ط/٢، دار السلام، مصر، ١٤٠٩هـ/١٨٩٨م، ١٨٧/١، وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه، ١٨٨/١.

﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[1]. فحادوا عن اتباع الحق الذي جاء به سيدنا محمد(ﷺ)، الذي جاء مصدقا لما معهم إلى مخالفة ما أمروا به، فنبذوه وراء ظهورهم، واتبعوا شرعة أخرى، لذلك قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[2].

فما بعد الجحود والنكران الا الخسارة والخذلان، فحبطت أعمالهم بما كانوا يكسبون، قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3]. فالسياق القرآني جلي في فضح عقائد اليهود، وعنادهم، ونكرانهم الأنبياء ورسالاتهم؛ لذلك حكى الله تعالى عن لسانهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ

(١) سورة البقرة، الآيتان (١٠١-١٠٢).

(٢) سورة الأنبياء، الآيات(٤٨-٤٩- ٥٠)

(٣) سورة البقرة، الآية(٩١).

﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[1]. لذلك قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾[2].

ثم يتجه السياق القرآني بعد فضح تلك العقائد إلى بيان الشريعة الحقة التي جاء بها الله تعالى على لسان الأنبياء والمرسلين: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]، وبقدر هذا البيان الشافي في الكشف عن العقيدة، والشريعة الصحيحة، فقد أفادت المقارنة بين دين القوم الذي دانوا به، ودين الله تعالى المنزل على الأنبياء والمرسلين، وفي هذه الفائدة الجليلة تمكن الباحث من اتخاذها كمسلك في مناظرة القوم، ودعوتهم إلى الله تعالى.

ويتعدى الوصف والبيان القرآني إلى بيان صورة العلاقة بين أصحاب الديانتين (اليهودية والمسيحية)، ومقارنة عقائد بعضهم ببعض، وقد حكى الله تعالى على لسانهم، بقوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا

---

(١) سورة البقرة، الآية(١٧٠).

(٢) سورة محمد، الآية (١٤).

(٣) سورة الأنعام، الآية(١٥١).

﴿يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1]. يبين به تعالى تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وعقائدهم وهذا القول يقتضي ان كلا من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الأخرى، ولكن ظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه مع علمهم بخلاف ذلك، ولهذا قال تعالى: (وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۗ)، أي وهم يعلمون ان شريعة التوراة والإنجيل، كل منها قد كانت مشروعة في وقت، ولكن تجاحدوا فيما بينهم عنادا وكفرا ومقابلة للفاسد بالفاسد[2] لذلك حسم الخطاب القرآني الأمر بالقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]. أي "حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الأنبياء، وتعملوا ما فيها ومما فيها الأمر بإتباع محمد (ﷺ)، والإيمان بمجيئه، والاقتداء بشريعته"[4].

٥) ومن الشواهد العظيمة التي ذكرها القران الكريم في مقارنة الأديان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

---

(١) سورة البقرة، الآية (١١٣).

(٢) تفسير القران العظيم، ابن كثير، ١/٣٣٨.

(٣) سورة المائدة، الآية (٦٨).

(٤) تفسير القران العظيم، للحافظ ابن كثير، ٣/١٨٣.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]. وقوله تعالى ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

فذكر الله تعالى لتلك الديانات، وعَدُّها واحدة تِلو والأخرى، هو إعلام صريح عن أحوال تلك الأمم وعقائدها، توجب على العقل النظر بها، والنظر بهذه الطريقة يفضي إلى المقارنة، والعرض والتحليل والدراسة الموضوعية، وهي بجملتها تسمى (علم الأديان)، ومقارنتها وفق المنهج العلمي وكذا ذكره تعالى الأنبياء والمرسلين، وضرورة الإيمان بهم جاء بطريقة الإقرار الأمري لشريعتهم الصحيحة، فالإيمان بهم يقود إلى الطريق القويم. فتعدد الأنبياء والمرسلين تباعا في الآية الأخيرة، كذلك يفضي إلى النظر بشريعتهم، وموقف قومهم منهم، وهذا النظر يقود إلى الدرس والتحليل.

٣) القصة القرآنية وآثرها في توجيه المقارنات العقدية.

والحكمة فيما قصه الله تعالى علينا في كتابه العزيز ان نفقه ما جاء في هذه القصص من أخبار وحقائق ومعان وأنماط من المدافعات بين أهل الحق والباطل وان نعتبر به، فمن ذلك ان الله تعالى قصَّ علينا

---

(١) سورة البقرة، الآية (٦٢).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٣٦).

أخبار الأنبياء وما أصابهم، وأصاب أتباعهم المؤمنين من الأذى في سبيل الله وفي ذلك عبرة[1].

وقد تعرض القران الكريم في آيات عدة إلى بيان بعض قصص الأنبياء والرسل (عليهم السلام)، ولم يصرح بالبعض الآخر، قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[2]، وهؤلاء الأنبياء الكرام الذين ذكرهم القران قد أشار إلى الحكمة من ذكرهم في بعض آياته، ومنها:

أ) بيان مواقف الأمم السابقة من أنبيائها، والنتائج المترتبة على تلك المواقف عظة واعتبارا لهذه الأمة، وقد ذكر القران من هذه المواقف ما يكشف النقاب عن تكذيب الرسل، وإيذائهم سنة متبعة من قبل بعض المدعوين[3]، قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ

(١) المستفاد من القصص القرآني للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ط(١)، ص٦.

(٢) سورة النساء، من الآية (١٦٤).

(٣) ينظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي إبراهيم عوض، مطبعة أولاد عثمان، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ط(١)، ص٤٦ وما بعدها.

(٤) سورة الزخرف، الآيتان (٦-٧).

﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾[1]. ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[2].

ب) إقامة الدليل على نبوة الرسول (ﷺ)، وصدق رسالته عن طريق إخباره بأمور غيبية، لم يكن له بها علم، وبعض القصص لم يكن لقومه بها علم، كما في قصة مريم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[3]، وليكن في ذلك براهين عظيمة، وحجة بالغة في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ).

ج) ومن حكم القصص القرآني للأنبياء والمرسلين ان "القرآن الكريم هو الأساس الأول والمصدر الوحيد الذي سلم من التحريف حين التأريخ لتاريخ الدعوة إلى الله، ولعلم تاريخ الدين. اخص بذكر الرسالات السماوية وبخاصة ان كثيرا من القصص يتعلق بأنبياء لم يبق لهم شيء من الآثار الا النص القرآني، أو ما ورد بالكتب الدينية الأخرى التي امتدت إليها اليد بالتحريف أو كتب اعتمادا على تراث الإنسانية"[4].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٤١).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٨٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٤٤).

(٤) دعوة الرسل، د. بكر عوض، ص٥٠.

د) وكذلك من الحكم البالغة في سرد القصص، فقد "سمت القصة القرآنية بحديثها عن الأنبياء سموا بهم في حدود الشرع فلم تنسب إليهم ما ادعاه السابقون في بعض الأحيان من فساد خُلقي بل ذكرت ما نسب إليهم باطلا وأبطلته كما أبطلت الاتهامات التي نسبت إليهم، وما كان من غلو في شأنهم بصورة سلبية من قبل المعرضين عنهم، أو بصورة إيجابية كما يدعي الأتباع مثل تاليه المسيح أو بنوته لله"[1].

هـ) أما حكمة القرآن الكريم في بيان عقائد القوم فهو التنبيه إلى الدخيل الذي اخترق العقيدة الحقة المتمثل بالتحريف ولأنه "من الثابت عندنا بيقين في العقيدة الإسلامية ان أهل الكتاب حرّفوا في كتبهم، فبدلوا بعض نصوصها، واخفوا طائفة منها، ونسوا حظا مما ذكروا به ولقد اخذ التحريف في كتب أهل الكتاب مظهرين: الأول: التحريف المعنوي، وذلك بتغيير مدلولات الألفاظ، وترجمتها إلى ما يوافق تحريفهم. الثاني: التحريف اللفظي، ويكون هذا التحريف اللفظي بأحد ثلاثة وجوه بالتبديل، أو الزيادة، أو بالنقصان"[2] والتحريف بنوعيه سنتعرض إليه في الفصل الثالث والرابع ان شاء الله تعالى.

---

(١)دعوة الرسل، د. بكر عوض، ص٥١.

(٢) العقيدة الإسلامية، الميداني، ص ٥٨٦.

وقد صور القران الكريم حالات التحريف، والتزييف، والتبديل في مظان عدة، منها:

١. قول الحق: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

٢. وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[2].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾[3]. والمتأمل بآيات الله تعالى لا يسعه إلا السجود للرحمن، وصدق الله العظيم، وكذب أولئك المفترين، ما وصف الله فعلا من أفعالهم، أو خلقا من أخلاقهم إلا تحققت أمام العيان، فالوصف العملي العظيم لعقائد وأخلاق أولئك القوم من الشواهد العظيمة على عظمة القران الكريم.

---

(١) سورة المائدة، الآية (١٣).

(٢) سورة المائدة، الآية (١٤).

(٣) سورة المائدة، الآية (٤١).

فالمنهج القرآني العظيم في الوصف، والتفنيد لتلك العقائد والدعاوى قادت بعلماء المسلمين اتخاذ المنهج القرآني الرصين في دراسة الأديان، وخاصة وان أمامهم تركة ضخمة من الكتب المقدسة لدى القوم، وكذا الكتب الدينية، التي هي بأصولها نتاجات جهود زعاماتهم الدينية التي تواطأت على تضليل وخداع الناس، وأعظم شاهدٍ في هذا المقام: (أحبار شراح التوراة)، الذين عمدوا إلى شرح التوراة عبر خمسة قرون، كان نتاجها كتاب (الشريعة الشفوية لليهود) المسمى بـ(كتاب التلمود)[1].

والناظر في هذا الكتاب يجد الدور الحاخامي الكبير وأثره في تثبيت عقيدة اليهود، التي قادت بالفكر اليهودي (عقيدة وشريعة) إلى الابتعاد كل البعد عما جاء به موسى (عليه السلام)، بل حظي بالتبجيل، والتقديس، والاحترام، على شريعة موسى(عليه السلام). ولا يحق لأي كائن مخالفة أقوال الحاخامات، لذلك تعهد لهم الله تعالى بالويل العظيم. قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[2].

وكذا التناقضات التي حوت التوراة وأسفارها بغنى عن تعليق كل ذي لب، ناهيك عن ألفاظ الزنا والدعارة، واتهام الأنبياء والصالحين بما لا يليق بحقهم.

---

(١) سنفصل القول فيه – ان شاء الله تعالى– في الفصل الثالث، ينظر، ص١٦٦.

(٢) سورة البقرة، الآية (٧٩).

وأما النصارى فتركوا شريعة عيسى (عليه السلام)، وحرفوها: ومن ذلك قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾[1]. ومن عقيدة الشرك إلى عقيدة الفداء الصلب التي أضحت جوهر المعتقد المسيحية، وقد دحضها الله تعالى بقوله: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾[2]، وبحسب الإيمان المسيحي ان عقيدة الفداء الصلب تحققت لفداء البشرية جمعاء من الخطيئة التي حلت على رؤوسهم جراء خطيئة آدم (عليه السلام)[3]، بتقديم المسيح نفسه فداء

(١) سورة البقرة، الآية (١١٦).

(٢) سورة النساء، الآية (١٥٧).

(٣) لقد حسم البيان القرآني مسالة خطيئة ادم التي اتخذتها المسيحية معتقدا جوهريا لها، وقد أعطى التصوير القرآني الفهم الدقيق لقصة ادم (عليه السلام)، في قضية أكله من الشجرة المنهي عنها، ولننظر إلى ذلك: قال تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾البقرة: ٣٥، والنهي عن قرب الشيء ابلغ من النهي عنه فهو يقتضي البعد عن موارد الشبهات التي تغري بالمنهي عنه وتفضي اليه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يوقع فيه ولما رأى ابليس ما انعم الله به على ادم من امر السجود ومن اسكان الله له وزوجه في الجنة، حسدهما على ذلك وسعى في المكر والوسوسة والخديعة، ليسلبهما ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾الأعراف: ٢٠، ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾

لـذلك رد الله تعـالى علـى تلـك العقيـدة بقولـه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].

إذن جملـة مـا تقـدم مـن الآيـات التـي أخبـرت عـن الأنبيـاء (عليهم السلام)، وكذا مواقف القوم منهم، وعكوفهم على عقائد آبائهم الأولين، أعطت تلك الآيات دافعا فكريا في توجيه المقارنات العقدية بين مفاهيم أنماط معينة، ومن ذلك قضية تحريف العقيدة، وآثرها في المجتمعات.

٤) المنهج الدعوي والإرشادي في القران الكريم وآثره في الديانات.

الدعوة إلـى الله لابـد لهـا مـن مـنهج علمـي رصـين، تاجـه العقيـدة الصحيحة، والخلق العظيم زينته، وفناء الجهود العظيمة في سبيله، كي يصل ذلك المنهج إلى مستوى مؤثر في نفوس الناس.

وقد أغنانـا القـرآن الكـريم إذ أنـار لنـا طريـق الـدعوة، "والمقصـود بالـدعوة إلـى الله الـدعوة إلـى دينـه وهـو الإسـلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

=الأعراف:٢٢، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ طـه:١١٥ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الأعراف:٢٣ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧ ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ طـه:١٢٢، فالسياق القرآني أعطى الصورة الحقيقية لخطيئة ادم ومغفرتها عند الله تعالى، وان آدم (عليه السلام)، دعا بخشوع وتضرع إلى الله تعالى، وتبعته في ذلك زوجته، وهكذا تاب الله على ادم وزوجه ينظر: التفسير الكبير، الرازي، ٢٦/٣، وتفسير القران العظيم، ١/١٩١-١٩٥.

(١) سورة الأنعام، من الآية (١٦٤).

﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1]، الذي جاء به محمد (ﷺ)، من ربه سبحانه وتعالى.

فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها، وهذا هو الأصل الأول للدعوة وقد بلغ الرسول الكريم(ﷺ) هذا الإسلام العظيم أحسن تبليغ وأكمله وظل يدعو إلى الله تعالى منذ أن أكرمه الله بالرسالة إلى حين انتقاله إلى جوار ربه الكريم، ولهذا أرسله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2]، فهو (ﷺ) الداعي الأول إلى الإسلام، فالداعي إذن هو الأصل الثاني للدعوة"[3].

فلابد للداعي من أساليب ومناهج يتبعها في دعوته إلى الله تعالى. ولقد تعددت النصوص القرآنية التي تشير إلى الدعوة إلى الله تعالى، بأساليب رفيعة جدا التي ترتكز على أصول عظيمة وهي (العقيدة، والشريعة، والأخلاق).

وبذلك نستطيع فهم المنهج القرآني في الدعوة وفق ما قدمه كنظام فيه الكمال والشمول لجوانب الحياة، ويتجلى هذا الكمال في أمور أهمها:

١) في تناوله وشموله لأنظمة الحياة المختلفة اجتماعياً، وسياسياً، وإدارياً، واقتصادياً، وأخلاقياً.

---

(١) سورة آل عمران، من الآية (١٩).

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان (٤٥، ٤٦).

(٣) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٥.

٢) في اهتمامه بالإنسان كله جسماً، وروحاً، وعقلاً، وقلباً، عاجلاً، وآجلاً.

٣) في تنظيمه لعلاقات الإنسان، وصلاته جميعها مع ربه ونفسه وقرابته وجيرانه وسائر المخلوقات.

٤) في استيعابه للزمان والمكان كله، وكمال توجيهها وعنايتها بالإنسان لدوام سعادته.

٥) في المحافظة على الإنسان كله بحفظ نفسه ودينه وعقله وعرضه وماله(١).

وبقدر عظمة النظام الإسلامي كنظام شامل، تعظم معه أساليب الدعوة والحوار، وشواهدها في القران كثيرة، ومن أساليب القران الكريم في دعوة أهل الكتاب:

أ) الدعوة إلى الحوار الهادئ:

دعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الحوار الهادئ، وحثهم إلى البحث عن الحقيقية دون تعصب وهوى، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾(٢).

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم والـ(كَلَمَة)، تطلق على الجملة المفيدة، كما قال ها هنا ثم وصفها:(سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ)، أي: عدل ونصف نستوي نحن وانتم فيها، ثم فسرها بقوله:

(١) ينظر: النظام الاجتماعي والسياسي في الإسلام، د. علي مشاعل، ط(١)، ص١٥.
(٢) سورة آل عمرا ن، من الآية (٦٤).

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[1]، لا وثناً، ولا صنماً، ولا صليباً، ولا طاغوتاً، ولا ناراً، ولا شيئاً بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل[2]، ثم ان أسلوب النداء الإلهي بصيغته اللطيفة المتجلية بكلمة (يا أهل الكتاب)، هي دعوة هادئة لترق لها النفوس كي تتلقى الدعوة بكل سهولة.

ولان الله تعالى من لطفه، وعدله ان يرسل رسولا "كلما اندرست رسالة أو محيت أصولها ان يبعث نبيا جديدا يصحح ما اعوج ويقوم ما انحرف، ويجلي عن الوحي كل ما نسب وهو منه براء، كما انه يدعو المعرضين عن الدين بالكلية أو المتدين بدين وضعي إلى العدول عنه إلى الصواب، لهذه الأسباب وجدنا الحق سبحانه يبعث محمداً(ﷺ) على فترة من الرسل.

يبلغ من لم تبلغه الرسالة قبل، ويصحح معتقدات السابقين، ويبرئ ساحة الأنبياء، المرسلين مما نسب إليهم، وهم منه براء"[3]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟

---

(١) سورة ال عمران، من الآية (٦٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/٦٠.

(٣) التبشير والاستشراق، د. بكر زكي، ود. عبد الرؤوف عبد القادر، القاهرة، ص٧.

(٤) سورة المائدة، الآية (١٩).

عَن كَثِيرٍۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾[(١)].

ومن الآيات التي دعتهم إلى الحوار الهادئ، قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[(٢)]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[(٣)].

وقد "كثرت النصوص التي تشير إلى دعوة الرسل السابقين إلى التوحيد لدى الأمم السابقة، سواء استجابت تلك الأمم أو اعترضت"[(٤)]. والتوحيد قسمان: "الأول: توحيد الربوبية، وهو إفراد الله سبحانه وتعالى في الخلق، والملك والتدبير وأما الثاني: توحيد الإلوهية وهو إفراد الله (عز وجل) بالعبادة بالا تكون عبداً لغير الله لا تعبد ملكاً، ولا نبياً، ولا ولياً، ولا شيخاً فتفرد الله (عز وجل)، وحده بالتأله، والتعبد ولهذا يسمى توحيد الإلوهية، ويسمى توحيد العبادة"[(٥)].

---

(١) سورة المائدة، الآية (١٥).

(٢) سورة البقرة، من الآية(١٦٣).

(٣) سورة النحل، الآية (٣٦).

(٤) التبشير والاستشراق، د. بكر عوض، ود. عبد القادر سيد عبد الرؤوف، ص٥.

(٥) شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص٦. ٩.

ب) تذكير أهل الكتاب بأيام الله تعالى:

وأما تذكير أهل الكتاب بأيام الله تعالى فإن القرآن الكريم حافل بالقصص التي عاشها سادتهم وكبراؤهم الذين سبقوهم والذين على عقائدهم اليوم سائرون قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[١].ومعنى ذلك "أمرناه أي موسى (عليه السلام) أدعهم إلى الخير ليخرجوا من ظلمات ما كانوا فيه من الجهل والضلال إلى نور الهدى وبصيرة الإيمان، (وذكرهم بأيام الله) أي: نعمه عليهم في إخراجهم من أسر فرعون وقهره، وظلمه، وغشمه، وإنجائه إياهم من عدوهم، وفلقه البحر، وتظليله إياهم الغمام، وإنزاله عليهم المن والسلوى إلى غير ذلك من النعم"[٢].

ت) أشار القرآن الكريم إلى بقية من الحق في كتب القوم:

فقد أشار القران الكريم إلى بقية من الحق في كتبهم، يمكن الرجوع إليهم فيها من باب إلزامهم بها، لا للاهتداء على طريقها، فقد أمر كل متشكك بالرسالة ان يسأل أهل الكتاب بأمر محمد (ﷺ) ورسالته ونبوته[٣]. ومن ذلك: قال تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٤٨٧.

(٣) التبشير والإستشراق، د.بكر عوض زكي، د.عبد القادر سيد عبد الرؤوف، ص١٠.

﴿ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾[1]. و"الخطاب للنبي (ﷺ)، والمراد غيره، أي لست في شك. أي قل يا محمد للكافر، فان كنت في شك مما أنزلنا إليك، (فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ). أي يا عابد الوثن ان كنت في شك من القران فأسال من اسلم من اليهود، يعنى عبد الله بن سلام[2] لان عبدة الأوثان كانوا يقرّون لليهود انهم اعلم منهم من اجل أنهم أصحاب كتاب، فدعاهم الرسول (ﷺ)، إلى ان يسالوا من يقرّون بأنهم اعلم منهم، هل يبعث الله برسول من بعد موسى"[3].

إذن هذه بعض الأساليب الدعوية، التي أعطت دفعا قويا في إنشاء قواعد لعلم مقارنة الأديان، ليتخذها الدعاة سبلا في دعوتهم إلى الله تعالى.

ثانيا) السنة النبوية المطهرة وأثرها في نشأة علم مقارنة الأديان:

بعث الله تعالى نبيه الكريم (ﷺ) على فترة من الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]، وكان الناس قبل بعثة الاشراقة الكونية، يعكفون على الوثنية، والجاهلية، و "أصبحت الديانات العظمى،

---

(١) سورة يونس، الآية (٩٤).

(٢) عبد الله بن سلام عبد الله بن سلام الإسرائيلي، أبو يوسف، حليف بني الخزرج، قيل كان اسمه الحصين، فسماه النبي (ﷺ)عبد الله، مشهور، له أحاديث وفضل مات بالمدينة سنة ٤٣ هـ، ينظر: تقريب التهذيب ١/٤٢٢.

(٣) الجامع لإحكام القران، الإمام القرطبي، ٨/ ٣٨٢.

(٤) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

وصحفها العتيقة، وشرائعها القديمة التي مثّلت في أزمان مختلفة دورها الخاص في مجال الديانة والأخلاق والعلم فريسة العابثين والمتلاعبين، ولعبة المنحرفين والمنافقين، وعرضة الحوادث الدامية، والخطوب الجسيمة حتى فقدت روحها وشكلها، فلو بعث أصحابها الأولون، وأنبياؤها المرسلون، أنكروها وتجاهلوها"[١].

لذلك كان "أحوج ما كان الناس إلى من يهدي إلى الطريق المستقيم، ويدعو إلى الدين القويم وينظم الأمور، ويضبط حال الجمهور لكونه على فترة من الرسل، وتفرق السبل، وانحراف في الملل، واختلال للدول، واشتعال للضلال، واشتغال بالمحال، فالعرب عبدوا الأوثان، ووأد البنات، والفرس على تعظيم النيران، ووطء الأمهات، والترك على تخريب البلاد، وتعذيب العباد، والهند على عبادة البقر، وسجود الحجر والشجر، واليهود على الجحود، والنصارى حيارى فيمن ليس له بوالد ولا مولود، وهكذا سائر الفرق في أودية الضلال، واخبية الحيال والخبال، أفيليق بحكمة الملك الحق المبين ان لا يرسل رحمة للعالمين؟ ولا يبعث من يجدد أمر الدين؟ وهل ظهر احد يصلح لهذا الشأن، ويؤسس هذا البنيان غير محمد بن عبد الله(عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات)"[٢].

---

(١) السيرة النبوية، السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص١٩

(٢) شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، ت٧٩٣هـ، تحقيق وتعليق د.عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، ٥/٤٠.

فأرسله تعالى بالهدى، ودين الحق، ولو كره الكافرون: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[١]. وظهوره على الدين كله، هو محور الدعوة، ودعوة النبي (ﷺ)، عامة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢]، ومع تنوع الديانات في العالم، ومع اختلاف الناس في معتقداتهم، وأفكارهم، دعاهم النبي(ﷺ) وفق عموم دعوته إلى عبادة الله رب الأرباب، وتوحيده. وبلاد العرب هي مركز انطلاق الدعوة الإسلامية، ومنارٌ إلى العالم، وقد قطن تلك البلاد يهود، ونصارى، فضلا عن جاهلية العرب وديانتهم، و"ان نبي الله صلوات الله وسلامه عليه كان له منهج حكيم في دعوة أهل الكتاب، فقد دعاهم بالحكمة، والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. ومن ذلك انه دعاهم في عموم الخلق حيث بلغهم الدعوة في جملة عباد الله أجمعين، حيث دعا الناس جميعا إلى توحيد الله، ورغبهم فيما عند الله من الثواب

---

(١) سورة التوبة، الآية (٣٣).

(٢) سورة سبأ، الآية (٢٨).

علـى الإيمـان بـالله وبرسـوله، ورهـبهم بمـا عنـده لهـم مـن العقـاب ان لـم يؤمنوا"[1].

وإذا استقراءنا منهج النبي (ﷺ) في الدعوة، لوجدناه يسير وفق ما يأتي:

١) مبادأته(ﷺ) قومه بالإسلام.

٢) المناقشات والمحاورات التي حصلت بينه وبين قومه، وكذا مع أهل الكتاب.

٣) إرسال الرسل والكتب إلى الملوك والرؤساء.

٤) أخبار قصص الأولين ومواقفهم مع أنبيائهم ورسلهم.

وبالمجموع فإنها كانت تسير وفق الآمر الإلهي، والعناية الإلهية، إلا إننا نريد الوقوف على البعض منها لتسجيل نشأة علم الديانات في السنة المطهرة.

١) مبادأته (ﷺ) قومه بالإسلام:

اخرج ابن هشام[2]، في السيرة النبوية: ان الله (عز وجل) أمر رسوله(ﷺ) ان يصدع بما جاءه منه، وان يبادىء الناس بأمره وان

---

(١) منهج الرسول(ﷺ) في دعوة أهل الكتاب، د. محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، مكتبة أمين سالم، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٩.

(٢) هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري، والمعافري نسبة إلى معافر بن يغفر، قبيلة كبيرة ينسب إليه خلق كثير بعضهم من اليمن وعامتهم بمصر، ولد بالبصرة وتلقى العلم فيها، وتاريخ ولادته مجهول، ورحل إلى مصر وأقام=

يدعو إليه وكان بين ما أخفى رسول الله (ﷺ) أمره واستتر به إلى ان أمره الله تعالى بإظهار دينه ثم قال تعالى له﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]. ﴿ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴾[3][4]. وقد اخرج ابن كثير (رحمه الله)[5] في البداية والنهاية بسنده عن ابن عباس قال: لما انزل الله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ وأتى النبي(ﷺ) الصفا فصعد عليه ثم نادى: (يا صاحباه) فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله(ﷺ): يابني عبد المطلب بابني فهر،

بها، وأما القول في وفاته فهو غير مقطوع برأي، قيل توفي سنة (٢١٣هـ)، وقيل: سنة (٢١٨هـ) ينظر :الروض الانف، ٧/١، والبداية والنهاية، ٢٦٧/١، والاعلام، ٤/ ١٦٦.

(١) سورة الحجر، الآية، (٩٤).

(٢) سورة الشعراء، الآيتان (٢١٤، ٢١٥).

(٣) سورة الحجر، الآية (٨٩).

(٤) السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق جمال ثابت وآخرون، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ١٨٤/١.

(٥) هو الإمام العالم الحافظ عماد الدين ابو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير ابن ضوء بن كثير بن درع القرشي، الاصل، الدمشقي الشافعي، ولد في قرية مجدل من اعمل مدينة بصرى، سنة احدى وسبعمائة للهجرة الشريفة، وله تصانيف عدة اشهرها: تفسير القران العظيم، البداية والنهاية، ينظر : تذكرة الحفاظ، للذهبي، ص٥٧، شذرات الذهب، ٢٣١/٦.

يـابني كعـب ارايـتم لـو أخبـرتكم ان خـيلا بسـفح هـذا الجبـل تريـد ان تغيـر علـيكم صـدقتموني؟ قـالوا: نعـم، قـال: فـاني نـذير لكـم بـين يـدي عـذاب شـديد، فقـال أبـو لهـب: تبـا لـك سـائر اليـوم أمـا دعوتنـا إلا لهذا؟ وانزل الله (عزوجل): ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1][2].

ومما هو معلوم أن عرب الجاهلية في الجزيرة العربية كانوا "يدينون بالدين الوثني وكان لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها، وكان هبل أعظم شأنا، وكان من العقيق الأحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، فصنعت له قريش يدا من ذهب، وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر، فكان يقال له هبل خزيمة، وكان عادة العرب في الجاهلية إذا أراد احدهم قضاء أمر لجأ إلى القداح فضربها ولم يكن هبل وحده معبود العرب، فقد انتشرت الأصنام في أنحاء الجزيرة العربية على شكل بيوت وأشجار وحجارة مصورة حتى قيل انه كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ويظهر ان السبب في وجودها ان قريشاً رأت ان تنتفع من قدوم القبائل العربية في موسم الحج، فوضعت أصنام القبائل الشهيرة حول الكعبة كانت مناة أقدم هذه الأصنام، وهي آلهة القضاء، لاسيما قضاء الموت، وكان العرب يسمون أبناءهم عبد مناة، وزيد مناة، وقد نصب هذا الصنم على ساحل البحر بين المدينة ومكة، ومن هذه

---

(١) سورة المسد، الآية (١).

(٢) البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، ت٧٧٤هـ، تحقيق احمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ٨١/٢، وقد أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير. وفي فتح الباري. رقم الحديث (٤٩٧١)، ٩٤١/٨.

الأصنام: اللات بالطائف ومعناها الإله ومن هذه الأصنام العزى وهي احدث من مناة واللات، وبلغ من تعظيم العرب وقريش إياها ان كانوا يسمون أبناءهم عبد العزى، وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: واللات والعز ومناة الثالثة الأخرى"[1].

يقول البوطي في فقه السيرة: "عاب رسول الله(ﷺ) على قومه ان يأسروا أنفسهم للتقاليد الموروثة عن آبائهم وأجدادهم دون تفكير منهم في مدى صلاحها أو فسادها ودعاهم إلى تحرير عقولهم من اسر الإتباع الأعمى وعصبية التقاليد التي لا تقوم على شيء من أساس الفكر والمنطق."[2].

تلك إذن أهم مشاهد الحالة الدينية في معظم أحياء بلاد العرب قبل الإسلام، لذلك عندما بعث النبي(ﷺ) جاء يتساءل المشركون من أهل مكة وغيرهم، يسال بعضهم بعضاً عن الخبر العظيم، واخذ النبي(ﷺ) يدعو قومه، ويبطل شركهم، ومعتقدهم، ويبين لهم حقيقة الإلهة التي عكفوا عليها هم واباؤهم الأولون، وان الله الواحد الذي يستحق ان يعبد خالق كل شيء، لذلك نزلت آيات عدة سجلت مناظرته(ﷺ) مع قومه، ودعوته إليهم. لذلك نجد عند التمحيص في منهج النبي(ﷺ) نجده يعرض حقيقة المعتقد الجاهلي الوثني، وركائزه الضعيفة، ومن ثم بيان خسارة من تشبث بتلك العقائد في الدنيا والآخرة.

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د.حسن إبراهيم حسن، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٤، ط(٧)، ٧١.٦٩.

(٢) فقه السيرة، د، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الشروق، بغداد، ص٨٢.

٢) المناقشات والمحاورات التي حصلت بينه وبين قومه، وكذلك أهل الكتاب.

سجل القران الكريم من الشواهد العظيمة في المناقشات والمحاورات التي حدثت بين النبي(ﷺ)، وقومه، وكذا مع أهل الكتاب، وتلك الشواهد وتعد من الشواهد العظيمة تدل على المقارنة في الدين، ومن ذلك:

أ) قال تعالى حاكيا عن منكري البعث: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾(١).

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآيات: "جاء ابي بن خلف إلى رسول الله(ﷺ)، وفي يده عظم رميم وهو يفتته ويذريه في الهواء، وهو يقول يا محمد أتزعم ان الله يبعث هذا؟ فقال: نعم، يميتك الله ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار، ونزلت هذه الآيات من آخر (سورة يس) وقوله تعالى ﴿ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾، أي: أولم يستدل من أنكر

---

(١) سورة يس، من الآية(٨١.٧٧).

البعث بالبدء على الإعادة، فان الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين[1].

والمتأمل في هذه الآيات الكريمة من(سورة يس) يقف على قضيتين:

الأولى: إثبات عقيدة البعث والنشور من واقع ضرب أمثلة التفكر والتدبر، في النفس أولاً، والتأمل في أحداث اليوم الآخر، بالتالي يؤول الأمر إلى التصديق وتثبيت عقيدة البعث والنشور وإثباتها لله وحده.

وأما **الثانية:** فان المناظرة التي وقعت بين النبي(ﷺ) وبين منكري البعث والنشور، تحتاج إلى أسلوب دقيق في توجيه الخطاب، (نظري، وعملي)، أما النظري فهو الحديث ضمن مسلمات عقلية لا يمكن للعقل إنكارها، لذا قال: (ﷺ) لمنكر البعث (يميتك ثم يحيك) كما كنت في الغيب لم تكن شيئا مذكورا، وأما العملي فجاءت من واقع تطبيق البعث والنشور على كينونة الإنسان منذ ان كان نطفة إلى ان ولد ومن ثم بلغ أشده فإذا هو خصيم مبين، هذا من جانب ومن جانب آخر دعوة العقل الإنساني للتفكر والتدبر في آلاء الله تعالى، لذلك صور الله تعالى في سورة الكهف أحوال الحياة بقوله تعالى﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ

---

(١) تفسير القران العظيم، ابن كثير، ٦/ ٦١٧.

﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[1].

وبالجملة فان الوقوف على عقيدة منكري البعث والنشور، تحتاج إلى نظر في أحوال تلك العقيدة وأصولها ودحضها، من واقع وإثبات البعث والنشور، فوجه المقارنة هنا إثبات وإنكار، فيتحتم المقام إلى عقد مقارنة بين المعتقدين، فذاك يسمى مقارنة الدين.

ب) ذكر ابن هشام في السيرة: "قدم على رسول الله(ﷺ)، وهو بمكة، عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى، حين بلغهم من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه فلما فرغوا من مسالة رسول الله(ﷺ)، عما أرادوا دعاهم رسول الله(ﷺ) إلى الله عزوجل، وتلا عليهم القران، فلما سمعوا القران فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله، وامنوا به، وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره"[2].

ج) مناقشات اليهود النبي(ﷺ)، ومن ذلك مناقشتهم حول الكتب المقدسة: "وكان (محسور بن سبحان) هو المتحدث عن اليهود، وقد سأل هذا رسول الله (ﷺ) سؤالا هو: ما دليلك على ان القران من عند الله، فجاء الجواب من الله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟

(١) سورة الكهف، الآية (٤٥).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، ١/٢٧١.

فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾[1][2]. ولعل جواب سؤال نشأ من جعل الله تعالى شهيدا كأنه قيل: شهادة الله تعالى، لا شبهة فيها، ولكن من أين يعلم ان ما ذكرته شهادة الله تعالى محكية عنه، فأجاب سبحانه بقوله ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾، ولو كان أي القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، بان يكون بعض اختباراته الغيبية كالإخبار عما يسره المنافقون غير مطابق للواقع، لان الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى[3].

د) محاورة عبد الله بن سلام للنبي(ﷺ): حين قدم عبد الله بن سلام إلى النبي(ﷺ)، يسأله عن أشياء، فقال إني أسالك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول اشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: اخبرني جبريل آنفا، قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: اما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، واما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، واما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء الأنثى نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد، قال: (اشهد ان لا اله إلا الله وانك رسول الله)، قال: يا رسول الله ان اليهود قوم بهت، فاسألهم عني قبل ان يعلموا بإسلامي فجاءت اليهود فقال النبي(ﷺ): أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النبي(ﷺ): أرأيتم ان

---

(١) سورة النساء، الآية (٨٢).

(٢) مقارنة الأديان د. احمد شلبي، ص٣٠.

(٣) روح المعاني، الالوسي، ٥/١٢١.

اسلم عبد الله بن سلام؟ فقالوا أعاذه الله من ذلك، فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله، فقال: (اشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله)، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وأنتقصوه، قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله[1].

نرى ان هذه المحاورة قد ارتكزت على أسس المقارنة بين ما في العقيدة اليهودية وفي العقيدة الإسلامية في المسائل الثلاثة التي عرضها المحاور على النبي(ﷺ)، أدت بالتالي إلى إسلامه. لذلك فان استعمال منهج المقارنة بين المعتقدات قد يؤدي إلى الهداية. ومن هنا يتضح لنا ان علم الأديان قد لازم الدعوة منذ بدايتها.

هـ) ذكر ابن هشام في السيرة قدوم وفد نجران ومحاورتهم النبي(ﷺ):

انه قدم على رسول الله(ﷺ)، وفد نصارى نجران، ستون راكبا فكلم رسول الله(ﷺ)، منهم: أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح، والايهم السيد، وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم يقولون هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون هو ثالث ثلاثة، وكذلك قول النصرانية، فهم يحتجون في قولهم: (هو الله) بأنه كان يحي الموتى، ويبرئ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا، وذلك كله بأمر الله ويحتجون في قولهم: انه ولد الله، بأنهم يقولون لم يكن له أب يُعلم، وقد تكلم في المهد، وهذا شيء لم يصنعه احد من ولد ادم قبله، ويحتجون في قولهم ثالث ثلاثة، يقول الله

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: (قل من كان عدوا لجبريل) رقم الحديث(٤٤٨٠)، ٨/٢٠٧.

فعلنا، وأمرنا وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحدا ما قال إلا فعلت، وقضيت، وأمرت، وخلقت، ولكنه هو عيسى ومريم، ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القران، فلما كلمه الحبران، قال لهما رسول الله(ﷺ): (اسلما)، قالا: قد أسلمنا، قال: إنكما لم تسلما (فاسلما)، قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك، قال: كذبتما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت عنهما رسول الله(ﷺ)، فلم يجبهما، فانزل الله تعالى في ذلك: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[١] إلى بضع وثمانين آية منها. وبعد نزول الآيات الكريمة التي فيها البيان الشافي عن المسيح وأمه عليهما السلام، التي أقامت الحجة البالغة على القوم فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد ان نفعل فيما دعوتنا إليه[٢].

والمتأمل في الآيات الكريمة من صدر سورة آل عمران يجد القول الفصل في عيسى وأمه (عليهما السلام)، ثم ان إقامة الحجج لهدم الدعوى، يحتاج إلى اطلاع واسع على القضايا والمسائل، التي تعد جوهر المعتقد الديني، ولاسيما ونحن في مقارنة الدين، نكون أمام مسؤولية عظيمة، لتصحيح مفاهيم وعقائد سالت من اجلها دماء عظيمة على مر التاريخ، فرب كلمة تتوجه إلى القلوب، تحقن دماء كثيرة، ثم يشرق النور بها لتقود البشرية إلى الفلاح، لذلك مجمل المناظرات والمحاورات في

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان (١-٢).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، ٢/ ٤٢٨-٤٢٩-٤٣٤.

الإسلام أساسها إحقاق الحق، وإبطال الباطل، فالاطلاع على عقائد القوم ليس بالشيء المعيب للدين، ولكن المعيب ان نترك أقواما عكفوا على عقائد الشرك والبطلان. فجاء علم المقارنة، أو علم دراسة الديانات عند الإسلام لبواعث دعوية وارشادية، والحق ان الفصل في تلك المسائل العقدية قادت بعلماء الإسلام إلى اتخاذ القواعد المنهجية من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وفي ذلك حققوا أهداف الدعوة إلى الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[١].

٣) إرسال الرسل والكتب إلى الملوك والرؤساء:

ان اغلب الكتب والرسل التي بعث بها رسول الله(ﷺ) لدعوة أهل الكتاب للدخول إلى الإسلام، كان إلى عظماء النصارى، مثل (هرقل، والنجاشي، والمقوقس)[٢]، فاما اليهود فكانوا يحاورونه في المدينة، وكان يحاورهم ويناظرهم، ويسألوه عن أمور عرفوها من كتب أنبيائهم السابقين وعن المغيبات وأما النصارى وملوكهم ورؤسائهم فقد حظوا بمراسلات النبي(ﷺ) في دعوتهم إلى الإسلام، وترك ما كانوا يعبدون من دون الله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، ٤ /٤٦٨.

وهنا ننقل بعض النصوص من تلك الرسائل كشواهد عملية على الدعوة، وكذا بياننا لدراستنا:

أ) نقل ابن قيم الجوزية في كتابه زاد المعاد نص الرسالة التي بعثها النبي(ﷺ)إلى النجاشي:

"بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة. اسلم أنت، فاني احمد الله إليك، الله الذي إلا اله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، واشهد ان عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه، ونفخه كما نفخ ادم بيده، واني ادعوك إلى الله وحده لا شريك له"(١).

فقد خاطب النبي(ﷺ) النجاشي بعقيدته مباشرة، بعدما بين حقيقة المسيح من كونه(عليه السلام) عبداً من عباد الله، وان خلقه ونفخ الروح فيه لا يتعدى خلق ادم (عليه السلام)، فمثله كمثل ادم، وان من معجزات القدرة الإلهية، ان يخلق كيف وكما يشاء، فكان عيسى بعد ما لم يكن لذلك قصد النبي(ﷺ)، إلى بيان حقيقية عيسى (عليه السلام)، وأمه الصديقة الطاهرة، قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

---

(١) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ، تحقيق شعيب وعبد القادر الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٣/٧١ وما بعدها.

﴿خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1]. فاراد النبي(ﷺ) من رسالته البيان الواضح لعقائد النصارى، وكأنه وجهه انظارهم إلى مقارنة عقدية في ما هية عيسى(عليه السلام)، في الإنجيل والقرآن.

ب) نقل البخاري من حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل، وفيه ثم دعا بكتاب رسول الله(ﷺ)، الذي بعث به مع (دحية الكلبي)[2]، إلى عظيم بصرى، فدفعه الى هرقل "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، اما بعد: فاني ادعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك أجرك مرتين، فان توليت فان عليك إثم الاريسين إلى قوله تعالى ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

---

(١) سورة المائدة، الآية (٧٥).

(٢) دُحية بن خليفة بن فروة ابن فضالة بن زيد بن أمريء القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر الكلبي، الصحابي الجليل (رضي الله عنه)، شهد أحدا وما بعدها من المغازي، وقد جاء جبريل (عليه السلام) الى النبي في صورته أحيانا، وبعثه النبي(ﷺ) إلى قيصر رسولاً، سنة ست، ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، الإمام عز الدين ابي الحسن الجزري ت٦٣٠هـ، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٢/ ١٣٧.

﴿ بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[1]، ووجه الدلالة هنا على قوله: (واسلم يؤتك) يحتمل ان يكون قوله اسلم أولا أي لا تعتقد في المسيح ما تعتقد النصارى، واسلم ثانيا أي ادخل دين الاسلام"[2].

ج) ذكر ابن قيم الجوزية في زاد المعاد نص كتاب النبي(ﷺ)، إلى المقوقس عظيم القبط: "بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، اما بعد فاني ادعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فان توليت فان عليك إثم القبط، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾، وختم الكتاب، فدفعه إلى حاطب بن ابي بلتعة[3]، فخرج به حتى قدم على الإسكندرية، فانتهى الى حاجبه فلم يلبث ان أوصل إليه كتاب رسول الله(ﷺ)، وقال حاطب للمقوقس لما لقيه، انه قد كان قبلك رجل يزعم انه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، واعتبر بغيرك، ولا يعتبر بك، قال:

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٦٤).

(٢) فتح الباري، كتاب التفسير، باب (٤) (قل يا اهل الكتاب تعالوا.)، ٨/ ٢٧١

(٣) هو حاطب بن ابي بلتعة، عمرو بن عمير بن سلمة من بني خالفة بطن من بطون لخم، مضى بكتاب رسول الله(ﷺ)، إلى المقوقس عظيم القبط، (سنة ٦هـ)، سنة(٣٠هـ)، ينظر: الاصابة في تمييز الصحابة، ١/ ٣١٤.

هات، قال: ان لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام الكافي بالله فقد ما سواه، ان هذا النبي(ﷺ) دعا الناس، فكانت قريش أشدهم عليه، واعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى وعيسى ابن مريم إلا كبشارة عيسى بمحمد(ﷺ)، وما دعاؤنا إياك الى القران إلا كدعائك أهل التوراة، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به، فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب عنه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، وقد وجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبيء، والإخبار بالنجوى، وسأنظر، واخذ كتاب النبي(ﷺ)، فجعله في حق من عاج، وختم عليه ودفعه إلى جارية له وقد ساق الصحابي حاطب (رضي الله عنه) يجسد مثالا للمقوقس، لأحد العظماء، وما آل أمره من هلاك عظيم قال له: انه قد كان قبلك رجل يزعم انه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، واعتبر بغيرك، ولا يعتبر بك(١).

فاستخدم حاطب المقارنة بين عظمة الله تعالى وبين من زعم ان الرب الأعلى، ثم بين مصيره فالمقارنة العقدية بهذا الاعتبار أثمرت في توجيه العقل إلى النظر، لذا وجدنا المقوقس يثني على النبي(ﷺ).

مما تقدم فان النبي(ﷺ) بلغ ما أمره ربه، وما على الرسول إلا البلاغ المبين، والهداية من رب العالمين، غير ان منهج النبي(ﷺ)، في مبادأة

---

(١) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، ٧٢/٣.

ملوك ورؤساء أهل الكتاب، وإقامة الحجة عليهم من واقع الترغيب في الدعوة، والتلطف بها، وكذلك من واقع إقحام عقائد أهل الكتاب، واستخراج من عقولهم التعنت والتشبث بالعقيدة، وناهيك عن كونهم ملوك الأمم، ولهم السيطرة المادية والروحية والمعنوية على شعوبهم، لذلك أحال رسول الله (ﷺ)، إثم الأمم عليهم، وهم من بعدهم يحملون أوزارا عظيمة، وبالتالي فان هذه المقارنة الدينية التي عقدت في مجلس عظيم القبط ما هي إلا أسلوب دعوي، من جانب ومن جانب أخر بيان بشارة عيسى بمحمد(ﷺ) التي يجب الإيمان، والعمل بها. ولأنكم احببتم المسيح ودينه الذي أتى به، فلا بد من طاعته والإيمان ببشارته.

المطلب الثاني: تطور علم مقارنة الأديان:

وكما هو معلوم "ان مختلف أنواع العلوم، إنما تنشأ نتيجة إلى حاجة البشر إليها، فكلما جدت حاجة الناس في عصر من العصور إلى أمر في احد مجالات الحياة، نهض من العلماء المتخصصين من يقوم بهذه المهمة، وسد هذه الثغرة التي لا تلبث ان تتطور عبر العصور، حتى يتكامل ذلك العلم، كعلم النحو، وعلم الأصول، وعلم الكلام وغيرها"[1]. وكذلك الحال مع علم مقارنة الأديان، فانه تطور تبعا لتطور العصور، والحاجة إليه.

---

(١) دراسات في مناهج المحدثين، د. أمين القضاة، و د. عامر حسن صبي، ص٨.

١) عصر التدوين وأثره في ظهور مؤلفات في علم الدين المقارن:

انقضى عصر الإشراقة الكونية الكبرى الذي لا مثيل له لعصره(ﷺ)، وتبعه عصر الخلافة الراشدة، ولم تسجل العقود المنصرمة من القرن الأول الهجري، أية مؤلفات لعلم الدين المقارن، الا ان عصر التدوين جاء في القرن الذي يليه، وظهور المؤلفات الجليلة، يقول الأستاذ احمد شلبي: "لما جاء عصر التدوين في منتصف القرن الهجري الثاني، وبدأ المسلمون يكتبون الفقه، والتفسير، والحديث اتجهوا كذلك للكتابة في علم مقارنة الأديان فهو بذلك علم إسلامي، كباقي العلوم الإسلامية"[١]. فقد ظهرت المؤلفات الوصفية للأديان، ونقصد بالوصفية، المؤلفات التي بينت أحوال، وأصول الديانة وكما يدين بها أهلها من غير توجيه أي نقد إليها. وكذلك ظهور مؤلفات جدلية، ونقدية. وجملة تلك المؤلفات فإنها قد أخذ تطريقها في شق ذلك العلم، حتى بلغت مبلغاً كبيراً وإلى يومنا هذا. فصار لدينا واضحا ان ظهور تلك المؤلفات كان لها الأثر الواضح في تطور مقارنة الأديان.

وتشير المصادر إلى طلائع المؤلفات في علم الدين المقارن، ظهرت في القرن الثاني الهجري ثم ازداد التأليف في القرون اللاحقة بعد ان نشطت الحركة الجدلية بين المسلمين وأهل الكتاب ومن المشاهير الذين

---

(١) مقارنة الأديان، د. احمد شلبي، ص٣١.

كتبوا في مقارنة الأديان النوبختي تـ(٢٠٢هـ)[١]، ويعتبر كتابه (الآراء والديانات) أول كتاب في هذا المجال"[٢]. وألف الجاحظ تـ(٢٥٥هـ)[٣]، كتابه (المختار في الرد على النصارى). ثم جاء القرن الرابع الهجري، وأتحفنا الأشعري تـ(٣٣٠هـ)[٤]، بكتابه الرائع (مقالات الإسلاميين)، وكتب

---

(١) هو الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد ابو محمد النوبختي، ونوبخت هي من الدولة الكيانية الفارسية، اشتهر بسبب علمه بالنجوم في آواخر الدولة الاموية وبداية عصر الدولة العباسية، وال نوبخت اشتهروا بالفلسفة والكلام والنجوم خاصة، ت٢٠٢هـ، ينظر، تاريخ بغداد، ١٠/٥٤.

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ادم متر، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة الخانجي، ٣٨٥، مقارنة الأديان د. احمد شلبي، ص٣١.

(٣) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، الليثي الجاحظ، إليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة، أديب مشهور، ولد بالبصرة سنة ١٦٣هـ، وفلج في آخر حياته، وله مصنفات كثيرة منها: البيان والتبيان، الحيوان، المختار في الرد على النصارى، وهذا الكتاب غير مشهور عند الناس، ت٢٥٥هـ، بالبصرة، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١١/٥٢٦-٥٣٠، والبداية والنهاية، لابن كثير، ١١/١٩، وتاريخ بغداد، البغدادي، ١٢/٢٢١-٢٢٠.

(٤) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل، الإمام المتكلم، وإليه تنسب الأشاعرة، وقد كان معتزلياً أخذ الجدل عن أبي علي الجبائي المعتزلي، ثم رد على المعتزلة ونصر الله به السنة، وقد ذكر أنه صنف خمسة وخمسين مصنفاً، ومن أشهر ما وصلنا عنه (مقالات الإسلاميين)، توفي سنة ٣٢٤ هـ، وقيل ٣٣٠ هـ. ينظر: شذرات الذهب ٢/٣٠٣-٣٠٥.

المسعودي تـ(٣٤٦هـ)[1]، كتابين عن الديانات، (مروج الذهب، والتنبيه والإشراف)، وتميز المسعودي ان سجل كل ما شاهده من عادات وتقاليد وشعائر وعبادات، وقضايا فكرية، ودينية في حله وارتحاله، في كتابيه المذكورين، ثم جاء المسبحي[2] تـ(٤٢٠هـ)، فكتب كتابه (درك البغية في وصف الأديان والعبادات)، وهو كتاب مطول يقع في حوالي ثلاثة آلاف ورقة[3].

٢) ظهور كتب الردود على شبهات اهل الكتاب:

لقد ظهرت كتب الردود على شبهات أهل الكتاب، نتيجة لحراكة جدلية، وان كان الجاحظ الرائد الأول في الرد على النصارى في كتابه المختار، فان العصور اللاحقة شهدت حركة تأليف كبيرة في ذلك، ومن

---

(١) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الهذلي من ذرية الصحابي المعروف عبد الله بن مسعود، ولقبه قطب الدين، وكان كثير الاسفار وقد زار فارس والهند وسيلان، واصقاع بحر قزوين، والسودان، وجنوب شبه الجزيرة العربية، وبلاد الشام والروم، وانتهى به المطاف إلى فسطاط مصر، وتوفي فيها، سنة (٣٤٦هـ)، ينظر: لسان الميزان، ٢٢٥/٤، الفهرست، ١٧١.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن احمد المسبحي، ولد في مصر سنة (٣٦٦هـ)، من اسرة حرانية، كان عالما متعدد الفنون طليق اللسان، وصنف مصنفات عدة، في الادب والجغرافية والتاريخ والنجوم والاجتماع، اكثر مصنفاته كبيرة في اجزاء عدة.ت سنة (٤٢٠هـ)، ينظر: وفيات الاعيان، ٦٥٣/٢، حسن المحاضرة، ٢٥٦/١.

(٣) ينظر: مقارنة الأديان د. احمد شلبي، ص٣١.

تلك الكتب ردود الإمام الغزالي ت(٥٠٥هـ)[1] على النصارى في كتابه (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل)، وطبع هذا الكتاب بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٣٩٣هـ.

ومن الكتب التي تضمنت الرد على النصارى ولم تفرد مؤلفا خاصا في ذلك، كتاب (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي عبد الجبار[2]، فقد خصص جزءا خاصا بالفرق والأديان الأخرى[3].

وقد نشطت الحركة الجدلية بين المسلمين والمسيحيين في بلاد الأندلس، ولعل أحسن ما كتب في هذا المجال كتاب (الفصل بين الأهواء

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد الإمام حجة الإسلام، أبو حامد الطوسي، الغزالي، ولد في طوس ٤٥٠هـ، وأخذ عن إمام الحرمين الجويني وغيره، وجلس للإقراء في حياة إمامه، وولي نظامية بغداد فدّرس فيها مدة، ورحل إلى دمشق، وأقام فيها عشر سنين، وصنف فيها كتاباً يقال أن الإحياء منها، ثم عاد إلى وطنه في طوس مقبلاً على التصنيف والعبادة، ونشر العلم، وله مؤلفات أشهرها: الإحياء، المستصفى، والمنقذ من الضلال، وتهافت الفلاسفة وشرح الأسماء الحسنى، والرد على الباطنية، سنة ٥٠٥هـ. ينظر: طبقات الشافعية، أبن قاضي شهبه، ٣٠١/١.

(٢) هو أبو الحسن عبد الجبار بن احمد بن عبد الجبار بن احمد بن خليل الهمذاني الأسد اباذي المعتزلي الشافعي، ولي قضاء القضاة بالري، سنة (ت٤١٥هـ)، وهو في التسعين من عمره، ينظر: سير أعلام النبلاء، ٢٤٤/١٧ وما بعدها وطبقات الشافعية، ٩٧/٥ وما بعدها.

(٣) ينظر :المغني، القاضي عبد الجبار، تحقيق محمود محمد الخضيري، الجزء الخامس، الفرق غير الإسلامية.

والملل والنحل)، لابن حزم ت (٤٥٦هـ)[١]. وكتاب (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)، للشيخ عبد الله الميروقي الذي كان قسيسا ثم هداه الله للإسلام.

وهذه بعض المؤلفات التي الفت في هذا المجال، وهي من الشواهد الحية على تطور علم مقارنة الأديان، وسنفرد مطلباً خاصاً نحاول به حصر معظم تلك المؤلفات(ان شاء الله تعالى)[٢].

٣) الاحتكاك في المجتمعات وأثره في تطور علم الدين المقارن:

وإذا كنا قد أوعزنا نشأة علم مقارنة الأديان إلى القران الكريم، والسنة المطهرة، وكذلك تطوره من واقع ظهور دراسات موضوعية عبر مؤلفات العلماء والباحثين، فان الاحتكاك بالمجتمعات التي تدين بالديانات الأخرى، ولاسيما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، كان له الأثر البالغ في ظهور دراسات وصفية لتلك الديانات.

وقد اشر (ادم متر) في كتابه الحضارة الإسلامية مؤشراً جدياً على علم مقارنة الأديان في الإسلام، واوعزه إلى "تسامح المسلمين في حياتهم مع اليهود والنصارى، ذلك التسامح الذي لم يُسمع بمثله في العصور الوسطى لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى، وهو علم (مقارنة الأديان)، ونشأة هذا العلم لم تكن من جانب المتكلمين، ومعنى ذلك ان

---

(١) ينظر ترجمته في محلها فب الفصل الثالث ص(١٧٩).

(٢) للتعرف على تلك المؤلفات، ينظر: الفصل الثاني، المطلب الخامس من المبحث الرابع.

هذا العلم لم يكن وسيلة عند المسلمين للحط من الأديان الأخرى، وإنما كان دراسة وصفية، لا تعصب فيها تؤدي إلى نتائجها الطبيعية، وبواسطة هذا العلم دخل الآلاف، والملايين في الدين الإسلامي"(١).

ولعل استنتاج (ادم متر) يعود إلى دراسته للإسلام دراسة حقيقية، وعلمية، دون تعصب أو هوى، ولان الإسلام أساسه الحب والتسامح "وانه يتميز موقف الإسلام من الأديان الأخرى بخاصيتين:

الخاصية الأولى: الناحية النظرية. **الخاصية الثانية:** الناحية العملية.

فمن الناحية النظرية يعلن احترامه لجميع رسل الله، ووجوب الإيمان بهم، كما يجمع المفكرون المسلمون على ان كل رسول يجيء برسالة، فان هذه الرسالة تناسب زمانها، وتحقق أغراضها في ذلك الزمان، وكلما تغيرت الحاجة جاء طور من الديانة جديد يتفق مع الأديان السابقة في الأصول الواحدة ويختلف في الفروع تبعا لحاجة الناس، وهذا موقف الإسلام بالنسبة للأديان السابقة من الناحية النظرية. أما الناحية الواقعية فانه يعترف بالوجود الفعلي لجماعات غير مسلمة، ويتحدث عن أهل الكتاب وينظم حقوقهم وواجباتهم، وفي ضوء هذا الموقف بجانبيه النظري والعملي، وجد علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي"(٢).

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ادم متر، ٣٦٦/١.

(٢) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. محمود علي، ص١٤٤.

٤) وقد انعكس علم مقارنة الأديان على الأوساط الفكرية بالغرب، ونخص منها بالذكر المسيحية "فان موقف المسيحيين من هذا العلم كان مختلفاً، لان اللقاءات السلمية بين المسلمين والمسيحيين في مصر، والشام، والأندلس، وصقليه عَّرفت المسيحيين بمقارنة الأديان، وأثبتت لهم قيمة هذا العلم، فراحوا يتعلمون أسسه، ويحاولون الانتفاع به ثم جاء الاستعمار، وقرر الخبراء من المبشرين قرارات خطيرة ذات صلة بمقارنة الأديان، وهي:

أولاً: الإنسان فيه نزعة دينية في أعماقه.

ثانياً: رباط الدين لا يقل عن رباط الدم والجنس.

ثالثاً: معرفة الداعي بدين المدعو واعتقاده يساعد كثيرا في التأثير عليه، وبناء على هذه الأسس زاد علم مقارنة الأديان بالغرب نشاطا ليكون من وسائل التبشير، ونشر المسيحية"(١).

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ان الدوائر التبشيرية التي دأبت على إقامتها الكنيسة ضمن إرسالياتها إلى المناطق الإسلامية كانت إحدى بواعثها، هو الباعث الديني الذي "هو من أقوى البواعث على التبشير، وأشدها خطرا، فالطبيب النصراني، والمهندس، والمعلم، الخ، كل ترك أهله

---

(١) مقارنة الأديان، د. احمد شلبي، ص ٣٣ وما بعدها.

ووطنه وحضارته، وآتى إلى المجاهل في وسط أسيا ليبشر برسالة المسيح"[١].

والتبشير "يستهدف الحيلولة دون توسع الإسلام وانتشاره، وعدم منافسته للمسيحية في البلاد التي تحاول القيام بالتبشير ونشر المسيحية فيها والخطر الأكبر في نظر المبشرين هو في وصول مفاهيم الإسلام الصحيحة إلى عالم الغرب نفسه، ومما يذكر ان المسلمين لما فتحوا القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية، وفيها مركز البابوية للكنائس الشرقية، هم رجال الكنيسة، وقد هالهم الخطب العظيم، فاخذوا في الافتراء والتشنيع على الإسلام، وتشويه أحكامه الإلهية العادلة"[٢].

لذلك عمدوا إلى دراسة الدين الإسلامي عن قرب ضمن مناهج المستشرقين، ففريقا تخصص بدراسة اللغة العربية، والتاريخ العربي الإسلامي، وفريقا تخصص بدارسة القران الكريم والسنة المطهرة، وفريقا انصرف إلى دراسة الفرق الإسلامية، وجملة أهداف دراسات هو التشكيك في مصادر الدين الإسلامي وصحة نبوة نبينا محمد(ﷺ)، وإلقاء الشبهات حول أحكام الإسلام التشريعية، وافتراء الأكاذيب واختراع التعليلات والتفسيرات الباطلة، وقد يلاحظ كل ذلك في مؤلفاتهم حول الإسلام والمسلمين.

---

(١) التبشير والاستشراق، د. بكر زكي، و.د. عبد القادر عبد الرؤوف، ص٢١.

(٢) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. علي محمد جريشة، و د.محمد شريف الزيبق، دار الوفاء، القاهرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ط(٣)، ص٢٠.

وان حقيقية تلك المناهج ليست حديثة فحسب بل هي لنشر معتقدهم وأفكارهم لهدم الإسلام في قلوب أهله وأتباعه ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]، وإنما هي سابقة ببضع قرون، بل المتأخرون منهم اخذوا عن المتقدمين في تلك الفريات والشبهات.

لذلك وقف علماء المسلمين وقفة عظيمة، وصدرت عنهم المؤلفات الرائعة لدحض شبهات أهل الكتاب وتخرصاتهم، ونذكر في هذا المقام مؤلفا واحدا؛ الذي هو كتاب) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى)، للإمام شهاب الدين القرافي، ت(٦٨٤هـ)[2]، إذ عمد في كتابه الأجوبة الفاخرة إلى إبطال ودحض شبهات عدة، وضعها أهل الكتاب من يهود ونصارى، ولعل الناظر في كتابه الأجوبة ليجده أوضح دليلا على تطور علم مقارنة الأديان.

---

(١) سورة الصف، الآية (٨).

(٢) هو احمد بن أبي العلاء، إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يَلّين، الصنهاجي البفشيمي البهنسي المصري المالكي، وكنيته (أبو العباس)، لقبه شهاب الدين، ولد سنة ٦٢٦هـ، في صعيد مصر، ودرس على شيوخها ومن أشهرهم (العز بن عبد السلام) سلطان العلماء، سنة٦٨٤هـ، ومن أشهر مؤلفاته: الاستغناء في أحكام الاستثناء، الذخيرة في الفقه، الأمنية في إدراك النية، تنقيح الفصول في الأصول، الفروق، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون المالكي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١/ ٢٣٦ وحسن المحاضرة، للسيوطي، ١/٣١٦، والأعلام، خير الدين الزر كلي ١/٩٠.

وإذا ما غادرنا علمائنا المتقدمين ومناهجهم التي ساهمت في تطور علم مقارنة الأديان، وانتقلنا إلى القرنيين الأخيرين نجد تزاحم مؤلفات الباحثين، والمفكرين الإسلاميين في علم مقارنة الأديان وهذا النهج هو امتداد طبيعي لمداد العلماء الأوائل. يقول د.احمد شلبي:" وقد سار جيلنا في هذا الطريق شوطا طيبا حتى استطعنا ان نصل حاضرنا بماضينا في مجال هذه الدراسات، وبدأ الدعاة المسلمون يطبقون قوانين هذا العلم وهم قومون بالدعوة للإسلام، وهكذا عاد علم مقارنة الأديان للظهور في معاهد العلم الإسلامية"(١).

وقبل مغادرة المبحث فإننا نخلص إلى:

١) لم يكن لنشأة علم تاريخ الديانات، أو علم الدين المقارن، بأمر بدعي، بل هو وليد تبعا لظروف الدعوة وهي في مهدها إلى ما شاء الله لذلك وجدناه في القرآن الكريم، في مضان عدة، فجل النداءات والمحاورات والمناقشات لأهل الكتاب وغيرهم سجلت نواة نشأة الدين المقارن، بالتالي قادت إلى وضع أسس ذلك العلم كدراسة موضوعية للعقائد.

٢) ناقش القرآن الكريم بتوسع عظيم، واستوعب كل المفاهيم العقدية في الديانات، وقد استخدم منهجا دعويا في بيان بطلان تلك التي ما انزل الله بها من سلطان. وذلك بحكمة بالغة وموعظة رشيدة، أدت إلى قبول الإسلام ودخول معظم الناس فيه أفواجا أفواجا.

---

(١) مقارنة الأديان، د. احمد شلبي، ص٣٤.

٣) فبمثل ما نهج القران الكريم منهجه، نهجت السنة المطهرة منهجها الدقيق، ولا بد من ذلك وهي تتجابه مع الناس بعقائدهم الفلسفية، والفكرية المعقدة، التي حيرت عقولهم، وأذهلت عقلاءهم، لذلك جاء التصحيح وفقا لمتطلبات ما يخضع له العقل الحائر بين تلك الفلسفات وغيرها من الدخائل، وبين المنقول المحرف من كتبهم، لذلك رأينا الإفلاس الشديد منهم بعدما بانت حقيقة المعتقد، وانكشاف المستور في حواي الكتب المقدسة، فدخل النور العقل فأصبح منهم المسلمون حقا.

٤) لم يظهر علم مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي حقلا علميا مستقلا في بادئ الأمر، مثل الفقه وأصوله، والحديث النبوي الشريف وعلومه، والتفسير وعلومه وفنونه، فهو من طبيعته يشترك في الموضوع والقضايا مع غيرها ومهما استقل بنفسه، إلا ان المؤلفات المستقلة صدرت عنه تباعا.

المبحث الثالث

أهمية دراسة علم الأديان وفوائدها

المطلب الأول: أهمية دراسة علم الأديان:

لعل من نافلة القول في هذا المقام "ان الدافع الأساسي وراء دراسة أي موضوع وتحليله، هو الاستجابة والغريزة والتحري والبحث عن الحقيقة واليقين، لأن الحقيقة العلمية تعد في حكم دين الإسلام قمة المقدسات الفكرية وينبوعها، وأي دليل على هذا الاعتبار أقوى من ان نجد الدين نفسه لا يرضى ان يقيم وجوده إلا على دعائم العلم وبرهانه"[1].

من اجل هذا كان الاهتمام بالعلوم وحلقاته في الإسلام مبكرا لما له من قدسية ومكانة رفيعة، ومن الشواهد في القران الكريم، قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2]. وقوله تعالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[3].

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط/٢، دار الفكر للطباعة، بيروت، ص٣٣

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٨).

(٣) سورة المجادلة، من الآية (١١).

واما الأخبار في السنة المطهرة، فمنها قول النبي(ﷺ): "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفه حتى يأتي أمر الله"(١).

وقد انشد الشافعي (رحمه الله) أبياته في العلم(٢):

بقدر الكدِّ تكسبُ المعالي
ومن طلب العلى سهر الليالي

ومن رامَ العلا من غير كد
أضاعَ العمر في طلب المحال

تروُمُ العزَّ ثم تنامُ ليلاً
يغوصُ البحر من طلب الآلي

والغوص في الدراسة الموضوعية، والوصفية، والنقدية للأديان، لها أهمية كبيرة، وفوائد جليلة وعظيمة، نذكرها ضمن المحاور الآتية:

أولاً: ان الاطلاع على شؤون الديانات، وتاريخ العقائد، وثقافاتها تعطي للباحث الفكرة العلمية التي يستطيع من واقعها استخراج الافتراءات، وتبين مواطن الضعف والتحريف والتبديل، وتقديم بعض الأمثلة على

---

(١) صحيح البخاري، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة، حديث رقم (٧١)، ٣٩/١، دار ابن كثير، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ط(٣)، تحقيق مصطفى ديب البغا.

(٢) ديوان الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ص٩٧

مسائل الانحراف والاضطراب، ونخص بالذكر هنا كتب اليهود والنصارى التي ثبت تحريفها وتناقضها علميا.

وقد حقق علماؤنا في ذلك تحقيقا عظيما إذ ان هناك بعض الأمور التي يمكننا ان نسميها الأسباب والدوافع التي حفزت العلماء إلى دراسة الكتب المقدسة ونخص في هذا المقام نصوص التوراة وتحليلها ومناقشتها، ومن ثم نوجهُ إليها نقدا صارخا، والخروج بنتائج تؤكد سطحية ووهمية أمور كثيرة في التوراة كان يظن ولقرون طويلة، إنها حقائق ثابتة موحى بها من السماء، ومن هذه الأسباب والدواعي: تصادم بعض روايات التوراة بالحقائق العلمية إذ لاحظ العلماء المفكرون ان بعض معطيات التوراة تناقض نتائج المكتشفات العلمية الحديثة فمثلا حددت التوراة (سفر التكوين) تاريخ ظهور الإنسان الأول على الأرض بحوالي (٣٧) أو (٣٨) قرنا قبل المسيح (عليه السلام)، لكن علم الآثار اكتشف أعمالا بشرية ترجع تاريخها بلا أي شك إلى ما قبل الألف العاشر قبل التاريخ المسيحي، ومن التناقضات وجود الكم المتراكم من الأخطاء والمتناقضات والأمور غير المعقولة والتنافرات والتكرارات والازدواجية في بعض القصص التوراتية[١]. ومن العلماء الإمام ابن حزم (رحمه الله) في

---

(١) ينظر: التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود، رسالة ماجستير للطالب حامد عيدان (رحمه الله)، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، ص ٣٥ وما بعدها.

رسالته[1]، التي كشف بها عن أوجه التحريف والتبديل والتناقض في توراة اليهود، فيقول في رسالته: من عجائبه أي اليهود أنهم يقولون: ان كل نكاح كان على غير حكم التوراة فهو زنا، والمتولد منه ولد زنا حتى انهم يبيحون لمن تهود من سائر الأديان ان يتزوج أخته من أبيه فيرد الإمام بالقول: "وهاتان مقدمتان تنتج ان جميع بني إسرائيل، وجميع اليهود أولاد زنا، فان قالوا: كان ذلك حلالا قبل ان يحرم، اقروا النسخ، وان قالوا: ان ذلك كان خاصا لبني إسرائيل منذ أنزلت التوراة لزمهم ترك قولهم: ان كل مولود في الأمم بخلاف حكم التوراة فهو ولد الزنا"[2].

---

(١) كتب ابن حزم الأندلسي رسالة يرد بها على (ابن النغريلة اليهودي)، تقول الرسالة، وبعد: فان بعض من تقلى قلبه للعداوة للإسلام وأهله، وذوبت كبده ببغضه الرسول(ﷺ)، من متدهورة الزنادقة المتسترين باذل الملل، وأرذل النحل من اليهود التي استمرت لعنة الله على الموقمين بها، واستقر غضبه (عزوجل) على المنتمين إليها أطلق الأشر لسانه وأرخى البطر عنانه ألف كتابا قصد فيه بزعمه إلى إبانة التناقض كلام الله(عزوجل) في القران الكريم اغترارا بالله تعالى أولا، ثم بملك ضعفه ثانيا، واستخفافا بأهل الدين بدءً، ثم بأهل الرياسة، فلما اتصل بي هذا اللعين لم أزل باحثا عن ذلك الكتاب الخسيس لأقوم بما قدرني الله (عزوجل) من نصر دينه بلساني وفهمي فأظفرني القدر بنسخة رد فيها على رجل من المسلمين، فامتسخت الفصول التي ذكرها ذلك الراد على هذا الرذل الجاهل، وبادرت إلى بطلان ظنونه الفاسدة بحول الله وقوته، ينظر: الرد على ابن النغريلة اليهودي، ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، مكتبة العروبة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٤٦ وما بعدها.

(٢) ينظر: الرد على ابن النغريلة اليهودي، ابن حزم، ص٦٦ وما بعدها.

ولنأخذ مثالا أخرا من رسالة ابن حزم:

يعترف اليهود بان التوراة طول أيامهم في دولتهم لم تكن عند احد إلا عند الكاهن وحده، وبقوا على ذلك نحو ألف ومائتي عام، وما كان هكذا لا يتداوله إلا واحد فواحد، فمضمون عليه التبديل والتغيير والتحريف والزيادة والنقصان، لاسيما وأكثر ملوكهم وجميع عامتهم في أكثر الأزمان كانوا يعبدون الأوثان، ويبرأون من دينهم، ويقتلون الأنبياء، فقد وجب باليقين هلاك التوراة الصحيحة، وتبديلها مع هذه الأحوال بلا شك، وهم مقرون بان عزرا(١)، الذي كتبها لهم من حفظه بعد انقطاع أثرها، انما كان وراقا، لم يكن نبيا، الا ان طائفة منهم قالت فيه انه ابن الله(٢)، فأي داخلة أعظم من هذه الدواخل التي دخلت على توراتهم؟(٣)(٤).

وهذه النظرة إلى التوراة هي من واقع النظر إلى الظروف التي مرت بها التوراة منذ ان توفى موسى (عليه السلام) إلى ان كتبها عزرا الوراق

---

(١) عزرا: كاهن وكاتب يهودي ظهر في فترة السبي البابلي، عاصر عفو الملك الفارسي قورش عن اليهود، وأذن لهم بالعودة إلى فلسطين، وكان له دور بارز في تنظيم اليهود، وجمع شملهم، وعزلهم عن باقي الشعوب، وإعادة شريعتهم، وتنسب إليه التوراة، حتى لقب بـ(عزرا الكاتب)، ينظر: مقدمة سفر عزرا، ص٥٧١.

(٢) حكى الله تعالى عن هؤلاء الطائفة في القران الكريم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ سورة التوبة (٣٠).

(٣) الرد على ابن النغريلة اليهودي، ابن حزم، ص ٧٧وما بعدها.

(٤) وسنتعرض بالبيان الى منهجية ابن حزم وهو يناقش النصوص التوراتية، في الفصل الثالث ان شاء الله تعالى، ينظر ص١٨٦-١٩٩

بإجماع من كتبهم، واتفاق علمائهم وقد اعتمد ابن حزم في إثبات تحريف التوراة على نظرتين أساسيتين:

الأولى: النظرة إلى النصوص ذاتها، وكشف الكذب والتناقض، ومغايرة الواقع الذي كشف عنه ومن داخل التوراة نفسها، **الثانية:** النظرة إلى عوامل تاريخية[١].

ثانياً: ان ينابيع الأديان السماوية تصدر من سراج واحد، والإسلام خاتمها، ولذلك كان اشمل وأكمل، فمن طبيعة اللاحق ان يضيف جديدا للسابق، ومع ان الأديان من الله تعالى، فانه أعطى الدواء بقدر طاقة المريض، فكان يعطي البشرية من الهدى، والتوجيه بقدر ما تحتمله البشرية، وما يناسب عودها الذي بدأ ضعيفا، ثم اشتد رويدا رويدا حتى أكمل نموه ومن الواضح تبعا لذلك ان المسلم عندما يقرأ الكتب المقدسة سيعرف المكانة العظمى للقران بين هذه الكتب، وكذلك عندما يقرأ التشريع هنا وهناك، وعندما يدرس العقيدة كذلك[٢].

ثالثاً: ومن فوائد دراسة الأديان هو إعطاء المسلم فيضا من الحجج، والأدلة اليقينية، كي يستطيع بها الدفاع عن دينه، وفي ذلك يقول د.اسعد رزوق في كتابه التلمود والصهيونية: "ان الاطلاع على الرصيد المكتوب

---

(١) ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حمايه، ص ٢٥٤، ص٢٦٠.

(٢) ينظر: مقارنة الأديان، د. احمد شلبي، ص٣٦.

لدى الخصم يعطي سلاحا أمضى، واشد فعالية، مثلما يصنعه في موقع القوة، ويوقع الطرف المقابل في مأزق حرج للغاية"[1].

رابعا: معنى ذلك ان الاطلاع على العقائد الدينية لدى الشعوب يعطي دافعا في "تنمية ملكة المناظرة، وتعليم فن النقاش، والمحاورة، والكشف عن الأساليب الملتوية، والمقدمات الخاطئة التي لا تتفق مع مقررات العلم، والتي يمكن ان يستخدمها الخصم في الجدل"[2].

خامسا: دراسة الشبه دون بيان مخاطرها، قد تترك أثرا في نفس القارئ، فتعلو بذهنه دون ان يدري جوابا عليها، وخاصة للمبتدئين الذين لا يميزون بين صحيح الآراء وباطلها[3].

سادسا: الوقوف على العقائد الدينية للشعوب، الأمر الذي ييسر سبل هدايتها إلى الصراط السوي واطلاعها على ما يلم بعقائدها من نقائص[4].

وقد مر معنا ان غاية علم مقارنة الأديان هو تصحيح تلك المفاهيم الخاطئة، والدعوة إلى دين الحق، ونبذ الدخائل التي شوهت الدين الصحيح، وان علم مقارنة الأديان كله يدور في فلك الدعوة والإرشاد وهداية الناس إلى الطريق القويم.

---

(١) ينظر: التلمود والصهيونية، د. اسعد رزوق، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠م، ص٣٣.

(٢) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي، ص ٦.

(٣) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي، ص٦ وما بعدها.

(٤) دروس في تاريخ الأديان، حسين توفيقي، ص١٣.

المطلب الثاني: فوائد دراسة علم الأديان بالنسبة لطلاب العلم وأهميتها:

ان من أهم فوائد دراسة علم الأديان لطلاب العلم في الأكاديميات، وخاصة طلاب قسم العقيدة والأديان والمعاهد الإسلامية، انها تكمن في محاور عدة:

١) إعطاء طالب العلم فيضا من الثقافة الواسعة، والإحاطة التامة بعقائد الشعوب، التي انطوت تحتها جملة من القضايا العقدية المهمة والخطيرة جدا على المجتمعات لذلك لو تأملنا في البحث عن مجمل تلك الأديان، أو تفصيلات قضاياها التشريعية، لعرفنا إننا بحاجة ماسة إلى زمن طويل والى جهد غير يسير، نحاول الإحاطة التامة بثقافة الأديان التي تغزو وتجوب العالم، عندها يصل الأمر بطالب العلوم إلى امتلاك الثقافة الواسعة والعميقة، كسلاح علمي تمكنه رد تلكم العقائد ردا علميا دون أي تردد ما دام عرف بعد المقارنة حقيقة المعتقد والأساس الذي ارتكز عليه.

٢) تطبيق موازين العلم وضوابطه في الدراسات النقدية لتلكم العقائد، ومن أمثلة ذلك: أنه قد يعمد الباحث الدارس في مباحث التفسير إلى عقد مقارنة بين دعوة الرسل، كالمقارنة بين دعوة نوح (عليه السلام)، وبين دعوة النبي(ﷺ)، أو بين دعوة موسى (عليه السلام)، ودعوة عيسى (عليه السلام) وبين دعوة خاتم الرسل(ﷺ)، أو مقارنة بعض النصوص القرآنية ومقابلتها بالنصوص التوراتية والإنجيلية، عندئذ

يتبين تحريف النصوص المقدسة لدعوة الرسل، ولنجلي الأمر من واقع المثاليين العمليين الآتيين:

المثال الأول:

جاء في سفر الخروج: "ثم صعد موسى وهارون ناداب وابيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، فرأوا اله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنع بلاط سفير أشبه بالسماء نفسها نقاء وعلى أعيان بني إسرائيل هؤلاء لم يمد يده فرأوا الله وأكلوا وشربوا"[1]. وهذا مما افتراه القوم على الله، فإذا كان موسى (عليه السلام) قد سأل الرؤية فلم ينلها في الدنيا، فعند المقارنة بين النص التوراتي والنص القرآني، نجد ان الله تعالى أبان حقيقة الأمر، وحقيقة افترائهم على الله تعالى، وعلى نبيه موسى (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

وكذلك كيف بحال قومه الذين اشترطوا عليه لقاء إيمانهم ان يروا الله جهرة؟، وقد حكى الله تعالى قولهم في القران الكريم، وصور حقيقة طلبهم من نبيهم موسى (عليه السلام)، وحقيقة تعالي تلك النفوس على نبيهم،

---

(١) سفر الخروج: ٢٤: ٩-١١.

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٤٣).

قال تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[1]، فهذه المقارنة تعطي للدارس والباحث ثماراً وفوائداً جليلة في مناظرة القوم، وبيان حقيقة التحريف والتزوير.

المثال الثاني:

قد يعمد طالب العلم إلى البحث في موضوع أخلاق النبوة، وبيان شمائل الأنبياء (عليهم السلام) وصفاتهم، وأخلاقهم العظيمة، وهم المعصومون، والمنزهون عن كل ما لا يليق بحقهم، فالمتأمل في القران الكريم ليجد من الشواهد العظيمة على ذلك منها، قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[2].

وإذا عمد الباحث للمقارنة مع النصوص المقدس لدى القوم يجد ما يندى له الجبين، من فريات عظيمة على الأنبياء (عليهم السلام)، ونسب الرذيلة لهؤلاء المصطفين الأخيار، ومن النصوص التوراتية الشاهدة على ذلك جاء في النص التوراتي: "وابتدأ نوح حارث الأرض يغرس الكرم

---

(١) سورة البقرة، الآية (٥٥).

(٢) سورة مريم، الآية(٥٨).

وشرب من الخمر فسكر، وتكشف داخل خيمته"[1]، وصدق الله وكذبت اليهود: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾[2].

ولم ينسبوا الرذيلة لنوح(عليه السلام) فحسب، بل نسبوها إلى إبراهيم خليل الله[3]، والى لوط (عليه السلام)[4]، والى موسى وهرون (عليهما السلام)[5]، وغيرهم من الأنبياء (عليه السلام). وعند عقد المقارنة بين تلك النصوص المقدسة لدى القوم، وبين ما اخبره الله تعالى بحق أنبيائه الكرام في القران الكريم، يتبين مدى افتراء القوم على أنبياء الله تعالى، ونسب إليهم ما لا يليق بحقهم، لذلك فان الباحث الدارس لتلك المقارنات "يخرج منها ثروة فكرية رائعة تبرز جمال الإسلام، ورجحانه على سواء، فعلم مقارنة الأديان يمسك القضايا الدينية، ويشرحها ويبرز عناصرها، ويقارن بينها"[6].

٣) توجيه طلاب العلم نحو المسارات الصحيحة لمنهاج العلماء في دراسة الأديان، والتبصر وتنوير عقولهم بها، كي ترتقي إلى مستويات

---

(١) سفر التكوين، ٩: ٢٠-٢١.

(٢) سورة الإسراء، من الآية (٣).

(٣) ينظر: سفر التكوين ١٢-١٤، ٥-١٣.

(٤) ينظر: سفر التكوين: ١٩-١٧-٣١.

(٥) ينظر: سفر الخروج: ٥-٣٢.

(٦) مقارنة الأديان، د. احمد شلبي، ص٣٥.

رفيعة ترتكز على الأسس العلمية التي اتخذوها علماء المسلمين في تلكم المناهج في دراسة الأديان.

٤) لابد من تعليم طلاب العلم على كيفية استعمال المنهج التحليلي والموضوعية في دراسة كتب القوم ونصوصهم المقدسة، والمؤلفات التي حظيت بالقدسية والتبجيل لاسيما وقد الفت من قبل أكابر علمائهم، فيتحتم على طلاب العلم والباحثين ان يستعملوا الطرق المنهجية لاسيما المنهج التحليلي والموضوعي في دراسة تلك الكتب، كي تخرج الدراسة بنتائج وثمار تتعدى إلى بيان حقائق الأمور. ومن هنا جاءت الحاجة الملحة لفتح أقسام خاصة في كليات العلوم الشرعية والمعاهد الأخرى، وهذه الأقسام تعنى بدراسة العقيدة والأديان والتيارات الفكرية الحديثة، وارى ان هذا اللزوم في محله يتحتم على أقسام أصول الدين، وأقسام الدعوة، وأقسام العقيدة اعتماد خطة دراسية جديدة تتدرج فيها:

أ- دراسة مفاهيم الدين المعاصرة من واقع أنظار؛(الفلسفات المعاصرة، وعلوم الاجتماع، والتيارات الفكرية المعادية للدين، وأفكار العولمة) وخضع تلك الدراسة وفق معايير البحث العلمي، والمناهج التحليلية المعاصرة، مع بيان المنظور القرآني لتلك المفاهيم.

ب- دراسة عقائد أهل الكتاب دراسة فكرية، تنطوي تحتها الردود العلمية لتفسيرات الكتب المقدسة التي خرجت من تحت مظلة الكنيست وحاخاماتها، والكنيسة وباباواتها، وتلك الردود يجب ان تكون وفق

عوامل داخلية، اعني دراسة كتب القوم وعوامل التطور في تلكم العقائد.

ت- ان تدرس المفاهيم القديمة والحديثة لتلكم العقائد، والنظريات التطورية، وفق المنهج النقدي، وبطريق علمي خالص يندرج تحته موازين العلم وضوابطه.

ث- وضع خطط بحثية مقترحة مشتركة بين الأساتذة والطلبة المشتغلين في حقل الأديان والعقائد. لتطوير الدراسة ورفع مستوياتها للوصول إلى الغايات الحقيقية والنتائج من تلك الدراسة.

ج- وضع خطة دراسية من قبل الأقسام والفروع في الكليات الشرعية والأقسام السالفة بالذكر في أعلاه، تضاهي الخطط الدراسية لكليات ومعاهد الدين المقارن في الدول الغربية والأمريكية، للوصول إلى مستوى راق لكليتنا ومعاهدنا، وتكون تلك الخطط مؤثر خاصة وإننا قد رأينا ان علم الدين المقارن عند الغرب بدا متأخرا في القرن التاسع عشر الميلادي، وان المتقدم وخبرته أولى من المتأخر فلا ضير من التسابق بين تلك الكليات في مناهجها الدراسية وبين جامعات الدول الإسلامية جمعاء وفي أقسامها التي عنت بمثل تلك الدراسات.

٥) تنمية ملكة المناظرة لدى طلاب العلم والباحثين إذا ما دعوا إلى مناظرات علمية مع طلاب وأساتذة كليات اللاهوت والناسوت في الأكاديميات المناظرة الأخرى.

٦) تهيأت طلاب العلم والباحثين لإثبات دورهم الريادي كمسلمين في مؤتمرات حوار الأديان وهذا الدور يتمثل بإظهار القيم الإسلامية التي جاء بها الدين الحنيف تجاه أهل الكتاب على وجه الخصوص.

وان تلك المؤتمرات تحتاج من طلاب العلم إلى بعد نظر ثاقب، وثقافة واسعة، واطلاع عميق في علم مقارنة الأديان، كي يؤدي دوره الصحيح تجاه تلك المؤتمرات والجمعيات والدعوات.

الفصل الثاني

مؤلفات علماء المسلمين في الأديان

وفيه أربعة مباحث، وهي:

المبحث الأول: العوامل التي دفعت علماء المسلمين إلى التأليف في الأديان

المبحث الثاني: مصادر علماء المسلمين في الأديان.

المبحث الثالث: سمات مناهج علماء الإسلام في دراسة الأديان.

المبحث الرابع: المباحث شتركة في مؤلفات علماء المسلمين في الأديان.

الفصل الثاني

مؤلفات علماء المسلمين في الأديان

اهتم علماء الإسلام بالتأليف اهتماما كبيرا، ويتجلى ذلك فيما حوت تلك المؤلفات من نفائس العلوم والفنون، وبالتالي فإنها تعد ثروة مثرية لا غنى عنها، التي وقف العالم أمامها بكل تقدير واهتمام، ليتزودوا من هذا المنهل الكريم بعدما كان الجهل سائد وسادل ستائره على العالم، الذي يعنينا من ذلك كله هي تلك المؤلفات الرائعة، التي عنت بدراسة الدين المقارن، وما حوت من مباحث عقائد أهل الكتاب من يهود ونصارى، والديانات الأخرى، التي أصبحت فيما بعد القواعد المعرفية الأصيلة التي لأغنى عنها في ميادين البحث المعاصر، وكذا في مجال الجدال الديني، والمناظرة، ولاسيما المسائل المختلف فيها بين المسلمين وأهل الكتاب، ومن بين تلك المسائل نذكر: (النسخ، وإلوهية عيسى وبنوته، والمعاد الجسماني والحشر، والقران الكريم، ونبوة محمد(ﷺ)، والى غير ذلك من المسائل).

غير ان التأليف لم يقف عند حد معين، بل ازداد عبر تقدم العصور، وباتت المكتبة العربية تحمل سمات التمايز لكثرة التأليف في مجال الدين المقارن، وكذا كتب الردود والمناظرة، وكأن هناك سلسلة تسلسلها من قرونها الأولى وتنظمها تنظيما لا مثيل له إلى زماننا هذا،

وان المرء منا لا يسعه إلا ان يقر عينا، وهو يكحلها بأنوار تلك المعارف ومباحثها التي تنبع من النبع الأصيل الصافي (القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة).

سندرس في هذا الفصل أهم العوامل والبواعث التي دفعت علماء المسلمين إلى التأليف في الأديان، ومن ثم نقف على بضاعتهم في الأديان، ثم نبين المباحث المشتركة في مؤلفاتهم، وتعليل اشتراك تلك المباحث فيما بينهما بالرغم من ان كل مؤلف انفرد بمؤلفه عن الاخر، ثم نختم الفصل بمحاولة إحصاء بعض مؤلفاتهم.

المبحث الأول

العوامل التي دفعت علماء المسلمين إلى التأليف في الأديان

مما تقدم علمنا ان(القرآن الكريم والسنة المطهرة)، كانا لهما الأثر الكبير في نشأة علم مقارنة الأديان، وان العلماء ساروا على منهجهما، وانه لأثر جميل وعظيم في التدبر والتفكر فيهما. وفي ذلك فإنهما يعدان العاملان الرئيسان اللذان دفع علماء المسلمين إلى دراسة الأديان دراسة منهجية علمية. وبالإضافة إلى هذين الأصلين العظيمين، فان هناك بواعث أخرى عند استقراءنا لتلك المؤلفات تآزرت بعضها مع البعض، دفعت بالتأليف والانكباب عليه، والحرص كل الحرص على إخراج تلك المؤلفات بطريقة منهجية وعلمية لم يسبقهم احد من العالمين. ومن هذه العوامل:

١) العوامل السياسية والدينية.

٢) الانفتاح على الشعوب ومحاورتها.

٣) حراك الجدل الديني.

المطلب الأول: العوامل السياسية، والدينية وآثرهما في حركة التأليف:

شهد الشرق الأوسط الإسلامي أحداثا دامية مؤلمة، تمثلت بالحروب الصليبية الهمجية، التي أثرت على المسلمين تأثيرا بالغا، والتي أشعل نارها باباوات الغرب وقساوستهم، في ظل عوامل دينية وسياسية، وذلك في آخر المائة الخامسة من الهجرة الشريفة لسيد الثقلين محمد(ﷺ)، وقد تبع تلك الأحداث أحداثا اشد قسوة من سابقتها، تمثلت بـ(الغزو التتري)

الهمجي الآخر، وذلك في أواسط القرن السابع الهجري، فتبع اللاحق السابق، واتحدا وتكالبا على الأمة الإسلامية، فكان عاقبتهما على المجتمع الإسلامي اشد طغيانا وظلما وقهرا.

وفي ظل تلك الظروف العصيبة والمقيتة، انبرى علماء الإسلام للتصدي لذلك كله، وان يأخذوا دورهم المسؤول تجاه تلك الأحداث الخطيرة على الأمة الإسلامية، وان يدافعوا كل الدفاع عن الإسلام بالقلم والسيف لنصرة الدين العظيم، فشمروا عن سواعدهم فأصبحوا كالبنيان المرصوص، وكما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾[1].

واننا لا نريد ان نكتب تاريخا، ولكننا نريد ان نستخلص دروسا وعبر، من واقع أحداث مرت على الأمة الإسلامية، وبرغم تخصص بحثنا، فالعلاقة جديرة بالبحث، والدرس، والتفتيش عن عوامل حركة التأليف.

لقد شهدت الحقب التاريخية في طياتها، ان الغرب قاد أشرس الحملات العسكرية ضد الشرق الإسلامي تحت راية الصليب، وباسم المسيح، وقد دفع رجال الكنيسة الملوك والشعوب إلى ذلك، "وبعد ان ارتفع شأن البابوية وصار لها السيادة على سائر الكنائس الأوربية، وبفضل سلسلة من الباباوات الأقوياء أمثال: (جريجي السابع، وابريان الثاني)، إذ حضت البابوية على نبذ الحروب الداخلية بين أمراء الإقطاع وتوجيهها

---

(١) سورة الصف، الآية (٤).

ضد المسلمين، وأكثر ما امتاز به أبريان انه دعا إلى تحول القتال إلى الشرق الإسلامي وانتزاع الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين"(١).

ولعل من أهم بواعث تلك الحملة هو(الباعث الديني)، وهو الباعث الرئيس، ناهيك عن الباعث السياسي والاقتصادي، الذي يؤيد ذلك هو "إعلان البابا (أبريان الثاني) انه على كل من قرَّر الخروج إلى هذه الحملة ان يحيك صليبا من قماش احمر ليضعه على كتفه، إشارة إلى دينية الحملة، ونبل المقصد غير ان البابا لم يكتف بالحماسة بل حرص كل الحرص على وجود الغطاء الكنسي والهيمنة البابوية على الحملة من بداياتها الأولى"(٢).

وهكذا "وضعوا إشارة الصليب على أسلحتهم والأمتعة الخاصة بهم، وقصدوا فلسطين بالذات، غير ان هناك بلدان أغنى منها، وفيهم معاصروهم من المسيحيين بالشام وخاصة الأرمن فكانوا يستقبلونهم"(٣). وقد نجح البابا في تضليل الناس وغشهم وخداعهم في محاولة لتحشيدهم، واستفزاز هممهم، وقد ادعى حينها "ان المسلمين يضطهدون الحجاج

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، نقله إلى العربية د. السيد الباز العريني، نشر وتوزيع دار الثقافة، ١٩٦٧م، بيروت، ٣/٣٣.

(٢) قصة الحروب الصليبية، د. راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ٥٧، نقلا عن:

Mayer, The Crusades, pp. 41-42: Runciman ,A Hist. I,p.109

(٣) الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، شاكر احمد، طباعة الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص١٦ وما بعدها.

المسيحيين، وان كان واضحا ان هذا الادعاء ما ذكر إلا للاستهلاك المحلي في أوربا فقط، ولتحميس الجيوش والشعوب النصرانية"(١). ولعل هذا الادعاء الباطل المضل قد تعرض إليه بعض المؤرخين الغربيين المنصفين في مؤلفاته التاريخية للحملة، فقد ذكروا "ان المسيحيين بوجه عام تمتعوا بقسط وافر من الحرية الدينية وغير الدينية في ظل الحكم الإسلامي، فلم يسمح لهم فقط بالاحتفاظ بكنائسهم القديمة، وانما سمح لهم أيضا بتشييد الكنائس وأديرة جديدة جمعوا في مكتباتها كتبا دينية متنوعة في اللاهوت"(٢).

وبرغم تلك المبررات التي افتراها (البابا أبريان)على المسلمين، إلا ان هناك حقائق أخرى تلوح إلى دينية الحملة، وقد نبه عليها الأستاذان:(د.رشدي عليان، ود.سعدون الساموك) في كتابيهما (تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية)، فيقولان: والعامل الديني يتمثل في الحقيقية بسببين رئيسين(٣):

الأول: ان بني إسرائيل واليهود يعتقدون ان ارض الميعاد بحدودها التوراتية التي أعطاها إياهم ربهم بعهود ومواثيق عن هدى توراتهم وإنكارهم

---

(١) قصة الحروب الصليبية، د. راغب السرجاني، ص ٦١ وما بعدها.

(٢) قصة الحروب الصليبية، د. راغب السرجاني، ص٦٢، نقلا عن:
middle age vol. i.p 391 : Thomson ; E cononmic & Social history Of

(٣) تاريخ الديانتين، د. رشدي عليان، د. سعدون الساموك، ص١٠٦ وما بعده، و لم يوعزا المؤلفان ذلك إلى مصدر أو نص مقدس وقد يكون ذلك استنباطا من كتب القوم المقدسة.

لنبوة السيد المسيح(عليه السلام)، لذا فان تلك العهود صارت إلى المسيحيين الذين صدقوا المسيح(عليه السلام)، فصارت ارض الميعاد، ومنها فلسطين ملكا أبديا لهم، ولذراريهم حتى قيام الساعة فالمسيحيون من كل امة ولسان لهم وحدهم فلسطين دون اليهود والمسلمين كدين، ودون العرب كقوم، ولهم وعدهم الإلهي، والحق الإلهي في تملك فلسطين.

الثاني: وان إنكار اليهود المسيح (عليه السلام) يخرجهم من الإيمان إلى الكفر كما يخرجهم من أبوة إبراهيم (عليه السلام) لان النسب المسيحي هو نسب العقيدة وبهذا تعد المسيحية ان الأرض الموعودة قد تحققت تماما بمجيء المسيح. أي ان فلسطين تكون حقا مقدسا مشروعا للمسيحيين وحدهم دون المسلمين واليهود. لذا كانت الحروب الصليبية المقدسة.

هذا كلام حسن للأستاذين، ولعل استنباطهما لذلك من واقع استقرائهما لنصوص الكتب المقدسة، وقد يدفع بالباحثين إلى استنباط بواعث دينية جديدة تكشف عن حقيقية الغزو الصليبي، لم يذكرها المشتغلون في تاريخ الحركة الصليبية للشرق الأدنى.

وبقدر تلك العوامل الدينية التي أثارتها البابوية، فان العاملين:(السياسي والاقتصادي) لهما الآخران أبعادهما ولم يكونا بعيدين لمسوغات حملتهم، فأخذا بعدا جوهريا.

أما العوامل السياسية، فمنها ما تتثمل في:

١) دافع الانتقام من الفتوحات الإسلامية لقلب أوربا التي وصلت على طول حوض البحر الأبيض وأصبح إسلاميا، وكذا بلوغ المسلمين

جنوب فرنسا فدكوا أسوارها دكا، وقد أشارت المصادر إلى "ان من أهداف الحروب الصليبية حصر الإسلام في حدودهم الرملية، وخلاص ايطاليا واسبانيا من غزواتهم وأخيرا استنقاذ أوروبا كلها استنقاذا من المعتقد المحمدي"[١].

٢) ان الثورة القومية في أوروبا كادت ان تنهي سلطة البابا، وبجانب ذلك كله ازدياد الصراعات السياسية بين الحاكم والمحكوم[٢].

وأما العوامل الاقتصادية، فان تدهور الحالة الاقتصادية في أوروبا في القرنين الخامس والسادس الهجريين، حذا بالنصارى إلى الزحف إلى بلاد أفريقيا والشام[٣]. فقد "كانت أوروبا تعاني من الكساد التجاري وهو الذي دفعهم نحو الشرق لفتح طرقات تجارية جديدة لهم، ومع ان قسما ممن شارك في هذه الحروب قد جاء لأهداف دينية، إلا ان بين ما جاء كان مجرما عريقا أو سياسيا أو سجينا، وكانت خزائن أوروبا تعاني من كثرتهم، فلذلك بادرت البابوية إلى إرسالهم في تلك الحملات تخلصا من أعبائهم الاقتصادية مقابل حريتهم في الشرق"[٤].

---

(١) الحروب الصليبية، شاكر احمد، ص١٤.

(٢) للتوسع في هذا الموضوع، يراجع كتاب تاريخ أوربا الحديث والمعاصر د. عبد الفتاح حسن، ود. إسماعيل باغي، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٩م.

(٣) ينظر: الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي، ط/١، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٣٥٥هـ، ١/٢٩٢ وما بعدها.

(٤) تاريخ الديانتين، د. رشدي عليان، د. سعدون الساموك، ص١٠٦ وما بعدها، نقلا عن لمحات من تاريخ العالم، لـ(جواهر لال نهرو)، ص٥٠-٥٣.

وبالجملة فان تلك العوامل التي ما ظهر منها وما بطن، أشعلت نيران الحروب الصليبية في أول حملاتها في أواخر المائة الخامسة من الهجرة الشريفة، حينها اظهر الصليبيون حقدهم على الإسلام وأهله، فباتت البلاد الإسلامية مسرحا داميا لتلك الحروب لا يسع المقام من ذكر همجية البابوية وحقدهم الدفين على الإسلام، من (قتل، وحرق، وسلب)، ما يجل عن الوصف[١].

وتتجلى أمام العيان الصورة القرآنية الرائعة، وسط تلك النوازل العظيمة بقول الحق (جل ثناؤه): ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[٣].

---

(١) للتوسع في تفصيلات تلك الحملات وهمجية البابوية، يراجع كتاب: (تاريخ الحروب الصليبية)، لـ(ستيفن رنسيمان) في ثلاثة مجلدات، وهذا الباحث تلقى تعليمه في كمبردج، وقام بالتدريس في جامعات كمبردج وأكسفورد، واسطنبول وأكثر ما اهتم به الدراسات البيزنطية والعلاقات بين الشرق والغرب، وله مؤلفات ومقالات عدة، وقد دأب على دراسة الحروب الصليبية كما وصفه مترجم الكتاب، د.(الباز العريني)، بالعلم الغزير، وسلامة الأسلوب ورقته، وسلامة العرض التاريخي، كل ذلك يتجلى في كتابه (تاريخ الحروب الصليبية) فما أورده من وصف مثير للمعارك الطاحنة والمذابح الفاجعة والأطماع المتعارضة وما كان من تأثير على التاريخ في الشرق والغرب كان من أهم أهداف المؤلف وقد طبع الكتاب سنة (١٩٦٧م) ببيروت ينظر: مقدمة الكتاب ص٩.

(٢) سورة البقرة، من الآية (٢١٧).

(٣) سورة البقرة، من الآية (١٢٠).

وبقدر سطوة هؤلاء المعتدين وشراستهم، وهمجية حملتهم، فان سيطرتهم على البلاد الإسلامية، لم تكن بسبب قوتهم التي كانت أساسا لغلبتهم، وإنما هناك ثمة عوامل جوهرية كانت تحيط بالأمة الإسلامية، فان "نجاح الصليبين أول الأمر لم يرجع فحسب إلى كثرة أعدادهم، والى ما تلقوه من مساعدات من الغرب المسيحي بل يرجع أساسا إلى تفرق كلمة المسلمين ونشوب الفتن الداخلية، واضطراب الأمن"(١)، فالعراق الخلافة العباسية ما ان شملها نفوذ السلاجقة(٢) حتى عادت على ما كانت عليه زمان بني بويه(٣)، من الخلافات والحوادث والبلاد الشامية كانت

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية، رنسيمان، ١/ ٧.

(٢) السلاجقة: تنسب إلى سلجوق، مقدم عشيرة الغز التركية، خرج سلجوق بعشيرته إلى جهة ما وراء النهر، إذ كانت الأحوال السياسية ملائمة لنمو قوتهم، ظهر السلاجقة في إيران، واعتنقوا الإسلام على المذهب السني، لم يلبثوا أن سيطروا على خوارزم وإيران، بعد أن قضوا على الدولة البويهية بفارس، واتخذوا أصفهان عاصمة لهم، وأستنجد الخليفة العباسي القائم، بزعيمهم طغرل بيك للتخلص من سيطرة البويهيين، وبذلك انتهت سيطرة البويهيين على الخلافة العباسية فيها. ينظر: الموسوعة الميسرة، محمد شفيق غربال، الشعب، القاهرة-٩٩٣.

(٣) البويهيون: تنسب إلى أبي شجاع بن بويه من الديلم كانت صناعته بيع الماء، تحكم مع أبنائه في فارس وبغداد، استولى أبنه أحمد على بغداد سنة (٩٤٥)، ولقبه الخليفة بمعز الدولة، وصار الخلفاء يلقبون كل سلطان من بني بويه بأمير الأمراء، لم يكن للخليفة أبان حكمهم كلمة نافذة، غلبهم طغرل بيك السلطان السلجوقي سنة(١٠٥٥هـ)، ينظر: الموسوعة الميسرة/٤٥١.

مسرحا لحروب الفاطميين[١]، والسلاجقة ومابين أنفسهم، ولم تكن حالة المغرب الإسلامي أحسن حظا من المشرق وأما الأندلس فقد بدا عهد التراجع ورجحان كفة النصارى، وهكذا كان العالم الإسلامي قبيل الحروب الصليبية، كل ذلك هيأ للصليبيين الفرصة لتحقيق مآربهم في الشرق الأدنى[٢].

وبالرغم من تلك النوازل التي حلت على البلاد والعباد، فان الشرق المسلم لم يكن على مستوى عال من الضعف والتقهقر، فقد هيأ الله تعالى للمسلمين نهضة عظيمة، وهم يتطلعون إلى تلك النوازل وفق منظور الدين والعقيدة الإسلامية، وان أمر الله كان قدرا مقدورا "ولم تلبث فكرة الجهاد ان خرجت إلى حيز التنفيذ، واشتدت ثائرة المسلمين، وتهيأ للأمة الإسلامية القادة الذين مضوا بها إلى طريق النصر على ان المسلمين لم يلبثوا ان أدركوا الخطر الصليبي، إذ انه منذ مطلع القرن الثاني عشر الميلادي،

---

(١) الفاطميون (الدولة الفاطمية): أسرة حكمت شمال أفريقيا تدين بظهورها لأبي عبيد الله الشيعي، كان قد أقام أحد قواده بالقيروان يبشر بقدوم نبي منتظر هو المهدي، وأتخذ القاطميون القاهرة عاصمة لهم في زمن الخليفة المعز لدين الله واستولوا على غرب بلاد العرب وفلسطين وسوريا، ولكن سرعان ما كونت دويلات مستقلة، بدأت شأن الأسرة بالتدهور بتعاقب الخلفاء الضعفاء، وهكذا كثرت المجاعات والأوبئة حتى انتهت على يد صلاح الدين الأيوبي. ينظر: الموسوعة الميسرة /١٢٦٧.

(٢) ينظر: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٥٤م، ط (١) ص٣٢ وما بعدها، والإسلام والحضارة العربية، محمد كرد، ٢٩٢/١ وما بعدها.

ظهرت نتائج عزمهم ومقاومتهم بما حدث من إلحاق الهزيمة بـ(أمير أنطاكيا) وأسره، وتدمير الحملة الصليبية التي قدمت سنة (١٠١١م)"[١].

وكان لنهضة آل زنكي الأثر البالغ على المجتمع الإسلامي فقد بدأت هذه الحركة الإصلاحية بنهضة آل زنكي وعميدهم عماد الدين زنكي[٢]، أمير الموصل الذي ورث ابنه (نور الدين) إماراته وشجاعته وطموحه، وقد كان صلاح الدين الأيوبي[٣]، قائدا من قواد نور الدين.

وبعد ان استقر الأمر لـ(صلاح الدين) في مصر ثم في الشام، استطاع ان يحرز نصرا مؤزرا على الصليبيين في (معركة حطين)، ولكنه لم يكن نصرا نهائيا فقد ظلت الشوكة تدمي الجسد العربي المسلم بعد (صلاح الدين).

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية، رنسيمان، ٣/ ٣٥.

(٢) هو ابو نور الدين محمود عماد الدين زنكي بن آقنقسر، تولى واسط سنة ٥١٦هـ، وتولى إمارة الموصل سنة ٥٢١هـ، وأنتزع الرها من أيدي الصليبيين، واغتيل سنة ٥٤١هـ في حربه ضد الصليبيين. ينظر: البداية والنهاية ١٢/١٩٠، ٢١٩، ٢٢١، وفيات الأعيان، لابن خلكان، ١/١١٤.

(٣) صلاح الدين الأيوبي: هو يوسف بن أيوب بن شادي، أبو المظفر، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، له المناقب الجمة، والسيرة العظيمة، فمن مناقبه قضاؤه على العبيد في مصر والإصلاح الداخلي في البلاد إذ جمع بين ملك مصر، والشام، والجزيرة، فعمل على جمع الصفوف، وتوحيد الكلمة، ومن ثم جابه الصليبيين ونازلهم حتى كانت موقعة حطين بقيادته، وكانت وفاته سنة (٥٨٩هـ)، ينظر: الأعلام، ٨/٢٢٠.

وبعد انتقال الأمر إلى المماليك في أعقاب حكم(توران شاه)[1]، وفي أثناء حكم المماليك هبت عواصف الزحف المغولي الأصفر بقيادة (جنكيز خان)[2]، نحو الأراضي الإسلامية فقد استولوا على (بخارى وسمرقند) وقتلوا أهلها، وفي سنة (٦١٥هـ) وصلوا إلى (الري وقزوين وهمدان) وقتلوا أهلها وحرقوا مساجدها، وهكذا انبسطت الأرض إليهم حتى وقعت الكارثة العظمى، وهي استيلاء (هولاكو)[3] على بغداد سنة (٦٥٦هـ) "وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة واستحر القتل بأهل بغداد فقتل ثمانمائة ألف قتيل وقيل أكثر من ذلك وكان دخولهم إلى بغداد أواخر محرم، ومازال السيف يقتل أهلها أربعين يوما"[4].

---

(١) الملك المعظم توران شاه بن أيوب بن شادي، شمس الدولة، فخر الدين، أخو صلاح الدين الأيوبي تولى اليمن ثم دمشق، ثم أنتقل إلى مصر سنة ٥٧١هـ، مات فيها سنة ٥٧٦ هـ. ينظر: الأعلام، ٢/٩٠.

(٢) جنكيز خان: (١١٦٧/١٢٢٧)، مغولي، أسمه الأصلي يتموجين، خلف أباه يقوصاي رئيساً للتحالف المغولي أتخذ تيموجين لقبه بعد إتمام فتح منغوليا وتأسيس عاصمة له قرقورم، هاجم إمبراطورية الشأن شمالي الصين وأغار على بلاد ما وراء النهر وعلى فارس والدول الواقعة حالياً في جنوبي روسيا، توفى أثناء حربه ضد الشأن وقسمت مملكته بين أولاده الثلاث، عرفت حروب جنكيز خان بالمذابح الرهيبة، ينظر: الموسوعة الميسرة /٦٥٠.

(٣) هولاكو (١٢١٧- ١٢٦٥): حفيد جنكيز خان المغولي، باطش جبار، أغار على الممالك الإسلامية الشرقية وأعمل في أهلها السيف، حتى بلغ بغداد فحاصرها سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) فدخلها واستباحها، وقتل الخليفة والقضاة والعلماء، ثم أحتل الشام وعاد إلى إيران، ينظر: البداية والنهاية ٢٤٨/١٣.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ١٧٩/١٣-١٨١.

وواصل (هولاكو) مسيره بعد ذلك شمالا، فاستولى على حلب سنة (٦٥٨هـ)، فانهارت المقاومة الأيوبية، ثم سلمت لهم بشرط الأمان فخانوا العهد وفتكوا بالمسلمين ثم دخلوا دمشق، ومع تقدمهم إلى غزة والى مصر انكسر التتار في معركة عين جالوت في رمضان (٦٥٨هـ) بانتصار المماليك عليهم[1].

وجملة القول فان تلك الحوادث والنوازل، تركت آثارا كبيرة في الحياة الفكرية والعلمية والاجتماعية، ولو ان امة غير امة الإسلام نزلت بها تلك النوازل لمحيت، وزالت ولم يبق لها أي اثر على وجه البسيطة أبدا. ويأبى الله الا أن يتم نوره، وهي دروس وعبر للأمة الإسلامية، فان آثارها قادت بالعلماء إلى الوقوف بمسؤولية عظيمة تجاه تلك النوازل، ان نشاط مجموعة كبيرة من العلماء المجاهدين في سبيل الله كان له الأثر العظيم في الوقوف بوجه أعداء الإسلام من الصليبيين والتتار، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء على سبيل المثال لا الحصر؛ (العز بن عبد السلام[2] والإمام

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ١٣/٢١٨- ٢٢٠.

(٢) سلطان العلماء (٥٧٧/٦٦٠هـ): وهو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السلمي الدمشقي الشافعي ولد سنة ٥٧٧ هـ بدمشق، وقد أشتهر بهذا اللقب في أكثر المراجع وكان عالما بفنون كثيرة من العلوم، فدرس علوم القران، والحديث، والعربية حتى برع فيها وفاق الأقران في التفسير والحديث والفقه، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ. ينظر ترجمته في: فوات الوفيات، الكتبي، تحقيق الشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ -٢٠٠٠/٣٦٦، وحسن المحاضرة، دار إحياء الكتب العلمية، ١٩٦٨م، ط/١، ١/١٤١-١٤٢-١٩٢،=

النووي)[1]، اللذان وقفا مواقف رائعة في نصرة الحق سواء ضد التتار أو الصليبين، أو في القضاء على الفساد الضار بالمسلمين[2]. وكذا الشيخ ابن تيمية الذي شارك في قتال التتار هو ومجموعة من أعيان المسلمين ضد التتار لما حاصروا دمشق، وسافر إلى مصر ليستحث واليها على قتالهم[3].

والمتتبع لحركة العلماء في تلك الفترة، يجد ان هجرة العلماء من الأندلس بعد سقوطها على يد الصليبيين، وكذا علماء بغداد بعد سقوطها على يد التتار، وتجمعهم في مصر والشام، وحفاظهم على دروس العلم والتعلم، والتأليف، وقد أدركوا نتيجة تعرض بلادهم للغزو الصليبي ان الغزو كان موجها إلى العقيدة الإسلامية بغية محوها، وتنصير أهلها أو إهلاكهم، وكذا التتار وجلبهم الوثنية، كل ذلك اخذ نار الحمية الإسلامية

=البداية والنهاية ١/٢٣٥، النجوم الزاهرة ٥/٢٠٨، طبقات الشافعية، السبكي، الحسينية، مصر، ٥/٨٠

(١) هو الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام محي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام الحزامي الحوراني الشافعي صاحب التصانيف النافعة، منها: شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين، الاذكار، توفي سنة ست وسبعين وستمائة، ينظر: تذكرة الحفاظ، ١٤٧، البداية والنهاية، ١٣/٢٧٨، طبقات الشافعية، ٢/١٥٣.

(٢) ينظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، ٢/ ٧١.

(٣) للتوسع يراجع البداية والنهاية، ٤/ ١٥، ١٦، ٢٣، ٢٤.

في قلوبهم، فكان الاهتمام بالمدارس والمساجد والإكثار منها[1]. ولقي العلماء تشجيعا من الأمراء، فأنشؤا دور العلم، وأنفقوا على الأساتذة وطلبة العلم، واجروا الأرزاق من الطعام وغيره[2]. ناهيك عن أجواء العلم والتعلم. وبالإضافة إلى هذا فان الناحية العلمية بقت قوية ومتينة، ولم تضعف أو تهن، بل كادت تصل إلى درجة النبوغ العلمي في كافة التخصصات، ذلك سببها انها كانت قوية، وأساسها متين.

لقد أثرت الحروب الصليبية في فكر المسلمين، باتجاهين:

فأما الأول: التطلع لأبعاد الأحداث العسكرية الهمجية وخطورتها على الإسلام.

والثاني: التطلع إلى الأجواء الفكرية التي استغلها النصارى تحت تلك الظروف السياسية؛ إذ عمد النصارى إلى تأليف الرسائل والكتب التي ترمي إلى الطعن في دين الإسلام، والانتصار لعقائدهم، ومن ثم بث تلك المطاعن في أواسط المجتمع الإسلامي، في محاولات لتقويض الدين الإسلامي، وبالتالي يؤول الأمر إلى ارتداد المسلمين عن دينهم، ومن ثم جذبهم نحو قطب النصرانية. بعدما وجد دعاة الغزو التنصيري الفرصة سانحة أمامهم لجعل هذه المنطقة ميدانا لنشاطهم التنصيري، فالتقت أهداف دعاة الغزو، مع دعاة التنصير على نهج واحد لتدمير الإسلام.

---

(١) للتوسع في دراسة الحركة العلمية لتلك المدارس، يراجع كتاب الدارس في تاريخ المدارس، الدمشقي.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٣٩/١٣.

فبات حريا بـ(علماء المسلمين) في وسط تلك الظروف ان يتصدوا لتلك المطاعن، وان ينصروا دين الله الحق، فسلكوا في الرد على النصارى طرقا عدة، في مقارعة حججهم، ودحضها. ولقد برع نخبة طيبة من العلماء في هذا المجال من علماء بغداد، والشام، ومصر، وألفوا عددا كبيرا من المؤلفات. وكان منهج علماء الإسلام يسير وفق طريقين؛ الأول: دحض عقائد النصارى، والثاني: تثبيت عقائد المسلمين، وتحذيرهم من تضليل النصارى لهم. وهذه الأسباب نضيفها إلى الأسباب التي ساهمت في تطور علم مقارنة الأديان التي اشرنا إليها في المبحث الثاني من الفصل الأول.

ومن هؤلاء العلماء الإمام ابن حزم، فقد ناقش في كتابه (الفصل) الأناجيل الأربعة، وبيان تناقضها، وكذا التوراة وتبين مفترياتها ثم دور الباقلاني وهو يناقش المسيحية نقاشا شديدا وكذلك إمام الحرمين الجويني، والإمام الغزالي. ثم في العصور اللاحقة تصدر الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، لمناقشة عقائد اليهود والنصارى.

المطلب الثاني: الانفتاح على الشعوب ومحاورتها:

علمنا ان السنة المطهرة سطرت في ثناياها الانفتاح بالدعوة على الناس، وقد رأينا ذلك عندما استجاب رسول الله(ﷺ)، لقوله تعالى ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[1] وفي ذلك أسس رسول الله(ﷺ) منهج الانفتاح على الناس، وتصحيح عقائدهم الموروثة والمنحرفة، وان الأمر لم يك مقتصرا على قومه وعشيرته وخاصته، بل خاطب الناس عامة. ومن تأمل حوارات النبي(ﷺ)، ليجد ان الهدف السامي من الدعوة هو إخراج الناس مما هم فيه من شرك وجهل عظيم وعلى ما نهج النبي(ﷺ) منهج المحاورة والانفتاح، نهج صحابته الكرام ذات المنهج، في محاورة الناس ودعوتهم إلى الله تعالى. وفي ذلك يتضح لنا أهمية وعلو وسمو تلك المناهج العظيمة.

وقد تأسى المسلمون بتلك المناهج، ومنذ الوهلة الأولى من فتوح البلدان، فقد انفتحوا على الناس ودعوهم الله تعالى، ومحاورتهم[2]، وإنها

---

(١) سورة الحجر، الآية(٩٤).

(٢) ذكرت كلمة المحاورة في القران الكريم، في ثلاثة مواضع:**الأول:** في سورة الكهف، قال تعالى حكاية عن صاحب الجنة: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾الآية: (٣٤).

الثاني: في الحكاية نفسها من السورة الكريمة: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴾ الآية: (٣٧).

الثالث: في سورة المجادلة: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ الآية:(١).=

لمسؤولية عظيمة تحتمت عليهم ان يبينوا مسائل العقيدة التي يعتنقها أولئك الأقوام، التي قادتهم إلى منعطفات حادة، وانحرفوا بها إلى دركات الشرك العظيم والبعد كل البعد عن جادة الصواب، وفي وسط هذا المناخ نؤشر مدى الثقافة الحضارية التي حرص علماء الإسلام على إيجادها، فأصبحت ثقافة الحوار متأصلة في الفكر الإسلامي. وانطلاقا من عالمية الدعوة الإسلامية، ومسؤولية الإسلام تجاه الشعوب، دفعت علماء المسلمين إلى تحمل المسؤولية تجاه العالم، فعظم ذلك مع المنطلق الإسلامي العظيم تجاه الأمم والشعوب. وقد ذكرنا ان علماء الإسلام بالقدر الذي كانوا به حريصون على دحض عقائد وشبهات أهل الكتاب، فكذلك كانوا حريصين كل الحرص على تثبيت عقيدة المسلمين في نفوس المسلمين وسط تلك النوازل المقيتة، وكذا توجيه نظر أهل الكتاب حول الإسلام.

يقول ابن تيمية: "ان كثيرا من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون أجوبة عليها"(١).

هذا من جانب ومن جانب آخر على صعيد المرحلة السياسية السالفة بالذكر، فان الانفتاح والمحاورة أخذتا دورهما وسط تلك الظروف، فان

=يقول القرطبي في تفسير: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾؛ أي يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب، ويقال: كلمته فما أحار إلى جوابا، وما رجع إلى حَوير او لا حويرة ولا محورة، ولا حوار، أي ما رد جوابا، الجامع لاحكام القران، ١٠/٤٠٣.

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ١/٧٦.

العلماء وجدوا أنفسهم أمام غزو سحيق، يحمل في طياته معتقداً دينياً خطيراً، يحتاج لمواجهته منهجا علميا، إلا وهو الانفتاح على أهل الديانات ومحاورتهم، ومجادلتهم، ولعل أعظم شاهد في هذا المقام هو اعتناق التتار الذين حلوا بغرب أسيا الدين الإسلامي وعلى رأسهم ملك القبيلة الذهبية (بركة خان)(١). فعادوا إلى بلادهم مسلمين بعدما كانوا يدينون بدين الوثنية، ونشروا الإسلام بين قبائلهم.

المطلب الثالث: حراك الجدل الديني:

لعل المتتبع لحراك الجدل الديني ليجد ان بداياتها كانت هي الأخرى منذ فجر الإسلام، إذ عمد القوم من الجاهلية وأهل الكتاب وخاصة اليهود إلى محاجة النبي(ﷺ) في مسائل عقدية، وإخبارية وإنهم كانوا يتشاطرون فيما بينهم على وضع شبهات عدة في محاولة لإقحام دعوة النبي(ﷺ)، وقد سجل القران الكريم ذلك في آيات عدة، نذكر منها:

أ) دعوى كل من اليهود والنصارى انهم على حق، ولن يدخل الجنة غيرهم، وقد حكى الله تعالى قولهم: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾(٢).

---

(١) بركة بن قولي جنكيز خان سلطان مملكة القفجان الذي اسلم، وراسل الملك الظاهر بيبرس، توفي هو في عمر الستين ينظر: شذرات الذهب، ٥/ ٣١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية (١١١).

ب) دعواهم انهم أحباب الله وأبناؤه، وحكى الله قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

ت) سؤالهم للنبي(ﷺ) ان ينزل عليهم كتابا من السماء كي يؤمنوا، من باب التعجيز: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾[2].

هذه بعض الشواهد القرآنية على حراكة الجدل الديني سجلها القران الكريم، ثم سجلت كتب السير الأخرى الكثير من المناظرات، ولم تتوقف حراكة الجدل الديني عند ذلك الحد، بل أخذت تتزايد وفقا لظروف المراحل ومتطلباتها وتبعا لاحتكاك المسلمين مع أهل الكتاب وغيرهم، وخاصة بعد فتوح البلدان، وقد يقود الأمر أحيانا إلى عقد مناظرات في مسائل محددة وخاصة في مسائل العقيدة[3].

---

(١) سورة المائدة، الآية (٦٤).

(٢) سورة النساء، الآية (١٥٣).

(٣) نذكر في هذا المقام المناظرات التي دارت في أيام المأمون التي حضرها زعماء جميع الطوائف الدينية ومنها مناظرة الإمام علي بن موسى الرضا في القرن الثالث=

وقد تكون هنالك أسبابا أخرى تفضي إلى حراك الجدل الديني، كما حصل في عصر الشيخ (رحمت الله الهندي تـ١٣٠٨هـ)(١)، التي سارت وسط ظروف سياسية، إذ كانت الهند تقبع تحت سيطرة الاحتلال الانكليزي، وظروف دينية إذ: "يعد الإسلام العدو الرئيس بالنسبة للإدارة الاستعمارية والانجليزية بالهند، لذلك عملت على محاصرته وترويضه ثم القضاء عليه بجميع الوسائل ففرقت بين عامة المسلمين وبين العلماء وصادرت مراكز التوجيه والإرشاد الديني من مساجد ومدارس فعمت الفوضى بين المسلمين، وانتشرت بينهم البدع وفي المقابل سعت الإدارة الانجليزية إلى حماية الكيانات الدينية وتوحيد جهودها وتأليبها لمحاصرة الانكليز والتنكيل بهم"(٢).

وقد عمدت الإدارة الانكليزية إلى تركيز خطتها الاستعمارية، وتهديم الإسلام هناك من واقع تكثيف الحملات التنصيرية، وجلب وتوطين النصارى لتغيير البنية الاجتماعية المحلية، وإدخال عناصر غير وطنية لخدمة المشروع التنصيري، وتطهير القرى والمدن من المسلمين والعمل

=الهجري، والحوار جمع كل من: الجاثليق كبير النصارى، ورأس الجالوت زعيم اليهود، والهربذ الأكبر ممثل الزرادشتية، وعمران ال صّابي قطب الصابئة، والفيلسوف قسطاس الرومي وجمع من المتكلمين، وللاطلاع على المحاورة وتفصيلاتها يراجع، كتاب الحوار دائما، للدكتور شوقي أبو خليل، ص ٦٠-٦٢

(١) ينظر ترجمته في الفصل الرابع، في محلها ص٢٧٨.

(٢) دراسة العقائد النصرانية، منهجية ابن تيمية ورحمت الله الهندي، محمد الفاضل بن علي اللافي، المعهد العالمي، للفكر الإسلامي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. ص٨٨.

على إنشاء فرقة ضالة تدعي الإسلام في سبيل هدم العقيدة فشجعوا (مرزا غلام احمد القادياني)، فانشأ (القاديانية)[1]

وأعلن ان الانجليز هم أولوا الأمر فيجب طاعتهم ولا يصح الخروج عنهم كما لا يصح الجهاد ضدهم وعمل على التوفيق بين الأديان فادعى انه يتقمص روح المسيح عليه السلام وبعد وفاته انقسمت جماعته إلى طائفتين: الأولى: (الاحمدية) وتدعي انه كان رجلا مصلحا. والثانية: (القاديانية)، وتقول بنبوته وكلاهما كاذب، وقد دعمه الانجليز بكل إمكانهم ولا يزالون يدعمون أتباعه في كل مكان[2].

وقد صرح الشيخ رحمت الله الهندي ذلك في مقدمة كتابه إظهار الحق، فيقول: "ان الدولة الانكليزية لما تسلطت على مملكة الهند تسلطا قويا ومنذ ابتداء سلطنتهم إلى ثلاث وأربعين سنة ما ظهرت الدعوة من

---

(١) القاديانية: حركة نشأة برعاية الاستعمار البريطاني في الهند، بهدف استكانة المسلمين للاستعمار بإلغاء الجهاد وابعاد المسلمين عن دينهم، وكان ميرزا غلام احمد (١٨٣٩/١٨٠٩م) أداة التنفيذ، ومن معتقداتهم: غلام احمد المسيح الموعود والمهدي المنتظر، والله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب، ولم تختم النبوة بمحمد(ﷺ) بل هي جارية، وغلام احمد هو أفضل الرسل جميعا يوحى إليه، ونزّل جبريل عليه (الكتاب المبين)، وهو غير القران الكريم، وقاديان أفضل من مكة والمدينة وأرضها حرم وهي قبلتهم، ينظر: أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية د.شوقي أبو خليل، دار الفكر، ٢٠٠٩م ص٢٧١، وللتوسع ينظر: كتاب القاديانية الحركات الهدامة- هي مجموعة رسائل لأبي الحسن الندوي، وأبي الأعلى المودودي، ومحمد الخضر حسين، الناشر رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة وكتاب القاديانية والاستعمار الانجليزي، د. عبد الله سلوم السامرائي، دار واسط، بغداد.

(٢) ينظر: دراسة العقائد النصرانية، محمد لافي، ص٩١-٩٥.

علمائهم أي النصارى إلى مذهبهم، وبعدها اخذوا في الدعوة حتى ألفوا الرسائل، والكتب في رد أهل الإسلام، وقسموها في الأمصار بين العوام، وشرعوا في الوعظ في الأسواق، ومجامع الناس وكان عوام أهل الإسلام إلى مدة متنفرين عن استماع وعظهم ومطالعة رسائلهم، فلم يلتفت احد من علماء الهند إلى رد تلك الرسائل، لكن تطرق الوهن بعد مدة في تنفر بعض العوام وحصل الخوف مزلة أقدام بعض الجهال فعند ذلك توجه بعض أهل الإسلام إلى ردهم، واني وان كنت منزويا في زوايا الخمول لكني لما اطلعت على تقريراتهم وتحريراتهم، ووصلت إلى رسائل كثيرة من مؤلفاتهم استحسنت ان اجتهد أيضا بقدر الوسع والإمكان"[١].

وكان ذلك سببا لوقوع المناظرة بينه وبين القس فندر التي كانت أساسا لكتابه إظهار الحق، وتقررت المناظرة، وقبل تقرير وقتها بقليل اتخذ الشيخ الهندي منهجا علميا، إذ عمد إلى "أولا الكتب والرسائل ليظهر الحال على أولي الألباب، واستدعيت ثانيا من القسيس الذي كان بارعا وأعلى كعبا من العلماء المسيحية الذين كانوا في الهند مشتغلين بالطعن والجرح على الملة الإسلامية تحريرا وتقريرا، واعني مؤلف ميزان الحق[٢]،

---

(١) إظهار الحق، الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي، دار الجيل، بيروت، ص١١ وما بعدها.

(٢) كتاب ميزان الحق لمؤلفه (القس فندر)، ويعد هذا الكتاب خلاصة حركة التأليف في الهند، وقد رتب فندر موضوعاته، وحاول تقديمها بطريقة نقدية، أضفى عليها طابعا علميا، وأخرجها للناس قصد المحاجة والتحدي ويتحدى علماء المسلمين ان يردوا على مؤلفه لذا عد كتاب ميزان الحق السبب المباشر في المناظرة الكبرى، التي جمعت بين رحمت الله وفندر، التي تمخضت عنها تأليف كتاب إظهار الحق،للتوسع يراجع كتاب=

ان يقع بيني وبينه المناظرة في المجلس العام، ليتضح حق الاتضاح ان عدم توجه العلماء ليس بعجزهم عن رد رسائل القسيسين، كما هو مزعوم عند بعض المسيحيين، فتقررت المناظرة في المسائل الخمس التي هي أمهات المسائل المتنازعة بين المسيحية والمسلمين، اعني: التحريف، والنسخ، والتثليث، وحقية القران، ونبوة محمد(ﷺ)، فانعقد المجلس العام في شهر رجب سنة ألف ومائتين وسبعين من هجرة سيد الأولين والآخرين(ﷺ) فظهرت الغلبة لنا بفضل الله في مسألتين النسخ والتحريف اللتين كانتا من أدق المسائل، وأدقها"(١)

وأرى من المناسب ذكر نماذج من مؤلفات علماء المسلمين، كشواهد على عوامل حركة التأليف، وكي ندخل إلى الحقل العملي التطبيقي لدراستنا، وذلك وفق المطلب الآتي:

=إظهار الحق، ١٣/١ وما بعدها. وللاطلاع على مؤلفات المتنصرين الهنود، والمنصرين في الهند، ونشاط حركة التأليف والتنصير، ينظر كتاب دراسة العقائد النصرانية، للأستاذ محمد اللافي، ص ٧٩-١٠١.

(١) إظهار الحق، الهندي، ٩/١ وما بعدها.

المطلب الرابع: نماذج تطبيقية في بيان أسباب تأليف علماء الإسلام في الأديان:

أولا: كتاب المختار في الرد على النصارى[1]، للجاحظ ت(٢٥٥هـ)

كتاب المختار عبارة عن رسالة ألفها الجاحظ في زمانه، وتعد رسالته هذه من أهم الرسائل يقول محقق الرسالة: "وتتبع أهميتها من كونها من أقدم النصوص التي وصلتنا، مصورة حركة الجدل الديني في البيئة الإسلامية ضد اليهود والنصارى، كما ان هذه الرسالة تكشف عن جانب هام من عبقرية الجاحظ، فهو ليس أديبا ناقدا متكلما فحسب، لكنه إلى جانب ذلك عالم بالأديان، مطلع على كتبها، ملم بدقائق عقائدها، وتفاصيل مبادئها، كما انها في مواجهة التحديات الخارجية الخطيرة المتمثلة في مواقف اليهود والنصارى والمذاهب الوضعية كالمجوسية الثنوية الزرادشتية والبراهمة وغيرها"[2].

وبهذا فان قيمتها العلمية ومكانتها بين كتب الأديان عظيمة جدا، كل ذلك يدل على دراية الجاحظ وعمق ثقافته، بالعهد القديم أو التوراة، كما تظهر معرفته الجيدة بالأناجيل.

١) أسباب تأليف الجاحظ الرسالة:

---

(١) حققه الأستاذ الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، أستاذ الفلسفة الإسلامية، ومقارنة الأديان، في كلية العلوم، جامعة القاهرة، تم طباعته في سنة (١٤١١هـ/١٩٩١م)، دار الجيل، بيروت، ومكتبة الزهراء بحرم جامعة القاهرة.

(٢) المختار في الرد على النصارى، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق ودراسة د. محمد عبد الله الشرقاوي مقدمة المحقق، ص١٢ وما بعدها.

نص الجاحظ (رحمه الله) في مقدمة رسالته، أسباب تأليفه لها، نقتبس بعضا منها، يقول الجاحظ بعد الحمد لله والثناء عليه "أما بعد: فقد قرأت كتابكم، وفهمت ما ذكرتم فيه من مسائل النصارى من قبلكم وما دخل على قلوب أحداثكم، وضعفائكم من اللبس، والذي خفتموه على جواباتهم من العجز وذكرتم انهم قالوا: ان الدليل على كتابنا باطل وأمرنا فاسد اننا ندّعي عليهم مالا يعرفونه فيما بينهم، ولا يعرفونه من أسلافهم، لانا نزعم ان الله (جل وعز)، قال في كتابه على لسان نبيه(ﷺ): ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1]، وانهم زعموا انهم لم يدينوا قط بان مريم اله في سرهم، ولا ادعوا ذلك قط في علانيتهم وانهم زعموا انا ادّعينا عليهم ما لا يعرفون، كما ادعينا على اليهود ما لا يعرفون حين نطق كتابنا، وشهد نبينا(ﷺ) ان اليهود قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[2]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[3]، وهذا ما لا يتكلم به إنسان، ولا يعرف في شيء من الأديان"[4].

---

(١) سورة المائدة، من الآية (١١٦).

(٢) سورة التوبة، من الآية (٣٠).

(٣) سورة المائدة، من الآية (٦٤).

(٤) المختار في الرد على النصارى، ٥٢-٥٧. وللاطلاع على بقية الشبهات وأدلتها، ينظر: ص٥٥-٥٧.

مسالة: نقد وتحليل:

المتتبع لشبهات النصارى التي عمدوا إلى تأليفها، والواردة في رسالة الجاحظ، ليجد ان أدلتهم التي احتجوا بها من واقع النصوص القرآنية، يهدفون فيها إلى مسالتين:

الأولى: تكذيب النص القرآني وذلك من واقع مقارنته بالنصوص المقدسة لديهم. وكذا مخالفته لما يعرفه أسلافهم من أخبار عبر الأزمنة المتطاولة.

الثانية: وفي الوقت الذي كذبوا النصوص القرآنية، نجدهم في الوقت نفسه يعمدوا إلى الاحتجاج بتلك النصوص، لبيان صحة دينهم، وعقائدهم. فأي تناقض يسير وفق منهجهم هذا؟.

وإذا ما نريد النقد لذلك: فحري بنا ان نذكر في هذا المقام ان الكتب المقدسة التي يعتمدها القوم في المعتقد، قد حوت تناقضات عدة، وكذلك تعرضت إلى إضافات ضخمة، وفي ذلك يقول موريس بوكاي في كتابه دراسة الكتب المقدسة: "بهذا تتضح ضخامة ما أضافه الإنسان إلى العهد القديم، وبهذا أيضا يتبين القارئ التحولات التي أصابت نص العهد القديم الأول من نقل إلى نقل ومن ترجمة إلى أخرى، بكل ما ينجم حتما عن ذلك من تصحيحات، جاءت على أكثر من ألفي عام"(١).

وكذا النظرة الإسلامية إلى تلك الكتب في افتقارها إلى السند المتصل الذي يحفظ الرواية من الخلط والدس والدخيل. ومن العهد القديم إلى العهد

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دار الأفكار للطباعة والنشر، بيروت، ص١٩.

الجديد "فان المسيحية قد اعتمدت التوراة العبرية، ولكنها زادت عليه بعض الإضافات، غير ان المسيحية لم تقبل كل ما نشر من كتابات تستهدف تعريف الناس برسالة عيسى عليه السلام ولذلك قامت الكنيسة بإجراءات حذف هام جدا لعدد كبير من الأسفار التي كتبت لتعريف الناس بحياة المسيح وبتعاليمه، وهكذا لم تحتفظ من العهد الجديد إلا بعدد محدود من الكتابات، وكان من أهمها الأناجيل الأربعة المعترف بها كنسيا"(١).

ثم انه لا يلزم كون الخبر المنقول بين عامتهم وخاصتهم الصحة لزاما، لأنه قد يكون نقل ابتداء على التضليل والخداع ثم سرى بعد ذلك بين عموم الناس، ثم تناقلته الناس من جيل الى جيل، ولا يعد خبرا متواترا كما فهمه المسلمون، ولان "جميع اليهود والنصارى وهم يستندون إلى الخبر المتواتر فإنهم لا يعلمون حقيقية التواتر ولا شروطه، وانما فهموا ذلك وغيره من هذه الأمة المحمدية. لشرفها، وعلو قدرها، واختصاصها بمعاقل العلوم"(٢).

ومن شروط التواتر: "ان يكون المخبر عنه أمرا محسوسا، ويدل هذا على ان اعتبار هذا الشرط من ان الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا العظيمة، وهي باطلة وكإخبار المعطلة عن عدم وجود الصانع وهم كثيرون مع بطلانه، ويعلل هذا بان مجال النظر بحجة الغير يكثر فيها وقوع الخطأ، فلا يثق الإنسان بالخبر عن العقليات حتى ينظر فيجد البرهان العقلي يعضد ذلك الخبر اما الأمور المحسوسة مثل المبصرات

(١) دراسة الكتب المقدسة، بوكاي، ص٥ وما بعدها.

(٢) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، ص٨١.

ونحوها فشديدة البعد عن الخطأ، وانما يقع الخلل من التواطؤ على الكذب، فإذا كان المخبرون يستحيل تواطؤهم على الكذب جعل القطع بصحة الخبر"[1].

٢) منهجية الجاحظ في رسالته:

لقد عرض الجاحظ مسائل النصارى ضد المسلمين عرضا دقيقا بعد ان هذبها وقومها، ثم أجاب عنها مسالة مسالة، فألزم وأفحم ثم سألهم بعد ذلك سؤالات دامغة عن ديانتهم ومعتقداتهم ومذاهبهم، يقول الجاحظ: "قد قلنا في جواباتهم، وقوّمنا مسائلهم بما لم يكونوا ليبلغوه ليكون الدليل تاما والجواب جامعا. وليعلم من قرأ هذا الكتاب وتدبر هذا الجواب انا لم نغتنم عجزهم، ولم ننتهز غِرّتهم، وان الإدلال بالحجة هو الذي دعانا إلى ان نخبر عنهم بما ليس عندهم، وإلا نقول في مسألتهم بمعنى لم ينته إليه منبه أو يشير إليه مشير"[2]. وفي ذلك حقق منهج الإسلام الدعوي والإرشادي.

---

(١) لأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، ص٨١.

(٢) المختار، ص ١٣.

ثانيا: كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى[١]، للقرافي ت(٦٨٤هـ):

يعد كتاب (الأجوبة الفاخرة) من المؤلفات الجليلة في القرن السابع الهجري، في كتب الردود على الحملات الفكرية التي خاضها النصارى واليهود تحت ظل الحملات الصليبية، والغزو التتري، فتصدى بمؤلفه هذا لتلك لحملات الباطلة ضد الإسلام والمسلمين، ورد ردا علميا جميلا، وبكل ما أعطاها الله تعالى من قوة وسعة ذهن وفطن وعلم غزير.

١)أسباب تأليف الكتاب:

لقد سجل القرافي (رحمه الله) الدوافع التي حملته على تأليف كتابه، وعادة ما يلجا أكثر الباحثين إلى تسجيل هذه الدوافع في مقدمة كتبهم، دل ذلك على منهجهم العلمي في دراسة الموضوعات، يقول القرافي في أسباب تأليفه لكتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى: "فان بعض النصارى قد أنشا رسالة على لسان النصارى مشيرا إلى ان غيره هو القائل، وانه هو السائل، مشتملة على الاحتجاج بالقران الكريم على صحة مذهب النصرانية، فوجدته قد التبس عليه المنقول، وأظلمت لديه قضايا العقول، فان كتابنا العزيز، وكتبهم دالة على صحة مذهبنا وإبطال مذهبهم"[٢].

---

(١) حقق الكتاب الأستاذ مجدي محمد الشهاوي، وطبع بالقاهرة مكتبة القران، ١٩٩٢م، كما حققه الأستاذ الدكتور بكر زكي عوض الأستاذ في كلية أصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، جامعة الأزهر، وطبع بالقاهرة، مكتبة رشوان.

(٢) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، ص١٧.

كتابه(إغاثة اللهفان) وفي مباحثه تعرض لبيان حيل النصارى في استمالة عقول عامتهم[1]. وتسمو مكانة كتاب الأجوبة الفاخرة عندما افرد مبحثا خاصا في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)، من واقع نصوص العهدين القديم والجديد مقارنة بين النصوص، دل ذلك على مدى ثقافة القرافي واطلاعه الواسع على كتب القوم المقدسة ناهيك عن إفراده مباحث لإثبات تناقض الأناجيل هذه المقارنات التي عقدها القرافي (رحمه الله) بمنهج موضوعي، تعد من الشواهد الحية على جهود علمائنا في الأديان، ومع من تخصصاتهم في علوم الشريعة وغيرها. ومما هو جدير بالذكر ان الإمام القرافي فقيه وأصولي وله مؤلفات جليلة في الفقه والأصول، منها: كتاب الذخيرة في الفقه[2]، وكتاب (أنوار البروق في أنواء الفروق)[1] الذي كتب

---

(١) ينظر: اغاثة اللهفان، ابن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، ٣١٥-٣٧٣.

(٢) يعد كتاب الذخيرة من أهم مصادر المذهب المالكي، وهو في مقدمة الموسوعات الفقيه، إذ جمع المؤلف أمهات كتب المذهب وغيره من فقه الصحابة والتابعين رضي الله عنهم من الأمصار، يقول القرافي فيه:"وأثرت ان اجمع بين الكتب الخمسة التي عكف عليها المالكيون شرقا وغربا حتى لا يفوت أحدا من الناس مطلب ويحتوي الكتاب على ستة أجزاء، وقد طبع الجزء الأول منه في مطبعة كلية الشريعة بجامعة الأزهر سنة ١٣٨١هـ، وأما بقية الأجزاء فقد سجلها طلاب العلم في جامعات عدة لنيل شهادة الدراسات العليا، ثم طبع كاملا في دار الكتب العلمية ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، بتحقيق أبي إسحاق احمد بن عبد الرحمن في عشرة أجزاء، ينظر: الذخيرة، ٣٤/١ طبعة كلية الشريعة، الأزهر، وتحقيق الأستاذ قاسم الفالح كلية الشريعة، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، في المملكة السعودية.

فيه الفروق بين القواعد الفقهية. وله كتب في اللغة العربية وقواعدها، وفي العقائد والأديان[2].

ثالثا: كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح[3]، لابن تيمية (ت٧٢٨هـ):

وهو من أجود الكتب التي الفت في الردود في منتصف القرن الثامن الهجري، وقد عمد الشيخ ابن تيمية (رحمه الله) إلى تسميته بـ(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، وقد انطوت تحت مباحثه مسائل بالغة في الأهمية في بيان عقائد النصارى بكل مذاهبهم وفرقهم.

١)أسباب تأليف الكتاب:

صرح الشيخ ابن تيمية في مقدمة كتابه أسباب تأليفه للكتاب، بقوله: "وكان من أسباب نصر الدين وظهوره، ان كتابا ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى، بما يحتج به علماء دينهم، وفضلاء ملتهم قديما

---

(١) وهو مطبوع في تونس سنة ١٣٠٢هـ، وفي مصر بمطبعة دار إحياء الكتب العربية، سنة ١٣٤٤هـ. بعنوان الفروق كما طبعته دار المعرفة، بيروت.

(٢) للتوسع ينظر: الديباج المذهب، لابن فرحون، ٢٣٨/١، وهدية العارفين ٩٩/١، ومقدمة الاستغناء في أحكام الاستثناء د. طه محسن، ص٢٦، ومقدمة تحقيق العقد المنظوم في الخصوص والعموم، للأستاذ احمد الختم، ٦٠/وما بعدها.

(٣) هناك تحقيقات عدة لكتاب الجواب الصحيح، حققها نخبة طيبة منها تحقيق الاساتذة: د. علي بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز بن إبراهيم، د. حمدان بن محمد الحمدان وطبع في الرياض، دار العاصمة، سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩، وهناك تحقيق آخر للأستاذ محمد حسن محمد حسن إسماعيل وطبعته المكتبة العلمية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. وسنعتمد على التحقيق الأخير في توثيق دراستنا.

الإسلامية؛ وهو (دراسة تحليلية لمنهج الشيخ ابن تيمية في دراسة العقائد النصرانية)، والكتاب بعنوان (دراسة العقائد النصرانية، منهجية ابن تيمية ورحمت الله الهندي) للأستاذ محمد الفاضل بن علي اللافي(١).

وقد أشار المؤلف إلى أهم سمة في منهج ابن تيمية، واعدها من أهم المباحث إلا وهي نظرية المعرفة(٢).

---

(١) دراسة العقائد النصرانية منهجية ابن تيمية ورحمت الله الهندي، دراسة منهجية مقارنة، الأستاذ محمد الفاضل بن على اللافي، أسهم في طباعته المعهد العالي للفكر الإسلامي ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، والمؤلف هو أستاذ في العقيدة والأديان المقارن بالمعهد الأوربي للعلوم الإنسانية، وكذلك في العقيدة والأديان المقارنة بمعهد الغزالي بمسجد باريس الكبير، ينظر: مقدمة الكتاب.

(٢) لقد وضع ابن تيمية منهجا في الاستدلال شبيها بالمناهج الاستقرائية الحديثة من حيث عدم حصر المقدمات في عدد معين وفي ذلك فقد وضع منهجا تجريبيا رافضا منطق اليونان بكل اقسامه وناقدا له، ابتداءً من الحد وانتهاءً بالقياس، فيرى التجربة وحدها تؤدي إلى كشف الحقيقة كما ان تكرارها يؤدي إلى تكوين الكليات الفعلية اليقينية، والتجربة عنده هو ما جربه الانسان بعقله وحسّه وان لم يكن من فعله وقدرته، وهو بهذا ينفي القول بالحدسيات ويعدها كلها تجريبية وقد اعد ان الاستقراء يكون يقينيا اذا كان استقراء بقدر مشترك واحد كما انه لا يعد الاستقراء استدلالا بجزيء على جزيء ولا بخاص على عام بل استدلالا بأحد المتلازمين على الآخر، وبذلك يكون قد ارجع القياس إلى نوع من الاستقراء العلمي القائم على فكرتين: لكل معلول علة، ثم الاطراد في وقوع الحوادث فقانون العلية هو ان حكم التحريم في الخمر معلول بالاسكار، وقانون الاطراد وتفسيره ان العلة واحدة اذا وجدت تحت ظروف متشابهة انتجت معلوما متشابها، فاذا وجدنا الاسكار في الخمر وجدنا التحريم، ثم وجدنا الاسكار في أي شراب آخر ومن هنا نجزم بوجود التحريم وفي العملية التجريبية يرى ان الحواس عموما مشتركة في قوة التحصيل والادراك مع تفرع وظائفها، فهو لم يقل بمحسوسات تدرك=

يقول المؤلف اللافي: "إذ هو الأساس الذي قامت عليه الكثير من دراساته النقدية منها خاصة، ولتحديد الملامح لتفصيل لمنهج ابن تيمية لا بد من عرض نظرية المعرفة عنده، ولدراسة مؤلفه الجواب الصحيح من حيث استخراج المنهج النقدي والتقويمي، أو للتعرف على المنهج الإسلامي في دراسة العقائد النصرانية، لا بد من عرض الأسس النظرية والمرجعية التأصيلية لمنطلقات ابن تيمية المعرفية على انه اتجه في دراسته هذه وقد استهدف موضوعه متسلحا بالأدوات المنهجية اللازمة، ويتضح ذلك من خلال إفصاحه عن سبب تأليف الكتاب"(١).

إذن لابد ان نلمس ذلك من واقع منهجه في كتابه الجواب الصحيح، وقد أغنانا الشيخ عندما صرح بالقول:" ونبين ان شاء الله ما عليه النصارى من التثليث والاتحاد، لم يدل عليه شيء من كتب الله لا الإنجيل ولا غيره بل دلت على نقيض ذلك، ولا دل على ذلك عقل بل العقل

=بالذات واخرى تدرك بالعرض مثل ارسطو، بل الادراك عنده يباشر بالحواس أي بدون واسطة، والقصد من تاكيد ابن تيمية على الحس التجريبي لاعتباره من وسائل تحصيل المعرفة اضف إلى ذلك التصور السابق في الذهن والناتج عن التجربة للوصول إلى ادراك جواهر الاشياء وبذلك فقد جعل من الاحساس والتجربة والعقل أدوات معرفية متحدة للوصول إلى إلى اليقين العملي، فهو يعتقد ان العلوم العقلية جميعها علوم تجريبية فلا يسلم الا بالتجربة ينظر: منطق ابن تيمية، محمد الزين، المكتب الاسلامي، بيروت، ط(١)، ١٩٧٩م، ص١٥٩، ١٧٩، الرد على المنطقيين، ابن تيمية، نشر عبد الرحمن شرف الدين الكتبي، طبعة الهند، ١٩٤٩م، ص٩٩، ٣٨٦.

(١) دراسة العقائد النصرانية، محمد لافي، ص٧٠ وما بعدها.

المبحث الثاني

مصادر علماء المسلمين في الأديان

تتفاوت مشارب العلماء في مصادر علومهم تفاوتا ملحوظا تبعا لتخصصاتهم، وقد يفرض التخصص في لون من ألوان العلوم والمعارف، فيبقيه يسير وفقا لمدارات محددة، والحديث لا يحيط بكل العلماء ولا نستطيع تعميم الأمر بكل جوانبه، والناظر في علوم علماء المسلمين وتنوعهم الهائل في ألوانه، يجد ان البون شاسع بينهم وبين العلماء الآخرين على وجه المعمورة ذاك بان كل واحد منهم امتلك من زاد العلوم المتنوعة، وألوانها ما لم يقف عن حد، ذاك أنهم افنوا أعمارهم في العلم، والتعلم، ونشر العلوم، فأضحى ثقل علوم احدهم ما ثقلت به الجبال، فأصبحوا الأعلام الخالدين.

وقد نعلم فيهم المفسر ، والمحدث، والمتكلم، والمفكر ، ومع هذا فإنهم لم يقصروا علومهم على مدار تخصصهم؛ كالمفسر مثلا أو المحدث وغيره، بل ازداد على ذلك علوما أخرى وقد ندرك ذلك عندما نعمد إلى استقراء علومهم من واقع مؤلفاتهم الجليلة، فعندها تظهر عمق العلوم وألوانها التي تلقوها عن شيوخهم العلماء الذين تتلمذوا على أيديهم، وهم يتحملون غزارة العلوم، وكذا الأمر لم يختلف في مصادرهم في دراسة الأديان، بل ازداد العمق المعرفي والثقافي لدى علماء الإسلام عندما درسوا الأديان دراسة موضوعية أدى إلى ازدياد التراكم الموسعي، وقد

يلحظ ان هناك روافد مشتركة ساعدت على تغذية أفكارهم، يقودنا الأمر بالتالي إلى تقسيم مصادر ثقافتهم في الأديان بعدما أسعفتنا دراسة المعاصرين(١) لمناهج علماء المتقدمين، على قسمين:

القسم الأول: المصادر الإسلامية والعربية.

القسم الثاني: المصادر غير الإسلامية.

وجملة تلك المصادر بروافدها المتعددة تعاضدت بعضها مع البعض، فكونت الفكر الثقافي، عند علماء الإسلام في الأديان.

المطلب الأول: المصادر الإسلامية والعربية:

ومن أعظم روافد هذه المصادر (القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة)، ثم يلي كتب التفسير، وكتب السير، وكتب أصول الدين، وكتب الأدب العربي، وكتب التاريخ. وسندرس هذا القسم بروافده وفق محاوره المذكورة:

---

(١) نذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر: كتاب ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. محمود علي حماية، طباعة القاهرة، كتاب الانتصارت الاسلامية، للامام الطوفي، تحقيق د.سالم بن محمد القرني، طباعة مكتبة العبيكان، شفاء الغليل في بيان ما وقع من التوراة والانجيل من التبديل السموئل يحيى المغربي، تحقيق الشيخ الدكتور احمد السقا طباعة المكتبة الازهرية القاهرة، وكتاب منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، د.هادي حسين حمود طباعة بغداد.

مخاطبا نبيه (ﷺ): ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[(١)][(٢)].

وأما تبيان السنة للقرآن الكريم تنتظم ضمن علاقة جوهرية، وتتمثل العلاقة؛ بتأكيد السنة وتأييدها لما جاء في القرآن الكريم، وكذا تبيان لما أجمله القران وتفصيله، وبيان مبهمه، وتقييد مطلقه، ويخصص عامه[(٣)].

ثانيا: كتب التفسير وأثرها في رفد العلماء:

وبقدر الرفد القرآني العظيم في هندسة الفكر الإنساني بمعطيات الحقيقة العلمية، فان المسلمين قدموا منهجا متكاملا وعظيما في فهم النص القرآني، وما يدور حول النص من إشارات صريحة صدرت عنهم ألوان التفسير في القران العظيم، يقول د. محمد صالح في كتابه منهج التفسير التحليلي: "ان المناهج التفسيرية قد تعددت، وأصبح لكل عالم منهج تفنن الباحثون بعرضه حسب قدراتهم وأساليبهم وطرق تفكيرهم، والنص القرآني نسيج وحده، فمن أراد ان يفهمه بدقة عليه ان يختار المنهج المناسب من تلكم المناهج المتعددة"[(٤)].

---

(١) سورة النحل من الآية (٤٤).

(٢) المدخل إلى دراسة علوم الحديث، سيد عبد الماجد الغفوري، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٣م، ط(١)، ص٤٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص٦٤.

(٤) منهج التفسير التحليلي للنص القرآني - سورة النصر أنموذجا- د.محمد صالح الحمداني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ط(١)، ص٧.

هذا من جانب المناهج التفسيرية، وأما من جانب التعبير القرآني، فيقول د. فاضل السامرائي: "لا خلاف بين أهل العلم ان التعبير القرآني تعبير فريد في علوه وسموه، وانه أعلى كلام وارفعه، وانه بهر العرب فلم يستطيعوا مداناته والإتيان بمثله مع انه تحداهم أكثر من مرة لقد تحدى القران العرب ثم جميع الخلق بان يأتوا بمثله ثم اخبر أنهم ان يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"(١).

فإذا كانت هناك قواعد منهجية، وأساليب بلاغية رائعة تقود إلى فهم النص القرآني يسلكها العلماء، فذاك يعد من تمام العلم وقواعده الرصينة، وشتان بين ذلك وبين من اتخذ منهجا متفلسفا وجدليا ليخوض في بحار السفسطة(٢) ليصل عندها إلى دليل على صحة معتقده؟.

ولو سلمنا الجدل لهؤلاء الخائضين في التفاسير الباطنية لنصوص القران الكريم، وابتعدنا عن منهاج العلماء التفسيرية؛ فان أمرنا لا يستقيم في هذه المسالة، بل يقودنا إلى زوايا بعيدة، وقد نقع في مواقع تهوي بنا إلى الجهالات والظلمات، لان المتأمل في القرآن الكريم يجد انه قدم لنا نماذج حية وحقيقية في آياته العظيمة الكريمة، على دعوة الأنبياء (عليهم السلام)، قومهم إلى توحيد الله تعالى فالناظر في ذلك لا يستطيع حرف

---

(١) التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دراسات بيانية في الأسلوب القرآني، ص٩.

(٢) السفسطة: قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم واسكاته، كقولنا الجوهر موجود في الذهن وكل موجود بالذهن قائم بالذهن عرض ينتج ان الجوهر عرض ينظر: التعريفات للجرجاني، ص٥٢٠.

المعنى الحقيقي عن مساره، لان الكلام في دعوة التوحيد يستند إلى إخبار حقيقي لا يمكن لأي بشر صرفه إلى معنى آخر، ولان المخبر هو الله (عز وجل)، فلا يتعدى الأمر إلى إنكار التوحيد أو صرفه إلى تأويلات باطلة، وقد اخبر الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢].

وأما صرف المعنى عن مراد اللغة فهذا لا يتناسب مع القواعد اللغوية على "ما قرره علماء اللغة العربية في دلالة الألفاظ والعبارات على المعاني، بعد استقراء ذلك فيما نقل عن العرب من محاوراتهم من نظم ونثر"[٣]، لذا فان دلالات النصوص تؤول بالتالي إلى طرف يستنبط من واقعها المراد منها، وهي دالة على الحكم[٤]، والأحكام الواردة في القران الكريم لها أقسام، وقد قسم بعض العلماء الأحكام على ثلاثة محاور:

(أحكام اعتقادية- أحكام عملية- وأخلاق).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٩٢).

(٢) سورة محمد، من الآية (١٩).

(٣) أصول التشريع الإسلامي، الشيخ علي حسب الله، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م، ط(٣)، ص١٧٣.

(٤) للتوسع في دلالات النصوص وطرق استنباط الأحكام، ينظر: أصول الفقه في نسيجه الجديد، د. مصطفى الزلمي ص٢٩٧ وما بعدها، و أصول الفقه، للشيخ محمد الخضري، طبعة دار الحديث ص١٧٣ومابعدها، وعلم أصول الفقه عبد الوهاب الخلاف ص١٤٠ وما بعدها، ومحاضرات في علم الوضع لشيخنا العلامة محمد فاضل السامرائي (رحمه الله) محاضرات ألقيت على طلاب العلم في مسجد السيدة سعدية العمري.

وإنها تدور في فلك الشريعة الإسلامية، غير ان الأستاذ الزلمي قد ذهب في تقسيم الأحكام إلى تقاسيم أكثر من ذلك؛ وأعطى مدارات أوسع، وهي[1]:

١) الأحكام الاعتقادية (العقائدية).

٢) الأحكام الخلقية.

٣) الأحكام الكونية.

٤) الأحكام العِبرية.

٥) الأحكام الشرعية العملية.

ونأخذ في هذا المقام الأحكام العبرية "التي تؤخذ من الآيات التي تبحث عما فعلته الأمم السابقة قبل الإسلام، وما نالته تلك الأمم من جزاء طبقا لقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[2]، وفلسفة هذه الآيات وأحكامها هي انها توجه الأجيال القادمة المتعاقبة بعد ظهور الإسلام نحو العبرة بما فعلته الأمم السابقة وقد نص القران على هذه الحكمة آيات عدة، منها قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

---

(١) ينظر: حكم أحكام القران، مصطفى الزلمي. طباعة شركة الخنساء. بغداد، ص ٢١/٣٤.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان، (٧.٨).

يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2]، وهذه الآيات وأمثالها أحكامها عبرية وحملها خبرية ومعانيها طلبية[3][4].

وفي ذلك فان الأخبار لا يمكن إنكارها، وكذا لا يمكن حرف دلالات النصوص عن مرادها الحقيقي وبالتالي فان الحجة قائمة على من خالف ذلك، وخاصة أهل الكتاب في مذاهبهم التفسيرية لبعض آيات القران الكريم كي يتماشى مع معتقدهم.

---

(١) سورة يوسف، الآية (١١١).

(٢) سورة التوبة، الآية (٧٠).

(٣) من اغراض توجيه الخبر هو افادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة او الجمل الخبرية ويسمى هذا عند علماء البلاغة (فائدة الخبر)، وقد يراد منه المدح والثناء، او التوبيخ، او الاسترحام، الوعظ وحين يكون لدى المخاطب شك في الخبر او عوامل شك او احجام عن قبول الخبر، فان حاله يكون حال طالب يسأل عن صحة الخبر، فيحسن ان يؤتى بالجملة الخبرية مقترنة بما يؤكد صحة مضمون الخبر، وكلما زاد الشك وقويت عوامل رفض قبول الخبر، كان من بلاغة الكلام الخبري زيادة المؤكدات فيه ينظر: البلاغة العربية، حبنكة الميداني، ص١٧٣-١٧٥-١٧٩.

(٤) حكم أحكام القران، الزلمي، ص٣٢ وما بعدها.

ثالثا) مصادر العلماء في كتب التفسير:

لا ريب ان علماء الإسلام وهم يصنفون مصنفاتهم في الأديان، قد استفادوا من كتب التفسير وعلومه التي ألفها العلماء (رحمهم الله)، وقد يصرح البعض من العلماء في مؤلفه في الأديان، انه اعتمد على بعض كتب التفسير في مؤلفه؛ ومن هؤلاء العلماء: الإمام الطوفي[1]، في كتابه الانتصارات الإسلامية في كشف شبهات النصرانية، إذ صرح الشيخ بمصادر التفسير التي اعتمدها في تأليف كتابه الانتصارات، ومنها:

١) جامع البيان عن تأويل أي القران، للطبري[2].

٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،

---

(١) هو الشيخ سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعد بن الصفي، يلقب بنجم الدين الطوفي الصرصي ثم البغدادي فالدمشقي ثم المصري الحجازي فالمقدسي، ولد سنة بضع وسبعين وستمائة على الأرجح بقرية طوفى من أعمال صرصر، له مؤلفات جليلة منا: الاكسير في قواعد التفسير، وإيضاح البيان عن معنى القران، تفسير سورة ق، الانتصارات الإسلامية، توفي سنة ست عشرة وسبعمائة للهجرة الشريفة على الارجح، ينظر: بغية الوعاة للسيوطي، ص٢٦٢، كشف الظنون ١/٥٩، ٧١، ١٤٣.

(٢) وهو محمد بن جرير بن يزيد الإمام أبو جعفر الطبري، من أهل طبرستان، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة، حفظ القران الكريم وعمره سبع سنين، وصلى بالناس وعمره ثمان، وكتب الحديث ولم يتجاوز العاشرة/ وهو من أكابر المفسرين، وتفسيره شاهد على ذلك، ت (٣١٠هـ)، ينظر: البداية والنهاية، ٦/١٤٣، التفسير والمفسرون، ١/٢٠٥.

لأبي القاسم الزمخشري(١).

٣) الجامع لإحكام القران، القرطبي(٢).

٤) الاكسير في قواعد التفسير، للمؤلف نفسه.

ومن العلماء لم يصرح في مؤلفه عن مصادره التفسيرية التي استعملها في تأليفه، بيد ان القارئ يستطيع ان يلمس ذلك جليا عندما يعمد إلى دراسة منهج من مناهج العلماء في مؤلفاتهم.

رابعا: مصادر العلماء في كتب السير:

كتب السير هي إحدى الروافد التي أمدت علماء الإسلام بوقائع الأخبار، خاصة وقد سجلت المناظرات التي وقعت بين النبي(ﷺ)، وبين أهل الكتاب وغيرهم من أهل الديانات، وكذا أخبار كتب دعوة النبي(ﷺ) الملوك والقياصرة وغيرهم إلى الإسلام، وما تمخض عنها، وقد سجلت

---

(١) وهو محمود بن عمر بن محمد بن عمر ابو القاسم الزمخشري الخورازمي النحوي اللغوي، صاحب كتاب الكشاف، والمفصل في النحو، وصاحب البلاغة والتصانيف الكثيرة، وهو من أكابر المعتزلة الذين حكموا العقل، وطاف البلاد في طلب العلم وجاور بمكة مدة ت(٥٣٨هـ) في خورازم، ينظر: البداية والنهاية، ٦/ ٢٠٦. وفيات الأعيان، ٥/ ١٦٨-١٧٤، والأعلام، خير الله الزركلي، ٧/١٧٨.

(٢) ابو عبد الله القرطبي محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الاندلسي القرطبي ، من العلماء العارفين، الورعين الزاهدين، جمع في تفسير القرآن كتابا كبيرا في اثنى عشر مجلدا، سماه كتاب الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، وهو من اجل التفاسير واعظمها نفعا، قال ابن فرحون لم اقف على تاليف احسن منه في بابه، توفي سنة ٦٧١هـ، ينظر الديباج المذهب، ٣٠٩/٢. والاعلام، ٣٢٢/١.

كتب السير في ثناياها من ذلك كثير[1]، وتعد أهميتها واضحة في مؤلفات علماء الإسلام في الأديان وخاصة في موضع المفاضلة بين معجزات الأنبياء ومعجزة النبي(ﷺ)، والحديث عنها على ما نقلته كتب السير. وهي بجملتها أمدت العلماء سيلا وافرا في الأديان.

خامسا: مصادر العلماء في كتب علم أصول الدين:

علم أصول الدين، من العلوم التي تبحث في أصول الاعتقاد، وله تسميات عدة؛ منها:(علم النظر والاستدلال[2]، علم التوحيد والصفات[3]، علم العقائد[4]، علم الكلام[5])، والأصول الاعتقادية وموضوعها، من حيث

---

(١) من تلك الكتب: كتاب السيرة النبوية، لابن هشام توفي(٢١٣هـ)، على الأرجح، وكتاب أعلام النبوة، دلائل النبوة لأبي الحسن الماوردي ت٤٥٠هـ، وكتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ت٥٤٤هـ وكتاب الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، للفقيه أبي القاسم السهيلي ت٥٨١هـ، ، وكتاب البشر بخير البشر لأبي عبد الله محمد ظفر الصقلي المكي ت ٥٦٥هـ، وكتاب أعلام النبوة، دلائل النبوة، لأبي الحسن الماوردي ت٤٥٠هـ، وكتاب الوفاء في فضائل المصطفى(ﷺ)، لأبي الفرج الجوزي ت٥٩٧هـ، وغيرها من الكتب.

(٢) لانه يعتمد منهج النظر الفكري والاستدلال العقلي وسيلة لاثبات اصول العقائد التي ثبتت بالنصوص الدينية.ينظر: اصول الدين، ص١٤.

(٣) لان اشهر مباحثه واهمها واخطرها هو التوحيد والصفالت الالهيةينظر: كتاب اصول الدين، ص١٤

(٤) لانه يتكفل ببحث العقائد الدينية واثباتها بالادلة اليقينية، والدفاع عنها ضد العقائد والافكار المخالفة لهاينظر: اصول الدين، ص١٥.

(٥) وهو اشهر اسمائه، ويعود ذلك لاسباب عدة؛ منها: وقوع الخلاف في مسالة كلام الله هل هو ازلي ام مخلوق، ومنها:ان اصحابه تكلموا فيما كان السلف يسكتون عن=

انه يتعلق به إثبات العقائد الدينية المتعلقة بالله وصفاته وأفعاله، وما يتفرع عنها من مباحث النبوة، والمعاد والغاية منها إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية، وإرشاد المتدينين بإيضاح الحجة لهم، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم، وحفظ قواعد الدين عن ان تزلزلها شبهات المبطلين(١).

وقد أضاف د. سامي النشار تسمية أخرى إلى علم أصول الدين، فسماه (علم الحجاج) عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية(٢)، خاصة وان إحدى وظائفه هي الاحتجاج العقلي على صحة العقائد الإيمانية، ودفع الشبه ورد الخصوم عنها(٣)، وان علماء المسلمين استخدموه في دحض شبهات أهل الكتاب من النصارى، "وهذا العلمهو النتاج الخالص للمسلمين وقد صدر هذا العلم عن بناء المجتمع الإسلامي، وقد كان بالبعض من نزوات حيوية، والبعض منه ثورات حيوية ثم تكون البنيان نهائيا وما لاشك فيه ان المتكلمين وقد كانوا وسط فلسفي، وأمام هجمات فلسفية منتشرة في البلاد التي فتحوها ولكن فقهاء المسلمين لم يوافقوا على هذا المزج، وقاوموه مقاومة عنيفة ان يردوا هذا الهجوم الذي قام به على الإسلام آباء المسيحية أبان ذلك الوقت، وقد بدا آباء الكنيسة منذ دخل المسلمون بلاد المسيحيين يهاجمون الإسلام هجوما عنيفا، ويتكلمون عن

=الخوض في مسائل الاعتقادية ينظر: شرح العقائد النسفية، التفتازاني، ص١٤ وما بعدها.

(١) ينظر: اصول الدين الاسلامي، د. قحطان الدوري، د. رشدي عليان، ص١٦.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص٣٩.

(٣) ينظر: اصول الدين، د. قحطان الدوري، د. رشدي عليان، ص ٢٦.

طبيعة المسيح، وعن الكلمة ومعنى تلك الطبيعة، ومعنى الكلمة في كتابات المسلمين أنفسهم"[1].

ولنأخذ مثالا عمليا نبين من واقعه فوائد مباحث علم الكلام في الحجاج:

تقدمت النصارى بشبهة عظيمة إلى المسلمين، نقلها الإمام القرافي في كتابه الأجوبة الفاخرة. قالوا: لو علم المسلمون مرادنا بالأب والابن والروح القدس لما أنكروا علينا، مرادنا بالأب: الذات، والابن: النطق، الذي هو قائم بتلك الذات، وروح القدس: الحياة، الثلاثة اله واحد، وهذه الثلاث يعتقدها المسلمون وفي أول القران **(بسم الله الرحمن الرحيم)** فاقتصر على هذه الثلاث: الأب والابن وروح القدس ونريد بقولنا: المسيح ابن ولد من الله فلا حدث قبل الدهور، وانه لم يزل ناطقا، ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له، كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص الوالد له، وكما يرى الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له، فتجسم النطق إنسانا من الروح القدس ومن مريم، وولد منها بالطبيعة البشرية لا بالإلهية، فإذا قلنا المسيح: ابن الله تعالى لا نريد بنوة بشرية، وان له ولدا من صاحبة، وقد اثبت القران الولد بمعنى النطق، كقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾[2]، وبسبب تجسم كلمة الله تعالى أنسانا، ان الله لا يخاطب إلا بحجاب، لان اللطائف لا تظهر إلا في

---

(١) نشأة الفكر الفسلفي في الإسلام، النشار، ص٤٥ وما بعدها.

(٢) سورة البلد، الآية (٣).

الكثائف فظهر في الإنسان انه اشرف خلقه، كما خاطب موسى من العوسجة، ففعل المعجز بلاهوته، واظهر المعجزة بناسوته، والفعلان للمسيح كما نقول: زيد ميت بجسده باق بنفسه، ولذلك طلب الناسوت دون اللاهوت، كما ان الحديدة المحماة يطرق حديدها أو يقطع دون ناريتها، وكذلك سمى القران عيسى روح الله وكلمته، واسمه عيسى الخالق واحدا، وهو الأب ونطقه وحياته، ولا يلزم تعددها تعدد الخالقين، كما نقول: الخياط خيَّط الثوب، ويد الخياط خيَّطت الثوب، ولا يلزم ان يقال: خيَّط الثوب خياطا، بل خياط واحد، كذلك قولنا الله وروحه وكلمته اله واحد، ولا يلزمنا ان عبدنا ثلاثة، كما لا يلزم إذا قلنا عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناس[(١)].

وهذا فهمهم السقيم، ومبلغ جهالتهم، ولم يحد أسئلتهم الطاعنة حدا، ولم ينتهوا عما نهوا عنه من قول عظيم على الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا، والناظر في هذه الشبهة، وكذلك في شبهاتهم الأخرى المتناثرة في كتبهم، ليجد أنها غلب عليها طابع جدلي سفسطائي، يعلوها رواسب فلسفات قديمة كاليونانية والفارسية وغيرها.

ونستطيع ان نجمل فحوى الشبهة المذكورة في المثال أعلاه في المحاور الآتية:

١) استخدم النصارى القياس.

٢) التوحيد بالتثليث والتثليث بالتوحيد.

---

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، ص٥٩ وما بعدها.

٣) بنوة المسيح وولادته من الله تعالى بلا حدث.

٤) تجسيم الكلمة.

رد الشبهة:

رد الشبهة المذكورة الإمام القرافي، وبيانه:

"ان الله تعالى عندنا في البسملة معناه الذات الموصوفة بصفات الكمال ونعوت الجلال، وأما (الرحمن الرحيم)، فهما وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته، فان صفات الله تعالى منها سلبية[1] نحو (الأزلي) أي لا أول له و(الصمد)؛أي لا جوف له، ومنها ثبوتية قائمة بذاته وهي سبع:

---

(١) الصفات السلبية: وهي خمس: (القدم، والبقاء والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية)، وليس المراد بكونها سلبية انها مسلوبة عن الله ومنفية عنه، والا لزم ان يثبت له الحوادث وطرو العدم ومماثلة الحوادث، بل المراد بكونها سلبية ان كل واحدة سلبت امرا لا يليق به جل وعز، **فمعنى القدم** في حقه تعالى بمعنى الازلية، التي هي وجوده غير مستفتح، او ان الله غير مسبوق بالعدم فالله ليس له بداية واما **الوجود** فان الله تعالى ابدي. ليس لوجوده آخر، فيستحيل ان يلحقه العدم والفناء واما **مخالفته للحوادث** فان الله تعالى ليس مماثلا من الحوادث الموجودة والمعدومة مطلقا واما **القيام بنفسه** فمعناه هو عدم افتقاره للمحل، والمحل هو الذات التي يقوم بها وكذا عدم افتقاره إلى المخصص أي الموجدو اما **الوحدانية** فهي عدم التعدد في الذات او الصفات او الافعال والصفات السلبية الخمسة اتفق العلماء على القول بها ينظر: شرح الخريدة البهية، وحاشية الصاوي عليها، ص٥٨، ٧٦، ٧٧، وشرح الباجوري على جوهرة التوحيد١/ ٤٧- ٤٨-٥٠المسامرة بشرح المسايرة، لابن ابي شريف القدسي، ت ٩٠٦، ص٢٢.

١) العلم[١].

٢) الإرادة[٢].

٣) القدرة[٣].

٤) الحياة[٤]

٥) الكلام[٥].

٦) السمع.

٧) البصر [٦].

---

(١) العلم: هو صفة ازلية تتكشف المعلومات عند تعلقها بها ينظر: شرح العقائد النسفية، ص٧٥.

(٢) الإرادة: صفة ازلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من وجود أو عدم، ومقدار وزمان ومكان وجهة ينظر: شرح الدردير على الخريدة، ص٧٨.

(٣) القدرة: هي صفة ازلية يتأتّى بها ايجاد كل ممكن وإعدامه ينظر: المصدر نفسه ص٧٨.

(٤) الحياة: صفة ازلية توجب صحة العلم والارادة وباقي صفات المعاني والمعنوية، وليس معنى الحياة في حقه تعالى، وما يقوله الطبيعي من قوة الحس ولا قوة التغذية ولا القوة التابعة للاعتدال النوعي ينظر: المصدر نفسه ص٧٨، المسامرة، ص٦٢.

(٥) الكلام: صفة تدل على جميع المعلومات، وسنفصل القول في كلام الله في الفصل الرابع ص (٣١٢).

(٦) السمع والبصر: هما صفتان ازليتان، فالسمع هو ادراك كل مسموع وان خفي والبصر هو ادراك كل مبصر وان لطف ينظر: الباجوري على جوهرة التوحيد، ٦٦/١، المسامرة، ص٦٨.

ومنها فعلية خارجة عن ذاته تعالى يستحيل قيامها به، نحو الرزق والهبات والخلق والإحسان فسميت (الرزاق)، (الوهاب)، (الخالق)، (المحسن) باعتبار أفعاله، لا باعتبار صفة قديمة بذاته"[١].

وبعد هذا التحقيق فيعد قياسهم باطل، وشتان مابين معتقد الإسلام، والمعتقد المسيحي، وجملة إجابة القرافي (رحمه الله)، فقد استعمل مباحث علم الكلام في بيان حقيقية مسألة المعتقد الإسلامي وفي أي جانب يجب ان يفهم، فقد ذكر القرافي الصفات، كما هو معلوم في تقسيم العلماء المتكلمين، الصفات السلبية؛ وهي خمس: (القدم، البقاء، المخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، الوحدانية)، وليس المراد بكونها سلبية إنها مسلوبة عن الله تعالى، ومنفية عنه، وإلا لزم ان يثبت له الحدوث وطرأ العدم، ومماثلة الحوادث، بل المراد كونها سلبية؛ ان كل واحدة سلبت (نفت) أمر لا يليق به (عز وجل)، فالقدم سلب لأولية الوجود، والبقاء سلب لاخرية الوجود وهكذا، والحق ان الصفات السلبية لا تتحصر في هذه الخمسة، إذ من جملتها: انه لا ولد له، ولا زوجة، ولا بسيط، ولا مركبا، ولا في مكان، ولا في زمان ولا جهة، وغير ذلك، ولأنها اقتصر على هذه الخمسة لأنها أمهاتها.

---

(١) الأجوبة الفاخرة، القرافي، ص٦١.

وإذا ما غادرنا القرافي في محاجة القوم وقد نقلنا بعض إجابته عن الشبهة وانتقلنا إلى المدرسة المعتزلية[١] فنجدهم أنهم قد سبقوا القرافي وأقرانه في حجاج القوم، يقول النشار: "قاوم المعتزلة الأولون المسيحية مقاومة شديدة من ناحية عقلية، وقد تطور هذا النوع في المدرسة المعتزلية، فكان من تقاليدها ان تعرض لآراء مخالفي الإسلام، وبخاصة المسيحية، فتعرض مذاهبهم في أمانة نادرة ثم تناقش هذه المذاهب واحدا واحدا"[٢].

لذا وجدنا في مؤلفات شيوخ المعتزلة أبوابا ضمنية في حجاج القوم[٣]، ومنفردة، وهي بجملتها أصبحت رافدا علميا لعلماء الإسلام الذين تصدروا إلى ردود أهل الكتاب.

---

(١) تعد فرقة المعتزلة من طلائع الفرق الإسلامية التي اشتغلت بعلم الكلام ظهرت في أخريات القرن الأول الهجري، يرجع اسمها إلى اعتزال امامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري، لقول واصل بان مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا بل منزلة بين المنزلتين، وكان ظهورها ضرورة تاريخية اقتضتها حركة الحشو والتجسيم وهكذا حظى المعتزلة بتأييد خلفاء بني العباس من أيام المأمون إلى عهد المتوكل، وكانت بغداد عاصمة الخلافة العباسية، مقرا لمدرستهم طوال فترة مديدة، إذ انتشرت حركتهم انتشارا سريعا، وانضوى تحت لوائهم عدد كبير من نخبة العلماء، وفي هذا العصر تكونت للمعتزلة مدرستان كبيرتان مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ينظر: دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية، د. محمد الانور السنوتي، دار الثقافة العربية، القاهرة، ص١٣٥ وما بعدها.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، النشار، ص ٩٢.

(٣) من تلك الكتب: المغني، للقاضي عبد الجبار، تحقيق محمد الحصري ٥/٨٠- ١٥١.

سادسا: مصادر العلماء في كتب الأدب العربي والإسلامي:

وقد كان لهذه الكتب والرجوع إليها اثر واضح في تهذيب لغة العلماء، وجمالها، وبديعها؛ وهم يستخدموا أبيات الشعر المعبرة، والحكم البليغة، والأمثال السائرة، حجة لتأكيد رأيهم، ولبيان أفكارهم[1]، ونذكر من هؤلاء العلماء الذين استخدموا الشعر في مؤلفاتهم، الإمام ابن حزم في معرض حديثه عن تكذيب التوراة؛ يقول ابن حزم: "وكذبات لآخر، وهي بطلان بركة إسحاق، إذ قال لك (تخدمك الأمم)، وتخضع الشعوب وتكون مولى إخوتك، ويسجدون بنو أبيك، وقوله لعيسى(ولأخيك تستعبد)، وهذه كذبات متواليات والله ما خدمت الأمم قط (يعقوب) ولا بنيه بعده ولا خضعت لهم الشعوب، ولا كانوا موالي إخوتهم، ولا سجد لهم ولا له بنو أبيه، بل بنو إسرائيل خدموا الأمم في كل بلدة، وفي كل امة، وهم خضعوا للشعوب قديما وحديثا في أيام دولتهم وبعدها، فان قالوا سيكون هذا قلنا لهم:

قد حصلتم على الصّغار قديما والأماني بضائع السخفاء

هيهات:

تَرجّى ربيع ان ستحيا صغارها بخيّر وقد أعيا ربيعا كبارُها[2]

---

(١) ينظر: نصيحة الملوك، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ت٤٥٠هـ، تحقيق محمد جاسم الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٨ وما بعدها. وذكر المحقق فيها مصادر الماوردي في كتابه نصيحة الملوك.

(٢) الفصل، ابن حزم، ١/١٦٥.

وفـي نفس الموضـع عـن انتظـار الأمـم لمخلصـيها؛ يقـول: "فـإنهم ينظرون من العودة، ويمنون أنفسهم من الرجعة بمثل ما تمنى بـه بنـو إسرائيل أنفسهم، ويذكرون في ذلك مواعيد كمواعيدهم، فأمل كأمل، ولا فرق، كانتظار مجوس الفرس (بهرام هماونذ) راكب البقر وانتظار النصارى الذين ينتظرون في السحاب، وانتظار الصابئين.

تمـــنَّ يلـــذ المســـتهام بمثلـــه وان كـان لا يغنـى فتيلا ولا يجدى
وغيظ من الأيام كالنار في الحشا ولكنَّـه غيط الأسير علـى القِـدِّ[1]

ومن العلماء الذين استعملوا الشعر الشيخ ابن تيمية، وفي معرض حديثه عن الاتحاد والحلول عند النصارى، يقول ابن تيميه: "وعندهم ان الله يحل في الصالحين، وهذا مذكور عندهم في بعض الكتب الإلهية، كما في كتبهم في المزمور الرابع من الزبور، يقول داود (عليه السلام) في مناجاته لربه، وليفرح المتوكلون عليك إلى الأبد، ويبتهجون، وتحل فيهم، ويفتخرون، فاخبر انه يحل في الصالحين المذكورين وليس المراد بهذا باتفاقهم، واتفاق المسلمين ان ذات الله نفسه تتحد بالبشر ويصير اللاهوت والناسوت كالنار والحديد والماء واللبن، ونحو ذلك مما يمثلون به الاتحاد وعند أهل الحلول والاتحاد العام أو الوحدة هو؛ صدره وبطنه وظهره، ورأسه وشعره، وهو كل شيء أو في كل شيء قبل التقرب وبعده، وعند الخاص، وأهل الحلول وسار هو وهو كالنار والحديد واللبن ثم قال تعالى:" فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يمشي وعلى قول هؤلاء، الرب الذي يسمع

---

(١) الفصل، ابن حزم، ١/١٦٥.

ويبصر ويبطش ويمشي[1] ثم يعمد بعد ذلك بالاستشهاد بالشعر فيقول ومنه قول القائل[2]:

مثالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب

وقول الآخر[3]:

ومن عجبي اني أحسن إليهم واسأل عنهم من لقيت وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقول الآخر[4]:

إذا سكن الغدير على صفاء وجنب ان يحركه النسيم

بدت السماء بلا امتراء كذلك الشمس تبدو والنجوم

كذاك قلوب أرباب التجلى يرى في صفوها الله العظيم

---

(١) رواه البخاري، في كتاب الرقاق، باب التواضع(٣٨)، ٤١٥/١١. رقم الحديث (٦٥٠٢)، والحديث مروي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله(ﷺ)، قال الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضه عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وان سألني لأعطيه، ولئن استعاذني لاعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءلته".

(٢) الجواب الصحيح، ابن تيميه، ٤٦٩/١.

(٣) المصدر نفسه ٤٧٠/١.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٤٧٢.

ومن العلماء الذين استعملوا الشعر في مؤلفاتهم في الأديان، الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه هداية الحيارى، وفي معرض حديثه عن نصرة الله تعالى، فيقول: "فمجادلة الكفار بعد دعوتهم إقامة للحجة، وإزاحة للعذر ليهلك من هلك عن بينة، ويحي من حي عن بينة والسيف، إنما جاء منفذا الحجة مقوما للمعاند، وحدا للجاحد، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1]. فدين الإسلام قام بالكتاب الهادي.

فما هو الا الوحي أوحد مرهف	**يقيم ضُباه اخدعي كل مائل**
فهذا شفاء الداء من كل عاقل	**وهذا دواء الداء من كل جاهل[2]**
كذاك قلوب أرباب التجلى	**يرى في صفوها الله العظيم**

وفي موضع آخر من كتابه، في بيان بشارة المسيح (عليه السلام) بوصف محمد(ﷺ)، يقول ابن قيم الجوزية: " فان معنى في الفارقليط ان كان الحامد والحماد والمحمود، فهذا الوصف ظاهر في محمد(ﷺ)، فانه

---

(١) سورة الحديد، الآية (٢٥).

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق، تأليف العلامة عبد الرحمن الباجه جي زادة، مراجعة عبد المنعم درويش، مطابع البيان التجارية، دبي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ذيل هداية الحيارى، ص٢٨٠.

وأمته الحمادون الذي يحمدون الله على كل حال، وهو صاحب لواء الحمد، والحمد مفتاح خطبته، ومفتاح صلاته، ولما كان حمادا سمي بمثل وصفه، فهو محمد وزن مكرم، ومقدس ومعظم، وهو الذي يحمد أكثر ما يحمد غيره، ويستحق ذلك فلما كان حمادا لله كان محمدا(١):

اغــرَّ عليــــه للنبــوة خـــاتم ... مــن الله ميمــون يلــوح ويشــهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذ قال في الخمس المؤذن اشهد

وشــق لـــه مــن اســمه ليجلـــه ... فذو العرش محمود وهذا محمد

سادسا: مصادر العلماء في كتب التاريخ:

لا ريب ان المكتبة العربية والإسلامية غنية بالكتب والمؤلفات، وقد بلغت الكتب التاريخية فيها حدا يتعذر إحصاءها، ذلك لان علم التاريخ عند العرب يمتاز، بأن "المادة التي جمعها مؤرخو السيرة النبوية الشريفة، والإخباريون، والنسابون، واللغويون المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها المؤرخون العرب في العصر العباسي، وأفادوا من كتبهم التاريخية وصاغوها بأشكال مختلفة فلم تقتصر كتب التاريخ على الساسة، وحياة الخلفاء والأمراء والخاصة من الناس، وانما تناولت حياة عامة الشعب، ومختلف نشاطاتها الاجتماعية، والاقتصادية، والروحية"(٢).

---

(١) ذيل هداية الحيارى، ص٣٧٧.

(٢) المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، د. إبراهيم الكروي، د. عبد التواب شرف الدين، ط/٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م، ط(٢)، ص٢٧٣.

ولا ريب ان علماء الإسلام في مؤلفاتهم في الأديان، قد أفادوا من ذلك التراكم الثري القيم والضخم. وبقى لنا مصدر أخير نعتقده من المصادر المهمة التي رفدت العلماء في الأديان، الا وهو رحلات الرحالة، إذ ارتحل بعض من علماء الإسلام إلى مناطق عدة من العالم، وتعرفوا على عقائد القوم وثقافتهم في المدن التي زاروها، ومن هؤلاء العلماء المسعودي، الذي "بدا رحلته الأولى بعد الثلاثمائة للهجرة كما تشير المصادر فنراه في بلاد المولتان وفي هذه المدينة كما يقول فيها صنم كبير مشهور (لعله احد أصنام بوذا) يقصده السند والهند من أقاصي بلادهم بالنذور، والأموال، والجواهر – والعود، وأنواع الطيب، ويحج إليه الألوف من الناس، وأكثر أموال صاحب المولتان ما يحمل إلى هذا الصنم"[(١)].

وزار المسعودي في رحلاته بلاد فارس، والهند، والمحيط الهندي، وسيلان، وبلاد الشام، ومصر وشرق أفريقيا، ومناطق الخزر، والبحر الأسود، ولربما الصين، مستعرضا أحوال الشعوب، سائلا عما تقع عليه عيناه، مصححا أخطاء من سبقه من العلماء، مدونا معتقدات الشعوب، ودياناتها، وشعائرها، ويؤلف ما استمده المسعودي من رحلاته هذه جانبا مهما من المعلومات التي وردت في مؤلفاته، الأمر الذي يجعل هذه

---

(١) منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، د. هادي حسن حمودي، ص١٥ وما بعدها، نقلا عن مروج الذهب، للمسعودي، ١/ ١٨٩.

المؤلفات فريدة في بابها من حيث انها جاءت بكثير من المعلومات التي لم تكن معروفة في العالم الإسلامي حينذاك(١).

المطلب الثاني: المصادر غير الإسلامية:

ونقصد بالمصادر غير الإسلامية، هي الكتب المقدسة لدى أهل الديانات كاليهود(٢)، ....

(١) منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، د. هادي حسن حمودي، ص١٥ وما بعدها، نقلا عن مروج الذهب، للمسعودي، ص٣١.

(٢) **أما الكتب المقدسة لدى اليهود** التي تعد مصادر فكرهم وعقيدتهم وشريعتهم، فهي:

أولا: العهد القديم:

وهي التسمية العلمية لإسفار اليهود، وهي مجموعة أسفار لا تتساوى في الطول، وتختلف في النوع كتبت هذه الأسفار على مدى يربو على تسعة قرون، وبلغات مختلفة، ،اعتمادا على التراث المنقول شفويا، وأكملت أكثرية هذه الأسفار بسبب أحداث حدثت أو بسبب ضرورات خاصة، وفي عصور متباعدة أحيانا، وتشير المصادر إلى ان أول من أطلق لفظ (العهد القديم) هو بولص الرسول بإرساله رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس، إصحاح٢/١٤، ويقسم العهد القديم إلى ثلاثة أقسام:

أ) **التوراة:** التي تضم الأسفار الخمسة، سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد، سفر التثنية.

ب) **الأنبياء:** ويتألف من واحد وعشرين سفرا، منها ستة عشر، تسمى أسفار الأنبياء الأول، وتبحث في تاريخ أتباع موسى (عليه السلام) بعد وفاته إلى خراب الهيكل واروشليموبلي هذه الأسفار أسفار الأنبياء الآخرين وعددها خمسة عشر سفرا.

ت) **الكتب والصحف:** وهو القسم الثالث من العهد القديم، ويعنى بالحكم والأمثال والمزامير، والأخبار التاريخية الخاصة باليهود، وبعد خراب الهيكل، وعدد هذه الصحف سبع كبيرة، وخمس صغيرة. ويطلق على العهد القديم مصطلح (تناخ)، وهو مأخوذ من الحروف الأولى لأقسام الكتاب الثلاثة وهي: التوراة، والأنبياء، والكتب والصحف.=

والنصارى[1]..

=ينظر: اليهود، د.احمد شلبي ٢٣٨/١ وما بعدها، دراسة الكتب المقدسة، موريس بوكاي ص٢٣ وما بعدها، مقارنة الأديان، د. رشدي عليان، د. سعدون الساموك، ص٢٥ وما بعدها، نقلا عن كتاب تاريخ الإلهة/الكتاب الثالث، في الديانة اليهودية، فاروق الدملوجي، بغداد، ١٩٥٤م، ص٤٠٩وما بعدها. ***وللتوسع*** ينظر: تاريخ سورية الدنيوي والديني، يوسف اليأس الدبس الماروني، المطبعة العمومية الكاثوليكية المارونية بيروت، ١٨٩٣هـ/١٩٠٥م، وكتاب التوراة الهيروغليفية، فؤاد حسنين علي، دار الكتاب العربي القاهرة مفصل العرب واليهود في التاريخ د. احمد سوسة، دار الحرية، بغداد، قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص من اللاهوتيين، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧١م.

ثانيا: ومن الكتب المقدسة (التلمود): سنقف على بيانه في الفصل الثالث ان شاء الله تعالى، ينظر: ١٦٦. ١٦٨.

ثالثا: ومن الكتب المقدسة (القبالة والزوهار): ومعنى القبالة في اللغة العبرية (التراث) من القبول، وكان يقصد بها التراث الشفوي المتناقل لليهودية، فيما يعرف باسم الشريعة الشفوية، أما الزوهار من أهم كتب التراث القبالي على الإطلاق، وهي عبارة عن تعليق صوفي مكتوب بالآرامية والعبرية على المعنى الباطني للعهد القديم، ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية عبد الوهاب المسيري، ٢٠٦-٢٩٠، والموسوعة الفلسطينية، عبد الرزاق اسود، الدار العربية للموسوعات، ١٩٧٨م، ص٩٧.

(١) **وأما كتب النصارى المقدسة، فتتمثل بما يأتي:**

أولا: العهد القديم: وقد تم الإشارة إليه في الهامش رقم (٢). وقد جعل النصارى من العهد القديم القسم الأول من كتابهم المقدس، ويرجع ذلك حسب المعتقد المسيحي. ان الله تعالى اخذ من الإنسان ميثاقين؛ احدهما: الميثاق القديم ويعود إلى الأنبياء قبل عيسى (عليه السلام)، وقد بين سبيل النجاة من خلال الوعد والوعيد (القانون والشريعة)، والآخر: الميثاق الجديد الذي بدأ بظهور المسيح (عليه السلام).=

=**<u>ثانيا: العهد الجديد</u>:** ويحوي هذا القسم على علاقة العقيدة الجديدة التي جاء بها السيد المسيح، ويعتقد الكثير من المسيحيين بان رسالة السيد المسيح موجودة بنصها فيه، وان كان قد روي عن طريق أشخاص روحانيين لهم كرامتهم وينقسم هذا الكتاب إلى =أناجيل أربعة قانونية، وشرعية، وكان مؤتمر نيقيه المنعقد سنة ٣٢٥م، قد أمر هذه الأناجيل وحرم على ما يربو على الثلاثمائة إنجيل آخر، ويتكون الإنجيل من سبعة وعشرين سفرا، ويمكن وضعها في ثلاثة أقسام:

١) **قسم الأسفار التاريخية:** ويشمل هذا القسم خمسة أسفار هي الأناجيل الأربعة (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، ثم رسالة أعمال الرسل التي كتبها لوقا، وسميت الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية، لأنها تحوي قصصا تاريخية، فالأناجيل تحوي قصة المسيح وتاريخه، وعظاته، ومعجزاته، ورسالة أعمال الرسل تحوي على قصة حياة معلمي المسيحية، وبخاصة بولس. وسنتعرض الى دراسة الاناجيل وبيانها في الفصل الرابع ان شاء الله تعلى، ينظر:٢٦٩-٢٧٧.

٢) **قسم الأسفار التعليمية**، وتشمل إحدى وعشرين رسالة، وتتوزع الرسائل بين كتابها، كالآتي: (١٤) رسالة من كتابة بولس، وبعضها محدد التاريخ، وهي جميعا كالآتي: رسالتان إلى أهل تسالونيكي سنة(٥٤)، رسالته الأولى إلى كورنثوس سن (٥٥)، رسالته إلى أهل روما سنة (٥٦) أو (٥٧)، رسالته إلى أهل افسس، فيليب سنة (٦٢) أو (٦٣)، ثم رسالته إلى أهل غلاطية، ورسالتان إلى تلميذه تيموثاوس ورسالة إلى تيطس، ورسالة إلى فيليمون، ورسالة إلى العبرانيين، ورسالة إلى أهل كورنثوس. و(٣) رسائل من كتابة يوحنا، (٢) رسالتان من كتابه ة بطرس، (١) رسالة واحدة كتابة يعقوب، (١) رسالة واحدة من كتابه يهوذا، ،يتضح من هنا ان أكثر الرسائل هي رسائل بولس، ويتضح بالتالي ان بولس وضع أكثر التشاريع المسيحية.

٣) <u>رؤيا حنا اللاهوتي:</u> وتسمى رؤيا لأنها أشبه بالأحلام، ولكن يوحنا رآها في اليقظة وكأن يوحنا أراد ان يظهر بها سلطان المسيح بعد رفعه، وصلته الدائمة بالكنائس. ينظر: دروس في تاريخ الأديان، حسين توفيقي ١٦٨-١٧٢، مقارنة الأديان، المسيحية، د. احمد شلبي، ٢٠٤-٢٠٦، تاريخ الديانتين، رشدي عليان، وسعدون=

والصابئة(1)...

=السـاموك ص١٤٢-١٤٦.**وللتوسـع**، ينظر:الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الرزاق وافي، القاهرة، ١٩٧١م، محاضرات في النصرانية محمد أبو زهرة، ودراسة الكتب المقدسة، موريس بوكاي، دار الأفكار، والمسيح في مصادر العقائد المسيحية، العميد احمد عبد الوهاب، القاهرة ١٩٧٨م.

(١) **أما الكتب المقدسة لدى الصابئة**، فهي: كتاب (الكنزاريا)؛ أي الكنز العظيم، الكتاب الأعظم عند الصابئة، الذي يعتقدونه بأنه صحف نزلت على ادم، وشيت، وإدريس، ونوح، بواسطة جبريل (عليه السلام)، والكتاب عبارة عن مجموعة كتب أو صحف، وقد نزل بعضها على يحيى (عليه السلام)، بشهادة القران الكريم﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾: مريم:١٢، وقد احتوت على بعض الكتب المقدسة الأخرى بين دفتيه، وفي تسمية اليمين واليسار وهذه الكتب هي:

١) كتاب سيدره وفيه مسائل التعميد، والدفن، والحداد، وانتقال الروح من الجسد إلى الأرض إلى عالم الأنوار.

٢) كتاب النياني، ترتيل وأناشيد.

٣) القلستا: أصول الزواج.

٤) ترسوا لف شياله، أي كتاب الاثنى عشر ألف سؤال.

٥) ألمه رشايه، العالم الرئيس، تكوين العالم. وهكذا إلى آخر كتاب المرقم أربعة عشر، الذي فيه شرح بارونا، أي شرح إقامة الأقداس على أرواح الموتى، ينظر: الصابئة، غضبان رومي، مطبعة بغداد، ١٩٨٣م، ص١١٧ وما بعدها. وللتوسع: في تفاصيل الكتب المقدسة لدى الصابئة، ينظر: الصابئة الأقدمون، عبد الحميد أفندي، بغداد ١٠٢٧م ط(١)، ص١٢، العقائد والأديان، عبد القادر صالح، دار المعرفة، بيروت، ص١٩٠. والصابئة المندائيون، ليدي دراوور، ترجمة غضبان رومي، نعيم بدوي، ص٦٩. الصابئة قديما وحديثا، عبد الرزاق الحسني، مطبعة القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٣١م.

والأديــان القديمــة[1]. وغيرهــا مــن الكتــب التــي لهــا القدســية والاحتــرام عنــد القــوم، وقــد عمــد علمــاء الإســلام إلــى دراســتها،

(١) أما المصادر المقدسة لدى الأديان القديمة، (الهندوس، البوذية، والجينية):

أولا: الكتب المقدسة عند البوذية: وهي كتب ليست منزلة، ولا يدعون أصحابها ذلك، بل هم لا ينسبون ما فيها إلى جانب الهي، وهي عبارات منسوبة إلى بوذا أو حكاية لأفعاله أو نقل لما اقره من أعمال أتباعه، ونصوص تلك الكتب مختلفة بسبب انقسام البوذيين في نحلهم، فبوذيو الشمال لديهم نصوص ليست عند أهل الجنوب، وأكثرها قد اشتمل على أوهام كثيرة تتعلق ببوذا، أو حلول الآلهة فيه، وتنقسم تلك الكتب إلى ثلاثة أنواع:

أولها: يشتمل على مجموعة قوانين البوذية، ومسالكها، وقد جمعت على تلك المجموعة سنة (٣٥٠) ق.م، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

قسم يحوي العقوبة المفروضة على ما يقع من البوذي من ذنوب ومخالفات، ويحوي نحو سبع وعشرين ومائة فقرة، **وقسم يحوي** التعاليم التي يجب لتربية النفس على ما يدعو إليه البوذيون، وفيه قرارات المجالس البوذية التي انعقدت فيما بين سنة ٣٨٠- ٣٢٠ ق.م، **وقسم فيه** خلاصة القسمين الماضيين ليكون في متناول الجماهير.

ثانيها: مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا، ووصاياه هي مجموعات مختلفة تضم كل مجموعة طائفة من المسائل المتقاربة في الفكر.

ثالثها: الكتاب الذي يحوي بيان أصل المذهب والفكرة التي نبع منها، وبعبارة أدق فيه الفلسفة التي قامت عليها الديانة البوذية، والأصل الذي استنبطت منه تعاليمها، وفيه بحوث تدور حول الخير والشر واللذة والألم.

ينظر: مقارنات الأديان، الديانات القديمة/ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص٧٨ وما بعدها، واديان الهند الكبرى، احمد شلبي ص١٨٥ وما بعدها.

ثانيا: الكتب المقدسة لدى الهندوس: وان مصدر تقديس الكتب عند الهندوس، فليس لأنها موحى بها من الله فهي لم يوح بها،بل لا يعرف لأكثرها واضع معين،وإنما اشترك في=

دراســـة تحليليـــة وموضـــوعية، ووضـــع المقارنـــات العلميـــة لهـــا، ومن ثم نقدها نقدا موضوعيا.

=تأليفها عدد كبير من الناس على مر القرون، وليس مصدر التقديس إبداعها في الفكرة أو الأسلوب، فكثيرا ما شملت هذه الكتب أفكار بدائية، وأساليب ركيكة، بل ان هو مصدر تقديس هذه الكتب هو على الاتجاه الروحاني لدى الفكر الهندي، والموافقة على تاليه أي كائن أوتقديس أي كتاب دون الحاجة إلى ابداء الأسباب، ومن الناحية العملية كان مصدر هذه الكثرة تفسير كتاب (الويدا) الذي يعد أعظم الكتب المقدسة لدى الهندوس، فالفت كتب كثيرة لشرحه وتفسيره، وعدَّها الهندوس مقدسة ومرت قرون أخرى، فاحتاجت هذه الشروح إلى شروح جديدة، وإضافات فكتبي كتب أخرى، واستساغ العقل الهندوسي ان يجعلها مقدسة أيضا وهناك أربعة كتب أخرى تعد في القسة بين كتب الهندوس المقدسة رهي: **(مهابهارتا. كيتا. يوجاراسستها. رامايانا)**.

ينظر: أديان الهند الكبرى، د. احمد شلبي، ص٧٣ وما بعدها.

__ثالثا: كتب الجينية المقدسة__: المصادر المقدسة لدى الجينية هي خطب (مهاويرا)، ووصاياه، ثم الخطب والوصايا المنسوبة للمريدين والعرفاء الرهبان والنساك الجينيين، وانتقل هذا التراث المقدس من جيل إلى جيل عن طريق المشافهة، ثم خيف ضياع هذا التراث أو ضياع بعضه أو اختلاطه بغيره، فاتجهت النية إلى جمعه، وكتابته، واجتمع زعماء الجينية في القرن الرابع قبل الميلاد في مدينة (باطلي بترا) وتدارسوا هذا الأمر، وجمعوا بعض هذا التراث في عدة أسفار ومن أسفار هذا التراث:

١) الياقوتة الأولى: الاعتقاد الصحيح: وهو رأس النجاة، ويقصدون به الاعتقاد بالقادة الجينيين الأربعة والعشرين، فان ذلك هو المنهج المعبد والصراط السوي
٢) الياقوتة الثانية: العلم الصحيح، ويقصد به معرفة الكون من ناحيته المادية والروحية، والتفريق بين هذه وتلك، وتختلف درجة لمعرفة باختلاف قوة البصيرة، وصفاء الروح.

المبحث الثالث

سمات مناهج علماء الإسلام في دراسة الأديان

امتازت مناهج علماء الإسلام بأدق المعايير العلمية وفق القواعد المنهجية، وقد تتنوع المناهج حسب تنوع أنظار العلماء، وحسب القواعد العلمية التي يتخذها العالم لمنهجه، وتتجلى تلك المناهج بما يأتي:

المطلب الأول: المنهاج[1] البحثي والمنهاج التطبيقي:

أولا: المنهاج البحثي:

التفت طبيعة مناهج العلماء حول مسالك متنوعة، أفرزت عنها مناهج متعددة في حجاج المسائل العقدية في الأديان وأصولها، وقد سار هذا التنوع، في توظيف وتوجيه الفكر حيال تلك القضايا، والمسائل.

وإذا ما تتبعنا ذلك التنوع فانه يسير وفقا لثلاثة مناهج:

١) المنهج العقلي؛ الذي طوي تحت أجنحته دراسة المسائل العقدية في الأديان جملة وتفصيلا، وإخضاع تلك المسائل تبعا للدليل العقلي. وقد يتمثل أصحاب هذا المنهج بمدارسهم العقلانية، المعروفة باسم: (المدارس الكلامية)، ولعل مدرسة المعتزلة من المدارس التي نطقت

---

(١) المنهاج في اللغة: يعني الطريق الواضح، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة: من الآية (٤٨)، وانهج الطريق وضح واستبان، وصار نهجا واضحا بينا، ينظر: لسان العرب، ٧٢٧/٣، وفي الاصطلاح، هو الطريقة التي ينتهجا الباحث في الوصول إلى المعرفة، باسلوب علمي يخضع للتقصي الدقيق والنقد ينظر: منهج التفسير التحليلي، محمد صالح، ص١١.

بهذا المنهج، وكان لها دور عظيم في مناقشة مسائل الإلوهية عند أهل الكتاب، ولاسيما النصارى، وكذا مدرسة الاشاعرة(١) التي لها دورها البارز أيضا، ولا تقل أهميتها عن سابقتها، وجملة جهودهم فإنهم حققوا انتصارا عظيما في مناظراتهم مع أهل الحجاج من أهل الكتاب، ومن أشهر أعلامهم؛ القاضي عبد الجبار، والقاضي الباقلاني وغيرهما من علماء المدرستين.

غير ان المنهج العقلي لم يقتصر على المدارس الكلامية فحسب، بل كثير من العلماء استعملوا المنهج العقلي في موضوعات الحجاج، لما له من آثار عظيمة في تحقيق البيان الشافي في عقائد القوم. والحق ان أسلوب المنهج العقلي مستقاة أصوله من المنهج القرآني في الدعوة، وقد وجهه القران الكريم خطابه لأهل الكتاب وغيرهم من أهل الديانات للنظر السديد في دعواهم وعقائدهم، ونذكر بعض الشواهد في هذا المقام:

أ) قول اهل الكتاب من اليهود والنصارى، بيهودية او نصرانية في إبراهيم وبقية الأنبياء(عليهم السلام)، ولنتأمل ذلك في قول الحق:

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ

---

(١) تنسب مدرسة الاشاعرة إلى مؤسسها أبي الحسن الأشعري، وكان مولده بالبصرة سنة (٢٦٠هـ)، وإقامته في بغداد وظل بها، وهو احد الائمة الاعلام والمفكرين الذين نذروا انفسهم لخدمة العقيدة الاسلامية، فاصبح امام السنة والجماعة، ت سنة (٣٢٤هـ)، على اصح الراويات، ينظر: تاريخ بغداد، أبو بكر احمد بن علي المعروف بابن الخطيب ت ٤٦٣هـ، طبعة المثنى، ١١/٣٤٧.

مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[1]، ثم وجهه نظرهم ليحتكموا إلى العقل، ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[2]، ثم بعد توجيه نظرهم إلى تلك المقدمات، بين لهم القول الفصل في إبراهيم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[3]، ثم جاءت الحقيقية الإخبارية: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[4]."

فإبراهيم سابق على التوراة، وسابق على الإنجيل، فكيف أذن يكون يهوديا؟ أو كيف يكون نصرانيا؟ إنها دعوى مخالفة للعقل تبدو مخالفتها بمجرد النظرة الأولى للتاريخ"[5].

ب) دعواهم ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ ﴾[6]. ثم رد قولهم: ﴿ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٠).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٦٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٦٥).

(٤) سورة آل عمران، الآية (٦٧).

(٥) في ظلال القران، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ط(٨)، ٤١١/١.

(٦) سورة البقرة، من الآية (١١١).

﴿صَٰدِقِينَ﴾[1]. فطالبهم (عز وجل) الحجة والبرهان على دعواهم، لذا فإنهم لا يملكون على دعواهم سوى الأماني التي اقنعوا بها أنفسهم.

ت) دعواهم: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗ﴾[2]، فرد الله تعالى قولهم: ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[3]، ليصرف عقولهم نحو زاوية تصويب الدعوى، وتحقق ذلك بمطالبة البرهان، لان الجنة والنار من مسائل الغيب لا بد من نصوص إلهية تكون فيصلا في المسألة. فكان رد الله تعالى عليهم "تبكيت لهم وتوبيخ والعهد مجاز عن خبره تعالى أو وعده بعدم مساس النار لهم سوى الأيام المعدودة وسمي ذلك عهدا لأنه اوكد من العهود المؤكدة بالقسم والنذر"[4].

إذن هذه بعض الشواهد القرآنية على المحاجة العقلية للقوم ونظائرها في القران الكريم كثير. وان القران الكريم اختط المنهج العقلي ورسمه وفق هندسة العقل نحو استقبال الخطاب والتفكر فيه، وهو من أساليب الحوار والدعوة، لذا عمد علماء الإسلام إلى اتخاذ المنهج القرآني في المحاجة وإبطال الدعاوى التي افتري بها على الله تعالى، والتأسي بالقران الكريم هو

---

(١) سورة البقرة، من الآية (١١١).

(٢) سورة البقرة، من الآية (٨٠).

(٣) سورة البقرة، من الآية (٨٠).

(٤) روح المعاني، الالوسي، ١/ ٤١٣.

من أعظم سمات مناهج علمائنا الأبرار، وكذا يضيف محورا علميا دقيقا إلى تلكم المناهج السالفة بالذكر.

٢) المنهج النصي؛ الذي اخضع مسائل الأديان، وخاصة عقائدها، تبعا للبيان الجلي، النصي: (القران الكريم والسنة المطهرة)، وكذلك بعض آثار الصحابة الكرام (رضي الله عنهم)، ومن رواد هذا المنهج الإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية

٣) المنهج الإلزامي؛ هو المنهج الذي ناقش عقائد أهل الكتاب ومسائلهم تبعا لنصوص القوم المقدسة، من باب مجاراة الخصم ومن ثم إلزامهم وإفحامهم، مع إسناد منهجهم إلى الدليل العقلي والنصي، وفي ذلك فقد حقق أصحاب هذا المنهج شمولية تامة في جمعهم للمناهج في حجاج القوم، ومن رواد هذا المنهج الإمام ابن حزم والقرافي والغزالي.

ثانيا: المنهاج التطبيقي:

لقد حوت مؤلفات علماء المسلمين على فصول نقاشية، درست جوهر الديانات، وأصولها، وقد اتخذ العلماء مسارات متنوعة تبعا للمناهج السالفة بالذكر في مناقشة ذلك، ومن تلك المسارات كشواهد في الحقل التطبيقي على تلك المناهج:

١) إثبات تناقض النصوص المقدسة، فيما بينها. ونرى ذلك جليا في منهاج كل من الأئمة؛ الإمام ابن حزم، وابن تيمية، ورحمت الله الهندي وغيرهم.

٢) إثبات تناقض نسخ النصوص المقدسة، عند مقابلتها مع بعضها، كما نرى ذلك في منهج الجويني في كتابه شفاء الغليل.

٣) إقامة الحجة والبيان على القوم من واقع نصوصهم المقدسة، كما ذهب إلى ذلك ابن قيم الجوزية، والسموئل يحيى.

٤) إثبات الحجة باستحالة ما يدعونه عقلاً، كما نرى ذلك في مناهج المتكلمين وغيرهم من العلماء.

٥) تفريغ نصوصهم من الحجة والبرهان.

٦) دعوتهم إلى التصحيح والإيمان بنبوة خاتم النبيين(ﷺ).

المطلب الثاني: سمات مناهج علماء الإسلام في دراسة الأديان:

١) المنهج الوصفي والتاريخي:

شغل منهج الوصف في مؤلفات علماء الإسلام مساحات ليست قليلة، وهذا المنهج هو "إثبات ما يقول أصحاب الملل والنحل المختلفة والتزام الحيدة في تقرير وجهة نظرهم دون أية محاولة في الرد عليها أو إظهار بطلانها وتهافتها، مثال ذلك كتاب: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري"[١].

وهم في ذلك عمدوا إلى تأصيل هذا المنهج، كأحد المسالك العلمية في البحث والدراسة، وقد كتب كثيرون كتبا تحت هذا المنهج، وتحت

---

(١) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود علي حماية، ص١٤٦.

عنوان (الملل والنحل) كدراسة وصفية، وكذا المنهج التاريخي الذي اعتضد مع المنهج الوصفي لتكون الدراسة شمولية في الديانات، فأرادوا بالمنهج التاريخي الوقوف على نشأة الديانة، والأدوار التاريخية التي مرت بها وتطورت، وترعرعت عبر تداول الأيام. فتلازم المنهجان في التأليف والدراسة، لذا وجدنا من بين المؤلفات دراسة مستقلة بعنوان(تاريخ الأديان)، أو مباحث ضمنية في مؤلفات الأديان، وقد امتاز المنهج التاريخي الوصفي بطابعين:

الأول: الحرص على إفراد هذا العلم دراسة وصفية، وواقعية، ومستفيضة لكل الديانات التي عرفوها في القران الكريم والسنة المطهرة، والتي عرفوها في عصرهم.

الثاني: ان دراستهم كانت تسير وفق الاطلاع الواسع على الكتب المقدسة، أي المصادر الموثوق بها عن أهل الديانات، لذا لم ينقلوا في كتبهم ما تناقله عامة الناس من مسائل قد تكون أساطير أو خرافات أو غيرها من المسائل التي ليس لها أصل في كتبهم المقدسة. لذا جاءت كتاباتهم صحيحة ومطابقة لأحوال الأمم، ولا نسرف بالقول إذا قلنا: ان علماءنا التزموا كل الالتزام بالحيدة دون تعصب وانحياز.

ونذكر في هذا المقام كشاهد على هذا المنهج، الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل)، الذي يعد من أشهر العلماء الذين كتبوا في تاريخ الأديان عند المسلمين، وما امتاز كتابه من الموضوعية، ذلك بسبب التزام صاحبه بالمنهج الوصفي والتاريخي للأديان، وفرقها، بعيدا عن مناهج النقد والتفنيد كما عند العلماء الآخرين، والدارس المتتبع لكتاب الملل والنحل

للشهرستاني يجد انه صرح بمنهجه، فيقول: "وشرطي على نفسي ان أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم دون ان أبين صحيحه من فاسده، واعين حقه من باطله، وان كان لا يخفى على الإفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل"(١).

٢) منهج التحليل النقدي والتحليل المقارن:

لعل منهج التحليل(٢) يعطي شمولية أوسع في البحث من سابقه، لان الدراسة التحليلية تعطي أبعادا أكثر اتساعا من حيث إرجاع المسائل إلى أصولها، وكذا ما تتفرع عنها من معاني ودلالات، تحيط بالموضوع إحاطة تامة، ومنهج التحليل في دراسة الأديان يحتاج إلى:

أ) هيكلة خطة البحث التحليلي؛ ويتأتى ذلك من وضع الدين المراد دراسته تحت:

بيان أصوله وتجذره، ثم العمد بعدها إلى بيان العقائد والعبادات مشفوعة بالنصوص المقدسة، مع الوقوف في تفصيل العمق المؤثر في

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ص٢٤ وما بعدها.

(٢) التحليل تمييز يستلزم تحليل معنى تصور ما، واحصاء لكل المعاني التي يدل عليها اللفظ، او احصاء لكل الاستخدامات الممكنة لذلك اللفظ ينظر: مناهج البحث الفلسفي، د. محمود زيدان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م ٩١ وما بعدها.

نفوس المعتنقين، وبذلك نكون قد قمنا بتأصيل مسائل العقيدة والعبادات، وكذا قمنا باستيعاب الأصل

ب) عرض الأفكار والآراء التي تمخضت عن عقائد الديانات، ولابد من الإشارة إلى الفرق الدينية التي ولدت من وسط أرحام خلافات عميقة ودقيقة في مسائل العقيدة، وعرض أفكارها وآرائها العقدية عرضا دقيقا وتحليلها تحليلا علميا. ونذكر في هذا المقام من الفرق اليهودية: (فرقة الفريسين)(١)، ونذكر بعض عقائدها فهي:

تعترف بجميع أسفار العهد القديم والأحاديث المنسوبة إلى موسى وأسفار التلمود، بل أن فقهاءَهم الذين يطلق عليهم الربانيون هم الذين ألفوا أسفار التلمود، ويرى الفريسيون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة التي يعتمد عليها، وإنما هناك بجانبها روايات شفوية ومجموعة من القواعد والوصايا والشروح والتفاسير التي تعتبر توراة شفوية، قد تناقلها الحاخامات

---

(١) الفريسيون: وهي من أهم وأشهر الفرق اليهود وأكثرها عدداً في ماضي تاريخهم وحاضره، وكلمة الفريسين معناها المنعزلون والمنشقون، وفريسي الذي معناها المنشق، ولعل مرجع معناه إلى أنهم انشقوا عن مسلك عامة اليهود التابعين لتعاليم التوراة أو أنهم انشقوا عن الطائفة اليهودية التي تسمى (الصادوقية). ويرى الأستاذ صابر طعيمة أن كلمة الفريسيون بمعنى (المتميزون) وأن الدلالة اللغوية العبرية لكلمة (فريسي) تعني هذه السمة (المتميز) كانوا طوائف أقوى من الصدوقيين بكثرة العدد وشيوع المبادئ والآراء وحسن السمعة بين جميع الجماعات اليهودية. ينظر: اليهودية واليهود، د.علي عبد الواحد وافي دار الهنا للطباعة، الفجالة، ص٨٢، والتاريخ اليهودي العام، صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ط (١) ١٩٧٥، ص٢٦٤.

من جيل إلى جيل وتلك الروايات الشفوية هي التي دونت فيما تسمى التلمود. ومن عقائدها أنها تؤمن بالبعث وقيامة الأموات والملائكة والعالم الآخر وأكثرهم يعيشون في مظهر الزهد والتصوف لا يتزوجون ويحافظون على وجودهم بطريقة التبني، ويعتقدون أن الصالحين من الأموات سينتشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح المنتظر الذي يزعمون أنه سيأتي لينقذ الناس ويدخلهم في ديانة موسى(١).

ت)التعليق على ما يستلزم التعليق عليه في الموضوعات الدراسية.

وإذا أردنا التحليل النقدي فيضاف عندها لبنة أخرى لتلك المناهج العلمية، وعندها تصبح الدراسة أكثر اتساعا وشمولا، لان الناقد يبني نقده على أسس علمية يريد من نقده تقويم المسالة، وقد يكون منهج التحليل النقدي هو المنهج الغالب من بين تلكم المناهج لعلماء الإسلام، وخاصة في دراستهم للعقائد التي جعلوها تحت طائلة التحليل والنقد، وبيان تهافتها، وترنحها على حسب الأهواء وميول أنفس أصحابها، ومن بين تلك الدراسات، دراسة الإمام ابن حزم (رحمه الله) للعهدين القديم والجديد، إذ درسهما دراسة تحليلية، ثم كد عليها بعد ذلك بالنقد اللاذع، مبينا تهافتها وبطلانها(٢).

وقد نجد ذلك جليا في مؤلفات علماء الإسلام، إذ تشترك مباحث مؤلفاتهم في دراسة المسائل العقدية عند القوم، فمثلا عند النصارى درسوا

---

(١) ينظر: اليهودية، واليهود، علي عبد الواحد وافي، ص ٨٤، ومقارنة الأديان، اليهودية، احمد شلبي، ص٢٢٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، محمود حماية، ص١٤٨.

عقائد: (التثليث، والوالد وما ولد وحيرة النصارى بينهما، والخطيئة التي تمخضت عنها الصلب والفداء، والاتحاد والحلول وغيرها من العقائد.)، وعقيدة (التناسخ) عند الهندوس، واليهودية وعقائدها التي تبلورت عبر التاريخ اليهودي العام، إلى ان أصبحت عقائد راسخة، وتمثلت عندهم بـ:(أبناء الله وأحباؤه وصفوة الخلق، وقضية النسخ، وجواز البداء على الله تعالى، والى غير ذلك من العقائد) التي نقدها العلماء نقدا علميا.

ثم إذا ما تحرينا المناهج يبرز لنا منهاجا آخرا سطع نوره أمام أعيننا، لنزداد تأملا، ألا وهو منهج التحليل المقارن، الذي يعد لب علم الدين المقارن، ولهذا المنهج أسس علمية، يقول الدكتور، احمد شلبي: "لدارسة علم مقارنة الأديان أسس مهمة ينبغي للدارس ان يعرفها، وان يسير في ضوئها، وهذه الأسس هي: فيما يتعلق بالمنهج طريقان: الطريق الأول: ان تكون المباحث الكبرى بالأديان هي عنوانات الكتب، كأن نكتب كتابا عن (الله) وندرس به مختلف الاتجاهات عن الإله، ونكتب كتابا عن (النبوة) وثالثا عن(التشريع) وهكذا الثاني: هو ان يخصص كتاب لكل دين تدرس فيه مباحثه في العقائد والتشريعات المختلفة مشفوعة بالمقارنة كلما وجد لها مجال"[1].

ونذكر من العلماء الذين ساروا وفق منهج التحليل والمقارنة، أبا الحسن العامري[2]، في كتابه (الإعلام بمناقب الإسلام)، قارن بين

---

(١) مقارنة الأديان، اليهودية، ص٣٨ وما بعدها.

(٢) هو أبو الحسن محمد بن يوسف العامري، ولد بنيسابور، وينتمي إلى مدرسة ابن اسحق الكندي، وكان تلميذا إلى البلخي، توفي بنيسابور عام ٣٨١هـ، وله كتاب=

الإسلام، واليهودية، والنصرانية، وبعض الملل الأخرى، واثبت في مقارنته صحة القران الكريم

ومن القديم إلى الحديث، فهناك من سار على خطى العلماء في مناهجهم، فألف المفكرون الإسلاميون المعاصرون كتبا كثيرة، ومن هؤلاء المفكر الإسلامي (احمد ديدات) الذي ألف مؤلفات عدة في هذا المجال؛ ومنها: (الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، والاختيار بين الإسلام والنصرانية، وهل الكتاب المقدس كلام الله؟، ومسألة صلب المسيح عليه السلام بين الحقيقية والافتراء وغيرها من المؤلفات)

وكذا الدكتور احمد شلبي في موسوعته الرائعة مقارنة الأديان، التي اشتملت على أربعة أقسام؛ وكل قسم انطوت تحته دراسة دين من الديانات، فكان الكتاب الأول تحت عنوان اليهودية والثاني: المسيحية، والثالث: الإسلام، والرابع: أديان الهند الكبرى، وقد بين خطة منهجه العام في دراسته فقد صرح:" فقد كنت هناك اخطط، وأمهد، واعرض، واعلق على نحو ما يلزم في البحث العلمي"(١).

وقد نجد اليوم في جامعاتنا والجامعات الإسلامية العربية والعالمية، رسائل واطاريح جامعية كثيرة تدرس قضية واحدة في الأديان(٢)، وقد تكون

=الإعلام بمناقب الإسلام، حققه الأستاذ احمد عبد الحميد غراب، طباعة مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر، الرياض، ١٤٠٨هـ، ينظر: مقدمة التحقيق.

(١) مقارنة الأديان، الكتاب الأول، احمد شلبي، ص٤١.

(٢) ومن تلك الرسائل والاطاريح الجامعية في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، (الشورى في الديانات الثلاث) أطروحة دكتوراه للطالب إبراهيم درباس، والسيدة مريم=

قضية عقدية أو عبادية أو قضية من قضايا المعاملات. وإذا ما اندمج منهج التحليل النقدي مع منهج التحليل المقارن، عندها يصبح عندنا (منهج التحليل المقارن النقدي)، فهو أكثر المناهج علمية وموضوعية واتساعا، لان تعدد المناهج العلمية على مبحث محدد يعطى جدوى علمية كبيرة، وبالتالي يؤول الأمر إلى استيعاب الدراسة من جميع جوانبها، ويخرج بنتائج طيبة لا مجال للحياد عنها، وخاصة في مسائل دراسة العقائد دراسة تحليلية نقدية. والخروج بنتائج يتبين من واقعها حقائق علمية.

وارى الخروج من الحقل النظري، إلى الحقل العملي، كنماذج تطبيقية في دراستنا.

نماذج تطبيقية في المقارنة والتحليل النقدي:

ولنأخذ في هذا المقام مقارنتين بين النصوص المقدسة:

المقارنة الأولى:

١) **جاء في سفر الخروج**، الإصحاح العشرون، أوامر ونواهي تخص العقيدة والشريعة، يقول السفر:

"لا يكن لك آلهة أخرى سواي".

=(عليها السلام) في الفكر الإسلامي والفكر المسيحي، رسالة ماجستير للطالب حاتم جاسم، سيدنا ادم(عليه السلام) في القران الكريم والكتب السماوية، رسالة ماجستير، للطالب لجين عبد الله، ومقام الأنبياء في الأديان السماوية الثلاثة، رسالة ماجستير للطالب سليم فليح.

"لا تنحت لك تمثالا ولا تصنع صورة ما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من أسفل الأرض".

"لا تسجد لهن ولا تعبدهنَّ لأني انا الرب إلهك اله غيور افتقد آثام الآباء في البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضي".

"وابدي إحسانا نحو ألوف من محبي الذين يطيعون وصاياي".

"لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لان الرب يعاقب من نطق باسمه باطلا ".

"اذكر السبت لتقدسه".

"ستة أيام تعمل وتقوم بجميع مشاغلك".

"اما اليوم السابع فتجعله سبتا للرب إلهك فلا تقم فيه بأي عمل وأنت أو ابنك أو عبدك أو أمتك أو بهيمتك أو النزيل المقيم داخل أبوابك".

"لان الرب قد صنع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع لهذا بارك الرب يوم السبت وأجعله مقدسا".

"أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض التي يهبك الرب إلهك"

"لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد زورا على جارك"

"لا تشته بيت جارك ولا زوجته ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما له"(١).

---

(١) سفر الخروج: ٢٠- ٣-١٧.

٢) اما النصوص القرآنية، فقد جاء في سورة الإسراء قول الحق:

﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ
لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ
الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِنْ تَكُونُوا
صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا
(٢٨) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا
(٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠) وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا
تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ
مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ
إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ
كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ

طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾[1].

وفي سورة فصلت: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[2].

فالآيات الكريمة صدعت بجملة حقائق عظيمة، الا وهي ان العقيدة والشريعة من الله تعالى، فأي انحراف يطرأ عليها فلا بد من مصحح، والقرآن الكريم هو الكتاب الخاتم، فجاء لتأكيد شريعة الله، ويصحح ما هو اعوج وأهوج، والحق ان النص القرآني توجه نحو مسارين:

الأول: تحقيق أسلوب النظر وذلك في توجيه أنظار القوم إلى ما هم عليه من معتقد وعبادة وهو في ذلك حقق خطابا عقليا ووجدانيا.

---

(١) سورة الإسراء، الآيات (٢٢-٣٩).

(٢) سورة فصلت، الآيات(٩-١٢).

الثاني: توجيه القوم نحو الدين الحق، دين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لنفسه وللناس أجمعين، وهو في ذلك وجه دعوة للإيمان بمحمد(ﷺ) ورسالته، وان دعوته لن تخرج عما آتى به الرسل من قبله.

٣) المقابلة النصية:

وإذا ما عمدنا للمقارنة بين النصوص التوراتية والآيات القرآنية الكريمة، ونقابلها فيما بينها، سيثمر منهاجنا المقارن بنتائج تتجلى فيها مسائل جوهرية. ولنعقد المقارنة الآتية:

<u>النص التوراتي</u>	<u>النص القرآني</u>
١) لا يكن لك آلهة أخرى سواي	١) ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾
٢) لا تنحت لك تمثالا ولا تصنع صورة ما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من أسفل الأرض".	٢) ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾
<u>٣)</u> لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لان الرب يعاقب من نطق باسمه باطلا	٣) ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾
<u>٤)</u> أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك	٤) ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى

النص التوراتي	النص القرآني
	صَغِيرًا ﴾
٥) الــرب قــد صــنع الســماء والأرض والبحر وكل ما فيها في ستة أيام ثم استراح في يوم السابع لهذا بارك الرب يوم السبت وجعله مقدسا"	٥) ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾
٦) "لا تقتل	٦) ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾
٧) لا تزن	٧) ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾

يتضح من المقارنة بين النصوص المقدسة:

أ) عبادة الله وحده لا شريك له، وقد اتفق النصان على ذلك، وهو أمر الله. ومن اعتقد غير ذلك فسيلقى في جهنم مدحورا.

ب) بيان عظمة القران الكريم في كشف وتبين حقيقة الافتراء على الله تعالى، وان القران حق وعظيم وتتجلى عظمته في هذا البيان الواضح، وان التوراة نهتهم عن عبادة غير الله، ثم جاء القران الكريم

يؤكد نهي التوراة عن الشرك، ومن ثم بين وعيد الله لكل من يتخذ آلهة مع الله. لذا نادى القران الكريم أهل الكتاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾[١].

ت) بين الله تعالى في القران الكريم حقائق خلق السموات والأرض وما بينهما تبيانا عظيما، اذ لم يمسه لا تعب ولا نصب، ولا يتناسب التعب، والنصب مع عظمته، وقدرته، وهو محال على الله تعالى.

وقد رد الله تعالى قول اليهود في(سورة ق)، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴾[٢]، ونقل الإمام الرازي[٣] في تفسيره الكبير: "قال بعض المفسرين المراد من الآية الرد على اليهود، حيث قالوا بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى

---

(١) سورة النساء، الآية (٤٧).

(٢) سورة ق، الآية (٣٨).

(٣) الفخر الرازي: هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، سلطان المتكلمين في زمانه، صاحب المصنفات المشهورة كالتفسير الكبير، والأربعين، وغيرها، وهو اشعري بل من أئمة الاشاعرة، ت سنة ٦٠٦هـ، ينظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، بيروت، دار الندوة الجديد، (١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م)، ٢٩٦/١، وشذرات الذهب ٢١/٥-٢٢.

على عرشه فقال تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ ردا عليهم"[١]. فالمقارنة بين النصين قادت إلى رد قول اليهود على الله تعالى.

ث) اما التشريعات الربانية (أكرم أباك، لا تقتل، لا تزن.وغيرها) فهي بجملتها قد دارت على لسان جميع الأنبياء والمرسلين، وهي جملة فضائل تحافظ على المجتمع، لان الأخلاق أساس المجتمع وبنائه القويم، والوصايا المذكورة في التوراة، صدرت من سراج رباني واحد، غير ان آيات القران الكريم فصلتها تفصيلا دقيقا، وأضحت كتب الفقه الإسلامي حافلة بها، وقد أحاطتها إحاطة تامة وبكل تفصيلاتها الدقيقة والمقارنة هنا نخلص إلى نتيجة حتمية هي ان المشرع هو الله تعالى لا غيره. فلا يحق لبشر أن يضع تشريعا تلقاء نفسه وينسبه إلى الله تعالى.

المقارنة الثانية: (قضية صلب المسيح عليه السلام)

١) النصوص الإنجيلية:

جاء في إنجيل متى: "فاخذ جنود الحاكم يسوع إلى قصر الحاكم وجمعوا الكتيبة كلها. فنزعوا عنه ثيابه أي المسيح والبسوه ثوبا قرمزيا. وضفروا إكليلا من الشوك ووضعوه على رأسه وجعلوا في يمينه قصبة، ثم ركعوا أمامه واستهزؤوا به فقالوا: السلام عليك يا ملك اليهود. وامسكوا القصبة واخذوا يضربونه بها على رأسه وهم يبصقون عليه. وبعدها استهزؤوا به ونزعوا عنه الثوب القرمزي والبسوه ثيابه وساقوه ليصلب. ولما

---

(١) التفسير الكبير، الإمام الرازي، ٢٨/ ١٨٤.

وصلوا إلى المكان الذي يقال له الجلجلة أي موضع الجمجمة. أعطوه خمرا ممزوجة بالمُرِّ فلما ذاقها رفض ان يشربها. فصلبوه واقترعوا على ثيابه واقتسموها. وجلسوا هناك يحرسونه. ووضعوا فوق رأسه لافتة مكتوبا فيها سبب الحكم عليه: هذا يسوع ملك اليهود وصلبوا معه لصين، واحدا عن يمينه وواحدا عن شماله. وكان المارة يهزون رؤوسهم ويشتمونه ويقولون يا هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام ان كنت ابن الله. فخلص نفسك وانزل عن الصليب وكان رؤساء الكهنة ومعلمو الشريعة والشيوخ يستهزئون به فيقولون خلص غيره ولا يقدر ان يخلص نفسه هو ملك إسرائيل. فلينزل الآن عن الصليب لنؤمن به. توكل على الله وقال: أنا ابن الله فلينقذه الله الآن ان كان راضيا عنه"(١).

وجاء في إنجيل متى: "وعند الظهر خيم على الأرض كلها ظلام حتى الساعة الثالثة. ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع بصوت عظيم الهي الهي لماذا تركتني. وصرخ مرة ثانية صرخة قوية واسلم الروح"(٢).

٣) النصوص القرآنية:

ذكر القران الكريم واقعة الصلب التي اتخذها النصارى فيما بعد عقيدة ثابتة لا حياد عنها، فلنذكر السياق القرآني مقابلة بنصوص القوم المقدسة:

قال تعالى حاكيا عن عيسى (عليه السلام):

---

(١) إنجيل متى ٢٧: ٢٧-٤٣.

(٢) إنجيل متى ٢٧: ٤٥-٥٠.

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1]، ثم صور تعالى مكرهم بعيسى فقال: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[2]، ثم خاطب الله عيسى (عليه السلام): ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[3].

٣) المناقشة:

لو أردنا التسليم إلى النص الإنجيلي في تصوير نهاية المسيح (عليه السلام)، فان الأمر يقودنا إلى السؤال الآتي؛ كيف يتخلى الله تعالى عن عيسى في موقف عظيم كهذا. وهو ينادي الهي الهي ويتركه يهان، ويذل، ويبصق عليه ويضرب، وهو نبي ورسول من أولي العزم؟.

فالمقارنة هنا مع النص القرآني يتبين ان الله تعالى حفظ كرامة الأنبياء والمرسلين، والصالحين، بالرغم من ان الأنبياء اشد ابتلاء، وعيسى (عليه السلام)، تعرض كما وصفت الأناجيل إلى موقف الإذلال والقهر والتحقير، لا يليق ولا يتناسب مع كرامته، والعقل يحيل تصديق النص

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان(٥٢-٥٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية(٥٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٥٥).

الإنجيلي بهذه الطريقة المخجلة، ثم للنظر إلى التصوير الإلهي الرائع في لطف الله تعالى بأنبيائه ورسله، من واقع التصوير القرآني في الآية الكريمة: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾[2].

ثم لننظر نظرة هادئة إلى قول الحق جل ثناؤه: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾[3]، (فما قتلوه وما صلبوه). وإذا ما تأملنا الآية القرآنية الكريمة المذكورة؛ نجد كلمة (شُبِّهَ)، يقول الإمام ابن كثير: "أي: رأوا شبهه فظنوه إياه، ولهذا قال: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾، يعني بذلك من ادعى قتله من اليهود، ومن سلمه من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر، ولهذا قال: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾، أي: وما

(١) سورة يونس، الآية (١٠٣).

(٢) سورة غافر، الآية (٦).

(٣) سورة النساء، الآية (١٥٧).

قتلوه متيقنين انه هو، بل شاكين متوهمين، ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1][2].

فالكلمات الثلاث التي نقف أمامها؛ (شُبِّهَ)، (ٱخْتَلَفُواْ)، (شَكٍّ)، تدور في فلك يقيني، لان اخبار القران الكريم لا مجال لإنكاره، لأنه قطعي الثبوت.

ثم لننظر إلى قصة القبض على المسيح (عليه السلام)، التي سردتها الأناجيل.

ففي إنجيل متى قول المسيح: "الحق أقول لكم: واحد منكم سيسلمني. فحزن التلاميذ كثيرا واخذوا يسألونه واحدا واحدا، وهل أنا هو يا سيد، فأجابهم: من يغمس خبزه في الصحن معي هو الذي يسلمني ولكن الويل لمن يسلم ابن الإنسان كان خيرا له ان لا يولد. فسأله **يهوذا** الذي سيسلمه هل أنا يا معلم فأجابه يسوع: أنت قلت[3].

ويروي إنجيل متى: "وفي ذلك الوقت ذهب احد التلاميذ الاثني عشر، وهو يهوذا الملقب بالاسخربوطي إلى رؤساء الكهنة وقال لهم ماذا تعطوني لأسلم إليكم يسوع. فوعدوه بثلاثين من الفضة. واخذ يهوذا من تلك الساعة يترقب الفرصة ليسلم المسيح"[4].

---

(١) سورة النساء، الآية (١٥٨).

(٢) تفسير القران العظيم، ٢/٥٠٠.

(٣) إنجيل متى، ٢٦: ٢٠-٢٥، و يقارن لوقا، ٢٢: ٧-٣٢، ويوحنا: ١٣: ٢١-٣٠.

(٤) إنجيل متى: ٢٦: ١٤-١٦. ويقارن مرقس ١٤: ١٠-١١، ولوقا ٢٢: ٣-٦.

وروى إنجيل يوحنا قصة اعتقال المسيح (عليه السلام): "قال يسوع هذا الكلام وخرج مع تلاميذه، فعبر وادي قدرون، وكان هناك بستان فدخله هو وتلاميذه. وكان يهوذا الذي أسلمه يعرف هذا المكان لان يسوع كان يجتمع فيه كثيرا مع تلاميذه. فجاء يهوذا إلى هناك بجنود وحرس أرسلهم رؤساء الكهنة والفريسيون، وكانوا يحملون المصابيح والمشاعل والسلاح فتقدم يسوع وهو يعرف ما سيحدث له، وقال لهم من تطلبون؟ أجابوا يسوع الناصري، فقال لهم: أنا هو. وكان يهوذا الذي أسلمه واقفا معهم. فلما قال لهم يسوع: أنا هو تراجعوا ووقعوا إلى الأرض فسألهم يسوع ثانية من تطلبون أجابوا يسوع الناصري، فقال لهم يسوع: قلت لكم أنا هو، فإذا كنتم تطلبون فدعوا هؤلاء يذهبون. فتم ما قال يسوع: ما خسرت أحدا من الذين وهبتهم لي"[1].

وإذا ما عمدنا لتحليل النصوص فإننا نجد:

١) ذكر إنجيل يوحنا: ان المكان كان يحيطه الظلام، بدليل ان الجنود دخلوا وهم يحملون المصابيح والمشاعل.

٢) دخل الجنود وهم لا يعرفون يسوع، وتكاد تكون شخصيته خفية عنهم.

٣) الدال عليه هو احد تلاميذه.

---

(١) إنجيل يوحنا، ١٨: ١-١٩

والجواب عن **الأول:** كون المكان يحيط به ظلام من البستان فهذا يوقع عدم التثبت في إلقاء القبض على نفس المسيح. وأما **الثاني:** فان الأناجيل ناطقة بان المسيح(عليه السلام) نشأ بين اظهر اليهود وكما هو معلوم كان في مواسمهم وأعيادهم يعظهم ويعلمهم ويناظرهم فأصبح معروفا وهو غاية الشهرة. فكيف يلبس عليهم الأمر. فهنا وقعت شبهة في الأناجيل.

والجواب عن **الثالث:** فان الدال عليه هو يهوذا، وهو من التلاميذ على قولهم، والتلاميذ هم أصحاب المسيح، والقران الكريم سماهم الحواريين فكيف يثني الله تعالى على قوم خانوا صاحبهم وغدروا به؟ كما قالت الأناجيل. لذا فهو ليس من التلاميذ، بل هناك شخصية أخرى لم تعرفها الأناجيل. والله قادر على ان يلقي الشبه على غيره.

٤) **منهج الحوار والمناظرة**(١): مر معنا هذا النوع من المناهج، غير انه لا بد من ذكره من بين تلكم المناهج، وذلك لإدراجه وبيانه مع المناهج، ليتسنى لطالب الحق الوقوف عليه.

---

(١) حري بنا في هذا المقام ذكر بعض من آداب المناظرة والحوار وفق المنظور الإسلامي؛ فقد استمد علماء الإسلام آداب المناظرة والحوار وأسسها من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، عملا بقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ سورة النحل، الآية (١٢٥)، واصل كلمة المناظرة من النظر، والنظر يقع على الأجسام=

=والمعاني، فما كان بالإبصار فهو للأجسام، وما كان بالبصائر كان للمعاني والنظير المثل والند، يقال: ناظرت فلانا، أي صرت نظيرا له في المخاطبة، ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة نظر، ٥/ ٢١٨ وما بعدها.

ومعناها الاصطلاحي، يتفرع من معناها اللغوي الذي يرجع الى احد الأمرين: (إما النظير أو النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب ينظر: رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة، محمد محي بن عبد الحميد، ط/٧، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٨م، ص١٧٧.

وجعل العلماء آدابا للمتناظرين المتحاورين، ومنها:

١) ان يتحرزا من إطالة الكلام، ومن إيجازه لئلا يكون مخلا بالفهم.

٢) وان يتجنبا غرابة الألفاظ وأجمالها.

٣) وان يكون كلاهما ملائما للموضوع، ويجب الاحتراز عن كل ما لا مدخل له في المقصود.

٤) وان يقصد كل منهما ظهور الصواب، ولو على يد صاحبه.

٥) وإلا يتعرض احدهما لكلام صاحبه قبل ان يفهم غرضه.

٦) وان ينتظر كل منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه.

وأسمى هدف من ذلك كله هو ان يكون هدف المجادلة الوصول للحق، بحيث يتخلى كل منهم عن التعصب لوجهة نظره السابقة، ويعلم كل طرق استعداده للبحث في الحقيقية، والأخذ بها عند ظهورها، يقول الإمام ابن حزم(رحمه الله) " ولا تقنع بغفلة خصمك في كل ما يمكن ان يصح قوله فان وجدت حقا ببرهان فارجع إليه ولا تتردد، ولا ترض لنفسك ببقاء ساعة آبيا من قبول الحق، وان وجدت تمويها فبينه، و لا تغتر بذهاب خصمك عنه، فلعل غيره من أهل مقالته يتفطن لما غاب عنه" التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، ابن حزم، نشر وتحقيق د. إحسان عباس بيروت، ١٩٥٩م ص١٩٣ وما بعدها.

المبحث الرابع

المباحث المشتركة في مؤلفات علماء المسلمين

تتمحور جل مؤلفات علماء المسلمين في الأديان حول مباحث رئيسة، تشترك فيما بينها، والناظر المتتبع لفهارس تلك المؤلفات يجد أنها تسير نحو أفق كادت ان تكون موحدة، وبالرغم من وجود الكم الهائل لتلك المؤلفات الجليلة، والمباحث هي:

١) **مباحث في الإلوهية؛** وتتفرع عنها مسائل عدة.

٢) **مباحث في النبوات؛** وما يستحيل بحقهم، وتدخل تحته مباحث حقيقة النبوة وعصمة الأنبياء.

٣) **مباحث في نقد الكتب المقدسة لدى القوم؛** واثبات تحريفها وتبديلها، وبيان تهافتها ودخائلها.

٤) **مباحث في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)**، من واقع البشارات المذكورة في النصوص المقدسة.

وقد جعل العلماء تلك المباحث، والمسائل المتفرعة عنها، تحت الدراسات الوصفية أو الدراسات الوصفية النقدية، أو ضمن المناهج الأخرى السالفة الذكر. وسنفصل تلك المباحث ومسائلها في المطالب الآتية، وسنستشهد ببعض من تلكم المؤلفات في سياق العرض.

المطلب الأول: مباحث في الإلوهية والمسائل المتفرعة عنها:

تعد مباحث الإلوهية من المباحث المهمة التي تعرض لها علماء الإسلام بالدرس والتحليل، لان الإيمان بالله تعالى عند المسلمين يعد الركن الأول والأعظم، والأساس لجميع مسائل العقيدة "ولما كانت عقيدة الإسلام ومبادئه في جانب الحقيقة، فإننا نرى الإسلام واسع الصدر لكل نقاش منصف بريء من الهوى والتعصب، يتقبل أي نقاش متجرد يستهدف الحقيقة، كما يتقبل كل تأمل، ونظر ومقارنة"[(١)]، غير ان علماء الإسلام لم يستقبلوا أي نقاش على حساب العقيدة الحقة، وخاصة في ذات الله تعالى.

ونظرا لهذا الإيمان الراسخ لتلك العقيدة، فقد اشتغل علماؤنا بمسائل الإلوهية عند اليهودية والمسيحية والديانات الأخرى، وعمدوا ضمن مناهجهم العلمية إخضاع تلك العقائد وفق الموازين الإسلامية، ووضع لها ضوابط وفق المعايير الإسلامية، وتسيّرها وفق نهج البيان والتحليل ناهيك عن نقدها، وان الدخيل الذي اعتراها كان من وضع البشر وما انزل الله به من سلطان. فمن المسائل العقدية التي تفرعت عن مباحث الإلوهية وشغلت مساحات كبيرة في مباحث علماء الإسلام هي:

أ) مسائل نقدية لاذعة تصدرت مباحث علماء الإسلام حول: (عقيدة الاتحاد والحلول، والتجسيم)، التي عدت رأس الديانات ومرتكزاتها، سماوية كانت أم وضعية، وأخذت مكانة عالية عند القوم، وقد أقحمت

---

(١) العقيدة الإسلامية، الميداني، ص١٠٢.

هذه العقائد العقل البشري إقحاما شديدا، عندما مزجوا إلوهية الله بالاتحاد والحلول والتجسيد والتشبيه.

وقد رفض ذلك رفضا تاما، كقولهم: (حلول الله في الشجرة التي سمع منها موسى كلام الله في الوادي المقدس)، وكذا قولهم: (حلول الخالق في المخلوق، كحلول الله في عيسى أو في أمه مريم)، (عليهما السلام)، أو تجسد الله: (في صورة إنسان ليتصارع مع يعقوب (عليه السلام)، كما زعم اليهود، فاستحالة إثبات هذه العلاقة على الله تعالى، وكل مقدماتهم التي استخدموها في إثبات تلك العقائد، عند مناقشتها تؤول إلى البطلان والفساد، مع الملاحظ على تلك العقائد انها من جراء دخائل فلسفات واهية، انعكست بجملتها على العقل البشري، فدار العقل البشري حولها، وتفاعل معها، وابتعدت عن قوانين الوحي الإلهي، وهي بجملتها تتنافى مع عظمته سبحانه وتعالى.

ب) مسائل نقدية دارت حول (عقيدة التثليث وأفكارها التعددية. الاقانيم الثلاث(١))، التي تعد من أعظم مقالات النصارى، وأعظم أركان الإيمان المسيحي، وجوهره، إذ يطلق النصارى على وجود ثلاثة اقانيم معا في اللاهوت، يعبرون عنه بلفظ (الأب، والابن، وروح القدس).

---

(١) كلمة أقنوم: وهذه الكلمة المستعملة في العربية هي كلمة سريانية معناها شخص أساسي، أو شخص رئيسي، وهي قريبة من الكلمة اليونانية؛ ومعناها: قانون ولذلك= =فضلت الكنائس الشرقية استعمال لفظ أقنوم على لفظ شخص لان المقصود في التثليث بالاقنوم كيان ذاتي أو في الذات وللدلالة على النصرانية، ينظر: اقانيم النصارى (د. احمد السقا) ص٩.

وكذا معتقدهم بان:(الله جوهر واحد)[1] له خواص ذاتية كشف المسيح عنها وهي الأب والابن وروح القدس، ويشيرون بالجوهر إلى الأب، وبالجوهر نفسه يسمونه ذا العقل العاقل ذاته إلى الابن، وبالجوهر عينه الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى روح القدس[2]. وقد تعرض القرآن الكريم لعقيدة التثليث بالإيضاح والبيان والتحذير ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

(١) الجوهر: هو ما قام بنفسه، أي هو المحل المتقوم بذاته المقوم لما يحل فيه، ومعنى قيامه بذاته أي يتحيز -أي اخذ قدر من الفراغ الموهوم - حيز بنفسه غير تابع تحيزه شيء آخر، وينقسم إلى مركب وغير مركب، واما المركب فهو الجسم، واما غير مركب كالجوهر وهو الجزء الذي لا يتجزأ وان الله ليس بجوهر - كما قالت النصارى. لان الجوهر، وان كان مفردا الا انه متحيز، والتحيز من خصائص الممكنات، والله تعالى ليس ممكنا، لان الممكن لا يوجد الا إذا وجد سبب وجوده وهذا السبب ان كان ممكنا فعندئذ يحتاج إلى سبب اخر فيلزم الدور والتسلسل وهو باطل. ينظر: المبين في شرح الفاظ الحكماء والمتكلمين، سيف الدين الامدي ت (٦٣١هـ)، تحقيق د. حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط(٢)، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٠٩، التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، المطبعة الخيرية، القاهرة، ص١٣، واصول الدين، رشدي عليان وقحطان الدوري، ص٦٨ هامش(٢)، شرح العقائد النسفية، عبد الملك السعدي، ص٦٤.

(٢) ينظر: صور من عقائد أهل الأرض، شافع توفيق، ص٤٥ وما بعدها.

(٣) سورة المائدة، الآية (٧٣).

وبقدر الخطاب القرآني، وأثره العظيم في بيان تلكم العقائد الباطلة، أصبح حريّ بعلماء الإسلام ان يناقشوا المسيحية بكل مذاهبها في فكرة الاقانيم، ووضعوها في الحدود المعيارية الإسلامية الصحيحة، ومن ثم إخضاعها للدليل؛ والدليل بشقيه نقلي أم عقلي يرفض ويستهجن من مثل تلك العقائد.

والحق ان الناظر في مؤلفات علماء الإسلام يجد ان عقيدة التثليث تصدرت جل المؤلفات، وأثبتوها تبعا لمناهجهم العلمية، ووسائلهم الجدلية خطأ معتقد التثليث، واستحالة تعدد الآلهة.

ولا غرابة في الأمر في البحث عن أصول التثليث في الديانة المسيحية، لبيان أصولها التي دخلت على النصرانية، يقول الدكتور احمد شلبي في كتابه المسيحية: "ان موضوع تعدد الآلهة موضوع يكاد يكون عاما في جميع الثقافات القديمة، قال به المصريون القدماء، وقال به الأشوريون والبابليون، والفرس، والهنود والصينيون، واليونان على اختلاف عدد الآلهة ومكانتهم واختلاف في تصور صلة الآلهة بعضهم ببعض، أو صلتهم بالبشر ولعل البابليين هم أول من قال بالثالوث وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد، فقد كان البابليون يدينون بتعدد الآلهة، ولكنهم نظموا هؤلاء الآلهة أثلاثا أي جعلوها مجموعات متميزة المكانة والقدر"[١].

من اجل ذلك تحقق البيان عند العلماء والمفكرين المعاصرين لأصول التثليث بعدما عقدوا مقارنة عملية بين التثليث المسيحي والتثليث في

---

(١) مقارنة الأديان، المسيحية، د، احمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص١٣٥ وما بعدها، نقلا عن تاريخ الفلسفة، للدكتور إبراهيم مدكور، ص٦-١٩.

الديانات الأخرى، ومن بين تلك المؤلفات: (كتاب ينابيع المسيحية، للفيلسوف خواجا أفندي كمال الدين)، و(كتاب العقائد الوثنية في الديانة المسيحية، للأستاذ محمد طاهر التنير)، و(كتاب مقارنة الأديان، المسيحية، احمد شلبي).

ث) مسائل نقدية حادة في تفنيد ودحض عقيدة النصارى في (إلوهية المسيح وربوبيته، وبنوته لله):

لم يكتف النصارى بعقيدة التثليث (ثالث ثلاثة)، بل تعدت مقالاتهم في المسيح إلى تاليه المسيح، وانه هو الله وليس بعبد من عباد الله. وقد حكى الله تعالى قولهم: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]. ومن إلوهية المسيح إلى التخبط المقيت فجعلوا المسيح ابن الله التي نطقت به الأناجيل صراحة، ونجد هذا اللفظ بين ثناياها كثير، وكذا اليهودية الذين اعدوا أنفسهم أبناء الله وأحباؤه، وان عزيرا ابن الله

ج) مباحث نقدية وتحليلية في عقيدة الصلب والفداء الذي وقع على الجزء اللاهوتي والناسوتي.

---

(١) سورة المائدة، الآية (١٧).

وجملة تلكم العقائد فقد تصدرت مؤلفات علماء الإسلام، وتعاضدت المباحث فيما بينها، واشتركت تلك المباحث ومسائلها، ووضعت تحت منهج التحليل والعرض والنقد وكان الميزان الإسلامي، هو الفيصل لتلكم العقائد.

المطلب الثاني: مباحث في النبوات، وما يستحيل بحقهم ويدخل تحته مباحث حقيقة النبوة وعصمة الأنبياء

تعد مباحث النبوات من المباحث المهمة في مؤلفات كتب العقيدة الإسلامية(١)، وقد قطع علماء الإسلام في تأليف مباحث النبوات دابر شبهات عظيمة في حق النبوة، وأجهدوا أنفسهم في إثبات النبوة والرد على منكريها، واثبات عصمة الأنبياء، وما يستحيل بحقهم. بعد أن فصلوا تلك المباحث تفصيلا دقيقا، فكانت ضياء ونورا لمن أراد أن يهتدي بنور هديهم.

ومن هؤلاء الذين صموا وعموا عن الحق ثم أنكروا النبوات فريق من أهل الديانات كالبراهمة الذين استدلوا في مذهب إنكار النبوة: بحجة ان بعثة الرسل تتنافى مع الحكمة لان الحكيم لا يبعث رسولا إلى قوم يعلم

---

(١) لقد استفاضت كتب العقائد وشروحاتها في موضوع النبوات، وتفصيلها وفق المباحث الآتية:

أ) حاجة الانسانية إلى النبوات ببداهة العقل. ب) تعريف النبوة بالمعنى العام. ج) مستلزمات النبوة، المتمثلة بصفاتهم، وعصمتهم من الكبائر وصغائر الذنوب، د) بيان معجزاته ومناقشتها وفقا للعقل والنقل. هـ) مناقشة منكري النبوة وفق العقل والنقل.

أنهم يعصونه ويصدون عن دعوته[1]. وليست البراهمة وحدها أنكرت النبوة، وإنما هناك طوائف أخرى مثل الصابئة. والدهرية[2]. وغيرهم، ومن منكري النبوة إلى الطاعنين في عصمتهم، الذين تخبطهم الشيطان، فدلهم على الخسران المبين، فراحوا إلى كتبهم المقدسة فدنسوها بعبارة المعاصي ونسبوها إلى الأنبياء الكرام (عليهم السلام أجمعين)، وهم المعصومون.

يقول مؤلف كتاب التوراة:" اما الأنبياء فهم كبش الفداء في التوراة، كلما اشتدت وطأة الاضطهاد على اليهود، لم يجدوا أمامهم غير أنبياءهم ينزلون فيهم قتلا وتشريدا وتلطيخا وتحريفا وتزييفا، لم ينج واحد من الأنبياء الأول الأكابر من التلطيخ فنوح يسكر حتى يفقد وعيه، ولوط يضاجع بناته وهو سكران ويعقوب يسرق البركة والنبوة والأغنام والمواشي ويهوذا يزني بامرأة ابنه وداود يشتهي زوجة الضابط اوريا فيزني بها ويرسل زوجها للقتل ليتخلص منه اما بيت داود النبي العظيم فهو أشبه ببيت سري الأخ يغتصب الأخت والابن يضاجع زوجات أبيه في عين الشمس وأمام جميع إسرائيل اما سليمان فيختم حياته بعبادة الأصنام وهارون يصنع العجل الذهب ويعبد وحتى موسى تقول التوراة انه خان ربه

---

(١) الفصل، ابن حزم، ١/٦٦.

(٢) الدهريون: حكى القران الكريم معتقد الدهريين، ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ سورة الجاثية: ٢٤، وفي ذلك فقد أنكروا الحساب، وأبطلوا الدين.

ولـم يقدسـه ولهـذا يحرمـه الـرب مـن دخـول الأرض الموعـودة ويمـوت فـي سيناء هو وهارون"[1].

ولعل هذه الفريات تحتاج إلى وقفة عظيمة قبالها، ورد قاطع يمحقها ويخذلها، والرأي عندي لابد من النظر إلى الشخصية اليهودية وتحليل نفسيتها وفق المعطيات المتوافرة لدينا، لان التحليل النفسي يعطينا دلالات تعبر عن ميول الأنفس ورغباتها، ودوافعها نحو الانطلاق إلى الأفعال الحسنة والسيئة لتحقق الإطار العام لتلك الشخصية، والحق ان القرآن الكريم أغنانا عن كلوصف للشخصية اليهودية، ولننظر ونتأمل في وصف القران الكريم من واقع بعض الآيات الكريمة:

١) امة لا تتناهى عن منكر فعلوه، قال تعالى: ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[2]. فحق قول الله عليهم: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾[3].

٢) امة تنقض المواثيق والعهود، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ

---

(١) التوراة، مصطفى محمود، دون ذكر مكان وسنة الطبع، ص٥٩ وما بعدها.

(٢) سورة المائدة الآية (٧٩).

(٣) سورة المائدة، الآية (٧٨).

﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[2].

٣) شعب ظلم نفسه، قال تعالى: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴾[3].

٤) هدمهم للشريعة، قال تعالى: ﴿ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾[5].

٥) افتراءهم على الله تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴾[6]، فاستحقوا قول الله: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة المائدة، الآية (١٣).

(٢) سورة النساء، الآية (١٥٥).

(٣) سورة النساء، الآية (١٦٠).

(٤) سورة النساء، الآية (١٦١).

(٥) سورة المائدة الآية (٦٣).

(٦) سورة النساء، الآية (٥٠).

(٧) سورة يونس، الآية (٦٩).

٦) تكذيب الأنبياء وقتلهم، ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[1].

إذن هذه بعض الصور القرآنية في وصف الشخصية اليهودية، فإذا كان حالهم كذلك، ومستواهم الهابط، فأي مانع لتلك الشخصية من ان تنال جراءتهم الأنبياء والرسل الكرام؟ ونسب كل ذلك إلى توراتهم المقدسة، لذا قدمت النصوص القرآنية البيان العظيم في حق الأنبياء والمرسلين. وتبرئتهم من كل ما نسب إليهم.

ولنقابل بعض النصوص التوراتية ببعض النصوص القرآنية في حق الأنبياء، وسنرى البون الشاسع بين تلك النصوص:

أ) جاء في سفر التكوين: "وابتدأ نوحٌ حارث الأرض يغرس الكرم وشرب من الخمر فسكر، وتكشف داخل خيمته"[2]، وصدق الله وكذبت اليهود: ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[3].

ب) وفي سفر التكوين، فيقلب كاتب سفر التكوين الحقائق في شأن أهل بيت لوط، فلا يقدح بكلمة واحدة في امرأة لوط الخائنة لزوجها في

---

(١) سورة المائدة، الآية(٧٠).

(٢) سفر التكوين ٩: ٢٠ – ٢١.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣.

دينه وضيافته، بل يجعلها مشمولة أصلاً بالنجاة فيقول عن الملكين حين أمر لوط بالخروج من قرية (سدوم): "فأمسك الرجلان بيده، وبيد امرأته وابنتيه، لشفقة الرب عليه، وأخرجاه، ووضعاه خارج المدينة"[١].

والواقع إنها تبعتهم لما أحست بالخطر ولهذا لا يكاد يُذكر في القران الكريم انجاء الله للوط (عليه السلام)، وأهل بيته إلا مقروناً باستثناء امرأته، قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾[٣]. وبالمقابل فان سفر التكوين يصور لوطاً الذي وصفه الله بقوله: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴾[٤]. ووصف أهل بيته سوى امرأته بقوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٥] بصورة هابطة. يقول السفر: "وصعد لوطاً من صوعر، وأقام في الجبل هو وأبنتاه معه، لأنه خاف أن يقيم في صوعر، فأقام في مغارة هو وأبنتاه

---

(١) سفر التكوين ١٩: ١٥ – ١٦.

(٢) سورة الاعراف، الاية (٨٣).

(٣) سورة العنكبوت، الاية (٣٣).

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٧٤.

(٥) سورة الذاريات: الآيتان ٣٥، ٣٦.

فقالت الكبرى للصغرى: إن أبانا قد شاخ، وليس في الأرض رجل يدخل علينا على عادة الأرض كلها. تعالي نسقي أبانا خمراً، ونضاجعه ونقيم في أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمرا في هذه الليلة، وجاءت الكبرى فضاجعت أباها، ولم يعلم بنيامها ولا قيامها لقصة"[١].

فهذه وقيعة الذين يفترون على الله الكذب ويؤذون أنبياءه، وقد شهد الله لآل لوط فقال فيهم: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[٢].

د) كما نسب سفر الخروج إلى هارون الضلوع في صناعة العجل الذهبي، والتهيئة لعبادته، استجابة لطلب مشركي قومه:

"ورأى الشعب أن موسى قد تأخر في النزول من الجبل. فأجتمع الشعب على هارون، وقالوا له: قم فأصنع لنا آلهة تسير أمامنا. فأن موسى ذلك الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون: انزعوا حلقات الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها فنزع كل الشعب حلقات الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها هارون فأخذها وصبها في قالب، وصنعها عجلاً مسبوكاً.

فقالوا: هذه الهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما رأى هارون ذلك، بنى مذبحاً أمام العجل ونادى، قائلاً: غداً عيدٌ للرب. فبكروا في الغد واصعدوا مُحرقات وقربوا ذبائح سَلامية وجلس الشعب يأكل ويشرب ثم قام يلعب"[٣]. والحمد لله رب العالمين الذي برأ نبيه

---

(١) سفر التكوين ١٩: ٣٠-٣٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٨٢، وسورة النمل: الآية ٥٦.

(٣) سفر الخروج ٣٢: ٢ – ٦.

هارون في القران الكريم من بهتان الذين كفروا وظلموا فقال: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾[1].

وإنمــا صــنعه الســامري، ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾[2]، وقد أشربوا في قلوبهم حب العجل والشرك بالله تعالى فلم يزل يعاودهم الحنين إلى عبادة الأوثان حتى عبدوها في أزمنة لاحقة، كما شهد عليهم سفر القضاة: "وعاد بنو إسرائيل فصنعوا الشر في عيني الرب، وعبدوا البعل والعشتاروت وآلهة صيدون والهة مؤاب والهة بني عمون، والهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه"[3].

هـ) وفي حق داود فقد وصفه سفر صموئيل الثاني بصفة شنيعة وعمل منحط لا يصدر من أعتى المجرمين وأدنى الخونة حيث زعم أنه زنى بزوجة أحد جنوده المجاهدين المخلصين (أوريا) وتعمد إرساله إلى أخطر جبهات القتال وحمّله كتاباً فيه: ضعوا أوريا حيث يكون القتال شديداً وانصرفوا من ورائه، فيضرب ويموت[4].

---

(١) سورة طه: الآية ٩٠.

(٢) سورة طه، الآية (٨٥).

(٣) سفر القضاة ١٠: ٦.

(٤) سفر صموئيل الثاني ١١: ١٥.

وحاشا نبي الله وخليفته في الأرض عن أتباع الهوى، وهو الذي وصفه الله بقوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[1]، (الايد): القوة في العلم والعمل[2]، ووصف ملكه وحكمه بقوله تعالى: ﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴾[3]. فهل تستقيم هذه الشهادة الصادقة العادلة مع ما تتنزل به الشياطين على كل أفاكٍ أثيم للنيل من نبي مبرأ كريم.

تلك إذن بعض النصوص في حق الأنبياء ذكرناها تبيانا على خساسة القوم في تحقير أنبياء الله تعالى بهذه الطريقة المخجلة، التي لا تليق بأدنى البشر، فكيف بالمعصومين الذين اجتباهم الله تعالى على العالمين؟.

وبهذا القدر القرآني العظيم لأنبياء الله والصور القرآنية الرائعة التي جسدت صورة النبوة الحقيقية وما يلزم بحقهم وما يستحيل عليهم سار علماء الإسلام وفق المنهج القرآني في بيان ودحض شبهات اليهود على أنبياء الله (عليهم السلام)، فحفلت مؤلفاتهم بمباحث النبوات، ونذكر في هذا المقام من المؤلفات الجليلة:

---

(١) سورة ص: الآية ١٧.

(٢) تفسير القران العظيم، ٥٤/٧.

(٣) سورة ص: الآية ٢٠.

كتاب (أعلام النبوة) للماوردي تـ(٤٥٠هـ)[1]، الذي ناقش فيه قضية المعجزة عند الأنبياء ومعجزة نبينا محمد(ﷺ)، كما رد ابن حزم تـ(٤٥٦هـ)، في كتابه (الفصل) على منكري النبوات واثبت النبوة بعد ان أقام البراهين عليها، ثم كتاب (الاقتصاد في الاعتقاد) للإمام الغزالي تـ(٥٠٥هـ)، اذ ناقش فيه بعثة الأنبياء وجوازها، ورد على البراهمة بجوازها، ثم افرد بابا خاصا في إثبات نبوة نبيا محمد(ﷺ).

ثم لو قلبنا مؤلفات كتب العقيدة الإسلامية وشروحاتها، نجد ان المباحث الضمنية التي تناولت موضوع النبوة وعصمة الأنبياء، والمعجزة كثيرة، ومن بين تلك المؤلفات: كتاب (التمهيد) للباقلاني تـ(٤٠٣هـ)، الذي ناقش فيه منكري النبوة مناقشة عقلية، واثبت جواز بعثة الرسل، وكتابه الثاني (الإنصاف فيما يجوز اعتقاده ولا يجوز الجهل به)، الذي ناقش فيه المعجزة، وخص معجزة موسى وعيسى (عليهما السلام)، وان صدق مدعي النبوة يجب إثباته بالمعجزات ثم عمد إلى مناقشة نبوة نبينا محمد(ﷺ)، وانه(ﷺ) مبعوث لجميع الخلق وان شرعه لا ينسخ بل هو ناسخ لجميع من خالفه، ومن ثم افرد مبحثا تاما في إقامة الدليل على ثبوت نبوة نبينا محمد(ﷺ). و(متن النسفية) للإمام نجم الدين النسفي،

---

(١) هو ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الشهير بالماوردي البصري الشافعي الفقيه اقضى القضاة، والماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد وعمله، ولد بالبصرة سنة (٣٧٤هـ)، له مؤلفات عدة منها: الاحكام السلطانية، ادب الدنيا والدين، نصيحة الملوك، تـ(٤٥٠هـ)، ينظر: البداية والنهاية، ١٢؟٨٠، وفيات الاعيان، ٢/٤٤٤.

ت(٥٦٠هـ)(١)، وضمت النسفية تحت جناحها مبحثا في النبوات، وما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الأنبياء.

ثم بعد تلك الكتب والمتون وشروحاتها، يطل علينا كتاب (النبوات)، لابن تيمية، الذي اثبت فيه النبوة عقلا ونقلا. وإذا كنا نرتب بعض المؤلفات الجليلة، فالأعظم والأعظم أن نذكر قبلها تاج الكتب، ومفاتيح العلوم، (كتب التفسير والحديث)، التي أخذت مكانة عظيمة في مباحثها الضمنية النبوات، والناظر المتتبع ليجد ان تلك المباحث العظيمة تربعت في ثنايا كتب التفسير، وقد ناقشت تلك الكتب النبوات وعصمتهم، وما يجوز بحقهم وما لا يجوز.

ومن المؤلفات المعاصرة، كتاب (العقيدة الإسلامية، وأسسها) للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الذي جعل من الباب الرابع من كتابه مدارا خاصا حول الإيمان بالأنبياء والرسل (عليه السلام)، فكان كتابه جوهرة في إثبات الحاجة إلى الرسل، ودلائل الرسالة، لاسيما رسالة نبينا محمد(ﷺ)، ثم بين صفاتهم وعصمتهم ومعجزاتهم، وكتاب (أصول الدين الإسلامي)، للأستاذين الجليلين، د.رشدي عليان، ود.قحطان الدوري، إذ جعلا من الفصل الثالث بمباحثه الأربع، تفصيلا تاما لحاجة العقل الإنساني للنبوة، ونقاشا علميا لمنكري النبوة، ثم العمد إلى إثبات عصمتهم

---

(١) هو الإمام عمر بن محمد بن احمد بن إسماعيل أبو حفص نجم الدين النسفي عالم بالتفسير، والأدب والتاريخ من فقهاء الحنفية، ولد بنسف واليها نسبته، وتوفي بسمرقند، قيل له مائة مصنف كان يلقب بمفتي الثقلين، وهو غير النسفي المفسر عبد الله بن احمد، توفي سنة ٤٧١هـ، ينظر: الأعلام، الزركلي، ٥/٢٢٢.

وما يجوز في حقهم، ثم الدليل القاطع على إثبات نبوتهم، بعد ان اصطفاهم الله تعالى من خلقه، ثم تزينت المباحث بمبحث النبوة الخاصة في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)، ومعجزاته وشمائله وأوصافه.

<u>المطلب الثالث: مسائل في نقد الكتب المقدسة لدى القوم، وإثبات تحريفها وتبديلها، وبيان تهافتها ودخائلها.</u>

قد يكون للنقد نظريات أساسية، ومرتكزات حقيقية، وقد تتطور نظريات النقد وفق المعطيات العلمية، والحديث عن الكتب المقدسة في معرض بيان حقيقتها، وجذرها الأول والرئيس، ومن ثم تجذرها عبر مراحل زمنية، يحتاج إلى حقائق علمية لتثبيت ركائز النقد العلمي كي يتبين من واقعه آثار الدخيل في الكتب التي يقدسها القوم تقديسا عظيما. وقد ساق القرآن من الشواهد على تلك الكتب، واختط إمام علماء الإسلام المنهج النقدي القويم لكتب القوم المقدسة، وكذا بيان تهافتها وتحريفها وتبديلها، ولم يكتف السياق القرآني بالنقد والتحليل بل طالب القوم ان يأتوا بالبرهان القاطع الذي يؤيد صحة دينهم، لان الادعاء يحتاج إلى دليل فكيف بالذين يفترون على الله الكذب والبهتان؟ لذا جاء الطلب من الحق لإقامة الحجة والبرهان عليهم، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١٩.

بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1]،

وقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[2].

لذا سار العلماء وفق المنهج القرآني العظيم، وعمدوا إلى دراسة كتب القوم المقدسة التي أصابها تشويه، ومحو لبعض صورها الحقيقية وتغييرها، وبالرغم من ادعائهم أنها لم يطرأ عليها التغيير والتبديل، وانها وطبقت مشارق الأرض ومغاربها.

ومما هو جدير بالذكر ان نقد علماء الإسلام لهذه الكتب لم يكن وفق الأهواء والرغبات الشخصية، ولم يتم تأويلها وفق الانحياز والتعصب كما فعل المستشرقون، وبعض اللاهوتيين الذين ملئت نفوسهم الكيد والضغينة على الإسلام، بل اتخذوا المنهج العلمي في نقد كتب القوم المقدسة فيسير وفق اتجاهين:

احدهما: سند الكتب المقدسة، **والثاني:** النظر إلى النصوص وتحليلها.

فأما الأول؛ فكونه كتابا مقدسا سماويا واجب التسليم ان يثبت أولا بدليل تام ان هذا الكتاب كتب بوساطة النبي الفلاني، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل، بلا تغيير ولا تبديل، وإما الإسناد إلى شخص ذي

---

(١) سورة الأنبياء، الآية(٢٤).

(٢) سورة القصص، الآية (٧٥).

الهام مجرد الظن أو الوهم لا يكفي في إثبات انه من تصنيف ذلك الشخص، وكذلك مجرد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفي فيه[1].

وأما الثاني؛ فهو النظر إلى ذات النصوص وبيان تناقض نصوصها بما لا يتلائم مع المنظور العقلي السديد، ومن العسير إخضاع العقل وإقحامه لمثل تلك الترهات.

من اجل هذا خلص العلماء إلى نتيجة مهمة انه لا يمكن نسب التوراة الحالية برمتها إلى موسى (عليه السلام)، وكذا الحال مع الأناجيل الأربعة ورسائل الرسل، ونصوصها المحكية عن عيسى (عليه السلام). وسنستفيض بالبحث والدرس لتلك الكتب من واقع إبراز جهود العلماء في نقدها في الفصلين الثالث والرابع ان شاء الله تعالى والحق ان هناك عددا كبيرا من علماء الإسلام تعرضوا إلى دراسة كتب القوم المقدسة من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين، وحققوا نتاجا علميا رائعا في نقدها.

المطلب الرابع: مباحث في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)، من واقع البشارات المذكورة في النصوص المقدسة.

تعد مباحث إثبات نبوة نبينا محمد (ﷺ)، في مؤلفات علماء الإسلام، من المباحث المهمة، وقد تضافرت مؤلفات علماء الإسلام بعضها مع بعض، وتزينت، وتعطرت، وتجملت، وهي تسرد نصوص الكتب المقدسة

---

(١) ينظر: إظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م، ط(٣)، ٤٢/١.

في بشارات النبي العظيم(ﷺ)، وتفسر الظاهر منها والخفي وفق ضوابط فقه اللغة، ولا نسرف بالقول عندما نقول ان تلكم المؤلفات قد بلغت مبلغا كبيرا، فلا يوجد مؤلف مستقل أو ضمني، متقدما أو متأخرا، إلا تعرض إلى إثبات نبوة نبينا محمد (ﷺ) من واقع كتب القوم المقدسة، ومن واقع النصوص التي دلت على بشارات النبي محمد(ﷺ).

شبهة ورد:

لعل في هذا المقام قد نسال سؤالات عدة حيال اتخاذ علماء الإسلام النصوص المقدسة في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)، وخاصة وان علماءنا أعدوها تحت طائلة النظر لمواطن التحريف والتزوير والتبديل فيها، عندها يتحتم الأمر ان نقف وقفة علمية تجاه تلك السؤالات، ولنعطي منظورا نقديا علميا آخرا تجاهها، ومن جانبين:

الأول: كون كتبكم المقدسة تعرضت إلى التشويه في معالم العقيدة والشريعة، فهذا لا يعني تركها بل من العدل ان ننصف من تقّول على الله تعالى، وذلك في إقامة الحجة عليهم ومما نطقت به ألسنتهم لذا فإننا نرى المكر السيئ لا يحيط إلا بأهله، وانتم أعددتم كتبكم المقدسة منزلة ونازلة من الحق جل ثناؤه الى الأنبياء، ومن ثم بلغ الأنبياء أقوامهم ليتخذوا من التبليغ البيان الواضح لمعالم الرسالة، وليأتمروا بما أمروا به، ولينتهوا بما نهوا عنه، كي تكون عاقبة أمرهم صلاحا وفلاحا وتصديقا بالله تعالى ورسالاته، ونحن إذا أردنا ان نسلم بالكتب التي بين أيديكم، وأنها منزلة من الله تعالى ولم يصبها تشويه وتبديل عندها يؤول الأمر ان نأخذ منها ما نشاء لإثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ) بعدما أنكرتم نبوته وبعثته الى العالم،

وفسرتم أوصافه المذكور في كتبكم وفق خلاف الأصل مكابرة وعنادا، عندها يسند الأمر الى حقيقة نبوته، وإقامة الحجة والبرهان الواضح عليكم إلى يوم الدين، وتأكيدا من واقع كتبكم المقدسة التي تقدسونها، وتؤمنون بها، وتتعبدون بها، وهي ناطقة عليكم.

<u>الثاني:</u> نحن معاشر المسلمين نؤمن إيمانا قاطعا لا ريب فيه ان القران الكريم الحجة الدامغة، والبرهان القاطع، والضابط الرئيس لكل مجريات الأمور الدنيوية والأخروية، لذا فإخباره عن تلكم الكتب تعد برهانا ودليلا لا ريب فيه، وان القران الكريم قد أنصفكم، واسند أمركم إلى العدل والإنصاف، وفي ذلك تحققت العدالة الإلهية، فان القران الكريم لم يقل ان كل نصوص كتب القوم المقدسة هي محرفة ومشوهة، وفي ذلك فقد أعطاها الوصف العادل، ونحن معاشر المسلمين لو أننا سرنا على ما سار عليه علماؤكم من إخفاء الحقائق، انقاد أمرنا إلى إخفاء كلام الله تعالى، وقلنا ان كتب القوم برمتها مشوهة ومزيفة، ولا يمكن النظر إليها، عندها الأمر لا يستقيم مع إيماننا بالله تعالى ورسله، وكتبهم، وملائكته، عندها تتمايز امة الإسلام على غيرها من الأمم.

يقول د. احمد السقا في كتابه البشارة بنبي الإسلام (ﷺ) في التوراة والإنجيل: "لم يقل القران بان التوراة كلها محرفة، بل قال ان البعض محرف، ولم يقل بان الإنجيل كله محرف بل قال ان البعض محرف، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ

ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾[2]، لم يقل أتوا الكل ولا نسوا الكل، ومن هذا البعض نستشهد على نبوة النبي (ﷺ)"[3].

ثم انتم تعمدتم إخفاء البشارة أو صرف تأويلها إلى غير هذا النبي (ﷺ)، يقول د. احمد السقا:

"وكاتب التوراة في بابل لم يحذف منها النصوص التي تدل على محمد (ﷺ)، وذلك لكي يرضى المتدينين من بني إسرائيل، وفرقت النصوص على الإسفار الخمسة، ولم يضعها كلها في مكان واحد، لئلا تدل عليه بسهولة ويسر، واتبع طريقة لبس الحق بالباطل وتحريف الكلم من بعد مواضعه في كتابة نصوص النبوءات عليه"[4].

<u>المطلب الخامس: محاولة إحصاء مؤلفات علماء المسلمين في الأديان.</u>

لعل من أهم المقاصد التي نبتغيها من محاولة إحصاء بعض مؤلفات علماء المسلمين، هي:

---

(١) سورة آل عمران، من الآية (٢٣).

(٢) سورة المائدة، من الآية (١٤).

(٣) البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، د. احمد حجازي السقا، دار البيان العربي، ٦٠/١.

(٤) المصدر نفسه، ٦٠/١.

١) تيسير المأخذ الدراسي لطلبة العلم، في بحوثهم العلمية والتخصصية في هذا العلم وغيره من علوم العقيدة.

٢) ان جمع المؤلفات المتناثرة في كتب المعاجم والتراجم تعطي موضوعية تامة في البحث والتقصي عن الموضوعات المراد دراستها.

٣) جمع المؤلفات في فهرسة، يعطي الاطلاع الواسع على جل المؤلفات وبالتالي يؤول الأمر إلى الخروج بنتائج علمية دقيقة جدا، لان التنوع في المصادر يعطي ازدياد في العلمية، عندها يرتقي البحث إلى مراتب علمية عالية.

٤) إبراز جهود علماء الإسلام الجبارة في هذا العلم، وما تحملوه من مشقة في حلهم وارتحالهم، وفي مجالس المناظرات والمقابلات وغيرها.

٥) إبراز جهود علماء الإسلام في دفاعهم عن دين الحق، وتفنيد عقائد القوم الباطلة ودحضها.

٦) التأسي بمناهج علماء الإسلام في الدفاع عن العقيدة ونصرة الدين القويم.

ونكون في ذلك قد صوبنا الأنظار نحو علم مقارنة الأديان وأهميته العظيمة، وسنبرز تلك المؤلفات، وفق محورين، الأول: مؤلفات علماء الإسلام المتقدمين. والثاني: مؤلفات المتأخرين المسلمين في الأديان.

أولا: مؤلفات علماء الإسلام المتقدمين[1]:

١. الأجوبة الجليلة لدحض الدعوات النصرانية، لمحمد بن علي بن عبد الرحمن الدمشقي الطيبي[2].

٢. الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، شهاب الدين القرافي، ت(٦٨٤هـ)، تحقيق مجدي محمد الشهاوي، مكتبة القرآن.

٣. اسنى المتاجر في بيان أحكام من على وطنه النصارى ولم يهاجر، لأبي العباس احمد بن يحيى بن محمد التلمساني، ت(٩١٤هـ)، نشر مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، العدد (١-٢/١٩٧٥م)، السنة (٥).

٤. الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط الخرباوي البقاعي الدمشقي، ت(٨٨٥هـ)، أديب مفسر محدث[3].

٥. ظهار تبديل اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك ما لا يحتمل التأويل، لأبي محمد علي بن احمد الأموي، ت(٤٥٦هـ)[4].

---

(١) سنعتمد ترتيب المؤلفات بحسب الحروف الهجائية.

(٢) ينظر: ايضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون، اسماعيل باشا، ٣/٢٦.

(٣) ينظر: ايضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون، ١/٧١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ١/١١٨.

٦. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٧. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام واثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، تأليف القرطبي، تقديم وتحقيق وتعليق، د.احمد حجازي السقا، دار التراث العربي.
٨. الإعلام بمناقب الإسلام، لأبي الحسن محمد بن يوسف العامري ت(٣٨١هـ)، تحقيق احمد عبد الحميد غراب، مؤسسة دار الأصالة الثقافية للنشر والإعلام، ط(١)، (١٤٠٨هـ).
٩. ألف مسألة في الرد على المانوية، واصل بن عطاء، ت(١٣١هـ)[١].
١٠. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، سليمان بن عبد القوي الطوفي الصَّرصري الحنبلي ت(٧١٦هـ)، دراسة وتحقيق د. سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط(١)، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.
١١. البحث الصريح أيما هو الدين الصحيح، زيادة بن يحيى الراسبي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، تحقيق سعود بن عبد العزيز، طباعة الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة.

---

(١) ينظر: تاريخ التراث العربي، تاليف فؤاد سزكين، اشرف على طبعه جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، السعودية، (١٤١١هـ -١٩٩١م)، ٤/ ١٩.

١٢. بذل المجهود في إفحام اليهود، هو السموءل بن يهوذا المغربي الأندلسي الطبيب، تـ(٥٧٠هـ)، طبع الكتاب بالقاهرة، في مطبعة الفجالة الكبرى، وقدم له الأستاذ محمد احمد الشامي وعلق عليه.

١٣.البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، لأبي الفضل عباس بن منصور التيمي السكسكي، ت(٦٨٣هـ)[1].

١٤.بين الإسلام والمسيحية، احمد عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي، فقيه أندلسي، ت(٥٨٢هـ)، تحقيق محمد شامة، مكتبة وهبة مصر.

١٥.تاريخ الأديان، إبراهيم الحيدري تـ(١٢٨٢هـ)، من أهل العلم والأدب[2].

١٦.تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، عبد الله الترجمان، الذي كان اسمه القس (أنسلم تورميدا)، واسلم، من علماء القرن التاسع الهجري، تحقيق الدكتور الطاهر المعموري، دار بو سلامة للطباعة، تونس.

١٧.ثلاثة مؤلفات لاهوتية، لأبي الفرج يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي، من علماء القرن الحادي عشر الهجري[3].

١٨.الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية تـ(٧٣٨هـ)، حقق تحقيقات عدة منها: تحقيق محمد حسن محمد، المكتبة العلمية، ط(١)، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

---

(١) ينظر: تاريخ التراث العربي، ١٧٩/٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٢٧/١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ١٨٩/٢.

١٩. حل الشكوك والرد على اليهودي المخالف، لإبراهيم بن عون الاسكافي النسطوري، عاصر المتوكل العباسي، وهو من أعلام القرن الثالث الهجري[1].

٢٠. الدين والدولة في إثبات نبوة سيدنا محمد(ﷺ)، المهتدي علي بن زين الطبري، وهو معاصر للجاحظ، نشره عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣م.

٢١. الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، لأبي حامد الغزالي، ت(٥٠٥هـ)، تقديم محمد الشرقاوي، دار الصحوة، مصر، (١٤٠٦هـ).

٢٢. الرد على ابن النغريلة اليهودي، ابن حزم، تحقيق احسان عباس، مكتبة العروبة، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٣. الرد على النصارى، لأبي البقاء صالح الجعفري، ت(٦٣٢هـ)، تحقيق د. محمد محمد حسنيين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط(١)، (١٤٠٩هـ ١٩٨٨م).

٢٤. الرد على اليهود، لمحمد بن عبد الرحمن بن المصري، ت(٣٨٠هـ)[2].

٢٥. الرسالة القبرصية، ابن تيمية، عنى بها وعلق عليه، علاء دمج، دار ابن حزم، ١٩٩٧م، ط(٣).

---

(١) ينظر : تاريخ التراث العربي، ٧٢/١.

(٢) ينظر : تاريخ التراث العربي، ٨٣٩/١.

٢٦.رسالة راهب فرنسا إلى ملك المسلمين، وجواب القاضي أبي الوليد عليها، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، ت(٤٧٤هـ)، دراسة وتحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، (١٤٠٦هـ ١٩٨٦م).
٢٧.الرموز بعبادات العرب وخرافاتهم، لأبي العباس احمد بن أبي السَّرح، حقق الكتاب محمد حسين، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ١١/١٩٣١، ص٦٤١[1].
٢٨.سيرة المسيح، لابن عساكر الدمشقي، ت(٥٧١هـ)، تحقيق سليمان علي مراد، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط(١)، (١٩٩٦م).
٢٩. شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، إمام الحرمين الجويني، تـ(٤٧٨هـ) حققه الشيخ الدكتور احمد حجازي السقا، وطبع في القاهرة، من قبل المكتبة الأزهرية للتراث، سنة (١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).
٣٠.عصمة الانبياء، الفخر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣١.على التوراة، الشيخ الفقيه علي بن محمد عبد الرحمن خطاب علاء الدين الباجي الشافعي، تـ٧١٤هـ، تحقيق احمد السقا، دار الأنصار، القاهرة، ط(١)، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٣٢.عيسى كلمة الله والقران كلام الله، ابن تيمية، تحقيق ودراسة قسم التحقيق بدار الصحابة للتراث طنطا.

(١) ينظر: تاريخ التراث العربي ، ٢/٢٦٣.

٣٣.الفصل في الملل والأهواء والنحل، للإمام أبي محمد علي بن احمد، ابن حزم، ت (٤٥٦هـ)، حقق الكتاب تحقيقات عدة منها، تحقيق احمد السيد سيد احمد علي، طباعة المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٣٤.قواعد الأديان، ابن تيمية، دراسة وتحقيق إبراهيم محمد الجمل، ط(١)، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

٣٥.كتاب الرد على النصارى، وكتاب ما حددت النصارى من قولها قد استحصينا فيه جميع أصولنا، وكتاب رد على الملاحدة الذين يطالبون الدليل على وجود الله، لأبي محمد القاسم ابن إبراهيم بن إسماعيل الحسني العلوي الرَّسي، تـ(٢٤٦هـ)[1].

٣٦.كتاب زبور داود، وهب بن منبه، ت (١١٠هـ)، وقد يكون اسمه كتاب المزامير ، ترجمة الزبور[2].

٣٧. ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني، تـ(٤٤٠هـ). طبعة الهند.

٣٨. المختار في الرد على النصارى، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت(٢٥٥هـ)، وقيل سنة(٢٥٠هـ)، تحقيق ودراسة د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

---

(١) ينظر: تاريخ التراث العربي، ٣/ ٣٢٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١٢٢/٢.

٣٩.مرويات عن أسفار دانيال، عبد الله بن سلام بن الحارث، ت(٤٣هـ)[١].

٤٠.المفيد، لإبراهيم بن احمد الفجيجي الشريفي الرحالة المحدث الناظم، توفي بعد (٩٠٠هـ)[٢].

٤١.مقامع هامات الصلبان بين الإسلام والمسيحية، أبو عبيدة الخزرجي، تحقيق د. محمد أبي شامة، مطبعة مدني القاهرة.

٤٢.الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ت(٥٤٨هـ)، حقق تحقيقات عدة منها: تحقيق لأبي محمد بن فريد، طباعة المكتبة التوقيفية، القاهرة.

٤٣.مناظرة في الرد على النصارى، لأبي عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، ت(٦٠٦هـ)، تقديم وتحقيق عبد الله مجيد النجار، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م.

٤٤.المنتخب الجليل من التخجيل من حرف الإنجيل، أو منتخب تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، لأبي الفضل المسعودي، مطبعة التمدن، القاهرة، (١٣٢٢هـ).

٤٥.منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن حمد بن معمر، من علماء نجد، ت (١٢٤٤هـ)، دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف، ط(٣)، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

---

(١) ينظر: تاريخ التراث العربي، ٢/ ١٢٠.

(٢) ينظر: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٨/١.

٤٦. النبوات، ابن تيمية، نشر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
٤٧. النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيى المتطبب، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط(٢)، (١٤٠٧هـ).
٤٨. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، ت (٧٥١هـ)، تحقيق د. احمد حجازي السقا، دار التراث، القاهرة.
٤٩. وفاء العهود في وجوب هدم كنيسة اليهود، لأحمد بن محمد بن محمد الشافعي، ت(٨٩٣هـ)[1].

ثانيا: مؤلفات المتأخرين المسلمين في الأديان[2]:

١. أبحاث في اليهودية والصهيونية، احمد سوسة، دار الأمل، الأردن، ٢٠٠٣م.
٢. إبطال مزاعم إسرائيل الدينية والتاريخية في فلسطين، لواء احمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
٣. ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. محمود علي حماية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ط(١).
٤. الإخاء الديني ومجمع الأديان، وموقف الإسلام منه، د. محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة.
٥. الأدلة الكتابية على فساد النصرانية، د. احمد السقا، دار الفضيلة.

---

(١) ينظر: معجم المؤلفين، ٢/ ٢٠١٧.
(٢) وهي مرتبة حسب حروف الهجاء.

٦. الأديان والمذاهب في العراق، رشيد الخيون، منشورات الجمل.
٧. الأديان، دراسة مقارنة، د.رشدي عليان، د. سعدون الساموك، بغداد.
٨. إسرائيل البداية والنهاية، د. مصطفى محمود.
٩. إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل احمد، دار العهد الجديد، القاهرة، ١٩٦٧م.
١٠.الأسفار المقدسة عند اليهود وآثرها في انحرافهم، د. محمود بن عبد الرحمن قدح، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (١١١).
١١.الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
١٢.الأسفار المقدسة قبل الإسلام، صابر طعيمة، عالم الكتب، ط(١)، ١٩٨٥م.
١٣.الإسلام والأديان الأخرى، نقاط الاتفاق والاختلاف، لواء احمد عبد الوهاب، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
١٤.الإسلام والأديان، دراسة مقارنة، د. مصطفى حلمي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٤م.
١٥.الإسلام والديانات السماوية، محمد حسين الذهبي، دار الإنسان، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٦.الإسلام والرد على منتقديه، محمد عبده، المكتبة التجارية، مصر، ١٤٣٦هـ.
١٧.الإسلام والمسيحية في الميزان، شريف محمد هاشم، مؤسسة الوفاء، بيروت.

١٨.أصول النصرانية في الميزان، د. محمد سيد احمد الميسر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٨م.
١٩.إظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي، دار الجيل، بيروت.
٢٠.إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان، الشيخ محمود بن عبد الله التويجري.
٢١.اقانيم النصارى د. احمد السقا، مطبعة المجد دار الأنصار، القاهرة ١٣٩٧هـ.
٢٢.أنبياء الله، محمد متولي الشعراوي، دار مايو الوطنية، القاهرة.
٢٣.إنجيل برنابا، ترجمة خليل سعادة، كتابة وإعداد وتنسيق م. احمد جبر عبد ربه.
٢٤.إنجيل برنابا، سيف الله احمد فاضل، دار القلم الكويت، ط(١)، ١٩٧٣م.
٢٥.إنجيل برنابا، ودراسات حول وحدة الدين عند موسي والمسيح ومحمد (عليهم السلام)، تحقيق سيف الله احمد فاضل، دار القلم، الكويت، ط(١) ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
٢٦.الإنجيل دراسة وتحليل، د. محمد شلبي شتيوي، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٢٧.انزعوا قناع بولص عن وجه المسيح، احمد زكي، دار الحداثة للطبع والنشر.
٢٨.أهل الكهف في التوراة والإنجيل والقرآن، د. احمد علي المجدوب، الدار المصرية اللبنانية.

٢٩.البروتستانت والإنجيليون في العراق، حارث يوسف غنيمة، مطبعة الناشر المكتبي، بغداد، ١٩٩٨م.
٣٠.البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل د. احمد حجازي السقا، دار البيان العربي.
٣١.بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د. محمد سيد طنطاوي، ط دار الشروق الأولى، القاهرة، ط(٢)، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
٣٢.بنو إسرائيل واليهود والذين هادوا(دراسة تحليلية)، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد الأول (٣)، العدد(١)، ٢٠٠٦م.
٣٣.بنو إسرائيل، د. محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩م.
٣٤.بين العصمة والازدراء الأنبياء في القرآن والكتاب المقدس، د. محمد عمارة، نشر صحيفة المصريين.
٣٥.تاريخ الأديان وفلسفتها، طه الهاشمي، بيروت، ط(١)، ١٩٦٣م.
٣٦.تاريخ الديانة اليهودية، د.محمد خليفة حسن احمد، دار قباء للطباعة، القاهرة.
٣٧.تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، د.رشدي عليان، د. سعدون الساموك، نشر جامعة الموصل.
٣٨.تاريخ اليهود العام، صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ط(١)، ١٩٧٥م.
٣٩.تاريخ اليهود، احمد عثمان، مكتبة الشروق.

٤٠.التاريخ اليهودي العام، صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت، ط(١)، ١٩٧٥م.
٤١.تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزه دروزة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة.
٤٢.تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد (ﷺ)، د. نصر الله عبد الرحمن أبو طالب.
٤٣.التبشير في العراق، وسائله وأهدافه، سلامة حسين كاظم، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد.
٤٤.تحريف رسالة المسيح (عليه السلام) عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، بسمة احمد جستينه، دار القلم دمشق، ط(١)، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٤٥.تحريف مخطوطات الكتاب المقدس، علي الريس، مكتبة النافذة.
٤٦.التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، د. سارة بنت حامد محمد العبادي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة.
٤٧.التدليس في كلام القديس، مهندس حازم الأشهب.
٤٨.التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، دار نهضة مصر.
٤٩.تلمود العم سام، منير العكش، رياض الريس للكتب والنشر، ط(١)، ٢٠٠٤م.
٥٠.التلمود والصهيونية، د. اسعد رزوق، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠م.

٥١. التناقض في التوراة وآثره في الأعمال السلبية لليهود، حامد عيدان حمد الجبوري، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.
٥٢. تهافت قضية التجسد في العقيدة النصرانية، ليلى زكي قطب، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٧م.
٥٣. التوراة، د. سهيل زكار، دار قتيبة، دمشق.
٥٤. التوراة، مصطفى حلمي.
٥٥. التوراة السامرية، د. احمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة.
٥٦. التوراة العدو اللدود للسامية، يوسف رشاد، دار الكتاب العربي، القاهرة.
٥٧. التوراة الهيروغليفية، فؤاد حسنين علي، دار الكتاب العربي، القاهرة.
٥٨. ثم شتان، دراسة منهجية في مقارنة الأديان، د. محمد عبد الرزاق الرضواني، مكتبة سلسبيل القاهرة.
٥٩. جذور الفتنة أجيال بني إسرائيل الأولى، د. محمد عصمت بكر، دار النمير للطباعة، دمشق.
٦٠. جغرافية التوراة، زيادة منى، رياض الريس للكتب والنشر، ط(١)، ١٩٩٤م.
٦١. الجنس في العهد اليهودي القديم، محمد عبد الحليم عبد الفتاح.
٦٢. الجوانب الخفية من حياة المسيح، ناصر المنشاوي، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٦٣. حجية التوراة، د. احمد الحوفي، مؤسسة الخليج العربي، ط(١)، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٦٤.حوار عقائدي بين مسلم ونصراني، ترجمة وإعداد محمد عبد الله محمد، عالم المعرفة والتوزيع، جدة.
٦٥.حول موثقية الأناجيل، محمد السعدي، مجلة رسالة الجهاد، سلسلة دورية، ط(١)، ١٩٨٥م، طرابلس، ليبيا.
٦٦.حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر.
٦٧.الخلاف بين التوراة والقرآن، محمد علي حسين، المكتبة الشرفية، ط(٢)، ١٩٨٩م.
٦٨.خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس، احمد ديدات، دار المختار الإسلامي.
٦٩.دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د. سعدون بن عبد العزيز الخلق، أضواء السلف، ط(١)، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٧٠.دراسات نقدية للكتاب المقدس، د. حسام أبو البخاري.
٧١.دراسة العقائد النصرانية، منهجية ابن تيمية ورحمت الله الهندي، محمد الفاضل علي اللافي، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٧٢.دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، محمد السعدي، دار الثقافة، قطر، ١٩٨٥م، ط(١).
٧٣.دروس في تاريخ الأديان، حسن توفيقي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، طهران.

٧٤.دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام، للمستشار منصور حسين عبد العزيز ، مكتبة علاء الدين، ط(٣)، ١٩٩٤م.
٧٥.دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض إبراهيم، مطبعة أولاد عثمان، القاهرة، ١٤١٢هـ ١٩٩٣م، ط(١).
٧٦.دلائل تحريف الكتاب المقدس، د. شريف سالم.
٧٧.الديانات القديمة، الشيخ أبو زهرة، دار الفكر العربي.
٧٨.الديانات القديمة، د. احمد شلبي، مكتبة نهضة مصر .
٧٩.الدين بحوث ممهدة في دراسة الأديان، د. محمد عبد الله دراز ، دار القلم، الكويت، ط(٢)، ١٩٧٠م.
٨٠.الرد على النصارى، تحقيق ودراسة إمام حنفي عبد الله، دار الآفاق العربية، القاهرة.
٨١.الردود على النصارى في مجلة المنار، محمد رشيد رضا، منشورات اللجنة العلمية.
٨٢.رسول الإسلام في الكتب السماوية، د. مصطفى الصادقي، مؤسسة الاعظمي، بيروت، ط(١)، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.
٨٣.السامريون واليهود، سيد فرج راشد، دار المريخ، الرياض.
٨٤.شبهة التاريخ الكبرى، هل أن عيسى هو المسيح؟ الأستاذ الشريف الجبوري.
٨٥.الشخصية اليهودية عبر التاريخ، جودت السعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط(١)، ١٩٨٥م.

٨٦.الشورى في الأديان الثلاث، أطروحة دكتوراه، إبراهيم درباس، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية.
٨٧.صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، أمين الخولي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٣م.
٨٨.العذراء مريم وميلاد المسيح عيسى (عليه السلام)، بين القرآن والإنجيل، فتحي فوزي عبد المعطي، نهضة مصر، للطباعة والنشر والتوزيع.
٨٩.العقائد الوثنية في الديانة النصرنية، محمد طاهر التنير، القاهرة، ١٩١١م.
٩٠.العقائد والأديان، د. محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.
٩١.العقائد والأديان، عبد القادر صالح، دار المعرفة، بيروت.
٩٢.عقيدة الصلب والفدا، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر.
٩٣.العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل، حسن الباش، دار قتيبة، ط(١)، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٩٤.عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد، محمد بن علي بن محمد آل عمر، مجلة البيان، الرياض، ط(١)، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
٩٥.العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، سعد الدين السيد صالح، دار الصفا للطباعة، القاهرة.
٩٦.علاقة الإسلام باليهودية، د. محمد خليفة محمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٩٧.عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، مركز الحضارة العربية، القاهرة.

٩٨.غرائب وعجائب التلمود، د. عاطف عثمان حلبية.

٩٩.الفارق بين المخلوق والخالق، العلامة عبد الرحمن الباجه جي زادة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٠٠. فضائح الكنائس والباباوات والقس والرهبان والراهبات، جمع وتحقيق مصطفى فوزي عبد اللطيف غزال، دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، ط(١)، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

١٠١. القران والتوراة أين يتفقان وأين يختلفان؟ حسن الباش، دار قتيبة، دمشق.

١٠٢. قصة الذبيح عند أهل الكتاب والمسلمين، د. فتحي محمد الزعبي، ط البشاير، للثقافة والعلوم، طنطا، ط(١).

١٠٣. قصة موسى (عليه السلام)، مع فرعون بين القرآن والتوراة، نضال عباس جبر، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا.

١٠٤. قل تعالوا! هذا هو الحق، مجدي قاسم ط(١)، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.

١٠٥. الكتاب المقدس في الميزان، الشيخ محمد علي برو العاملي، الدار الإسلامية، بيروت.

١٠٦. كلام في الممنوع الاختراق اليهودي للفاتيكان، محمد عبد الحليم عبد الفتاح.

١٠٧. الكنز المرصود في قواعد التلمود، د. يوسف نصر الله، مطبعة المعارف، القاهرة.

١٠٨. كيف زيف اليهود الكتب المقدسة، موسى الزغبي، دار المنارة.
١٠٩. لقاء المسيحية والإسلام، نصري سهلب، دار الكتاب العربي، بيروت.
١١٠. الله في اليهودية والمسيحية والإسلام، احمد ديدات، دار المختار الإسلامي.
١١١. المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، د. سلطان عبد الحميد سلطان، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط(١)، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
١١٢. محاضرات في النصرانية، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الكتاب العربي.
١١٣. محمد والمسيح إخوان، محمود أبو ريه، دار الكرنك، للنشر والطبع والتوزيع.
١١٤. محمد(ﷺ) في التوراة والإنجيل والقران، إبراهيم خليل احمد، دار المختار.
١١٥. مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، احمد ديدات، دار الفضيلة.
١١٦. المساومة الكبرى من مخطوطات قمران إلى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني، د. زينب عبد العزيز، ط(١)، ٢٠٠٨م.
١١٧. المسيح (عليه السلام) بين الحقائق والأوهام، د. محمد وصفي، دار الفضيلة.
١١٨. المسيح المنتظر ونهاية العالم، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار السلام للطباعة، القاهرة، ط(١)، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١١٩. المسيح في مصادر العقائد المسيحية، لواء احمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة.
١٢٠. المسيح والتثليث، د. محمد وصفي، دار الفضيلة.
١٢١. المسيحية النصرانية، ساجد مير، دار السلام، الرياض.
١٢٢. المسيحية والتوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض.
١٢٣. المسيحية، د. احمد شلبي، مكتبة نهضة مصر.
١٢٤. مصادر النصرانية، دراسة ونقدا، د. عبد الرزاق بن عبد المجيد، دار التوحيد للنشر الرياض.
١٢٥. مع الأنبياء في القران الكريم، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، ط(٢).
١٢٦. مع المسيح في الأناجيل الأربعة، فتحي عثمان.
١٢٧. مفصل العرب واليهود في التاريخ، احمد سوسه، دار الحرية، بغداد.
١٢٨. من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني، د. احمد السقا، اسعد سيد احمد، دار الأنصار، القاهرة.
١٢٩. المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين الشيخ احمد ديدات والقس سوجارت، تقديم د. احمد السقا، محمد الغزالي، مكتبة زهران، القاهرة.
١٣٠. مناظرة في الرد على النصارى، عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي.

١٣١. منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الديني، د. هادي حسين حمود، طباعة بغداد.
١٣٢. موسى مصريا، محمد العزب موسى، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م.
١٣٣. موقف النبي من الديانات الثلاث الوثنية، واليهودية، والنصرانية، حسن خالد، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١٣٤. نداء إلى الفاتيكان راجعوا أسفاركم المقدسة المتناقضات العلمية في أسفار العهد القديم والجديد، مصطفى عبد اللطيف درويش، دار الشعب، القاهرة.
١٣٥. نهاية المسيح(عليه السلام)، وعودته في القرآن والإنجيل، هنا حافظ عبد الغني، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم أصول الدين بكلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية، نابلس ٢٠٠٧م.
١٣٦. الهيروغليفية تفسر القرآن الخليل اخناتون في القرآن الكريم، مكتبة مدبولي القاهرة.
١٣٧. الوجه الآخر للمسيح، موقف يسوع من اليهود واليهودية واله العهد القديم، فراس سواح، منشورات دار علاء الدين، ط(١)، ٢٠٠٤م، دمشق.
١٣٨. الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والإسلام، لواء احمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة القاهرة، ط(١)، ١٣٢٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٣٩. اليهود في القرآن، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، ط(٤)، ١٩٧٤م.

١٤٠. اليهود، زهدي الفاتح.
١٤١. اليهودية، عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية، عرفان عبد الحميد، دار عمار.
١٤٢. اليهودية بين النظرية والتطبيق، علي خليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧م.
١٤٣. اليهودية نشأة وتاريخا، الشيخ صفوت الشوادمي، دار التقوى للنشر والتوزيع.
١٤٤. اليهودية والصهيونية وإسرائيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط(١)، ١٩٧٥م.
١٤٥. اليهودية واليهود، د. علي عبد الواحد، دار الهنا للطباعة القاهرة.
١٤٦. اليهودية واليهودية المسيحية، د. فؤاد حسنيين علي، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م.
١٤٧. اليهودية، د. احمد شلبي، مكتبة نهضة مصر.
١٤٨. اليوم الآخر في الأديان السماوية، والديانات القديمة، تأليف: يُسر محمد سعيد مبيّض، دار الثقافة، الدوحة.

الفصل الثالث

جهود علماء المسلمين في دراسة الديانة اليهودية؛ وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول: مقدمات تأصيلية لدراسة الديانة اليهودية.
- المبحث الثاني: القرآن الكريم والسنة المطهرة وأثارهما في نقد أسفار العهد القديم.
- المبحث الثالث: الإمام ابن حزم وجهوده في دراسة اليهودية ونقد أصولها.
- المبحث الرابع: الإمام الجويني وجهوده في نقد الأصول اليهودية.
- المبحث الخامس: الإمام ابن قيم الجوزية وجهوده في عرض و نقد التوراة.
- المبحث السادس: الحكيم السموءل بن يحيى المغربي الأندلسي وجهوده في إثبات التحريف والتبديل في التوراة

الفصل الثالث

جهود علماء المسلمين في دراسة الديانة اليهودية

بعد أن قمنا بدراسة الأسباب الباعثة على التأليف، وكذا القواعد المنهجية وتنوع ألوانها، في مؤلفات علماء الإسلام، نعمد في هذا الفصل إلى إبراز جهود علماء المسلمين في دراستهم للديانة اليهودية(١)، وقبل الشروع في دراسة تلك الجهود الجليلة، أرى من المناسب تأطير الدراسة وفق الأصول البحثية وتأصيلها، وذلك ببيان جوهر الديانة اليهودية، والعوامل المؤثرة في تكوينها، وكذا بيان الأسس النقدية للأصول اليهودية، وسنقسم موضوعات هذا الفصل على ستة مباحث، تتفرع عنها مطالب عدة، وهي:

---

(١) وسنقصر دراستنا على جهود كل من:

١) الإمام ابن حزم في كتابه:(الفصل في الملل والأهواء والنحل).

٢) الإمام الجويني في كتابه: (شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل).

٣) الإمام ابن قيم الجوزية في كتابيه: (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)، و(إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان).

٤) ثم نختم الفصل بكتاب (بذل المجهود في إفحام اليهود، للحكيم المحقق السموأل بن يحيى المغربي).

المبحث الأول: مقدمات تأصيلية لدراسة الديانة اليهودية، وفيه ستة مطالب:

- ❖ المطلب الأول: العوامل الرئيسة في تكوين الفكر اليهودي.
- ❖ المطلب الثاني: تحقيق اسم التوراة في اللغة.
- ❖ المطلب الثالث: ترجمة التوراة.
- ❖ المطلب الرابع: نُسخ التوراة.
- ❖ المطلب الخامس: جمع وتدوين التوراة.
- ❖ المطلب السادس: التلمود ومكانته عند اليهود.

المبحث الثاني:القرآن الكريم والسنة المطهرة وآثارهما في نقد أسفار العهد القديم،

وفيه مطلبان:

- ❖ المطلب الأول: القران الكريم وآثره في توجيه نقد أسفار العهد القديم.
- ❖ المطلب الثاني: السنة النبوية وآثرها في بيان حقائق الكتب المقدسة لدى اليهود.

المبحث الثالث: الإمام ابن حزم وجهوده في دراسة اليهودية ونقد أصولها، وفيه ثلاثة مطالب، تتفرع عنها مطالب عدة:

- ❖ المطلب الأول: ابن حزم ولغة التوراة.
- ❖ المطلب الثاني: ابن حزم واستعداده العلمي.
- ❖ المطلب الثالث: جهود ابن حزم في نقد الكتب المقدسة لدى اليهود.

المبحث الرابع: الإمام الجويني وجهوده في نقد الأصول اليهودية، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: تأصيل جهود الإمام الجويني في كتابه شفاء الغليل.
- المطلب الثاني: كاتب التوراة، شخصيته، مكانته.
- المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في تكوين نصوص التوراة.
- المطلب الرابع: تضارب النصوص وتعارضها، و تناقضها العددي.

المبحث الخامس:الإمام ابن قيم الجوزية وجهوده في عرض و نقد التوراة، وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: تأصيل جهود الإمام ابن القيم في دراسة الأديان.
- المطلب الثاني: أسباب باعثة على التأليف في الأديان.
- المطلب الثالث:جهود ابن القيم في نقد التوراة واثبات تحريفها وتغييرها.
- المطلب الرابع: عزرا الكاتب في ميزان ابن القيم.
- المطلب الخامس:تبديل التوراة وتحريفها وآراء العلماء فيها.

المبحث السادس: الحكيم السموءل بن يحيى المغربي الأندلسي ت(٥٧٠هـ)، وجهوده في إثبات التحريف والتبديل في التوراة، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: أسرته وسيرته العلمية.
- المطلب الثاني: إسلامه.
- المطلب الثالث: كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود.
- المطلب الرابع: جهوده في إثبات التحريف والتبديل في التوراة.

المبحث الأول

مقدمات تأصيلية لدراسة الديانة اليهودية

يستمد اليهود عقائدهم وشريعتهم من مصدرين أساسيين هما(التوراة، والتلمود)، ولهما القداسة والتبجيل في أنظارهم وقلوبهم، غير ان التوراة حظيت بالقداسة لدى القوم من يهود ونصارى، ثم ان الكنيسة حرصت كل الحرص ان تضمها بقسم منفصل إلى جانب أناجيلهم الأربعة، ورسائل رسلهم، في كتاب واحد، يسمى بـ(الكتاب المقدس)، فجملة التوراة وأسفارها الأخرى، سموها بـ(العهد القديم)، والأناجيل الأربعة ورسائل الرسل، سموها بـ(العهد الجديد)، فانضم القديم إلى الحديث، وأخذت قداستها بعد إقرارها من قبل رجالات الدين، ولننظر إلى صدر الكتاب المقدس ومقالتهم القدسية عن العهد القديم:

"الكتاب المقدس يتميز عن سائر الكتب انه كلمة الله، وقاعدة الإيمان، والحياة العملية لجميع البشر، يتألف الكتاب المقدس من قسمين: (العهد القديم أو التوراة، والعهد الجديد)، العهد القديم: كانت أول لائحة وضعت في سبيل (قانونية) العهد القديم، وأسفاره تضم أسفار الشريعة الخمسة في أيام عزرا حوالي عام(٤٠٠ ق.م)، ثم زاد المعلمون الأسفار النبوية من يشوع والقضاة حتى اشعيا وارميا، لذلك يذكر يشوع عبارة تدل على مجموعة الكتب المقدسة هي: الشريعة، وتعاليم الأنبياء، واغتنت هذه المجموعة بالمزامير وهي صلوات اعتاد بنو إسرائيل ان يتلوها في هيكل أورشليم وفي مختلف مجامعهم وهكذا أصبحت مجموعة أسفار العهد

القديم كاملة كما هي اليوم، وحوالي سنة (٩٠ب.م)، التقى معلمو الشريعة اليهود من مختلف البلدان في بلدة (يمنة) الواقعة في فلسطين، وثبتوا لائحة نهائية وكاملة للأسفار المقدسة وفي ذلك الاجتماع تبنوا موقف يهود فلسطين، فقسموا العهد القديم الى ثلاثة أقسام: الشريعة (من تكوين الى تثنية)، والأنبياء (من يشوع الى الملوك الثاني واشعيا وارميا)، الكتابات الباقية (المزامير، وأخبار الأيام، ودانيال، والأمثال)"[١].

وبالنظر إلى جملة تلك المقالات، وكذا ما انضوت عليه كتب القوم، نود إنشاء مقدمات تمهيدية في الديانة اليهودية، وفق معطيات النصوص التوراتية، والمحققون لها، وكذا بيان المنظور الإسلامي لها، كمعيار رئيس في تأصيل الدراسة، وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: العوامل الرئيسة في تكوين الفكر اليهودي

لعل الدارس المتتبع للديانة اليهودية، يجد ان جذرها الرئيس ضرب في أعماق تاريخية بعيدة جدا تصل إلى إبراهيم الخليل (عليه السلام)، ثم تجذرت عبر حقب تاريخية لاحقة، حملت في طياتها أحداث ووقائع، باتت تشكل التاريخ اليهودي العام، وقد سردت التوراة بين جنبي أسفارها اغلب الاخبارات التاريخية، أصبحت آثارها جلية في الإيمان اليهودي، وقد أفرز هذا التمازج عقائد ما انزل الله بها من سلطان.

---

(١) الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، لبنان، العهد القديم الإصدار الثاني ١٩٩٥م، ط(٤)، المقدمة.

ثم لنأخذ جوانب تاريخية سردتها أسفار التوراة، ليأخذ منهجنا التحليلي دوره في بسط وقائع التاريخ التوراتي وفق محاور تفصيلية، فقد روى سفر العدد: ان يوشع بن نون خلف موسى (عليه السلام)، وتولى قيادة بني إسرائيل، وكان يوشع احد أصفياء موسى (عليه السلام)، وقد اختاره قبل وفاته لقيادتهموقد وصفته التوراة بأبشع جزار إذ دخل فلسطين على اثر مجازر سفك دماء الناس وحرق بيوتهم ومدنهم وكل ما فيها(١)، وكان أول العهد ببني إسرائيل في فلسطين، وهكذا بدأت قصة اغتصابهم لفلسطين، وقد قسمت التوراة وجود بني إسرائيل في فلسطين إلى ثلاثة عهود: (عهد القضاة، وعهد الملوك، وعهد الانقسام).

وسنقف على عهد الانقسام خاصة لأثره البليغ في تكوين الفكر اليهودي الديني.

تؤكد التوراة ان مملكة سليمان كانت وقتية آلت إلى الزوال فذكرت ان سليمان نقض العهد مع الإله يهوه وحاشاه وأهمل وصاياه إذ ذهب وراء عبادة الأصنام وبناء مرتفعات له، فغضب الرب عليه:" وقال لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً."(٢). وبموت سليمان عام (٩٣١ قبل الميلاد) انتهى عهد الوحدة لمملكة إسرائيل وبدأ فيها عهد الانقسام والتمزق إذ انشطرت المملكة إلى مملكتين(٣).

---

(١) ينظر: سفر العدد ٢٧: ١٥-٢٠، و ٢٠: ١٢.

(٢) سفر الملوك الأول ١١: ١-١٣.

(٣) ينظر: مفصل العرب واليهود، د. احمد سوسه، ص٥٨١.

ثم خلف سليمان ابنه (رحيعام بن سليمان) الذي تولى قيادة بني إسرائيل بعد وفاة أبيه من مسك زمام الأمور، وبسبب إساءة تصرفاته وطيشه، مما جعل الأسباط في مدينة (شكيم) يرفضون مبايعته واختاروا (يربعام) ليكون ملكاً عليهم وبذلك انقسمت مملكة إسرائيل(١)، وجاء في العهد القديم على لسان ابن سليمان:" أبي أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب"(٢).

فقد رفضت عشر قبائل الاعتراف به ملكاً واختارت بدلاً منه (يربعام)، فتكونت من هذه القبائل العشر المملكة الشمالية التي عرفت باسم إسرائيل وعاصمتها السامرة، وتألف من القبيلتين الباقيتين، وهما: (يهوذا وبنيامين) المملكة الجنوبية التي عرفت باسم مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم(٣).

أ) مملكة إسرائيل:

تقع في الشمال وعاصمتها (السامرة)، قرب نابلس وضمت عشرة أسباط، وتولى الحكم فيها تسعة عشر ملكاً(٤)، أولهم (يربعام) وآخرهم (هوشع بن أيلاه) وكانت نهايتها على يد الملك الآشوري (سرجون الثاني)

---

(١) ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، سيد طنطاوي، طباعة جامعة الموصل. ١٩٦٨م، ط(١)، ص ٥٣ ومابعدها

(٢) سفر الملوك الأول ١٢-١١.

(٣) ينظر: مفصل العرب واليهود، د. سوسه، ص ٥٨١، وما بعدها.

(٤) للتوسع وللإطلاع على أسماء ملوك المملكتين، ينظر: كتاب (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم)، محمد عزه دروزه، ص ١٢٨-١٣٠.

عام (٧٢١) قبل الميلاد الذي أستطاع تدميرها نهائياً، وبهذا زالت مملكة إسرائيل من الوجود بعد أن دام وجودها ما يقارب (٢٥٠) عاماً[١].

ب) مملكة يهوذا:

تقع في الجنوب وعاصمتها (أورشليم) تولى الحكم فيها (رحيعام بن سليمان)، وتألفت من سبطي يهوذا وبنيامين، وتولى حكمها بعد رحيعام عشرون ملكاً ينحدرون من ذرية سليمان، وكان آخر ملوكها (صدقيا بن يواقيم)، وقد تعرضت يهوذا هي الأخرى بعد قرن وثلث إلى هجمات المصريين أولاً، ومن بعدهم لضربات البابليين حيث حاصروا عاصمتها أورشليم سنة(٥٩٧) قبل الميلاد، وأسروا ملكها ونقل مقيداً بالسلاسل إلى بابل، ثم لما تمردت أورشليم ثانية جاء نبوخذ نصر قادهم مرحلين إلى بابل، وهذا هو الترحيل البابلي الأول، ثم ثارت أورشليم بعد ذلك بسنين قليلة، وبتحريض من مصر غضب نبوخذنصر غضباً شديداً، وأرسل حملة قوية حاصرت أورشليم، وبعد حصار دام زهاء سنة ونصف سقطت أورشليم سنة (٥٨٦) قبل الميلاد، ولما حاول ملكها الهرب قبض عليه وأخذوه إلى مقر قيادة الملك البابلي[٢]. وقد سجلت التوراة وقائع كثيرة في أخبار دولتين يهوذا وإسرائيل، وفي أسفار الملوك الأول والثاني وأخبار الأيام الثاني، فقد تكلمت عن أحوالهما الداخلية والخارجية، وما حدث من

(١) ينظر: مفصل العرب واليهود، سوسه، ص٥٨١، و بنو إسرائيل في القرآن والسنة، سيد طنطاوي، ص٥٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: مفصل العرب واليهود، سوسه، ص٥٨٤.

فتن وحروب أهلية وانحرافات دينية وخلقية وما تعرضتا له من ضربات خارجية.

وعلى اثر ذلك خلت فلسطين تقريباً من اليهود بعد سقوط أورشليم سنة (٥٨٦ق.م)، على يد نبوخذنصر، وقد عاشوا في بابل زهاء خمسين سنة، قلدوا فيها عادات البابليين وأخذوا عنهم الكثير من شعائرهم وآدابهم، واشتركوا في وظائف وأعمال الدولة تحت رقابة البابليين وخلال هذه الفترة - كما تقول الأسفار - ظهر في بني إسرائيل بعض الأنبياء، وكثير من الوعاظ والمرشدين، وفي أسفار (أرميا، وعزرا، ونحميا، واستير، وحزقيال، ودانيال.) كثير من المواعظ، والزواجر التي كان يوجهها المرشدون لبني إسرائيل في هذه الفترة[١].

لقد تمتع اليهود في بابل بالحرية الكاملة في ممارسة طقوسهم وشعائرهم ومزاولة مختلف الأعمال والمهن، وساعدهم في هذا تسامح الدولة البابلية معهم، وأصبح الجو الذي عاشوا فيه باعثاً على النشاط الذهني. حين رأوا أن البابليين يدونون عقائدهم في كتب مقدسة فخطوا هم أيضاً خطوة تعتبر جديدة بالنسبة لهم فقد بدأوا بتدوين التوراة[٢]. وكانت التوراة نتاجاً للترحيل البابلي بكل مكوناته، حيث واصل كهنتهم تحرير أهم فصول التوراة. والتمهيد لتدوين التعاليم اليهودية المعروفة باسم التلمود

---

(١) ينظر: بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، طنطاوي، ص ٦٣.

(٢) ينظر: تاريخ الديانتين، د.الساموك، ص٣٠.

البابلي، حتى يقال أن الترحيل البابلي كان عاملاً قوياً في تطوير الديانة اليهودية في القرون التي تلت[1].

ولعل ظروف الترحيل كانت لها ظروفاً إيجابية في بلورة الفكر اليهودي فلأول مرة يتمكن هؤلاء الاستفادة من الصفة الموحدة التي أطلقها البابليون عليهم (اليهود)، فكلمة اليهود المجردة أدرجت تحتها كل شخص رحل من فلسطين مهما كانت ديانته وثنية كنعانية أم اخناتونية موحدة. وعلى مر السنين صهرت الفوارق الكبيرة وتقاربت المشاعر، لكن الانفتاح والتعامل الواسع والعلاقات الوطيدة مع العراقيين أخافت قادة اليهود من الذوبان على المدى البعيد، فانكبوا على دراسة هذا الواقع والمستجدات الطارئة، فخرجوا بمقولتين ومنهج، أما المقولتان فهما:

١) أن (اليهود شعب الله المختار) والآخرين أدنى مرتبة منهم لذا لا يجوز تشويه الخلقة الأعلى بالأدنى والحفاظ على النقاء اليهودي بمثابة الإيمان ذاته.

٢) ربط اليهود بواقع مادي منشود وأمل وحلم دائم هو التعلق بأرض غير أرض بابل – عنوان الترحيل– فذهبوا بالقول الى أن تكون فلسطين هي أرض الميعاد.

وأما المنهج فهو الطريق الموصول إلى الهدف باصطناع التوراة لهداية اليهود إلى طريق وأسلوب الوصول إلى الغايات المنشودة[2].

---

(١) ينظر: الشخصية اليهودية عبر التاريخ، جودت السعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ط(١)، ص٣٦ وما بعدها.

(٢) ينظر: الشخصية اليهودية، جودت السعد، ص ٥٦.

وفي سنة (٥٣٨ ق.م) استولى (قورش) ملك فارس على بلاد بابل، فعامل اليهود معاملة حسنة لأنه تربى في حجر (أستير) اليهودية التي كانت في حوزة أبيه، وقد أصدر (كورش) نداء سمح فيه لليهود أن يعودوا إلى أورشليم، وأن يعيدوا بناء هيكلهم، وساعدهم على ذلك بالأموال والرجال(١).

هذا والمدة التي قضاها اليهود في بيت المقدس تحت الحكم الفارسي إلى مجيء الأسكندر تقسم إلى دورين:

الأول: منذ ابتداء العودة من الترحيل إلى انتهاء مراحل العودة والفراغ من إعادة بناء الهيكل وأسوار المدينة. وبدأت العودة في أول مراحلها سنة (٥٣٦) ق.م بقيادة (زر بابل) أحد رجالهم، وكانت آخر مراحل العودة سنة(٤٣٢ق.م) على يد (نحميا) أحد أنبيائهم فمراحل العودة أقتضت قرناً وبعض سنين.

والثاني: من المدة المذكورة هي بقاء اليهود تحت الحكم الفارسي نحو مئة سنة حتى فتح الأسكندر، ويبدو أن تاريخ اليهود خلال هذه الفترة كلها غامضاً خاملاً(٢).

تلك أذن أهم الأحداث التاريخية التي مرت باليهود، التي تركت آثارها في بلورة الفكر الديني اليهودي ورسم الخطوط المنهجية له، وكان عاملاً قوياً في تطور الديانة اليهودية.

---

(١) ينظر: بنو إسرائيل في الكتاب والسنة، طنطاوي، ص ٦٣.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، ط/١، دار الجيل للنشر، عمان ١٩٨٤م، ٢/ ١٠٣ وما بعدها.

إذ استطاع رجال اليهود في المنفى إلى كتابة (التوراة، والتلمود) مستهدفين من ذلك ما يأتي:

١) التأكيد على نقاء المنفيين واعتبارهم صفوة الأقوام البشرية والجماعة المختارة التي اصطفاها الرب دون بقية الشعوب، وإيهام المنفيين بعلو منزلتهم وارتفاع شأنهم باعتبارهم شعب الله المختار، نسل إبراهيم ويعقوب.

٢) تثبيت عقيدة الأرض (أرض الميعاد) في نفوس المنفيين وربطهم بواقع مادي، وحلم دائم وهو الحنين إلى تلك الأرض لشل التفكير اليهودي عن الإخلاص لغيرها، فجعلوا من تلك الفكرة مستقبلاً خاصاً بهم.

يقول الأستاذ عجاج في كتابه بروتوكولات حكماء صهيون:

"ان رجال الدين كانوا من أهم العوامل في فتح الخيال الأسطوري مما أدى إلى نتائج كبيرة في الأجيال المقبلة وأول النتائج الخطيرة، جعل اليهود في السبي يقبلون على المناخ الذهني الفكري إقبالاً مهد الطريق لظهور (التلمود) بعد عدة قرون وبعد أن خرب الرومان أورشليم سنة (٧٠ بعد الميلاد)، والتلمود هو العجيب الغريب، فالتربة الأولى لنبتته هي هنا، وهو كنز وذخر لمختلف الأخيلة الجامحة من جهة وغير المعقولة من ناحية أخرى، ومن التلمود خرجت (القبالة)، ومن القبالة خرج منهج (حكماء صهيون)، الذين اتخذوا البروتوكولات دستوراً عملياً خفياً سرياً لهم"[١].

(١) بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، ص ٧٣.

بـات جليـا ان الفكـر الـديني اليهـودي تبلـور تبعـا لتلـك الأحـداث التاريخية، التي أعطت سيلا وافرا في إفراز قضيتين:

الأولــى: كتابـة الشـريعة وفقـا لشـروحات حاخامـاتهم، التـي تسـمى بـ(التلمود)، الشريعة الشفوية، وبهذا ابتعدت ابتعادا كبيرا عن شريعة موسـى (عليـه السـلام)، الحقـة ذاك انهـا كتبـت وفـق أغـراض، وأهـواء نفسـية، والمطالع لنصوص التلمود يجد استحالة صدورها عن نبي مرسل.

الثانيــة: إفـراز عقيـدتي صـفوة الخلـق، وارض الميعـاد، وربطهمـا بالإيمـان الـديني، وتثبيت ذلك في أسفار التوراة، لتكون عقائد ثابتـة لكل أجيال اليهود عبر الأزمان.

ومـن القضـيتين يـرى معـالم لمسـات تحريـف العقيـدة والشـريعة، فـي كتـابيهم المقدسيـن (التـوراة والتلمـود)، الـذي يـدعم ذلـك نصـوص تـوراتهم، ونصوص تلمودهم التي وصفت الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا وصفا لا يليق بحضرة الرب، ولا بأنبيائه الكرام (عليهم السلام).

المطلب الثاني: تحقيق اسم التوراة في اللغة.

١) **التـوراة فـي اللغـة:** قيـل ان التـوراة مشـتقة مـن (ورى) بفـتح الـراء أو كسرها الزند إذا قدح فظهرت وخرجت منه النار، وسميت التوراة بهذا الاسم لأنهـا ضـياء ونـور[١]، ومنهـا قولـه تعـالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ورى)، ٥/ ٣٨٨ وما بعدها. والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجواهري، ت٣٩٣هـ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم الملايين، بيروت ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م، ٦/ ٢٥٢٢.

﴿ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

٢) معنى التوراة في المنظور القرآني: اطلق القرآن الكريم على التوراة معاني عدة، منها:

أ) الكتاب الذي انزله الله تعالى على موسى (عليه السلام)، منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾[5]، وقوله تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾[6].

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٩١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٤٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (٥٣).

(٤) سورة الأنعام، الآية (١٥٤).

(٥) سورة هود (الآية (١١٠).

(٦) سورة الإسراء، الآية (٢).

ب) الصحف: وكذا سمي النازل على موسى (عليه السلام) بالصحف، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[2]، وكذا سمي النازل بالألواح، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾[3]. وقوله تعالى ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[4].

٣) التوراة في المنظور الكتاب المقدس: ذهب البستاني في كتابه دائرة المعارف الى: أنها لفظة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس، وقد سمها اليهود بالناموس أو ناموس موسى (عليه السلام)[5]، و ذهب آخرون مذهب العهد القديم في تنوع معانيها، فقد جاءت بمعنى:(أوصى وعلم)[6]، و(رمى السهام)[7]، لذلك فهي بمعنى

---

(١) سورة النجم، الآية (٣٦).

(٢) سورة الأعلى، الآية (١٩).

(٣) سورة الأعراف، الآية (١٤٥).

(٤) سورة الأعراف، الآية (١٥٤).

(٥) دائرة المعارف، بطرس البستاني، مطبعة المعارف، بيروت ١٨٧٦م، ٦/ ٢٦٤.

(٦) سفر الخروج: ١٥:١٥.

(٧) سفر صموئيل الأول:٢:٣٦.

المعلم، والتعليم والحكمة، والوصية، والشريعة، والناموس، والهداية والهدى والإرشاد والتعاليم الدينية[1].

وقد استعمل النصارى كلمة التوراة في الكتاب المقدس للدلالة على مجموعة العهد القديم.

ويرى بعض الباحثين ان التوراة لم تكن تعرف بهذا الاسم منذ القدم شانها شان الأسفار الخمسة التي تتألف منها[2]، غير ان هناك نصوص ذكرت اسمها صراحة، وفي مواضع عدة: منها جاء في سفر التثنية: "وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة"[3]، وفي السفر نفسه:" وعندما كمل موسى كتابة هذه التوراة في كتاب الى تمامها"[4].

---

(١) ينظر: مجلة المشرق، (كلمة التوراة) بحث للأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي، م (٢٩)، سنة ١٩٣١م، ص٤١١-٤١٨، و٤٩٨-٥٠٤)، والكتب التاريخية في العهد القديم، د. مراد كامل، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٥ وما بعدها.

(٢) التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي حسنين، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص٣٩.

(٣) سفر التثنية ٣١: ٩.

(٤) سفر التثنية ٢٤: ٣١.

المطلب الثالث: ترجمة التوراة:

لقد ترجمة التوراة إلى لغات عدة، منها:

أ) الترجمة اليونانية أو السبعينية:

وهي أول ترجمة للعهد القديم من العبرية إلى اليونانية، قام بإعدادها اثنان وسبعون عالما من شيوخ اليهود في عهد بطليموس الثاني في نحو سنة (٢٨٥م)، اعتمدوا فيها على أكثر من مرجع، وأضافوا إليها بعض الأسفار التي دعيت فيما بعد بالأسفار القانونية(١).

ب) الترجمة السريانية:

وهي الترجمة التي تمت في القرن الثاني أو الثالث بعد الميلاد، وتسمى الترجمة البسيطة لبساطة أسلوبها ووضوحها(٢).

ج) الترجمة اللاتينية:

وهي الترجمة التي نقل فيها العهد القديم من العبرية الى اللاتينية، وهي المعتمدة عند الكنسية الرومانية الى الآن(٣).

د) الترجمة العربية:

هناك ترجمات عدة الى اللغة العربية، كما أشارت مقدمات العهد القديم، وقد تكون في الكتب المقدسة الحالية.

---

(١) ينظر: مقدمة العهد القديم.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، مكتبة كنسية الإخوة بجزيرة بدران، شبرا، ١٩٦٨م، ١٥/١ وما بعدها.

المطلب الرابع: نُسخ التوراة:

تشير المصادر إلى ان هناك ثلاث نسخ للتوراة، وبحسب الإيمان العقدي لليهود والنصارى غير ان الشيخ رحمت الله الهندي ذكر في كتابه إظهار الحق: "ان اليهود قد اعدموا نسخا كثيرة للتوراة كتبت في القرنين السابع والثامن الميلادي، لأنها كانت تخالف مخالفة كبيرة ما بأيديهم من النسخ"[١]، والنسخ الثلاثة هي:

أ) النسخة السامرية:

وهي غير النسخة التي بأيدي اليهود، وتزعم السامرية أنها منزلة، ويقطعون ان التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة، وسائر اليهود يقولون ان التي بأيدي السامرية محرفة، مبدلة، وهي تحتوي على أسفار موسى الخمسة، وسفري يشوع والقضاة[٢]. وهي غير التوراة المترجمة باللغة السامرية أو الآرامية التي كانت تداولها أيديهم قديما، وغير الترجمة العبرية التي هي في أيديهم الآن[٣].

---

(١) إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ٢/ ٤٢٩.

(٢) ينظر: الفصل، الإمام ابن حزم، ١/٢٢٠.

(٣) ينظر: تاريخ سورية الدنيوي والديني، المطران يوسف الياس الدبس الماروني، ١/١٨٥.

ب)النسخة العبرانية:

وهي النسخة المعتمدة عند اليهود، وجمهور علماء البروتستانت[١][٢]، وتتكون هذه النسخة من تسعة وثلاثين سفرا، أي إنها تزيد على السامرية اثنين وثلاثين سفرا[٣]. وقد كان إجماع النصارى إلى القرن الخامس عشر منعقد على ان النسخة العبرية محرفة حرفها اليهود سنة (١٣٠م) عمدا لتشكيك النصارى في النسخة اليونانية التي بأيديهم، حتى ظهرت فرقة البروتستانت في القرن السادس عشر الميلادي، وعكست الأمر، وقالت بصحة العبرانية واعتمدتها[٤].

ج) النسخة اليونانية:

وتحتوي على تسعة وثلاثين سفرا، وهي بمثابة ترجمة مأخوذة عن الأصل العبري، وهي معتبرة الى الآن عند النصارى الأرثوذكس[٥]، وغيرها من كنائس الشرق[٦].

---

(١) ينظر ترجمتهم في الفصل الرابع، ص٢٦٧.

(٢) ينظر: إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ٢/ ٤٢٩.

(٣) ينظر: التوراة العقل والعلم والتاريخ، بدران محمد بدران، مطبعة القدس، القاهرة ١٩٧٩م، ص٢٢.

(٤) ينظر: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د. عبد المنعم الحنفي، دار الميسرة، بيروت، ١٩٨٠م، ص٨٣.

(٥) ينظر: ترجمتها في الفصل الرابع، ص٢٦٦.

(٦) ينظر: إظهار الحق، رحمت الله الهندي، ٢/ ٤٢٩.

المطلب الخامس: جمع وتدوين التوراة:

تشير المصادر إلى ان المدة التي استغرقت فيها جمع، وتدوين محتويات العهد القديم فترة زمنية طويلة تزيد على الألف عام (من ١٢٠٠ق.م إلى ١٠٠ق.م)، وقد نقلت معلوماته شفاها بالتواتر حتى تمكن رجال السنهدرين[١] من تدوينه وتنظيمه على صورته الحالية، ونسب الكتاب بعد تدوينه إلى موسى والأنبياء (عليهم السلام)[٢].

مسالة: خبر تواتر التوراة تحت طائلة النقد والتحليل:

ذكر الأستاذ الساموك في كتابه تاريخ الديانتين نقلا عن بعض المحققين:" ان محتويات العهد القديم نقلت شفاها بالتواتر"، وهذا الكلام يلزمنا الوقوف على بيان أسس خبر التواتر، ونجعله تحت طائلة النقد والتحليل.

والكلام يسوقنا إلى معرفة نوع الخبر الذي أفاد العلم لأن حد الخبر: هو القول الذي يتطرق إليه التصديق أو التكذيب، أو هو القول الذي

---

(١) السنهدرين، هم الهيئة العليا المسيطرة على الشعب ولا متنازع لهذه الهيئة، وعدد رجالها مائة وعشرين عضوا بينهم (عزرا، ونحميا، وزوربابل، ودانيال، وحاجي، وزكريا وملاكي، ومردوخاي)، وجملة هؤلاء جمعوا التوراة ينظر: بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، م٢، ج٣٢/٣، ومفصل العرب واليهود في التاريخ، د. احمد سوسه ص٤٠٩وما بعدها

(٢) تاريخ الديانتين، الساموك، ص٣٩.

يدخله الصدق أو الكذب[1]. لذلك قال صاحب النسفية: "الخبر الصادق على ضربين:

أحدهما: الخبر المتواتر، وهو الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب، وهو موجب للعلم الضروري كالعلم بالملوك الخالية في الأزمنة الماضية والبلدان النائية.

والثاني: خبر الرسول المؤيد بالمعجزة"[2].

الا ان خبر التواتر يحتاج إلى تفصيلات، فالخبر من حيث هو خبر يحتمل الصدق وهو المطابق، والكذب وهو عدم المطابقة، والتصديق هو الأخبار عن كونه صدقاً، والتكذيب هو الأخبار عن كونه كذباً، فالصدق والكذب نسبتان بين الخبر ومتعلقه عدميتان لا وجود لهما في الأعيان، بل في الأذهان، والتصديق والتكذيب خبران وجوديان في الأعيان، ثم الخبر من حيث هو يحتمل ذلك، أما أذا عرض له من جهة المتكلم به ما يمنع الكذب والتكذيب فانه لا يقبلهما، ولذلك إذا قلنا الواحد نصف الاثنين يمتنع الكذب والتكذيب، أو الواحد نصف العشرة يمتنع الصدق والتصديق ولكن ذلك بالنظر إلى متعلقه لا بالنظر إلى ذاته[3].

---

(١) المستصفى في علم الأصول، أبو حامد الغزالي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ١/١٥٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ينظر :شرح تنقيح الفصول، في اختصار المحصول في الأصول، القرافي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٧٣م، ط(١)، ص ٣٤٦.

وعلى ذلك يكون الخبر هو خبر أقوام عن أمر محسوس يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة وتقيده بأمر محسوس هو احتراز من النظريات، فان الجمع العظيم إذا أخبروا عن حدوث العالم أو غير ذلك، فإن خبرهم لا يحصل العلم، ويعني بالمحسوس ما يدرك بإحدى الحواس الخمس(١).

وقد وضع العلماء شروطا للتواتر، منها:

الشرط الأول: أن يكون المخبر عنه أمراً محسوساً، ويدل هذا على إن اعتبار هذا الشرط من أن الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا العظيمة، وهي باطلة، وكأخبار المعطلة عن عدم الصانع، والمجسمة عن التجسيم، والفلاسفة عن قدم العالم، وهم كثيرون مع بطلانه، ويعلل هذا: بأن مجال النظر بحجة الغير يكثر فيها وقوع الخطأ، فلا يثق الإنسان بالخبر عن العقليات حتى ينظر فيجد البرهان العقلي يعضد ذلك الخبر، فحينئذ يقطع بصحة ذلك الخبر. أما الأمور المحسوسة مثل المبصرات ونحوها فشديدة البعد عن الخطأ، وإنما يقع الخلل من التواطؤ على الكذب فإذا كان المخبرون يستحيل تواطؤهم على الكذب جعل القطع بصحة الخبر(٢).

لذلك قال الغزالي: "يجب أن يكون علمهم ضرورياً مستنداً إلى محسوس"(٣).

الشرط الثاني: فهو استواء الطرفين والواسطة، وتحرير هذا الشرط: أن المخبرين لنا إذا كانوا عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب، وكانوا هم

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٤٩.

(٢) ينظر: الأجوبة الفاخرة، القرافي، ص ٨١.

(٣) المستصفى، الغزالي، ١/١٥٨.

المباشرين لذلك الأمر المحسوس المخبر عنه حصل العلم بخبرهم، وان لم يكن المخبر لنا هو المباشر لذلك الأمر المحسوس بل ينقلون عن غيرهم أنه أخبرهم بذلك، فلا بد أن يكون غير المباشر عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب، فانه ان جاز الكذب عليه – وهو أصل هؤلاء المخبرين لنا، فإذا لم يبق الأصل لم يبق الفرع عليه، فلا يلزم من كون المخبرين لنا يستحيل تواطؤهم على الكذب حصول العلم بخبرهم لجواز فساد أصلهم المعتمدين عليه، فيتعين أن يكون الأصل عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب[١].

فالمخبر والمباشر الأول، والواسطة التي بينهما، يجب استواء الطرفين والوسائط مهما كثرت شرط في كونهم عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب[٢].

لذلك إذا نقل الخلف عن السلف وتوالت الاعصار، ولم تكن الشروط قائمة في كل عصر لم يحصل العلم بصدقهم، لان خبر أهل كل عصر خبر مستقل بنفسه فلا بد فيه من الشروط ولأجل ذلك لم يحصل لنا العلم بصدق اليهود مع كثرتهم في نقلهم عن موسى(عليه السلام) تكذيب كل ناسخ لشريعته.

لأن بعض هذا وضعه الآحاد أولاً ثم أفشوه، ثم كثر الناقلون في عصره وبعده. لذلك يجب أن يستوي طرفاه وواسطته في هذه الصفات وفي كمال العدد، وكل ذلك حصل لنا علم ضروري لا نقدر على تشكيك أنفسنا

---

(١) المستصفى، الغزالي ، ٨٢/١.

(٢) الأجوبة الفاخرة / ٨٢.

فيه[1]، ولان العلم الضروري الحاصل منه يفيد العلم اليقيني سواء أكان التواتر لفظياً أم معنوياً، كتواتر شجاعة خالد، وتحديث أبي هريرة عن النبي (ﷺ)، وفقه المذاهب الأربعة[2].

والمراد بالتواتر اللفظي: وهو أن يقع المشترك بين ذلك العدد في اللفظ المروي كما نقول: القرآن الكريم متواتر، أي كل لفظة منه اشترك فيها العدد الناقل للقرآن، وكذلك لأسماء المدن أي جميع النقلة نطقوا بهذه اللفظة، وأما المعنوي: وهو وقوع الاشتراك في معنى عام كشجاعة علي (رضي الله عنه)، فهو لا يقع الشركة في اللفظ كما يروى أن علياً (رضي الله عنه) قتل الفاً في الغزوة الفلانية، وكلها تشترك في معنى الشجاعة فنقول شجاعة علي(رضي الله عنه) ثابتة بالتواتر المعنوي[3].

وإذا كان للتواتر شروطا لابد من تحققها كي يحصل العلم، فان الإمام ابن حزم يقف محذرا من القول بتواتر اليهود، وهذا نص قوله: "ونقول لمن قال من المسلمين ان نقلهم نقل بالتواتر يوجب العلم وتقوم به الحجة: لا شك في انهم لا يختلفون في ان ما نقلوه من ذلك عن موسى وعيسى (عليهما السلام)، لا ذكر فيه لمحمد(ﷺ) أصلاً، ولا إنذار بنبوته، فان صدّقهم هؤلاء الغافلون في بعض نقلهم فواجب ان يصدقهم في سائره،

(١) المستصفى / الغزالي، ١ / ١٥٨ – ١٥٩.

(٢) درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لابن تيميه، ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٤١٧/١٩٩٧، ١١٣/١.

(٣) شرح تنقيح الفصول، القرافي، ص ٣٥٣.

أحبوا أم كرهوا، وان كذّبوهم في بعض نقلهم، وصدقوهم في بعض فقد تناقضوا، وظهرت مكابرتهم ومن الباطل ان يكون نقل واحد جاء مجيئا واحدا بعضه حق وبعضه باطل فقد تناقضوا وما ندري كيف يستحل مسلم إنكار تحريف التوراة والإنجيل وهو يسمع كلام الله (عز وجل): ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[1]، وليس من هذا بأيدي اليهود والنصارى مما يدعون انه التوراة والإنجيل"[2].

ثم نعود بعد هذا النقد والتحليل إلى جمع التوراة وتدوينها، يقول بوكاي: "يتكون العهد القديم من مجموعة أسفار كتبت هذه الأسفار على مدى يربو على تسعة قرون، وبلغات مختلفة، واعتمادا على التراث المنقول شفويا، وقد صححت وأكملت أكثر هذه الأسفار بسبب أحداث حدثت أو بسبب ضرورات خاصة وفي عصور متباعدة أحيانا"[3]، وعن تدوين أسفار العهد القديم، يقول بوكاي: "ويبدو معقولا ان ازدهار هذا الأدب يقع تاريخيا في بداية المملكة الإسرائيلية أي نحو القرن الحادي

---

(١) سورة الفتح، من الآية (٢٩) ،

(٢) الفصل، ١/ ٢٤٠.

(٣) دراسة الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٢٣.

عشر قبل الميلاد، ففي هذا العصر ظهر في البلاط الملكي هيئة الكتبة[1] التي تتكون من مثقفي لا يقتصر دورهم على مجرد الكتابة والتدوين والى هذا التاريخ يمكن إرجاع أول المدونات"[2].

فعلى هذا التحقيق يبدو ان تدوين جميع أسفار العهد القديم في عصر هؤلاء الكتبة إذ ان "العهد القديم يحوي أسفارا تعود إلى عصور متأخرة عن عصور (عزرا) وزمرته مثل سفر دانيال الذي كتب عام(١٦٥ق.م)، وامتد عصر الجمع والتأليف لفترات طويلة"[3].

وإذا ما أرادنا ان نعرج على بوكاي في قوله: "وقد صححت وأكملت أكثر هذه الأسفار بسبب أحداث حدثت أو بسبب ضرورات خاصة وفي عصور متباعدة أحيانا"، فإننا نحيل المسالة الى العوامل التاريخية وما حملت من وقائع، وان آثارها البليغة قادت الى إفراز مسألتين أساسيتين:

<u>أحداها:</u> عدم صحة نسبة التوراة إلى موسى (عليه السلام)، إذ فقدت التوراة من تابوت العهد أيام سليمان (عليه السلام) كما أشارت النصوص التوراتية

---

(١) للكتبة دور يبدأ بمجيء عزرا الكاتب من بابل ويمتد حتى عصر المكابين من (٤٥٠-١٠٠ ق.م)، والكتبة هم طائفة من الفقهاء اليهود، وكانت تقوم بكتابة الناموس (الاسفار الخمسة الاولى)، وتدوين الاجزاء الاخرى من التوراة، وخص الكتبة انفسهم بدراسة الناموس، وقد نتج عن قرارات كبار الكتبة ما يعرف اليوم عند اليهود (الشريعة الشفاهية)، ينظر: مفصل العرب واليهود، سوسه ص٨٦٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد حسنين علي، ص١٥.

الثاني: تعرض اليهود إلى ضربتين بابليتين، وضربة قاسمة قصمت ظهورهم، وهي الضربة الرومانية التي نتج عنها الشتات، والملاحظ ان الفكر الديني اليهودي تم تكوينه في المنفى تحت ظل الضربات البابلية والرومانية، ومن المعروف ان التاريخ اليهودي تميزه ظاهرة (الشتات)، الذي نتج عنه حياة اليهود في ظل بيئات، وثقافات، وحضارات مختلفة وقعوا تحت تأثيرها، منها بيئات وثنية قديمة، ومنها بيئات توحيدية مثل المسيحية[1]، والإسلام، ومنها بيئات حديثة معاصرة تنتشر فيها العلمانية[2]، والإلحاد كما هو الحال في أوروبا المعاصرة وأمريكيا، وفي ظل هذه البيئات المختلفة بيئيا ومذهبيا تكيف اليهود مع الأوضاع الثقافية والفكرية لهذه البيئات، واستجابوا إيجابا، وسلبا للمعطيات الفكرية لهذه البيئات[3].

---

(١) عندما كانت النصارى على التوحيد، قبل ان تدخل فيها دخائل بولص الرسول، وقبل انعقاد مجمع نيقيه عام ٣٢٥م، والمجامع الاخرى بعقائد التثليث واعتماد أربعة أناجيل ورسائل الرسل!.

(٢) العلمانية (secularism): وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة لاقامة الحياة على العلم الوضعي، والعقل، ومراعاة المصلحة بعيدا عن الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وقد ظهرت العلمانية في اوربا منذ القرن السابع عشر، وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر ينظر: الموسوعة الميسرة، مانع الجهني، ٦٧٩/٢.

(٣) تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، تحرير زالمان شازار، ترجمة من العبرية احمد محمود هويدي، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م، ص٥ وما بعدها

وإذا كان الحال كذلك فان التوراة التي كتبت بعد موسى (عليه السلام)، لا تستقيم مع عصمتها كونها كتاب منزل من الله تعالى، ولان اغلب المحققين بما فيهم كتاب الغرب، اقروا بتدوين التوراة، وسط ظروف الأحداث والوقائع التي وقفنا على بعض منها. الذي يعني البحث هنا هو ان آثار الدخائل العظيمة التي أجهضت التوراة، وأخرجتها من قدسيتها، ومهما يكن كثرة تلك الدخائل وقلتها، فان الناتج عن ذلك هو: (التحريف، والتبديل، والتغيير) للأصل السماوي، النازل من عند الله تعالى، وبالتالي تعرضت إلى نقد كبير من قبل جمهرة كبيرة من العلماء والمحققين الإسلاميين وغير الإسلاميين.

المطلب السادس: التلمود ومكانته عند اليهود:

أولا: معنى التلمود:

التلمود: كلمة تعني (التعليم)[١]، أو (المعرفة)[٢]. وهي كلمة مشتقة من الكلمة العبرية "لوميد" التي تعني الدراسة، وهي شبيهة بكلمة تلميذ العربية، لأنه كل من كلمة تلمود العبرية وكلمة تلميذ العربية تعود إلى أصل سامي واحد[٣]. ولفظ تلمود في اللغة هي صيغة الاسم المشتق من فعل (لمذ) بمعنى (علم)، ولا يزال هذا المعنى شائعاً في لغتنا العربية من خلال كلمة (تلميذ)[٤]. وقد وضع (د. اسعد رزوق)، القواسم المشتركة لمحاولة التوفيق بين المعاني والدلالات، فذهب إلى إيراد المعاني والدلالات الثلاث لكلمة (تلمود) على النحو الآتي[٥]:

١. التلمود بمعنى التعليم والتعلم والدرس.
٢. التدريس بواسطة نصوص الكتاب المقدس والاستنتاجات التفسيرية المستخلصة من دراسة تلك النصوص، أي أنها تشير إلى طريقة

---

(١) ينظر: قاموس الكتاب المقدس، د. جورج بوست، المطبعة الأمريكانية، بيروت ١٨٩٤، ٢٩٠/١.
(٢) ينظر: لهذا أكره إسرائيل، ، أمين سامي الغمرواي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٤، ط(١)، ص٣٩.
(٣) ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، د.عبد الوهاب المسيري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط(١)، ١٩٧٥، ص٢١.
(٤) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١١٢.
(٥) المصدر نفسه، ص١١٣.

خاصة في التعلم والمحاجة، حيث يتم شرح الأصول الشرعية والأحكام الفقهية بالاستناد إلى نصوص التوراة وتفسيرها الاثباتي.

٣. يعد كمصنف للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهية لليهودية.

فالتلمود هو التعاليم أو الشروح أو التفسير، وهي مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها الأحبار اليهود شرحاً وتفسيراً للتوراة، واستنباطا من أصولها[١]. وعلى هذا فيعتقد اليهود بأن الشريعة الشفوية قد جرى تلقيها عن طريق التقليد المأثور وبالتواتر منذ أقدم الأزمنة، وأن هذه الشريعة قد تلقاها موسى في سيناء فانتقلت من السلف إلى الخلف، وقبلت كسنة سماعية إلى جانب الشرائع المدونة في أسفار موسى الخمسة، ومعنى ذلك أن موسى (عليه السلام) قد تلقى شريعتين أو توارتين في عرفهم، المكتوبة والشفوية[٢]. من أجل هذا أصبح التلمود عند اليهود "موسوعة ضخمة لا غنى عنها في دراسة اليهودية، موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتاريخ والآداب والفكر الخرافي"[٣].

ويشمل التلمود مختلف جوانب النشاط في حياة اليهود، إذ يتضمن فصولاً في الزراعة، والفلاحة، والصناعة، والمهن، والتجارة، والربا، والضرائب، وقوانين الملكية، والرق والميراث.[٤].

---

(١) ينظر: مفصل العرب واليهود في التاريخ، سوسه، ص ٣٦٢.

(٢) ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص ١١٥.

(٣) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري، ص١٤١.

(٤) ينظر: صفة التلمود والزوهار في الديانة الصهيونية، د. احمد سوسه، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، العدد(١)، ١٠٧٤م، ص٨٦.

ثانيا: أسفاره:

تشير المصادر إلى ان التلمود يقسم على قسمين: الأول المشنا(١)؛ والثاني الجمارا(٢)، وتتألف أسفار التلمود من بحوث أحبار اليهود وربانيهم وفقهائهم المنتمين إلى فرقة الفريسيين، وما إلى ذلك ثلاثة وستون سفراً ألفت في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، وأطلق عليها اسم (المشنا) بمعنى المكرر أي أنها تكرار تسجيل الشريعة(٣). ولما كثرت قرارات الأحبار وتضاعفت أصبحت مهمة استظهارها شاقة وغير معقولة(٤)، إذ استمرت الروايات الشفوية التي يتناقلها أحبار اليهود جيلاً عن جيل(٥). وأخذت بالتراكم والتضاعف في العدد بحيث أصبح من المستحيل

---

(١) المشنا: تعني علم وكرر، أي أنها الشريعة الثانية بالمعنى الحرفي لكلمة تثنية، والمشنا تعني (الاصل، المتن)، والمشنا عبارة عن الوصايا التي كتبها احبار اليهود لمجموعة الشرائع والتقاليد اليهودية المختلفة في شتى انواع الحياة ينظر: التلمود والصهيونية، اسعد رزوق، ص١٢٢، التلمود وتاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، الفكر الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، حسن ظاظا، ٧٨.

(٢) الجمارا: تعني الاكمال او دراسة او التكملة، والجمارا بكسر الجيم معناها الاكمال، وهي مجموعة الشروح والتعليقات والتفسيرات التي قام بها احبار اليهود ينظر: اليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ص٢٣، التلمود، ظفر الإسلام، ص٢٠.

(٣) ينظر: اليهودية واليهود، وافي، ص٢٢.

(٤) ينظر: إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل احمد دار العهد الجديد القاهرة ١٩٦٧م، ص٢٢.

(٥) ينظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي، ٣/ ٩٤.

استظهارها[١]، وكذا ظلت شرائع المشنا تروى بلا رقيب ولا حسيب وتسودها الفوضى الكاملة إلى القرن الأول قبل المسيح(عليه السلام)[٢].

كانت نتيجة هذا أصبح الاضطراب في نقل الشريعة كلها عن ظهر القلب مروعاً، مما زاد الطين بلة أن تشتت اليهود قد عمل على تفرق هذه القلة من حفظة الشريعة في أقطار نائية[٣].

وظلت مهمة استظهار هذه الروايات الشفوية صعبة، حتى جاء دور رجالات الدين اليهودي الثلاثة، (هليل، وعقيبا، ومائير)، فصنفوها وأستعانوا على استظهارها ببعض الأساليب والرموز، ولكن هذه التصانيف والرموز لم يحظ شيء منها بالقبول من جمهرة اليهود[٤].

وقد قاد ذلك إلى قول المحققين: "ان أول جهد بذل لإقرار شيء من النظام والمنهج في تلك الكتلة المختلطة من المرويات هو الذي قام به الحاخام اليهودي (هليل) رئيس المجمع الديني الأعلى (السنهدرين)، في أيام هيردوس أمير اليهود الذي ولد المسيح في زمانه، فهذا هو الذي خطط تقسيم هذه المرويات إلى أقسامها الستة المعروفة ما تسمى بـ(مباحث المشنا)، ثم جاء (عقيبا) فنظم بعض التفاصيل الجزئية في داخل هذه الأقسام الستة، وجاء من بعده (مائير) فأكمل نصوص المشنا

---

(١) ينظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري، ص ٣٦٥.

(٢) ينظر: الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١، ص٧٨.

(٣) ينظر: إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل، ص٢٢.

(٤) ينظر: إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل، ص٢٢.

وأضاف إلى نظامها مزيداً من الأحكام أما الذي قيدها كتابةً في وضعها الذي نعرفه فهو (يهوذا هاناسي) وكان ذلك حوالي نهاية القرن الثاني بعد الميلاد"[(١)].

وفي حوالي عام(١٨٩م)، تابع الحبر يهوذا هاناسي في قرية صبور بفلسطين عمل (عقيبا ومائير)، وعدله وأعاد ترتيب الشريعة الشفوية بإكمالها ثم دونها وزاد عليها زيادات من عنده فكانت، هي: (مشنا الحبر يهوذا)[(٢)]. وبعدما قرر أن يقضي على التشويش الناتج عن تعدد المشناة[(٣)]. فقد دون نسخة معتمدة وقد استفاد يهوذا من جميع النسخ الموجودة لاسيما نسخة (مائير) أما العلماء الذين اشتركوا في تأليف المشنا منذ وفاة (هليل) سنة عشر ميلادية حتى إتمامه سنة (٢٠٠م)، فيسمون (تنائيم)[(٤)]. وعندما انتهى الربي يهوذا هاناسي من تقييد نص المشنا في صورته النهائية تركزت جهود العلماء اليهود على شرحها في مراكز تجمعهم في العراق وفلسطين وكان شرحهم يسمى (جمارا) بمعنى التكملة والإتمام[(٥)] علماً أن هذا التقليد الطويل يمتد من عزرا الكاتب في

---

(١) الفكر الديني الإسرائيلي أطواره، ومذاهبه، د. حسن ظاظا، ص٦٦.

(٢) ينظر: إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل، ص٢٢.

(٣) ينظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس – بيروت، ط(٦)، ١٩٨٥، ص١٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٥) ينظر:الفكر الديني الإسرائيلي، ظاظا، أطواره ومذاهبه ص٨٣، ويقارن عجاج نويهض في بروتوكولات حكماء صهيون ج ١٦٤/٢.

منتصف(القرن الخامس ق.م). ويستمر حتى القرن السادس ب.م في بابل.

وعلى ذلك فان التلمود مر بمراحل طويلة، وفق ادوار تاريخية، تبعا لتسلسل ادوار الربانيين الذين تعاونوا على وضع التلمود وتعليمه، كما أشارت إليه المصادر [١].

---

(١) للتوسع في تفاصيل العصور، ينظر المصادر الاتية: مفصل العرب واليهود، د. احمد سوسه، ص٣٦٦، والتلمود والصهيونية، د. اسعد رزوق ص١٢٥. وبروتوكولات حكماء صهيون، الاستاذ عجاج نويهض ج٢، ص١٥١، التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، ص١٨ الهامش، د. محمد عبد الوهاب المسيري، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الصهيونية، ص١٤٣.

المبحث الثاني

القرآن الكريم والسنة المطهرة وآثرهما في نقد أسفار العهد القديم

المطلب الأول: القران الكريم وأثره في توجيه نقد أسفار العهد القديم:

عرض القران الكريم حقائق الكتب المقدسة لدى اليهود، وبطريقة يتبين من واقعها مدى (التحريف، والتبديل، والتغيير)، وهو في ذلك أول من كشف وفضح أمام العيان التحريف المتعمد في نصوص التوراة، وما اشتملت عليه أسفار القوم، وقد استعمل القرآن الكريم ألفاظا جلية، ومن تلك الألفاظ: (يحرفون، يلوون، يكتبون، يكتمون، يشترون، يسّرون، يلعبون)، للدلالة على فعل القوم في تبديل شريعة الله تعالى، وشواهد ذلك في القران الكريم كثيرة، ولنأخذ من الآيات الكريمة لندعم بها الحديث عن تلك الكتب، ونسير مع المنهج القرآني لبيان حقيقية تلك الكتب:

أولا: في البدء أبان حقيقة التنزيل على موسى (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

فماذا فعلوا بهذا الضياء، هل أنار قلوبهم وعقولهم أم خاضعوا، ولعبوا به حتى أعماهم الله تعالى؟ فلننظر إلى البيان القرآني، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية(٤٨).

نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[1].

والقرطاس هو الصحيفة؛ أي تجعلون الكتاب الذي انزل على موسى أوراقا متفرقة قصدا لإظهار بعضها، وإخفاء بعض آخر ففهم ان المعنى تجعلونه قراطيس لغرض إبداء بعض، وإخفاء بعض، وهذه الصفة في محل ذم، فان الله كتبه للهدى، والهدى بها متوقف على إظهارها وإعلانها، فمن فرّقها ليظهر بعضا، ويخفي بعضا فقد خالف مراد الله منها، فأما لو جعلوه قراطيس لغير هذا المقصد لما كان فعلهم مذموما، كما كتب المسلمون القرآن في أجزاء منفصلة، لقصد الاستعانة على القراءة[2]. ثم (قُلِ ٱللَّهُ)، أي يا محمد الله الذي انزل ذلك الكتاب على موسى، وهذا الكتاب عليّ، أو قل الله علمكم الكتاب، ثم (ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)، أي لاعبين[3]. فعلى هذا يكون المعنى العام: من انزل الكتاب الذي جاء به موسى وهو التوراة التي قد علمتم ان الله قد انزلها على موسى نورا وهدى للناس، ليستضاء بها في كشف المشكلات، ويهتدي بها من ظلم

---

(١) سورة الأنعام، الآية (٩١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، العلامة محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ٣٥٦/٧.

(٣) ينظر: الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، ٣٨/٧.

الشبهات، هذه التوراة التي تظهرون منها ما تظهرون، وتحرفون منها ما تحرفون، وتبدلون وتتأولون منها ما تتأولون، وتكتمون منها ما تكتمون[١].

ثم لننظر إلى السياق القرآني العظيم في تصويب أنظار القوم نحو قواعد العلم، فلننظر إلى التصويب القرآني لعقولهم، يقول الحق (جل ثناؤه): ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٢]، أي تسترونه به، أو تخلطونه به، والباء صلة، وفي المراد أقوال: أحداها: ان المراد تحريفهم التوراة والإنجيل، وثانيها: أن المراد إظهارهم الإسلام وابطانهم النفاق، وثالثها: ان المراد الإيمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد (عليهم الصلاة والسلام) (وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ)، أي نبوة محمد(ﷺ)، وما وجدتموه في كتبكم من نعته والبشارة به[٣]. والمعنى: أي انتم أرباب العلم والمعرفة لا أرباب الجهل والخرافة، وانما تفعلون ذلك عنادا وحسدا[٤].

والسؤال فيه المحاجة التي تقارع نفوسهم عندما كتموا حق التنزيل عن الناس مع علمهم بان فعلهم باطل بكتمان الحق الذي امرؤ أي يبلغوه، وقد يكون في ذلك إرشاد إلى من بقى في قلبه ذرة من تقوى الله تعالى، وكذلك هو من باب الدعوة إلى تلقي الحق،

---

(١) ينظر: الاساس في التفسير، سعيد حوى، ٣/ ١٦٩٠٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية (٧١).

(٣) روح المعاني، الالوسي، ٣/ ٢٦٢.

(٤) التفسير الكبير، الرازي، ٨/٩٣.

والعدول عن الباطل والانصياع إلى دعوة القران الكريم بإتباع رسول الله (ﷺ).

ثانيا: تحريفهم للكلم: بين الله تعالى فعلهم: قال تعالى ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾[3]، ولننظر إلى التعبير القرآني الرائع في بلاغته، لأنه" يستعمل القران الكريم بنية الكلمة استعمالا في غاية الدقة والجمال"[4]، و لابد من وجود فرق بين: (عَن مَّوَاضِعِهِ)، و (مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ)، فيقول الزمخشري في كشافه: "إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه،

---

(١) سورة النساء، من الآية (٤٦).

(٢) سورة المائدة، الآية (١٣).

(٣) سورة المائدة، من الآية (٤١).

(٤) التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ص٢٢.

وأما الثانية: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾، انه كانت له مواضع بان يكون فيها، فحين حرفوه، تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه"[١].

وذهب الإمام الرازي في تفسيره الكبير: " ذكر بعض ما هو من نتائج تلك القسوة فقال: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾، وهذا التحريف يحتمل التأويل الباطل، ويحتمل تغير اللفظ"[٢].

وذكر القرطبي في الجامع: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾، أي يتأؤلونه على غير تأويله ويلقون ذلك إلى العوام، وقيل: معناه يبدلون حروفه، ﴿ يُحَرِّفُونَ ﴾، في موضع نصب، أي جعلنا قلوبهم قاسية محرّفين"[٣].

يقول صاحب كتاب تاريخ نقد التوراة: "العبارة القرآنية: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، تشير إلى حدوث عملية لغوية أدبية أسلوبية، ثم من خلالها تغير الأدلة الدينية ومعنى الآية يبدلون الكلم من معناه، والكلم هو التوراة، وذلك بتحريفهم التوراة، وكتابة ما يرغبون فيها، ومحو ما لا يرغبون أو تحريفهم معانيها بما يتفق وأهوائهم، وكذلك في الآية: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[٤]، أي يغيروه، فالمقصود بالتحريف

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل، الإمام محمد بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، ٥٣٠/١.

(٢) التفسير الكبير ، الإمام الرازي، ١٨٧/١١.

(٣) الجامع لإحكام القران، القرطبي، ١١٥/٦.

(٤) سورة الفتح من الآية (١٥).

والتبديل تغيير الكلام ليعطي معنى غير المعنى الأصلي الذي أتى به الوحي"(١).

وفي ذلك فقد بنى القران الكريم أسسا علمية، يدعم بها نظريات النقد، لان معاني ألفاظ (التبديل والتحريف)، تقود إلى دلالات نقدية لاذعة، من واقعها تكون الاستطاعة في التطبيق على أي نص ديني أشار إليه القران الكريم جملة أو تفصيلا، ومن جانب آخر فان هذه الدلالات والمعطيات القرآنية جاءت وفق اطر نصية جلية، وإنها جاءت بوحي كريم من الله تعالى، ومن ثم تنزلت على صدر الصادق المصدوق(ﷺ).

فنستطيع القول عندها ان النقد الإسلامي يكمن في ماضيها وحاضرها ليس على نظريات نقدية، أو على إفرازات فكرية بشرية تتفاوت فيما بينا بالنظر والتقييم، بل على حقائق التنزيل في البيان والخطاب القرآني الصريح، وكونه من رب العالمين. لذا وجدنا القران الكريم الفيصل الرئيس في الإخبار الحقيقي عن حقيقية كتب القوم، والأيادي التي عمدت إلى تأليفها وتغييرها عن مواضعها عبر الدهور. ثم لنظر إلى قول الحق (جل ثناؤه) في معرض التهديد والوعيد لهؤلاء﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(٢).

---

(١) تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، تحرير زالمان شازار، ص٧.

(٢) سورة البقرة، الآية (٧٩).

ومن التهديد والوعيد، ننتقل إلى الإشارة القرآنية التي أفصحت عن كتاب داود (عليه السلام) وشريعته، فقد شهد القران الكريم لداود (عليه السلام)، بكتاب اسمه: (الزبور)، الذي انزله الله تعالى عليه فيه هدى ونورا، قال تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[2]. يقول القرطبي: الزبور كتاب داود، وكان مائة وخمسين سورة، ليس فيها حكم، ولا حلال ولا حرام، وانما هي حكم ومواعظ، والكتاب يسمى زبورا لقوة الوثيقة به، وكان داود (عليه السلام)، حسن الصوت، فإذا اخذ في قراءة الزبور اجتمع إليه الأنس والجن، والطير والوحش لحسن صوته[3]. ثم كتب الله تعالى مصائر الصالحين من الناس المؤمنين، في الزبور، ووعدهم، وكان وعد الله كان مفعولا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[4]. فقد ضموه إلى أسفار العهد القديم، وسموه بـ(المزامير)، وأخذ نصيبا من التبديل والتغيير، فزادوا عليه ونقصوا، وغيروا، وأخرجوه من كونه كتابا له مكانة مقدسة، فشوهوا أصوله تشويها كبيرا. فأي تشويه لكتاب انزل من عند الله؟.

---

(١) سورة النساء، من الآية (١٦٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٥٥).

(٣) الجامع لاحكام القرآن، القرطبي، ١٧/٦.

(٤) سورة الأنبياء، الآية (١٠٥).

المطلب الثاني: السنة النبوية وأثرها في بيان حقائق الكتب المقدسة لدى اليهود:

انزل الله القران على رسوله (ﷺ)، هدى للمتقين، ودستورا للمسلمين وشفاء لصدور الذين أراد الله لهم الشفاء، ونبراسا لمن أراد الله لهم الفلاح والضياء، وهو مشتمل على أنواع من الأغراض التي بعث الله من اجلها الرسل ففيه التشريع والآداب والترغيب والترهيب والقصص والتوحيد، وهو مقطوع بصحته إجمالا وتفصيلا، فمن شك في آية أو كلمة أو حرف من حروفه لم يكن مسلما، واهم ما يعني به العالم المتفقه في دين الله ان يتعرف إلى أحكام الله في كتابه وما شرعه لعباده من نظم وقوانين من هنا كان المسلمون في حاجة إلى معرفة بيان رسول الله(ﷺ)، مع حاجتهم إلى معرفة كتاب الله[١]. من اجل ذلك أضحى دور السنة النبوية المطهرة الأصيل في بيان حقيقة الكتب المقدسة لدى اليهود، لذا عمدنا إلى كتب الصحاح وشروحها، آملين الوقوف على أحاديث رسول الله(ﷺ)، فيما يخص تلك الكتب، فقد حطت رحالنا البحثية عند الإمام البخاري ومسلم، وشروح الإمام ابن حجر، والإمام النووي (رحمهما الله تعالى).

ففي صحيح البخاري باب قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[٢]، يذكر الإمام ابن حجر (رحمه الله) في شرحه: ان عمر نسخ كتابا من التوراة بالعربية فجاء به إلى النبي(ﷺ)، فجعل يقرا ووجه رسول

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ص٣٤٣.

(٢) سورة البروج، الآيتان (٢١-٢٢).

الله(ﷺ)' يتغير، فقال له رجل من الأنصار: ويحك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله(ﷺ)' فقال رسول الله(ﷺ)": لا تسالوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم اما ان تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا ان يتبعني[1].

وقد يكون هناك دلالة عظيمة للحديث في معرض شاهدنا على تغيير كتبهم، ونهي النبي(ﷺ) فيه مسائل:

أحداها: أخبار عن ضلالة أهل الكتاب فكيف للضال ان يهدي إلى الحق؟.

ثانيها: ان ضلال الجموع جاءت وفق إتباع رؤسائهم وزعاماتهم الدينية، وتلك الزعامات لا بد ان يكون لها تقليد ديني مقدس ألا وهو (الكتاب المقدس).

ثالثها: حث النبي(ﷺ) على الاحتراز من الخوض في تلك الكتب، والسبب يعود إلى قضيتين: الأولى: لئلا يختلط على الناس أمور دينهم وشريعتهم وبالتالي يشوش عليهم، وخاصة وهم حديثو الإسلام، والثاني: ان لا يخوض المسلم في قضية يجهل حقيقتها.

رابعها: فيه دلالة إتباع الرسل لشريعة النبي(ﷺ)، فلا يجوز لمسلم ان يتبع غير شريعة خاتم النبيين والمرسلين(ﷺ)، فهي ملزمة لأنها دعوة عالمية للناس كافة.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾، ١٣/٦٤٤.

واخرج البخاري بسنده عن ابن عباس(رضي الله عنهما)، قال:" كيف تسالون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي انزل على رسوله(ﷺ)، حدَثٌ تقرؤونه محضا لم يُشب، وقد حدثكم ان أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيّروه، وكتبوا بأيديهم، وقد قالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا"[١].

مسالة: نقد وتحليل:

قد تثار في هذا المقام قضية نهي النبي(ﷺ)، عن الخوض في كتب القوم المقدسة، فلماذا خاض بعض العلماء في كتب القوم اشد مخاضا؟، والسؤال يتحتم علينا بيان الأمر وفق النقد والتحليل. والجواب من وجوه عدة:

الأول: ان نهي النبي(ﷺ)، كان توجيه للصحابة(رضي الله عنهم)، وهم حديثو الإسلام، لئلا يخلط عليهم بعض من أمور شريعة، "فلو دونت السنة كما دون القرآن وهي واسعة كثيرة النواحي شاملة لإعمال الرسول(ﷺ) التشريعية وأقواله منذ بدء رسالته إلى ان لحق ربه، للزم انكبابهم على حفظ السنة مع القرآن، وفيه من الحرج ما فيه، ما عدا خوف اختلاط بعض اقوال النبي(ﷺ) الموجزة الحكيمة بالقرآن سهوا من غير عمد"[٢]، لذا فالنهي يعم كل ما سوى القرآن الكريم، ومن باب الاحتراز ان يكون تركيز صحابته الكرام على صميم دعوة النبي(ﷺ)، لئلا تدخل دخائل وهم يتلقون أمور دينهم.

---

(١) فتح الباري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب لا تسالوا اهل الكتاب عن شيء، رقم الحديث، ٧٣٦٣، ١٣/ ٤٠٧.

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، السباعي، ص٦٦.

الثاني: هناك عوامل عدة طرأت على المجتمع الإسلامي، وخاصة بعد الفتح الإسلامي المجيد، واحتكاك المسلمين بأهل الكتاب، كما مر معنا قاد الأمر إلى وقوع المناظرات العقدية، تحتم الأمر على العلماء ان يدرسوا كتب القوم المقدسة من باب الاحتجاج عليهم وإقامة الدليل القاطع على بطلان دياناتهم.

الثالث: تقديم الأدلة الجلية على إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)، من واقع كتبهم المقدسة، ومن باب الإلزام، وإقامة الحجة عليهم.

ثم لنأخذ مثالا آخراً على اثر السنة في بيان حقائق الكتب المقدسة، فقد روى الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، وفي باب قول الله تعالى ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]:" ان اليهود جاؤوا إلى رسول الله (ﷺ)، فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا. فقال: لهم رسول الله(ﷺ): ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله بن سلام: كذبتم، ان فيها الرجم. فاتوا بالتوراة فنشروها، فوضع احدهم يده على آية الرجم، فقرا ما قبلها وما بعدها، فقال عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله(ﷺ)، قال عبد الله: فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة"[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٦).

(٢) فتح الباري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، حديث رقم(٣٦٣٥)، ٦/ ٧٧٠.

وقد انزل الله تعالى على رسوله الكريم(ﷺ):﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[1].

ذكر الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: "إنها نزلت في زنى اليهوديين، قصة الرجم، وهذا اصح الأقوال"[2]. وقد ذكر القرطبي جملة مسائل شارحا أحكام الآية النازلة على صدر الصادق المصدوق اثر الواقعة، الذي يعني البحث مسالة التحريف التي ذكرها القرطبي وهي شارحة لقوله تعالى﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾، أي يتأولونه على غير تأويله بعد ان فهموه عنك، وعرفوا مواضعه التي أراد الله (عز وجل)، وبين أحكامه؛ فقالوا:شرعه ترك الرجم، وجعلهم بدل رجم المحصن جلد أربعين تغييرا لحكم الله (عز وجل)، و(يُحَرِّفُونَ)، في موضع الصفة

---

(١) سورة المائدة، الآية (٤١).

(٢) الجامع لاحكام القران، القرطبي، ٦/١٧٦. وينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/١٣٦.

لقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ﴾، وليس بحال من الضمير الذي في ﴿يَأْتُوكَ﴾، لأنهم إذا لم يأتوا لم يسمعوا، ،التحريف إنما هو ممن يشهد ويسمع فيحرّف، والمحرفّون من اليهود بعضهم لا كلهم، ولذلك كان حمل المعنى على ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾، فريق سماعون أشبه ﴿يَقُولُونَ﴾: في موضع الحال من المضمر في (يُحَرِّفُونَ)، ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾، أي ان أتاكم محمد(ﷺ)، بالجلد فاقبلوا وإلا فلا"[1].

واخرج الإمام مسلم (رحمه الله) في صحيحه وبسنده عن البراء بن عازب[2] قال:"مر على النبي(ﷺ)، بيهودي محمما مجلودا، فدعاهم(ﷺ)، فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلا من علمائهم، فقال أنشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى! أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ فقال: لا، ولولا انك أنشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله(ﷺ): "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، فأمر بالرجم"، فانزل الله(عز وجل): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾

---

(١) الجامع لاحكام القرآن، ٦/١٨١، وينظر: تفسير القرآن العظيم، ٣/١٣٦.

(٢) هو أبو عمارة البراء بن عازب بن حارث بن عدي بن جشم بن حارثة الخزرجي الانصاري، قيل انه استصغر يوم بدر، وقيل يوم احد، وقيل اول غزوة غزاها مع النبيﷺ يوم الخندق، نزل الكوفة ومات بها ينظر: الاستيعاب، ١/ ١٥٥-١٥٧.

إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾[1]، يقول: ائتوا محمدا (ﷺ)، فان أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وان أفتاكم بالرجم فاحذروا.

فانزل الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[2]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[4]، في الكفار كلها[5].

إذن هذه بعض من جوانب السنة المطهرة التي بينت أفاعيل اليهود تجاه شريعتهم، وتجاه كتبهم المقدسة، ففي ذلك الإخبار إشعار حقيقي يعلن من واقعه التبديل والتغيير، يقول صاحب دقائق التفسير: "وإذا كان في الكلام أخبار عن الغير بانه يقول أقوالا باطلة في العقل والشرع، وفيه رد تلك الأقوال كان هذا كذبا وظلما ولكن فيه من تحريف كتاب الله والإلحاد في آياته وأسمائه، والكذب والظلم والعدوان الذي يتعلق بحقوق الله مما فيه"[6].

---

(١) سورة المائدة، من الآية (٤١).

(٢) سورة المائدة، الآية (٤٤).

(٣) سورة المائدة، الآية (٤٥).

(٤) سورة المائدة، الآية (٤٧).

(٥) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، كتاب الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنى، حديث رقم (٤٤١٥)، ١١/ ٢٠٨.

(٦) دقائق التفسير، ابن تيميه، تحقيق د. محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القران، دمشق، ١٤٠٤هـ، ط(٢)، ٢/ ٤٧١.

المبحث الثالث

الإمام ابن حزم[1] وجهوده في دراسة اليهودية ونقد أصولها

رسم ابن حزم (رحمه الله) لدراسته في الأديان منهجا علميا يسير مع أطروحاته النقدية والوصفية وفق مسارات عجز علماء الغرب عن الإتيان بمثل تلك المباحث، وما انطوت عليها من محاور علمية مشفوعة بنصوص الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى. ويسمى منهجه هذا بمنهج (الإلزام) كما اشرنا إليه، إذ احتج بنصوص القوم المقدسة وفندها من واقع مقابلتها بنصوص أخرى، ففي ذلك حقق مقارنة في ذاتية النصوص، آل أمرها إلى إلزام الخصوم بحججهم النصية، ثم يعقبها بالتعليق العلمي، لذا عد ابن حزم في الأوساط العلمية مؤسس علم مقارنة الأديان.

وفي معرض بحثنا الدرسي عن جهوده العلمية في دراسة التوراة والكتب المقدسة لدى اليهود، ساقنا النظر إلى كثرت مؤلفاته في ألوان العلوم والفنون، دلت على ثقافته وعلمه الواسع، وشواهد ذلك أمام العيان،

---

(١) هو أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري، كان شافعي المذهب ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر، وكان ابن حزم اجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام أوسعهم، مع توسعه في علم اللسان والبلاغة والشعر والسير والأخبار، وكان متفننا في علوم جمة عاملا بعلمه، زاهداً في الدنيا، متواضعاً ذا فضائل و تأليف كثير، الا انه كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين حتى قيل لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين، توفي سنة ٤٥٦هـ ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي، ٣/٢٩٩-٣٠٠.

الذي يهم بحثنا مؤلفاته في الأديان[1]، ويعد كتاب (الفصل)[2] من أعظم ما ألف في علم الدين المقارن. فقد قرأ ابن حزم التوراة قراءة واعية، ووقف

---

(١) من أعظم إنتاج الإمام ابن حزم العلمي في هذا المجال كتاب: (إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم لا يحتمل التأويل)، ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ، وقد طبع ضمن كتاب (الفصل) في الجزء الأول والثاني، وكتاب (الرد على ابن نغريلة اليهودي)، والكتاب هو عبارة عن رسالة كتبها ابن حزم، تنقسم الرسالة على قسمين: **الأول:** رد ابن حزم على المشكلات التي أثارها ابن نغريلة اليهودي، وتقع تلك الردود في ثمانية فصول، وكان منهجه واضحا في إيراد الرد على المشكلة ثم يشفعها بالانتقاد على احد المسائل الواردة في التوراة، وأما في **القسم الثاني:** ناقش ابن حزم بعض ما يسميه(الطوام)، التي وردت في كتب اليهود، ثم اعتذر في ختام رسالته عن إيراد شنع اليهود بمثل ما اعتذر به في كتاب الفصل فذهب إلى ان الله تعالى قص علينا من كفرهم، فاقتدى بكتاب الله في ذلك، ينظر: مقدمة المحقق إحسان عباس، ص١٩.

(٢) اختلفت اراء المحققين في اسم كتاب ابن حزم (الفصل)، هل هو (الفَصل) بفتح الفاء وسكون الصاد، ام الفِصَل بكسر الفاء وفتح الصاد، وما المعنى المراد مع كل ذلك؟. ولم يسعفنا ابن حزم، ويفصح عن امر هذا العنوان، وهل يمكن ان يكون بكسر الفاء؟ وعند التحقيق وجدنا عند الطبعة الاولى للكتاب في مصر (١٣٢١هـ)، بمطبعة التمدن، العنوان ماياتي" الفِصَل بكسر الفاء، جمع فَصلة بفتح فسكون كقصعة وقِصع النخلة المنقولة من محلها إلى محل اخر وقد سار على هذا الطريق كثير من الباحثين منهم: الاستاذ محمد ابو زهرة ويرجح د. حماية في دراسته لكتاب الفصل، عنوان الكتاب(الفَصل) وليس (الفِصَل)، (فَصلات)، كما يرى البعض، لان القول بـ(الفِصَل) بكسر الفاء جمع (فصلة) بفتح الفاء وهي النخلة المنقولة، وقد جاء في معاجم اللغة: ان (الفَصل) هو الحق من القول، وبه فسر قوله تعالى(انه لقول فصل)الاية (١٣) من سورة الطارق، أي حق، وقيل فاصل قاطع فيكون على ذلك ان=

على كل نص فيها ليدرك مرماه، ويقف على معناها، ثم ان اللغة التي فقهها في تلك النصوص كيف كان يتعامل معه، من أين جاءته ترجمتها؟

المطلب الأول: ابن حزم ولغة التوراة:

نقرأ بدقة في كتاب (الفصل)، وصف ابن حزم لنسخ التوراة التي رجع إليها، واستسقى منها دراسته، فيقول: "وهي مقدار مائة ورقة وعشرة أوراق في كل صفحة من ثلاثة وعشرين سطرا إلى نحو ذلك يكون في السطر بضع عشر كلمة"[١]، بل نجده يقول:" ورأيت في نسخة أخرى منها"[٢]، ثم يورد نصا مغايرا بعض المغايرة لما أورده من قبل، معنى ذلك انه كان لابن حزم أكثر من نسخة تحت يده من التوراة عندها عمد إلى دراستها، ولا نستطيع ان نجزم البتة باللغة التي كانت بها نصوص التوراة حينها، إلا ان معرفته الدقيقة بالتوراة وتجوله بها بكل سهولة ويسر، يؤشر لنا مؤشرا دقيقا، على ان ابن حزم قد يمتلك معرفة بلغة النصوص التي بين يديه، ومثال ذلك نجده في معرض الحديث عن مسالة من مسائل التوراة نجده يوعز النص إلى سفره، معنى ذلك انه تمكن في التطواف بين النصوص في نسخ عدة، ذلك لمعرفته بلغة التوراة، ومثاله يقول:" في

=الغرض من تاليف هذا المصنف هو (الفصل في اهل الملل والاهواء والنحل)، كما هو واضح من سياق الكتاب ينظر: ابن حزم وجهوده في دراسة الأديان، ص٩٧- ١٠٠.

(١) الفصل، ابن حزم، ١/ ١٨٧

(٢) المصدر نفسه، ١/ ١٢١.

السفر الخامس من أسفار الذي يسمونه (التكرار) ان الله تعالى قال لموسى"[1].

ثم إذا ما تتبعنا البحث عن مسالة اللغة التي اعتمدها ابن حزم ضمن الدراسات المعاصرة، لنقف أمام مؤلف الأستاذ الدكتور محمود علي حماية (رحمه الله تعالى) الذي اشرنا إليه قبل قليل، فقد أشار الأستاذ إلى معرفة ابن حزم بلغة خصومه بجانب اطلاعه على نصوص كتبهم يقوي من موقفه، وينفي عنه سمة الجهل بما يوردنه من آراء، فدرس اللغة العبرية، وليس هذا فحسب بل إننا لا نستبعد معرفة ابن حزم بالسريانية واللاتينية[2]، معرفة جعلته يقارن بينها جميعا، ويتحدث عن هذه اللغات حديث الخبير بها المدرك لأسرارها، وقد كان ابن حزم "مولعا بتفحص الفروق في اللهجات الدارجة التي يسمعها حيثما حل وارتحل فهداه تدقيقه إلى ان السريانية والعبرانية لغة واحدة"[3].

وخلافا لمن قال ان ابن حزم اعتمد على وسيط في دراسته للكتب المقدسة[4]، فان تطلعاته باللغات في محل تحقيق علمية المنهج الوصفي

---

(١) الفصل، ابن حزم، ١/ ١٨٩.

(٢) ينظر: كتاب التقريب لحد المنطق، ص١٣، ٥٢، ٥٤، وتشير إلى معرفته باللاتينية.

(٣) نظرات في اللغة عند ابن حزم، سعيد الأفغاني، ص٢٥.

(٤) ذكر الأستاذ سعيد كفايتي في مقالته: (دور ابن حزم الأندلسي في تأسيس علم مقارنة الأديان)، وهي مقالة منشورة على موقع مجلة التسامح الالكتروني، العائد إلى وزارة الأوقاف والشؤون الدين سلطنة عمان، بتاريخ ٢٢/٧/٢٠١١م، اذ يقول صاحب المقال: "وقد ركزنا هنا على الترجمات العربية للتوراة،لأننا متيقنين ان ابن حزم كان يجهل العبرية مثله في ذلك مثل اغلب العلماء المسلمين ثم يعمد إلى القول إلا اننا نجد

والنقدي للكتب المقدسة، وبالتالي يسير المنهج العلمي وفق المسارات الصحيحة، وإننا عند تأملنا في علمية ابن حزم في نقد الكتب المقدسة والمناظرات التي وقعت مع أهل الكتاب، لا بد من القول ان ابن حزم كان قديرا على استخدام لغة القوم، وهذا ما يقتضيه العقل قوله، لأنه لا يتصور الكم العظيم من نصوص الكتب المقدسة ان تناقش بطريقة علمية راقية أعجزت علماء الغرب عن الإتيان بمثل منهجه، والحق ان العقل لا يتصور المنهج الشمولي الذي استخدمه ابن حزم لاحتواء التوراة جميعها، وكذا الأناجيل المسيحية، فأي موسوعة اليوم نجدها مع التطور التكنولوجي، تمكننا المقارنة بموسوعة (ابن حزم في كتابه الفصل)؟.

=ابن حزم يمتلك مع ذلك معرفة واسعة باليهودية مكنته من نقد التوراة وفق منهجية محددة، وخلافا لما يشاع في بعض الدراسات من كون ابن حزم كان يستسقي معلوماته حول التوراة اعتمادا على وسيط فإننا نعتقد جازمين بان النصوص التي أوردها في الفصل مأخوذة من نص كان بين يديه وذلك لان النصوص المستشهد بها جميعا على درجة عالية من الدقة للنسخة التي اعتمد عليها غير اننا نسال كاتب المقالة، هل تستطيع تحقيق موضوع عقدي عند اليهودي بعدة نسخ في زمن ابن حزم، ام انك ستستعمل نسخ واحدة في تحقيق بحثك، لصعوبة الحصول على ترجمات مرادفة أو مختلفة بعض الشيء؟ لذا يكون الوسيط الذي استعمله ابن حزم ليس بترجمان اجلسه شهورا واياما طوال بجانب تاليفه حتى انتهى منه بهذه الصورة البحثية الدقيقة، وحرصه في ذكر منوعات موضوعات التوراة واسفارها، واما انه اعتمد على نسخ مترجمة ومادة جاهزة ينقل منها متى يريد فذلك امر عسير في تاليف موسوعة ضخمة في الأديان كمثل (الفصل)، لانها تحتاج إلى مجموعة جهود من قبل الباحثين في مقابلة النصوص المترجمة، واستخلاص منها ما يهم البحث وتصويبها نحو مناهج التحليل والتقويم.

وإذا ما عمدنا إلى كتابه (الإحكام) لنرى ذلك، هو يشير بالقول:" ان الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا ان السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر لا لغة حمير، لغة واحدة تبدلت بتبديل مساكن أهلها، فحدث فيها جرش احتكاك كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيروان إذا رام نغمة الأندلسي، ومن الخراساني إذا رام نغمتها"(١)، فهذا التوجيه في بسط تداخل اللغة، ويمكن استخدام اللغات الأخرى إذا رام الإنسان استخدام أو تعلم أي كان من اللغات الأخرى. وعليه فان ابن حزم هو أندلسي، وتطلعه إلى العالم الآخر وقلنا انه كان مولعا بتفحص الفروق في اللغات الدراجة، وقد يكون استخدم ذات الطريق في معرفة، وتعلم اللغة لطالما الأمر يهم شخصيته العلمية.

المطلب الثاني: ابن حزم واستعداده العلمي:

تسلح ابن حزم بأنواع الثقافة عندها بات استعداده العلمي في مراتب عالية تمكنه من الدفاع عن عقيدته، لذا فإننا نراه يقف وجها لوجه أمام أعلى المجادلين من اليهود في شؤون العقائد. ولعل ظروف المواجهة بينه وبين اليهود في الأندلس هي التي دفعت به دفعا إلى مجالس الجدل، والمناظرة التي عرفت له، والتي كان من ثمرتها كتابه الكبير (الفصل في الملل والأهواء والنحل)(٢)، وغيرها من المناظرات التي وقعت بينه وبين

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، مطبعة الإمام، مصر، ١/ ٣١.

(٢) ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. محمود حماية، ص٢٤٦وما بعدها.

(إسماعيل بن يوسف اليهودي، المعروف بابن نغريلة)، التي كانت ثمرتها الأخرى كتاب رسائل ابن حزم في الرد على ابن نغريلة اليهودي.

ثم إذا نظرنا إلى ركن آخر من أركان استعداده العلمي في دراسة الأديان، فإننا نجد انه درس كتبا وشروحا لها اثر في الفكر اليهودي، فيقول في بعض كتبهم: "وفي كتاب لهم يسمى (شعر توما) من كتاب التلمود، والتلمود هو معولهم، وعمدتهم في فقهم وأحكام دينهم وشريعتهم وهو من أقوال أحبارهم بلا خلاف من احد منهم، ففي الكتاب المذكور ان جبهة خالقه من أعلاها إلى انفه خمسة ألاف ذراع حاشا لله من الصور والتجسيم والمساحات والحدود والنهايات"(١).

ولترحاله بين التلمود وأسفاره الذي يدل على تعمق ابن حزم في دراسة التلمود، فتجده يشير إلى موضع آخر منه، فيقول: "وفي كتاب آخر من التلمود يقال له (سادر ناشيم)، ومعناه تفسير أحكام الحيض وفي احد أسفاره وفصوله ان في رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطارا من ذهب، وفي أصبعه خاتم له فص تضيء منه الشمس (صندلفون)، تعالى الله عن هذه الحماقات"(٢).

غير ان اهتمام ابن حزم بدراسة التوراة كانت أكثر من دراسة التلمود، وذلك جليا في كتاب الفصل، فقد اهتم ابن حزم بنقد التوراة اهتماما كبيرا، وذلك يرجع إلى أمرين:

---

(١) الفصل، ٢٤٥/١.

(٢) المصدر نفسه، ٢٤٥/١.

الأول: ان جمهور اليهود يرون ان التوراة التي بأيديهم منزلة من عند الله (عز وجل)، على موسى (عليه السلام)، فاحتاج الأمر إلى بيان الحق في هذه الدعوة.

الثاني: ان هناك تلازما بين ديانة كل قوم، وكتابهم المقدس وإذا ثبت بطلان الكتاب وتحريفه لزم من ذلك فساد العقيدة التي تقوم عليه ولقد اعتمد (أبو محمد)، في إثبات تحريف التوراة على نظرتين:

أولا: النظرة إلى النصوص ذاتها.

ثانيا: النظرة إلى عوامل تاريخية.

ونعني بالنظرة الأولى الكذب والتناقض ومغايرة الواقع الذي كشف عنه ابن حزم، من داخل التوراة نفسها وأماط عنه اللثام ليكون برهانا لكل ذي عينين على انه لا يمكن ان يكون من عند الله وبذلك استطاع ان يجعل التوراة بنفسها تحمل بين جنبها دليل هدمها، وبرهان بطلانه وأما النظرة إلى عوامل تاريخية ونقصد بها الظروف التي مرت بها التوراة منذ ان توفي موسى (عليه السلام)، إلى ان كتبها لهم (عزرا الوراق)[1]،

---

(١) يرى السموئل بن يحيى المغربي الذي كان يهوديا فهداه الله إلى الاسلام، ان (عزيرا) المذكور في القران الكريم، يختلف عن (عزرا) الكاتب، ينظر، كتابه إفحام اليهود تحقيق الأستاذ الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي أستاذ الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم القاهرة، طبعة الرياض، ١٤٠٥هـ، وقد أشار الأستاذ الشرقاوي الى وجود رسالة ماجستير في كلية دار العلوم بالقاهرة بعنوان (عزير وعزرا) للطالب عبد الرحمن عوف، وان الأول المذكور في القران الكريم ليس هو الثاني المذكور عند اليهود.

بإجماع من كتبه، واتفاق من علمائهم[1].

المطلب الثالث: جهود ابن حزم في نقد الكتب المقدسة لدى اليهود:

لقد أورد ابن حزم، في بيان بطلان التوراة في كتابه (الفصل) سبعة وخمسين فصلا، أورد في كل فصل نماذج محددة من تناقضات، وكذب النصوص التوراتية، مع الملاحظ عند الاستقراء لتلك الفصول تواطأ اليهود عليها، ومن ثم تواطأ النصارى على قبول من مثل تلك المزاعم الباطلة، واشتراكهما فيها. وسنأخذ منهج الإمام ابن حزم في عرض ونقد النص، ثم نهيكل فصوله الدراسية في مسائل، كي نجعلها تتماشى مع المنهج العلمي في بيان جهوده العلمية.

افرد ابن حزم في دراسته للأديان عنوانا شاملا، وجعله العنوان الرئيس الذي تتفرع عنه محاور الدراسة، وعنوانه هو:

"الكلام عن اليهود، وعلى من أنكر التثليث من النصارى، ومذهب الصابئين، وعلى من اقر بنبوة زرادشت من المجوس، وأنكر من سواه من الأنبياء (عليهم السلام)"[2].

ثم بدأ بعد ذلك بالتمهيد لعنوان البحث، ومن ثم تأصيل الدراسة بالكلام عن الفرق اليهودي، ومسائلها العقدية الرئيسة، ومن ثم عمد إلى عرض الفصول، ونقد النصوص التوراتية.

---

(١) ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. محمود حماية، ص٢٥٤، وص ٢٦٠.

(٢) الفصل، ١/ ١٢١.

أولا: المقدمة التمهيدية:

قال ابن حزم فيها:" ان أهل هذه الملة يعني (اليهود)، وأهل هذه النحلة يعني من أنكر (التثليث من النصارى) موافقون لنا في الإقرار بالتوحيد، ثم بالنبوة، وبآيات الأنبياء (عليهم السلام)، وبنزول الكتب من عند الله (عز وجل)، إلا أنهم فارقونا في بعض الأنبياء (عليهم السلام)، دون بعض، وكذلك وافقتنا الصابئة والمجوس على الإقرار ببعض الأنبياء دون البعض"[١]، ثم ان هناك تمهيد آخر اذكره قبل بداية الحديث في فصول عرض ونقد التوراة، يقول فيه:" نذكر ان شاء الله تعالى ما في الكتب المذكور. أي التوراة والأناجيل الأربعة. من الكذب الذي لا يشك كل ذي مُسكة تمييز في انه كذب على الله تعالى، والملائكة الأنبياء (عليهم السلام)، إلى أخبار أوردها لا يخفى الكذب فيها على اخذ كما لا يخفى ضوء النهار على ذي بصر"[٢].

ثانيا: التأصيل البحثي:

بعد مقدمته التمهيدية، شرع إلى تأصيل علمي بذكر فرق اليهود، بقوله افترقوا على خمس فرق، وهي[٣]:

---

(١) الفصل، ١/ ١٢١.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ١٢١ وما بعدها.

أ- السامرية[1]: ولهم توراتهم غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويبطلون كل نبوة كانت في إسرائيل.

ب- الصدوقية[2]، ونسبتها إلى رجل اسمه(صدوق)، وهم يقولون من بين سائر اليهود (عزير ابن الله). وكانوا بجهة اليمن.

---

(١) فرقة السامريين: نشأت في إقليم السامرة شمال فلسطين بعد الترحيل البابلي، وقد تمتعت بازدهار الفكري حتى القرن الرابع الميلادي، ثم ذاقت ألوان الاضطهاد على يد (جستنيان الروماني)، وهي اقل فرق اليهود انحرافا، وقد أوشكت على الانقراض، وهذه الفرقة في مكونتها البشرية تمثل خليطا من اليهود والآشوريين، حين تم لآشور السيطرة على الجماعات اليهودية عام (٧١٣ق.م)، ولعلهم سموا بذلك لان نحلتهم ظهرت في إقليم السامرة شمال فلسطين، من أهم عقائدها لا تعترف من العهد القديم إلا الأسفار الخمسة المقدسة، وتنكر بقيته، وكذا التلمود بجملته، وتؤمن بالله إلها روحيا، وموسى رسولا خاتم الرسل، كما تؤمن بجبل (جرزيم)، المجاور بنابلس، وانه المكان المقدس، والقبلة الحقيقية الوحيد لبني إسرائيل، ينظر :التاريخ اليهودي العام، الأستاذ صابر طعيمة، دار الجيل بيروت ١٩٧٥م ط(١)، ص٢٦٧. واليهودية واليهود، د.علي عبد الواحد وافي، دار الهنا، ص٨٩. والموسوعة اليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م، ٣١٩/٥.

(٢) فرقة الصدوقيين: وسميت بذلك نسبة إلى رائدها الأول (صدوق)، وتنتمي إليها طبقة الكهنة وبعض الكتبة من اليهود الذين يميلون إلى مسالمة الرومان، وقد أدعو ان تاريخهم يعود إلى عصر داود عليه السلام وتولوا أمر الكهانة الدينية وإنهم متشددين في مقاومة السلوك غير اليهودي، ومن أهم عقائدهم انها لا تعترف الا بالعهد القديم، أي يقتصرون من التوراة على أسفار موسى الخمسة، وترفض الأخذ بالأحاديث الشفوية المنسوبة الى موسى عليه السلام، ومن عقائدها لا تعترف بالبعث ولا باليوم الآخر، وقالوا: انما الحياة الدنيا وكفى، ولا يعتقدون بالملائكة، ويعتقدون ان إسرائيل ربهم خاص وهو (يهوه)، الذي اختارهم وهم شعبه ينظر : التاريخ اليهودي العام، الأستاذ=

ت- والعنانية[1]، هم أصحاب (عانان) الداودي اليهودي، وتسميهم اليهود القرائيين، وهم لا يتعدون شرائع التوراة، وما جاء في كتب الأنبياء وهذه الفرقة سكنت العراق ومصر والشام، وهم من الأندلس ويتبرؤون من أقوال الأحبار.

ث- والربانية[2]وهم القائلون بأقوال الأحبار ومذاهبهم.

ج- والعيسوية[3]، أصحاب أبي عيسى الاصبهاني، رجل من اليهود باصبهان، يقولون بنبوة عيسى ابن مريم، ومحمد(ﷺ).

=صابر طعيمة، ص٢٦، واليهودية، وافي، ص٨٦، بروتوكولات حكماء صهيون، الأستاذ عجاج نويهض، ٢/١٤٤، ومفصل العرب واليهود في التاريخ، د. احمد سوسه، ص٨٤٨.

(١) فرقة العنانيين أو القرائين: وهي احدث الفرق اليهودية جميعا، فقد أنشاها عنان بن داود احد علماء اليهود في العراق، وفي أواخر القرن الثامن بعد الميلاد في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وسميت بذلك نسبة إلى إتباع التوراة (المقرأ)، ومن أهم معتقداتهم: التمسك بما جاء بالعهد القديم، وعدم الاعتراف بالتلمود، ويتميزون بالتعنت والتصلب في طقوس العبادة والسبت، وقد ألغى مؤسسها عنان جميع تشريعات الربانيون الذين اقروا التلمود، وفتح باب الاجتهاد المقدس في فهم النصوص، مما أدى إلى ظهور حركات إصلاحية دينية. ينظر: الصهيونية والتلمود، اسعد رزوق، ص١٨١، والمفصل احمد سوسه، ص٨٦٥، واليهودية، وافي، ص٩٤.

(٢) قيل في معنى الربانيين:هم الحكماء العلماء الحلماء الفقهاء، وقيل: يعني اهل العبادة والتقوى ينظر: تفسير القران العظيم، ابن كثير، ٢/٧٢.

(٣) العيسوية، وهم نسبة إلى أبي عيسى بن يعقوب الاصبهاني، وقيل ان اسمه (عوفيد الوهيم)، أي: عابد الله، كان في زمن المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية، مروان بن محمد، فاتبعه بشر كثير من اليهود، وادعوا له آيات ومعجزات وقد زعم أبو عيسى انه نبي، وانه رسول المسيح المنتظر، وزعم ان للمسيح خمسة من=

هو بسط أسس الدراسة وتوجيهها أمام العيان من جانب، ومن جانب آخر أراد الإشعار السافر عن تلكم العقائد الرئيسة التي تحتضنها الفرق اليهودية، وهو في ذلك يؤصل الأطر العقدية المحيطة بتلك الفرق، لذلك اكتفى بعرض عقائدها الرئيسة دون الخوض في تفصيلات عقائدها الأخرى، ودقائق تشريعاتها.

ثالثا: فصول ابن حزم في عرض ونقد التوراة؛ ونجملها في مسائل عدة:

مما هو جدير بالذكر ان ابن حزم كان يعرض المسالة، ثم ينقدها، ومن ثم يدعم نقده بالأدلة التوراتية كما سنرى:

=الرسل يأتون قبله واحدا بعد واحد، وزعم ان الله تعالى كلمه، وكلفه ان يخلص بني إسرائيل من أيدي الأمم العاصين والملوك الظالمين، وزعم ان المسيح أفضل من ولد ادم، وانه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين، وإذ هو رسوله فهو الأفضل الكل أيضا، وكان يوجب تصديق المسيح ويعظم دعوة الداعي ويزعم ان الداعي هو المسيح، وحرم في كتابه الذبائح كلها، ونهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق، طيرا كان أو بهيمة، واوجب عشرة صلوات وأمر أصحابه بإقامتها، وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة. ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/٢٢٢وما بعدها.

المسالة الأولى: النسخ[1] والبداء[2]:

١) عرض نصوص المسألة:

---

(١) النسخ هو بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه، أو هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي، ومعنى التعريف: هو رفع الحكم الشرعي وقطع تعلقه بأفعال المكلفين، لا رفعه هو، فانه أمر واقع والواقع لا يرتفع، والحكم الشرعي هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اما على سبيل الطلب أو الكف أو التخيير، واما على سبيل كون الشيء سببا أو شرطا أو مانعا أو صحيحا أو فاسدا، والدليل الشرعي: هو وحي الله مطلقا متلوا أو غير متلو، فيشمل الكتاب والسنة وقد قيد التعريف بكلمة (رفع)، وذلك ليخرج عنه ما ليس برفع كالتخصيص فانه لا يرفع الحكم وانما يقصره على بعض أفراده وللنسخ أمورا لا بد من تحققها، وهي: ان يكون المنسوخ حكما شرعيا، وان يكون دليل رفع الحكم دليلا شرعيا، وان يكون الدليل الرافع متراخيا عن دليل الحكم الأولوان يكون بين سنيك الدليلين تعارض حقيقي ينظر: نهاية السول في شرح منهاج الأصول، للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٥هـ، ٥٤٨/٢.ومناهل العرفان، الزرقاني، ١٤٧/٢، ١٥٠.

(٢) البداء(بفتح الباء) يطلق في لغة العرب على معنيين متقاربين: أحداهما: الظهور بعد الخفاء، ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ الزمر :من(٤٧)، ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾الجاثية: ٣٣، ومنه قولهم بدا لهم سور المدينة، والآخر: نشأة رأي جديد لم يكن موجودا، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾يوسف:٣٥، أي نشأ لهم في يوسف رأي جديد، هو ان يسجن سجنا وقتيا ولعل المعنى الثاني هو الأنسب والاوفق بمذهب القائلين به. قبحهم الله. ينظر: مناهل العرفان ١٥٠/٢ وما بعدها.

قال ابن حزم: انقسم اليهود على قسمين في مسألتي (النسخ والبداء): قسم منهم أبطل النسخ، ولم يجعلوه ممكنا، والقسم الثاني: أجازوه، الا انهم قالوا لم يقع، ثم عرض ابن حزم قول اليهود:" ان الله (عز وجل)، يستحيل منه ان يأمر ثم ينهى عنه، ولو كان كذلك لعاد الحق باطلا، والطاعة معصية، والباطل حقا، والمعصية طاعة[1].

<u>٢) نقد نصوص المسألة:</u>

ثم بعد عرض ابن حزم للمسألة، يعمد إلى نقدها، وإبطالها، فيقول: "ما تقولون أي اليهود. فيمن كان قبلكم من الأمم المقبول دخولها فيكم إذا غزوكم؟ أليس دماؤهم لكم حلالا، وقتلهم حقا وفرضا وطاعة؟ فلا بد من بلى. فنقول لهم: فان دخلوا شريعتكم أليس قد حرمت دماؤهم، وصار عندكم قتلهم حراما وباطلا، ومعصية بعد ان كان فرضا وحقا وطاعة؟ فلابد من بلى.

ثم ان عدوا في السبت، وعملوا أليس قد عاد قتلهم فرضا بعد ان كان حراما؟ فلابد من بلى. فهذا إقرار ظاهر منهم ببطلان قولهم، واثبات منهم لما أنكروه من ان الحق يعود باطلا والأمر يعود نهيا، وان الطاعة تعود معصية وهكذا القول في جميع شرائعهم، لأنها انما هي أوامر في وقت محدد بعمل محدد، فإذا خرج ذلك الوقت عاد ذلك الأمر منهيا عنه وهذا بعينه نسخ الشرائع"[2].

---

(١) الفصل، ١/ ١٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ١٢٣ وما بعدها.

٣) الأدلة التوراتية على نقض النسخ:

ثم يستشهد ابن حزم بنص من نصوص التوراة، بعد نقده لموضوع النسخ، فيهدم النسخ والبداء معا عند إيراده الدليل التوراتي، يقول ابن حزم: "في توراتهم (البداء) الذي هو اشد من النسخ، وذلك ان فيها ان الله تعالى: اخبر انه سيهلكهم، ويقدمهم على غيرهم، ثم لم يفعل، فهذا هو الكذب بعينيه تعالى الله عنه، وفي سفر اشعيا: (ان الله سيرتب من الفرس خداما لبيته)، وهذا النسخ بعينيه لان التوراة موجبة ان لا يخدم في البيت المقدس احد غير (بني لاوي) بن يعقوب على حسب مراتبهم في الخدمة، فعلى أي وجهة نزلوا هذا القول من اشعيا، فهو نسخ لما في التوراة على كل حال"(١).

المسألة الثانية: ادعاء التوراة ادم (عليه السلام) اله من الآلهة:

١) عرض نصوص المسالة:

ادعت التوراة ان ادم (عليه السلام) اله من الآلهة، وهذا نصه:" وقال الله: هذا ادم قد صار كواحد منا معرفة في الخير والشر، والآن كيلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الدهر فطرده الله من جنات عدن"(٢).

(١) الفصل، ١/ ١٢٤ وما بعدها.
(٢) المصدر نفسه، ١/ ١٤٦

٢) نقد نصوص المسألة:

يقول ابن حزم: حكايتهم عن الله تعالى انه قال هذا ادم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر، وموجب ضرورة انهم آلهة أكثر من واحد، ولقد أدى هذا القول الخبيث المفترى كثيرا من خواص اليهود إلى الاعتقاد، ان الذي خلق ادم لم يكن إلا خلقا خلقه الله تعالى قبل ادم، واكل منها ادم فعرف الخير والشر، ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلها من جملة الآلهة[1].

لم يرد ابن حزم نص توراتي في نقد مسألتهم، واكتفى بنقدهم، غير ان لا بد من ذكره في هذا المقام هو ان المنظور الإسلامي أبان حقيقة ادم (عليه السلام)، بيانا واضحا ليس فيه لبس على كل ذي لب، وانه عبد الله خلقه من طين ثم جعل سلالاته من ماء مهين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[3].

يقول د. زيدان في كتابه المستفاد من القصص:" ان ادم (عليه السلام) هو أصل البشر، خلقه الله تعالى من طين على صورته البشرية الكاملةأمر الله تعالى الملائكة بالسجود لأدم، فسجدوا له سجود تحية

---

(١) الفصل، ١/ ١٤٦.

(٢) سورة البقرة، من الآية (٣٠).

(٣) سورة ص، الآيتان (٧١-٧٢).

وتكريم وتعظيم واعتراف بفضله، وطاعة لله رب العالمين دون تردد ولا اعتراض مع أنهم في الملا الأعلى وهم في حال تسبيح وتقديس وعبادة مستمرة لله رب العالمين"[1].

فعلى ذلك من أين جاءت التوراة بإلوهية ادم الذي خلقه الله تعالى، وكرمه، وكلفه بتكاليف الطاعة والعبادة، فتعالى الله من ان يكون معه شريك في ملكه، وسلطانه العظيم.

المسالة الثالثة: ادعاء التوراة ان أولاد الله اتخذوا نساء:

١)عرض نصوص المسالة:

ادعت التوراة:" لما ابتدأ الناس يكثرون على ظهر الأرض وولد لهم البنات فلما رأى أولاد الله بنات ادم أنهن حسان اتخذوا منهن نساء" وقالوا في توراتهم:" كان يدخل بنو الله إلى بنات ادم ويولد لهم حراما وهم الجبابرة الذين على الدهر لهم أسماء"[2].

٢) نقد نصوص المسالة:

ونقد ابن حزم المسالة بالقول: "وهذه حمق ناهيك به، وكذب عظيم، إذ جعل لله أولادا ينكحون بنات ادم، وهذه المصاهرة تعالى الله عنها، حتى قال بعض أسلافهم انما عنى بذلك الملائكة، وهذه كذبة الا انها دون الكذبة الأولى في ظاهر اللفظ"[3].

---

(١) المستفاد من القصص القرآني للدعوة والدعاة، ص١٨ وما بعدها.

(٢) سفر التكوين: ٦: ١. ٤.

(٣) الفصل، ١٤٧/١.

المسالة الرابعة: وصفت التوراة الله بألفاظ لا تليق به، وتجسيمه بصفات البشر:

١)عرض نصوص المسالة:

وصفت التوراة الله بألفاظ لا تليق بـه، وجسمته تجسيما كصفات البشر، وفيما يأتي نعرض بعض من النصوص التي ذكرها الإمام ابن حزم[1]:

أ) وعند ذلك مجد (موسى) و (بنو إسرائيل)، بهذه السورة، وقالوا مجد بنا السيد فانه يعظم ويشرف، ،اغرق الفرس وراكبه، قوتي ومديحي للسيد الذي صار لي مسلما، وهذا الهي أمجده واله أبي أعظمه، السيد قاتل كالرجل القادر.

ب) وفي نص آخر: اعلموا ان السيد إلهكم الذي هو نار أكول

ت) لقد رأيتموني كلكم من السماء، فلا تتخذوا معي آلهة الفضة ثم قال بعد ذلك صعد (موسى) و(هرون)، و(ناداب)، و(ابيهو)، وسبعون رجلا من المشايخ، ونظروا إلى اله إسرائيل، وتحت رجليه كلبنة من زمرد فيروزي، وكسماء صافية، ولم يمد الرب يده إلى خيار بني إسرائيل الذي نظروا إلى الله وأكلوا وشربوا وكان منظر السيد كنار آكلة في قرن الجبل لا يراه جماعة من بني إسرائيل.

---

(١) الفصل، ١/ ١٨٦ –١٨٧.

٢) نقد نصوص المسالة:

ونقد ابن حزم تلك النصوص، أما النص الأول والثاني، فقال: هذه سوأة من السوءات لتشبيه الله (عز وجل)، بالرجل ويخبر بأنه نار، هذه مصيبة لا تجبر، ثم يقارن ابن حزم بين النص القرآني والنص التوراتي، ثم يسأل بصيغة الاستفهام الإنكاري، أليس الله تعالى يقول عندكم: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]، قلت: بلى، وقد قال رسول الله(ﷺ): إذ سأله (أبو ذر) هل رأيت ربك؟ فقال:" نور أني أراه"[٢]. وهذا بين ظاهر انه لم يعن النور المرئي، ولكن نور لا يرى، فمعنى ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، إذا ثبت انه ليس هو النور المرئي الملون، انه الهادي لأهلهما فقط، وان النور اسم من أسماء الله تعالى فقط.

واما قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾[٣]، فانه شبه نوره الذي يهدي به أولياءه بالمصابيح الذي ذكر، فانه شبه

---

(١) سورة النور، من الآية (٣٥).

(٢) صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب قوله(ﷺ): نور أني أراه: رقم الحديث (٤٤٣)، ٢/١٥، وعلق النووي بقوله: حجابه نور، فكيف أراه؟ قال أبو عبد الله المازري رحمه الله، الضمير في أراه عائد على الله، سبحانه وتعالى، ومعناه: ان النور منعني من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الأنوار والإبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه، وقوله(ﷺ):(رأيت نورا) معناه: رأيت النور فحسب ولم أر غيره، يحتما ان يكون معناه راجعا إلى ما قلناه أي خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الأفعال، ينظر: شرح النووي ٢/١٥.

(٣) سورة النور، من الآية (٣٥).

مخلوقا بمخلوق، وبيان ذلك، قوله تعالى متصلا بالكلام المذكور في الآية نفسها: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[1]، فصحيح ما قلناه من انه تعالى انما عنى بنوره هداه للمؤمنين فقط، وهذا اصح تشبيه يكون لان نور هداه في ظلمة الكفر كالمصابيح في ظلمة الليل[2].

تحليل وتعليق:

افرد الرازي مبحثا في تفسيره لتحقيق النور ومعانيه الوارد في الآيات التي احتج بها ابن حزم واستحالة ان يكون النور إلها، وبيانه:

فيقول: ان لفظ النور موضوع في اللغة لهذه الكيفية الفائضة عن الشمس والقمر والنار على الأرض والجدران وغيرهما، وهذه الكيفية يستحيل أن تكون إلها لوجوه:

احداها: ان هذه الكيفية ان كانت عبارة عن جسم كأن الدليل الدال على حدوث الجسم دالا على حدوثها، وان كانت عرضا فمتى ثبت حدوث جميع الأعراض القائمة به، ولكن هذه المقدمة انما تثبت بعد إقامة الدلالة على ان الحلول على الله تعالى محال.

ثانيها: أن سواء قلنا النور جسم أو أمر حال في الجسم فهو منقسم وعلى التقديرين فالنور منقسم وكل منقسم فانه يفتقر في تحققه إلى تحقيق أجزائه وكل مفتقر فهو في تحققه مفتقر إلى غيره والمفتقر إلى غيره ممكن لذاته محدث بغير فالنور محدث فلا يكون إلها.

---

(١) سورة النور، من الآية (٣٥).

(٢) الفصل، ١/ ١٨٦ وما بعدها.

ثالثها: ان هذا النور المحسوس لو كان هو الله لوجب ان لا يزول هذا النور ولامتناع الزوال على الله.

رابعها: أن هذا النور المحسوس يقع بطلوع الشمس والكوكب، وذلك محال على الله.

ثم يعمد الرازي لتحقيق أقوال العلماء لمعاني النور الموصوف به الله تعالى، فقيل في ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾؛ أي ذو نور السموات والأرض، والنور هو الهداية، والمراد الله هادي أهل السموات والأرض. وقيل: المراد انه مدبر السموات والأرض بحكمة بالغة وحجة نيرة، فوصف نفسه بذلك كما يوصف الرئيس العام بأنه نور البلد وقيل: المراد ناظم السموات والأرض على الترتيب الأحسن، فانه قد يعبر بالنور عن النظام وأما هدايته لمن يشاء بهذا النور ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، فالمراد بالنور الهداية إلى للعلم والعملو ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾، فقيل ان هذه الدلائل بلغت في الظهور والوضوح إلى هذا الحد الذي لا يمكن الزيادة عليه ف ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، يعني وضوح هذه الدلائل لا يكفي ولا ينفع ما لم يخلق الله الإيمان ولا يمكن ان يكون المراد من قوله﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ﴾، إيضاح الأدلة والبينات لانا لو حملنا النور على إيضاح الأدلة لم يجز حمل الهدى عليه أيضا، وإلا لخرج الكلام عن القاعدة فلم يبق إلا حمل الهدى هاهنا على خلق العلم[1].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، ٢٣/٢٢٢-٢٣٨.

فأين البيان المعنوي وتوجيه الألفاظ وتسديدها نحو تنزيه الله تعالى من تلك الافتراءات التوراتية على الله تعالى، الذي ليس كمثله شيء؟ سبحانه وتعالى عما يصفون.

وأما نقد ابن حزم للنص الثالث السالف بالذكر، فيقول: هذا تجسيم لا شك فيه، وتشبيه لا خفاء به، وليس هذا كقول الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[١]، ولا كقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[٢]، ولا مثل قوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[٣]، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[٤]، وسائر ما في القران من مثل هذا، فكله ليس بمعنى الجارحة[٥]. ومثاله في تفسير القرطبي معنى (الوجه)، في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾؛ أي هو وجود الباري تعالى الموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء[٦].

<u>٣) الدليل التوراتي على تناقض نصوصهم:</u>

ثم يعمد ابن حزم بعد مناقشة نصوصهم، ونقدها بطريقة المقارنة بين نصوص القران الكريم والحديث النبوي الشريف، وبين النصوص التوراتي

---

(١) سورة الفجر، الآية (٢٢).

(٢) سورة البقرة، من الآية(٢١٠).

(٣) سورة الفتح، من الآية (١٠).

(٤) سورة الرحمن، الآية (٢٧).

(٥) الفصل، ١/ ١٨٨.

(٦) المصدر نفسه.

التي عمدت إلى تشبيه وتجسيم الله (عز وجل)، وكذا إطلاق الألفاظ التي لا تليق بحضرة الله. إلى إيراد الدليل التوراتي الذي يناقض مذهبهم، فيقول:

"ثم كيف يجتمع ما ذكرنا عن توراتهم مع قوله في السفر الخامس: (كلمكم الله وسط اللهيب فسمعتم صوته، ولم تروا له شخصا)، وهاتان قضيتان تكذب كل واحدةٍ منها الأخرى ولا بد"[1].

المسالة الخامسة: وصفت التوراة الأنبياء بأوصاف رديئة تخرجهم عن العصمة[2]:

١)عرض نصوص المسالة:

وصفت التوراة أنبياء الله (عليهم السلام) أوصافا لا تليق بمكانتهم، ولا بمنازلهم عند الله تعالى، وان هذا الوصف لا يليق بأدنى البشر، فكيف بهؤلاء المعصومين؟ وان وصفهم ليشيب منه الولدان! والنصوص التوراتي في ذلك كثير، وقد تعرضت كتب الأديان لتلك النصوص تعرضا نقديا

---

(١) الفصل، ١/١٨٨.

(٢) تعد العصمة من مستلزمات النبوة، وهي من صفات الرسل ولا يليق بهم نقيضها، والعصمة -كما عرفها العلماء- التي هي لطف من الله تعالى، يحمله على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشر، مع بقاء الاختيار، تحقيقا للابتلاء، والعصمة من الكبائر، والكبائر اما كفر او كذب او غيرهما من الذنوب الكبيرة، والصغائر فهي ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الاخرة، وكل هذا ممتنع بحق الانبياء والمرسلين ينظر: كتاب أصول الدين، د. قحطان الدوري، و.د. رشدي عليان، ص٢١٧، هامش (٣٠) نقلا عن المسامرة، ص ٢٢٩

لاذعا، لطالما الأمر يدور في طعن العقيدة الحقة التي يجب الإيمان بها، كون الأنبياء الأخيار، والمصطفين من عند الله تعالى، فلا يمكن ان يوصفوا بهذه الفريات القبيحة، وقد ذكرنا بعضا منها فيما تقدم، وقد أورد ابن حزم من توراة اليهود بعضا منها، وسنأخذ من تلك الشواهد النصية في حق إبراهيم، وهارون (عليهما السلام):

أ) في حق إبراهيم (عليه السلام):

تقول التوراة: "وتجلى الله لإبراهيم عند بلوطات ممرأ وهو جالس عند باب الخباء عند حمى النهار، ورفع عينه ونظر فإذا بثلاثة نفر وقوف أمامه، فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء، **وسجد على الأرض، وقال: ياسيدي**، ان كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليلا من ماء، واغسلوا أرجلكم واستندوا تحت الشجرة وأقدم لكل كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم وبعد ذلك تمضون فمن اجل ذلك مررتم على عبدكم فقالوا اصنع كما قلت، فأسرع إبراهيم إلى الخباء إلى سارة، وقال لها اصنعي ثلاث صيعان من دقيق سميذ اعجنيه واصنعي خبزا واحضر إبراهيم إلى البقرة اخذ عجلا رخيصا سمينا ودفعه للغلام واستعجل بإصلاحه واخذ سمنا ولبنا والعجل الذي صنعوه وقدم بين أيديهم وهو واقف عليه تحت الشجرة"(١).

---

(١) سفر التكوين ١٨: ١–١٥.

ب) في حق هارون (عليه السلام):

تقول التوراة: "فلما أطال موسى المقام، اجتمع بنو إسرائيل إلى هارون، وقالوا قم واعمل لنا إلها يتقدمنا، فإننا لا ندري ما أصاب موسى الرجل الذي أخرجنا من مصر، فقال لهم هارون: اقلعوا أقراط الذهب عن آذان نسائكم وأولادكم وبناتكم، واتوني بها، ففعلوا ما آمرهم به وآتوه بالأقراط، فلما قبضها هارون أفرغها وعمل لهم منها عجلا، **وقال لهم هذا إلهكم يا بني إسرائيل الذي أخرجكم من مصر**، فلما بصر بها هارون بنى مذبحا بين يدي العجل، وبرح مسمعا غدا عيد السيد، فلما قاموا صباحا قربوا له قربانا، وأهدوا له هدايا، وقعدت العامة تأكل وتشرب وقاموا للعب ثم ذكر النص إقبال موسى وانه لما تدانى من المعسكر بصر بالعجل وجماعات تتغنى، وبعد ذلك ذكر انه قال لهارون: ماذا فعلت بك هذه الأمة إذ جعلتكم تذنبون ذنبا عظيما. فقال له هارون: لا تغضب سيدي، فانك تعرف رأي هذه الأمة في الشر، قالوا لي اعمل لنا إلها يتقدمنا فقلت لهم من كان عنده ذهب ليقبل به إلي وألقيته في النار، وخرج لهم منه هذا عجلا، فلما رأى موسى القوم قد تعروا وكان هارون قد عراهم بجهالة قلبه وصيرهم بين أعدائهم عراة"(١).

---

(١) سفر الخروج: ٣٢: ١- ١٠

٢) نقد نصوص المسالة:

ولقد عقب الإمام ابن حزم على تلك النصوص بتعليقات علمية، لما بها من البلاء الشنيع، بالقول: فان الله تعالى تجلى لإبراهيم، وانه رأى الثلاثة النفر، فأسرع إليهم، وسجد وخاطبهم بالعبودية، فان كان أولئك الثلاثة هم (الله) فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة، بل هو اشد من التثليث لأنه أخبار بشخوص ثلاثة، ثم يستهجن ابن حزم تلك القصة التي وصفت الله وصفا عجيبا، وأثرها واضح في العقيدة النصرانية، فيقول: وقد رأيت في بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية في إثبات الثلاثة، وهذا كما نرى في غاية الفضيحة، كذب فاحش، من عدة وجوه[1]:

أولها: من المحال والكذب ان يخبر بان الله تعالى تجلى له، وإنما تجلى ثلاثة من الملائكة.

وثانيها: سجوده (عليه السلام) للملائكة، فانه باطل ان يسجد رسول الله وخليله لغير الله تعالى، ولمخلوق مثله فهذه كذبة. وان قالوا: بل لله سجد فهذه كذبة، ولا بد ان يكون الله عندهم هم الثلاثة المتجلون، لا بد من أحداها، وعادت البلية اشد ما كانت.

وثالثها: خطابه لهم بأنه عبدهم، فان كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو التجلي له فقد عادت البلية، وانه كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاشا لله ان يخاطب إبراهيم(عليه

---

(١) الفصل، ١/ ١٥٧.

السلام) بالعبودية لغير الله تعالى، ومخلوقا مثله مع ان من المحال ان يخاطب ثلاثة بخطاب واحد.

مقارنة ابن حزم:

ثم يقارن ابن حزم بين نقل التوراة ونقل القران للقصة، ثم يعقب بالقول:" أين هذا الكذب البارد الفاضح الذي يشبه عقول اليهود المصدقين به من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله(عز وجل)، في هذه القصة نفسها: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾[1]، هيهات نور الحق من ظلمات الكذب! والحمد لله رب العالمين كثيرا"[2].

بيان وتعليق:

أرى في هذا المقام ذكر جوانب من قصة ضيف إبراهيم (عليه السلام)، لتعضيد مذهب ابن حزم في مناقشته للنص التوراتي.

ذكر ابن كثير في تفسيره: انه لما بعث الله الملائكة لقوم لوط، أقبلت تمشي في صورة رجال شبان، حتى نزلوا على إبراهيم فتضيفوه، فلما رآهم إبراهيم آجلهم فجاء بعجل سمين فذبحه ثم شواه، وأتاهم به فقعد معهم، وقامت سارة تخدمهم، فلذلك حين يقول: وامرأته قائمة وهو جالس، فلما قربه إليهم قالوا: إلا تأكلون، قالوا: يا إبراهيم، إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن،

---

(١) سورة هود الآيتان :(٦٩-٧٠).

(٢) الفصل، ١٥٨/١.

قال: فان لهذا ثمنا، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل، فقال: حق هذا ان يتخذه الله خليلا. فلما رآهم لا يأكلون فزع منهم، فلما نظرت سارة انه قد أكرمهم، وقامت هي تخدمهم ضحكت، وقالت: عجبا لاضيافنا هؤلاء، وإنا نخدمهم بأنفسنا كرامة لهم، وهم لا يأكلون طعامنا وقيل: عندما قالوا لإبراهيم لا تخف إنا ملائكة أرسلنا إلى قوم لوط لنهلكهم، فضحكت سارة استبشارا منها بهلاكهم لكثرة فسادهم، وغلظ كفرهم وعنادهم، فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الاياس(١)

فلننظر إلى الوصف التوراتي والوصف القرآني، ولنقارن بينهما:

أولاً:

أ) قالت التوراة، وتجلى الله لإبراهيم وهو جالس ورفع عيناها فإذا بثلاثة نفر

ب) جاء في النص القرآني: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾(٢).

فالقرآن الكريم اخبر ان الأشخاص الذين دخلوا على إبراهيم، لم يكن ليعرفهم أنهم ملائكة مرسلون، وحقا لأنه قال لهم (سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ)، لذا أعدهم إبراهيم ضيوفا نزلوا في رحابه. ولو عرف ابتدأ أنهم ملائكة لكان أمرا آخرا. وأما التوراة صرحت بان الله تجلى على شكل ثلاثة نفر فهنا

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٤٤/٤ وما بعدها.

(٢) سورة الذاريات، الايتان(٢٤-٢٥).

تحقق منظور أهل الكتاب من يهود ونصارى إلى التثليث كما أشار ابن حزم. وأضحى دليلا يستدلون به على عقيدة التثليث.

ثانيا:

أ) قالت التوراة: فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء، وسجد على الأرض، وقال: يا سيدي

ب) ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

وقد يكون إبراهيم ركض لاستقبال ضيوفه، كونهم ضيوفا، لا كونهم ثلاثة تجسد الله فيهم، وهذه أحوال الضيافة عند الناس، لذا فان إبراهيم قام بالواجبات نحو ضيفهفما كان لإبراهيم ان يسجد لخلق من خلق الله تعالى قطعا لذا عندما قالوا لهذا ثمنا قال ثمنه بسم الله والحمد لله، فعجبت الملائكة من قوله وقالوا حق ان يتخذه الله خليلا فشتان من الوصف القرآني للقصة، والوصف التوراتي الغريب والعجيب بحق نبي مرسل كريم، والحق ان الوصف التوراتي هو في غاية التشبيه والتمثيل، وكذا الاتحاد والحلول عندما يحل الله تعالى قي جسد ملائكة ليتوارى إلى إبراهيم، وهذا ممتنع على الله تعالى ولا يليق بقدسه، سبحانه وتعالى عما يصفون.

---

(١) سورة الذاريات، الايات (٢٦-٣٠).

ثم لنعد إلى ابن حزم في مناقشة فرياتهم التي ذكرت بحق هارون (عليه السلام) التي ذكرت في نصوص التوراة، فسيتهجن ابن حزم قولهم، وتطاولهم على نبي كريم، وينكر عليهم قولهم هو ان (هارون) نبي مرسل يتعمد ان يعمل لقومه إلها يعبدونه من دون الله (عز وجل)، وينادي عليه (غدا عيد السيد)، ويبني للعجل مذبحا ويساعدهم على تقريب القربان للعجل ثم يجردهم ويكشف أستاهم للرقص وللغناء أمام العجل الا ان تكون أحق أستاه كشفت ان هذا لعجب! نبي مرسل كافر مشرك يعمل لقومه إلها دون الله ثم يسأل ابن حزم قبل ان يقارن نصوص القران الكريم بهذا الهوس الماجن، فيقول أين الهوى البارد والكذب المفترى من نور الحق الذي يشهد له العقل بالصحة الذي جاء به محمد رسول الله(ﷺ) عن الله (عز وجل) حقا؟ إذ يقول في هذه القصة نفسها ما لا يمكن سواه:

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[1]، وقوله (عز وجل): ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ

(١) سورة الأعراف، الآية (١٤٨).

﴿فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ٩١ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾[1]، وقوله: ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2][3].

المسالة السادسة: اضطراب التوراة في ذكر مدة بقاء بني إسرائيل بمصر:

١) عرض نص المسالة:

ادعت التوراة ان " مسكن بني إسرائيل بمصر أربعمائة وثلاثين سنة، فلما انقضت هذه السنوات خرج اليوم معسكر السيد من ارض مصر"[4].

٢) نقد نص المسالة:

قال ابن حزم: "هذه فضيحة الدهر، وشهرة الأبد، وقاصمة الدهر، ثم يعمد إلى الدليل التوراتي الذي يناقض المسالة، يقول ها هنا: ان مسكن بني إسرائيل بمصر أربعمائة سنة وثلاثين سنة، وقد ذكر ان (فاهاث) بن

---

(١) سورة طه، الآيات (٨٧-٩٤).

(٢) سورة الأعراف، من الآية (١٥٠).

(٣) الفصل، ١/١٨٩.

(٤) سفر الخروج ١٢: ٣٧-٤٢.

(لاوي) دخل مصر مع جده (يعقوب) ومع أبيه (لأوي)، ومع سائر أعمامه وبني عمه، وان عمر (فاهاث) بن (لاوي) المذكور مائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة، وان (عمران بن فاهاث) المذكور كان عمره مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة، وان موسى بن عمران بن فاهاث بن لاوي المذكور كان اذ خرج ببني إسرائيل من مصر مع نفسه ابن ثمانين سنة، هذا كله منصوص كما تذكره التوراة، فهبك ان (فاهاث) دخل مصر ابن شهر أو اقل، وان عمران ابنه ولد بعد موته، وان موسى بن عمران ولد بعد موت أبيه ليس يجتمع من كل ذلك الا ثلاثمائة وخمسون عاما، فأين الثمانون عاما الباقية من جملة أربعمائة سنة وثلاثين سنة؟"[1].

مما تقدم فإننا قد أوردنا بعض فصول (الفصل)، للإمام ابن حزم كدراسة تطبيقية في منهجه في نقد اليهودية ونصوص المقدسة، تبين فيها جهوده العلمية في الدرس والنقد والتحليل. وإذا كان ابن حزم ينظر إلى ذات النصوص، والعوامل التاريخية في نقد التوراة، فإنها تعد من المناهج العلمية في النقد والدراسة، وقد اشر لنا ابن حزم مؤشرا عظيما حيال التوراة، وصانعيها، فيقول:

"أولئك الذين تولوا أمر بني إسرائيل منذ دخلوا الأرض المقدسة اثر موت موسى إلى ولاية أول ملك عليهم وهو (شاؤل) ان بني إسرائيل خلال تلك الفترة ارتدوا (سبع ردات) ! فارقوا فيها الإيمان، وجاهروا بالكفر وعبادة الأوثان مما يكشف عن فساد طبيعتهم من جانب، ويفسر كثرة أنبيائهم من

(١) الفصل، ١/ ١٨٥.

جانب آخر، والردة الأولى بقوا فيها ثمانية أعوام، والثانية ثمانية عشر عاما، والثالثة عشرين عاما، والرابعة سبعة أعوام، والخامسة ثلاثة أعوام، والسادسة ثمانية عشر عاما، والسابعة أربعين عاما! ثم أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر ورفض الإيمان هذا المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط ليس على دينهم، وإتباع كتابهم احد على ظهر الأرض وغيرهم"(١).

ثم يختم الفصل بكلمة أخيرة، فيقول:" هنا انتهى ما خرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر، والمناقضات اللائحة التي لا شك معه في انها كتب مبدلة محرفة مكذوبة، وشريعة موضوعة مستعملة من أكابرهم، ولم يبق بأيديهم بعد شيء أصلا، ولا بقى في فساد دينهم شبه بوجه من الوجوه والحمد لله رب العالمين"(٢).

---

(١) الفصل، ١/ ٢١٥.

(٢) الفصل، ١/ ٢٤٩.

المبحث الرابع

الإمام الجويني وجهوده في نقد الأصول اليهودية

يعد الإمام أبو المعالي الجويني[1] من العلماء الذين خاضوا في دراسة الأديان، ويعد كتابه (شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل)[2]، ثروة مثرية في علم الدين المقارن، ومع من كونه كتابا مختصرا، إلا ان الإمام اختط فيه منهجا علميا في المقارنة، لتتأتى ثمار

---

(١) هو الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيويه، ونسب إلى (جوين)، و (نيسابور)، وهما بلدتان من بلاد فارس، وكان أبوه عبد الله من العلماء، درس على يده، فاخذ عنه الفقه واجتهد معه في المذهب، والخلاف في الأصول وتعلم العربية، وأتقن علومها وحفظ القران، لقب إمام الحرمين لأنه جاور مكة أربع سنوات، كان خلالها يناظر ويلقي الدروس، وكان يكره التعصب والتقليد ومن عبارته، قوله:" لقد قرأت خمسين ألفا في خمسين ألفا، ثم خليت أهل الإسلام فيها، وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام عنه، كل ذلك في طلب الحق، وكنت اهرب سالف الدهر من التقليد"، ومن أهم مؤلفاته: البرهان في أصول الفقه، الإرشاد، المجتهدون، الورقات، مغيث الخلق في اختيار الحق، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، رسالة في أصول الدين، الشامل في أصول الدين توفي سنة(٤٨٧) للهجرة الشريفة لسيد المرسلين، عن عمر سبع وخمسين عاما (رحم الله الإمام الجويني)، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، الإمام السبكي، ٣/٢٥٤.

(٢) كتاب شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، حققه الشيخ الدكتور احمد حجازي السقا، وطبع في القاهرة، من قبل المكتبة الأزهرية للتراث، سنة (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) طبعة مزيدة ومنقحة، إلا انه طبع الكتاب قبل هذا التاريخ بطبعته الأولى سنة ١٣٩٨هـ في مصر أيضا، وطبع الكتاب طبعة ثالثة سنة١٤٠٢هـ بالمملكة العربية السعودية.

دراسته في إثبات رؤية علمية تستند على البراهين الحقيقية في إثبات تبديل الكتب المقدسة لدى القوم، ونحن بصدد استقراء مباحث الكتاب، قادنا النظر إلى دقة المنهج العلمي الذي سلكه الإمام في الدراسة، وهو يشفعها بالأدلة النصية التوراتية والإنجيلية دلت على سعة اطلاعه على كتب القوم، ومع تنويه الإمام بالاختصار(١)، الا انه وفى منهجه في إقامة الدليل على التبديل.

ومن المعلوم ان الإمام الجويني من الأعلام الأعيان، الذي له من العلوم وألوانه ما شهدت له كل مؤلفاته الجليلة؛ من الفقه وأصوله، وأصول الدين وغيرها من العلوم(٢). فلا غرابة في الأمر ان ينتصر الإمام لدينه، ويستخدم علمه، وما آتاه الله من العلم والحكمة، ليذود عن عقيدة الدين الحقة التي ارتضاها الله لعباده، فاجتهد وأجاد وشرح الله صدره، وأقام

---

(١) ساق الإمام الجويني حديث: حين رأى رسول الله(ﷺ)، عمر رأى عمر ينظر في التوراة، وغضب (ﷺ)، فقال: لو كان موسى حيا لما وسعه إلا إتباعي، الحديث سبق تخريجه في دراستنا في صفحة ١٧٤ الهامش(٢)، من البحث فقال الجويني عندها قررت لم أكثر النظر فيها، فسميته المختصر بشفاء الغليل لما وقع في التوراة والإنجيل من تبديل. ينظر مقدمة المؤلف.

(٢) من تلك المؤلفات: البرهان في اصول الفقه، الارشاد، الورقات، مغيث الخلق في اختيار اللاحق، الارشاد إلى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد، رسالة في اصول الدين، الشامل في اصول الدين، العقيدة النظامية في الاركان الاسلامية، لمع الادلة في قواعد اهل السنة والجماعة، مختصر الارشاد للباقلاني، وغيرها من المؤلفات. ينظر: وفيات الاعيان، ابن خلكان، ١٣/ ١٦٧وما بعدها.

الحجة والدليل من واقع نصوص القوم على تحريف وتبديل صحائف التقديس، من اليهود والنصارى.

سنبرز جهود الإمام الجويني في إثبات تبديل كتب القوم المقدسة ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: تأصيل جهود الإمام الجويني في كتابه شفاء الغليل:

ذكرنا ان كتاب شفاء الغليل، قد تم تحقيقه من قبل الأستاذ الدكتور (احمد السقا)، وقد قام الأستاذ بتقديم علمي للكتاب أغناه، وكذلك أغنى بحثنا وهو يعطينا تعليقات علمية عن جهود الإمام الجويني، سنذكرها في ثنايا البحث. ثم إذا أردنا ان نؤصل جهود الإمام الجويني في كتابه شفاء الغليل، فان مقدمة الإمام غنية في ذلك، ونقتطف منها:

قال الإمام الجويني بعد الحمد لله والثناء عليه، والصلوات على خير الخلق محمد(ﷺ): "فقد نطق بالخبر اليقين، صريح القران، مبينا: ان نصوص التوراة والإنجيل، اشتملت على ذكر سيد المرسلين صلوات الله عليه. وهذا هو السبب الحامل لعلماء الإسلام على القول بالتبديل، وقد أبى ذلك الفريقان: اليهود والنصارى، وانتصروا بحجج: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾[1]، ونحن ذاكروها الآن، وذاكروا قصورهم عن البحث عن أسباب التعرف، وركونهم إلى تمادي

(١) سورة النور، من الآية (٣٩).

أكابرهم الجهال في الجهالة، ونبين إمكان التبديل، وإجماع الفريقين على القول بوقوعه"[١].

وفي ذلك فقد أعطانا الإمام ملامح جهوده البحثية، ونحن بدورنا نجملها في جوانب عدة:

أ) إثبات تغير النصوص من واقع إخفاء النصوص التي ذكرت بشارات نبينا محمد(ﷺ)، صراحة.

ب) إثبات تغير تلك النصوص بفعل أكابرهم الجهال.

ث) تقديم مسلك علمي، في تصادم الفريقين في ادعاهم.

ج) ثم بعد تقديم الحجج من واقع نصوصهم، قاد القول بالتبديل، وباتت حجة عليهم لا لهم.

يقول د. السقا في تعليقه: "انه يعترف بالتحريف اللفظي، والمعنوي في التوراة مثل الإمام ابن حزم الأندلسي في كتابه الفصل، وفي رسالته في الرد على ابن نغريلة"[٢]. وفي ذلك حقق الجويني منهج الإلزام الذي ألزم فيه القوم.

ثم ان الجويني يلفت الأنظار حول نُسخ التوراة، بالقول: " فانظر إلى هذه الجهالة. قالوا: القول بوقوع التبديل مشروط بإمكانه، وإمكانه مشروط بتعلق العلم بحصر نسخ التوراة والإنجيل المبثوثة في أقطار الأرض مع اتساع خطتها، ومشروط أيضا بانقياد كل فرد من أفراد الفريقين عالمهم، وزاهدهم، وعابدهم، وبرهم، وفاجرهم، وإجماعهم على رأي واحد، ومقالة

---

(١) شفاء الغليل، ص٣٤.

(٢) شفاء الغليل، مقدمة المحقق احمد السقا.

واحدة مع تباين الآراء واختلافها ومثل هذه الطوائف مع اشتمالها على العلماء والعقلاء لا تتفق أرؤاهم على تغيير شرائعهم، وإفساد عبادتهم، وإتعاب أبدانهم، وحملهم النفوس بعد علمهم بضلالتهم على مشاق العبادات مع علمهم بان ذلك لا يجدي عليهم نفعا في الآخرة، ولا ثوابا يرجون به الفوز يوم العرض"(١).

ثم تجده ينكر اتفاق نصوص نسخ التوراة بدليل مشاهد أمام العيان، وهو في ذلك قد بنى أسس المقارنة بين النصوص، وكذلك يؤشر لنا طبيعة المنهج البحثي والدراسي الذي انتهجه في دراسته، يقول الجويني: "ان التوراة منها نسخ بأيدي اليهود، ونسخ بأيدي النصارى، وعداوة هاتين الطائفتين، وتباين آرائهم وأغراضهم، وعدم انقياد كل عدو منهم إلى رأي عدوه معلوم بالضرورة، ومورد هذه الحجة على الخبير بها سقط"(٢).

وهو في ذلك يقدم البرهان اليقيني من واقع المقارنة بين النصوص التي بين يدي اليهود، والأخرى التي بين يدي النصارى، عما سنرى بعد قليل ان شاء الله تعالى.

ونحن بدورنا إذا أردنا ان نجعل إطارا علميا حول مختصر الإمام الجويني الذي سماه بشفاء الغليل، فإننا نعمد إلى وضع دراسة الإمام وفق ثلاثة محاور:

الأول: كاتب التوراة، شخصيته، مكانته.

الثاني: العوامل المؤثرة في تكوين نصوص التوراة.

---

(١) شفاء الغليل، ص٣٥.

(٢) المصدر نفسه.

الثالث: تضارب النصوص وتعارضها، وتناقضها العددي.

وفي ذلك نكون قد أبرزنا جهود الإمام الجويني (رحمه الله)، في عناوين رئيسة، ثبت فيها التبديل لما وقع في التوراة والإنجيل.

<u>المطلب الثاني: كاتب التوراة، شخصيته، مكانته.</u>

١) كاتب التوراة:

أول ما ابتدأ به الإمام الجويني الحديث عن التوراة، هو إبراز شخصية كاتب التوراة، ومكانته بين قومه، وكأنما الإمام ادخل شخصية الكاتب تحت التحليل النفسي يحاول من واقعها إثبات قضية معينة.

يقول الجويني:" ان التوراة التي بيد اليهود الآن: هي التوراة التي كتبها (عزرا الوراق) بعد فتنتهم مع نبوخذنصر، وقتله جموعهم وطوائفهم، إلا ما شذ من إبقائه قوما لا يعبا بهم، ولا بمددهم، وجعل أموالهم غنيمة لسراياه، وعساكره وهذه النسخة كتبها عزرا قبل بعثة المسيح(عليه السلام)، بخمس مائة وخمس وأربعين سنة، ولم يكن على وجه الأرض نصراني، فحينئذ التبديل ممكن لعدم تعلق العلم بحصر نسخ التوراة المبثوثة في أقطار الأرض، ولعدم كون نسخها في أيدي اليهود والنصارى، لأنها لم تصر إلى أيادي النصارى، ولا بعد تبديلها، فإذا الفاعل لذلك واحد"[١].

(١) شفاء الغليل، ص٣٦.

تعليق محقق الكتاب:

علق الأستاذ السقا على كاتب التوراة، وأفادنا في مسالة الاعتراف اليهودي الذي تفرع عنه الاختلاف العقدي بين بعض الفرق والجماعات اليهودي، بالرغم من ان كاتبها عزرا، يقول السقا: "ولما رجع عزرا من بابل مع المسببين بالتوراة الجديدة، ونظم أحوال اليهود، حدث نزاع بينه وبين اليهود السامريين، بسببه انفصلوا عن اليهود العبرانيين إلى اليوم، ثم لكي يتهموا العبرانيين بالتحريف في التوراة غيروا آيات من توراة (عزرا) هكذا يقول العبرانيون عنهم، وهم يقولون عن العبرانيين نفس الشيء وسميت توراتهم بالسامرية، وسميت توراة الفريق الآخر بالعبرانية، وما كان التغير الأخير إلا في بعض آيات، فان جملة ما كتبه عزرا مع الفريقين على حد سواء مكون من خمسة أسفار، هي:) التكوين، والخروج، اللاويين، العدد، التثنية)"(١).

ويسوق الأستاذ (السقا) مثالا على اختلاف العبرانيين مع السامريين: اختلافهم في المكان المقدس الذين يتجهون إليه في الصلاة والحج، فالسامرية يقدسون جبل (جرزيم) المبنى عليه هيكل(سنباط)، بعد رجوعهم من السبي، والعبرانيون يقدسون جبل (صهيون) المبنى عليه هيكل سليمان(٢).

---

(١) شفاء الغليل، ص ١١ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه.

٢) شخصية كاتب التوراة ومكانته:

ثم يعمد الإمام الجويني بعد ذلك لإبراز جوانب رئيسة من شخصيته ومكانتـه، وكأنـه يصـف حالتـه النفسـية التـي تعكس شخصيته، يقـول الجويني: "اما عزرا وان رفعوا قدره عن ذلك فناسخها من نسخته فوقوع التبديل منه ممكن، ولحرصه على استمرار رياسته، وعدم القول بعصمته، ليس مانعا له من الإقدام على فعل الصغائر والكبائر، ونحن الآن نشاهد وننقل ما أرخ عن الماضين: ان كثيرا ممن تعلق له غرض بأمر محبوب شاهدناه ببالغ جهده، ويحمل النفس على تسليطها الفكر، على دقائق الحيل وأنواعها، ولا ييأس من مراده ولا يثنى عنه إلا بعد ان يحس من نفسه العجز حتى ولو فرض ان محبوبه الذي تعلق به غرضه ليس بالنفيس، فما بلك بالرئاسة التي هي سبب لإقامة الفتن في العالم، وقتل الولد والقريب، ومصادمة للعشائر، وإيقاع الحروب بينهم وتبديل الرحمة بالقسوة، والقرابة بالعداوة، وعلى الجملة فقلب الحقائق من اخص صفاتها، وقد قيل: أخر ما ينزع من رؤوس الصديقين حب الرئاسة. ورياسة بني إسرائيل كان شانها عظيما، ومن أحاط بتواريخ العالم خبرا، وتتبع غرائب قصصها ظفر بأجل من عزرا حمله حب الرئاسة على ان فعل أفعال السفهاء الخالعين ربقة العقل والدين"(١).

ثم إذا ما أردنا ان نحلل ونعلق على قول الإمام في شخصية عزرا الوراق، فإننا نذهب إلى ما يأتي:

---

(١) شفاء الغليل، ص٣٧.

أ) أشار شيخنا الجويني إلى ان لمسات وضع التوراة تعود لبصمات شخصية تاريخية واحدة، لها مكانتها عند اليهود، ونتج عن ذلك اعتمادها إلى يومهم هذا. معنى ذلك ان توراة موسى (عليه السلام) زالت، وتبدلت ويعضد مذهب شيخنا (رحمه الله)، مذاهب بعض اللاهوتيين، منهم:(الفيلسوف اليهودي سينوزا ١٦٧٧ م)، الذي ذهب بالقول: ان موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل ان مؤلفها شخص واحد آخر عاش بعده بزمن طويل، وان موسى كتب سفرا مختلفا وان الذي كتبها شخص أراد ان يروي تاريخ اليهود القديم، فمجموع النصوص والترتيب الذي تتعاقب فيه الروايات يدل على ان كتبها مؤرخ واحد وله غرض محدد(١).

وعلى ذلك يكون مؤرخ التوراة الذي تسميه المصادر التاريخية عزرا الكاتب، بات مؤرخا عبقريا في نظر اليهود، كونه صنع تاريخا لقومه تجوبه الخرافات والأساطير، خيمت على جموع عقول اليهود، لها آثارها البالغة على الشخصية اليهودية، بل باتت عقائد خالدة، كأسطورة شعب الله المختار، وارض الميعاد وغيرها من الخرافات التي طفحت كتبهم، ففي ذلك اخذ المكانة العالية عند قومه.

ب) ثم ان شخصية عزرا فيها نظر، من جهة العصمة، كونه ليس نبي، ولا رسول، ولان العصمة أعدها الله تعالى للانبيائه، ورسله المصطفون خاصة، هذا من جانب ومن جانب آخر فان عزرا كان يقصد

---

(١) ينظر: رسالة اللاهوت والسياسة، تقديم وترجمة د. حسن حنفي، راجعها د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م، ص٢٦٦.

مطمع دنيوي، كرئاسة بني إسرائيل فوجب عليه ان يعمد إلى ترتيب حاذق، كي ينال المكانة العالية في قومه، فجاء بأقدس الأقداس عند اليهود التي هي التوراة، ثم ينسبها إلى نبيهم موسى (عليه السلام)، ويرتبها، وفق أجواء المنفى، خاصة ان اليهود يتطلعون إلى طقوس القوم الجاهلية وشعائرهم البدائية الوضعية، ناهيك عن احتكاكهم وذوبانهم بالمجتمع البابلي الجديد، والزعامات الدينية تتطلع إلى تلك المخاطر، فلا بد من نظر إلى ذلك الوضع الجديد، لذا قرر الزعامات الدينية، برأسهم عزرا الكاتب، ان يقود القوم وفق التقديس الديني، والواجب الديني، فأضحت الأجواء أمامه مناسبة كي يلبس نفسه ثوب القدسية، لطالما الأمر متعلق بالرياسة، كما أشار لها شيخنا في تحليله لشخصية عزرا الوراق، فخلع ربقة الدين، طمعا وتشبثا في رياسة بني إسرائيل، وهذا ما أراده شيخنا بقوله: "ولحرصه على استمرار رياسته، وعدم القول بعصمته، ليس مانعا له من الإقدام على فعل الصغائر والكبائر".

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة في تكوين نصوص التوراة:

لقد أشرت لنا صفحات العهد القديم أحداثا كثيرة تعرض لها بنو إسرائيل؛ منها وقوع التوراة في أيدي الفلسطينيين، على اثر معارك وقعت بين اليهود والفلسطينيين، ثم فقدت ولم يكن لها اثر في التابوت، حينما فتح في عهد الملك سليمان، ثم الانقسام الداخلي الذي كان على أثره قيام مملكتين يهوديتين، المملكة الشمالية التي عرفت باسم (إسرائيل) عاصمتها السامرة، والمملكة الجنوبية التي عرفت باسم (مملكة يهوذا)، وعاصمتها أورشليم كما مر معنا.

وكذلك تعرض بيت المقدس للنهب مرتين قبل عهد (اخذ) احد ملوك يهوذا[١]ـ أي قبل الضربات البابلية وعلى أثر تلك العوامل السياسية والعسكرية التي وقعت باليهود، فضلاً عن العوامل الدينية، أصاب ما أصاب توراتهم، من الضياع والفقدان والتبديل تحت ظل تلك الظروف.كل ذلك قاد إلى تكوين كتاب جديد تحت مسمى التقديس بـ(التوراة الحالية).

ثم لنأخذ بنظر الاعتبار تعليق الأستاذ السقا محقق كتاب الجويني، على محور تبديل التوراة وتحريفها، فيقول:" وظلت التوراة على حالها مع بني إسرائيل إلى سنة (٥٨٦ق.م)، ثم غيرت، وبدلت، وسبب ذلك: ان الله تعالى وضح لبني إسرائيل في توراة موسى ان سيأتي مستقبل الأيام بنبي من بني إسماعيل (عليه السلام)، وإذا جاء يتركون التوراة ويعلمون بالشريعة التي ستكون معه، وفي سنة (٥٨٦ق.م)، جاء ملك بابل نبوخذ

---

(١) إظهار الحق، الشيخ الهندي، ١/ ٣٢٥ وما بعدها.

نصر وحارب بني إسرائيل وهزمهم وساق الأعيان ووجهاء البلاد مرحلون إلى بابل، فظن العلماء من شدة الهول ان عصر ملكهم أوشك على الزوال، وان النبي المنتظر من آل إسماعيل على وشك الظهور، وفكروا ما عسى يمكن ان يفعلوا؟ وبعد تفكر عميق أتفق العلماء الذين اتخذوا لهم مكانة بالمكر في بلاط الحاكم الفاتح، على تحريف التوراة يكتبونها من جديد، ويضيفون النصوص الواضحة عن غير نبي بني إسماعيل محتملة لمعنيين في نظر العوام: اما ان تدل عليه، واما ان تدل على نبي يظهر من آل إسرائيل فكتبوها ووضعوا نصوص النبوءات عن محمد (ﷺ)، محتملة للمعنيين، ثم زادوا بعض التشريعات المناسبة لتخطيطهم لجنسهم في المستقبل وكان لجنة العلماء التي قامت بكتابة التوراة مكونة برئاسة عزرا الوراق كما بين المؤلف الجويني فالتوراة الآن هي توراة عزرا"[١].

وقد نظر الشيخ الجويني إلى الإحداث التاريخية، ومدى آثارها البليغة في تكوين التوراة، يقول الشيخ الجويني:" وظهر يقينا ان بني يهوذا وبني بنامين أغار عليهم صاحب مصر أيام (رحبعام) بن سليمان، ومرتين في أيام (امصيا) الملك من قبل صاحب العشرة الأسباط إلى ان أملاها عليهم من حفظه: عزرا الوراق الهاروني وهم مقرون انه مجددها عندهم، وفيها خلل فأصلحه، وهذا يكفي"[٢].

فبات جليا حرص الجويني على نقل حقائق تاريخية، أصابت اليهود ضمن وقائع عدة، واثبات آثارها في تكوين التوراة، وفي ذلك فقد استعمل

---

(١) شفاء الغليل، ص١١ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٨.

الشيخ المنهج التاريخي في إثبات قضية تبديل التوراة، وتغييرها، وكذلك حقق منهجا علميا في بيان شخصية كاتب التوراة.

وإذا ما انصرفنا إلى العامل الديني فنجده الآخر قد اشر لنا مؤشرا حقيقيا في تكوين التوراة وقد أشار السقا إلى ذلك غير انه نقل لنا مسالة دينية وتاريخية أخرى بالغة الأهمية، نقلها عن مصدر تاريخي أصيل أراد ان يوثق تعليقه على كتاب شفاء الغليل، ويوجه ظروف تكوين التوراة، يقول السقا: "وكان عزير من أهل الكتاب، وكانت التوراة عندهم، فعملوا بها ما شاء الله ان يعملوا، ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق، وكان التابوت فيهم، فلما رأى الله تعالى انهم أضاعوها، وعملوا بالأهواء، رفع عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم، فأرسل الله عليه مرضا، فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده، حتى نسوا التوراة، وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله، ان يمكثوا بعدما نسخت التوراة من صدورهم، وكان عزير قد أمر علماءهم ان يدعوا الله تعالى، فدعا الله هو وإياهم، وابتهل إليه ان يرد إليه ما نسخ من صدره، فبينما هو يصلي مبتهلا إلى الله تعالى، إذ نزل نور من السماء فدخل جوفه، فعاد إليه الذي كان ذهب من صدره من التوراة، فأذن في قومه، وقال ياقوم قد آتاني الله التوراة وردها إلي، فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله ان يمكثوا وهو يعلمهم التوراة، ثم ان التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم، فلما رأوا التابوت، عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير، فوجدوه مثله، فقالوا: والله ما أوتي عزير هذا إلا انه ابن الله الخ، لقد أرادوا ان يدفعوا عن أنفسهم اتهام الناس لهم بتحريف كتاب الله، فابتدعوا هذه القصة وأشاعوها ليقولوا ما حرفنا،

وإنما ضاعت قسرا، ولقد اثنوا على (عزرا) الذي جاء ذكره في القران باسم (عزير)"[١].

المطلب الرابع: تضارب النصوص وتعارضها، وتناقضها العددي.

تتفاوت الرؤى الفكرية عند الناس في مناظيرها إلى المواضيع بعموميتها، وقد يكون من العسير علينا ان نقف أمام تلك المواضيع الفكرية ظاهرها الصحة، وخاصة ان جملتها تؤشر نحو القداسة والتبجيل في نظر معتنقيها، فالنقد على الجملة لا يعطينا النتيجة الأكيدة والصارخة أمامها ما لم نخوض في تفصيلات قضاياها، وجذورها الرئيسة، خاصة والقضية تدور في فلك (المعتقد) الذي دارت عليه أزمان، وتوارثته أجيال، فبات كالهواء والماء في حياة الشعوب. من اجل هذا كانت الحاجة إلى استخدام طرقا علمية، تسمى اليوم في ميادين العلم وساحاته بـ(الطرق المنهجية)، فتكون تلك الطرق بنظر العلماء والباحثين الفيصل في الدرس والنقد والتحليل. ثم بيان حقائق المعتقد والأسس التي ارتكزت عليه قوامه، والتسلسل الزمني، الذي ساهم في تطوره.

والشيخ الجويني (رحمه الله)، عمد إلى منهج المقارنة بين نصوص نسخ التوراة التي يعتمدها كل من اليهود والنصارى، فوجد عند النظر إلى أصول المسائل ان هناك تضارب وتعارض وتناقض في دعوى الفريقين، هذه الادعاءات التي أعدها الجويني بالجوهرية قادت به إلى الوقوف على

---

(١) شفاء الغليل، ص٦٥ وما بعدها، نقلا عن كتاب قصص الأنبياء، لابن اسحق الثعلبي.

حقائق تبديل الكتب المقدسة، يقول الجويني:" وسبب هذا الاختلاف: ان النصارى تزعم ان نصوص التوراة شاهدة بإرسال المسيح (عليه السلام)، في الزمن الذي أرسل فيه، وما بأيديهم من نسخ التوراة شاهد لهم بصحة ما زعموه، ويزعمون ان اليهود بدلوا ما بأيديهم من نسخ التوراة عنادا، وحذرا من الاعتراف بإرسال المسيح(عليه السلام) واليهود يزعمون ان النصارى بدلوا ما بأيديهم من النسخ وان المسيح(عليه السلام)، انما يأتي في آخر الدور السابع، وما بأيديهم من نسخها موافق لما ادعوه، فقد اجمع الفريقان على القول بوقوع التبديل، كل طائفة تجعله صفدا في عنق الأخر"[١].

والحق عند الجويني في المسالة، وذلك من وجهين:

<u>الأول:</u> ان إطباق أهل الكتاب على الكتاب المقدس إلى هذا الزمان، أمر ليس بهين، وبالتالي فهو تواطؤ عظيم، على كتاب طبق عقول معتنقيه في مشارق الأرض ومغاربها، فقحم هذا الإطباق بجملته من واقع عرض الجويني، اتهام بعضهم بعضا، وهم أعيان اليهود والنصارى، الذي بين حقيقة فعلهم من إخفاء حقائق التنزيل الإلهي، وتبديله وفق الأهواء وما تشتهي أنفسهم، قاربت المسالة من نهايتها، هو ان أهل الكتاب بدلوا الكتاب، ولا يبالون فعلهم، وان فعلهم مع اعترافهم يعد إطباقا وإجماعا على التبديل.

---

(١) شفاء الغليل، ص٣٧ وما بعدها.

الثاني: ساقنا الأمر إلى اعتبار المنظور القرآني للمسألة، وكيف لا وهو ضابطنا الرئيس في جميع المسائل العقدية والإخبارية وغيرها؟.

فحكى القران الكريم صراحة لسان القوم واتهام بعضهم بعضا، قال تعالى حاكيا عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[(١)].

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة:" يبين به تعالى تناقضهم وتباغضهم وتعاديهم وتعاندهم ان كلا يتلو كتابه تصديق من كفر به، أي: يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما اخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى، وما جاء من التوراة من عند الله، وكل يكفر بما في يد صاحبه"[(٢)].

ثم لبيان التضارب والتناقض العددي بين نصوص نسخ التوراة، يعمد الجويني إلى عقد مقارنة بين نسخ التوراة التي بيد اليهود، وبين نسخ النصارى، واستجلاء لذلك سنأخذ بعضا من تلك المقارنات التي عقدها الجويني بين تلك النصوص[(٣)]:

---

(١) سورة البقرة، الآية (١١٣).

(٢) تفسير القران العظيم، ابن كثير، ١/ ٣٣٥.

(٣) شفاء الغليل، ٣٨. ٤٢.

النصـوص المقدسـة التـي بـين يـدي اليهود	النصـوص المقدسـة التـي بـين يـدي النصارى
١- ان ادم (عليه السلام) حين أتى عليه مائة وثلاثون سنة ولد له شيث	١- انـه لمـا أتـى عليـه مائتـان وثلاثون سنة ولد له شيث
٢- ان شـيثا حـين مضـى عليـه ستمائة سنة ولد له انوش.	٢- ان شـيثا لمـا مضـى عليـه سبعمائة سنة ولد له انوش
٣- ان انـوش حـين مضـى عليـه تسعون مائة سنة ولد له قينان	٣- ان قينان ولد حين مضى على انوش مائة وتسعون سنة
٤- ان قينـان حـين مضـى عليـه سبعون وسبعون سنة ولد له مهللئيل	٤- ان قنيان حين مضى عليه مائة سنة ولد له مهللئيل.
٥- ان مهللئيل حين مضى عاش خمسا وستين سنة ولد له يارد.	٥- ان يـارد ولـد حـين أتـى علـى مهللئيـل مائـة وسـتون سـنة ولـد لـه يارد.
٦- ان سروج حين بلغ ثلاثين سنة، ولد له ناحور.	٦- ان سـروج حـين بلـغ مائـة وثلاثين سنة ولد له ناحور.
٧- ان نـاحور حـين عـاش تسـعا وعشرين سنة ولد له تارح	٧- ان نـاحور حـين بلـغ تسـعا وسبعين سنة ولد له تارح

وهو أبو إبراهيم (عليـه السـلام)، وولـد لـه إبراهيم حين مضـى عمره سـبعون سـنة، هـذا قـول التـوراة. إذن تلـك بعـض المقارنـات التـي عقـدها الجويني في كتابـه شفاء الغليل، ثم انـه يختم المقارنـة بالقول:"فانظر إلـى قبح هذا الاختلاف وغرابتـه بين هـاتين الطـائفتين في أمر لـيس من قبيل

المظنونات التي تختلف باختلاف مآخذ العلماء الناشئة عن اختلاف مراتب الظنون بل كل طائفة تزعم ان ما بيدها هو المنزل على موسى(عليه السلام)، وهذا عين التغيير والتبديل"[1].

غير ان الملاحظ ان الجويني (رحمه الله) لم يذكر أمثلة على تناقض النسخة الواحدة، واكتفى بالمقارنة بين التوراة العبرية، واليونانية التي بيد النصارى، وقد يكون اختصاره للكتاب عملا بتصريحه السالف بالذكر.

ثم لابد من الإشارة إلى ان محقق الكتاب (السقا) قدم تعليقا مدعما بشواهد توراتية على تناقض نسخ التوراة، وقد تفيد هذه الإشارة في رجوع القارئ والباحث إلى تلك الشواهد في الدرس، أو الاطلاع[2].

(١) شفاء الغليل، ص٤٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٧٢/٨٠.

المبحث الخامس

الإمام ابن قيم الجوزية وجهوده في عرض ونقد التوراة

يعد الإمام ابن قيم الجوزية(١) من الرواد الأعلام، الذي عاش العقد الأخير من القرن السابع الميلادي حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، وقد لازم شيخه الإمام ابن تيمية، وصحبه، واخذ عنه من العلوم ما ارتقى بها حتى أصبح في مصاف العلماء الأبرار، ولما كان صاحبا وتلميذا مخلصا لشيخه، فلابد من وجود آثار منهجية وأبعاد حقيقية ساهمت في تكوين شخصيته العلمية، وكما هو معلوم ان منهج شيخه الإمام ابن تيمية هو المنهج السلفي. غير ان الناظر المتتبع لمنهج الإمام ابن القيم الجوزية

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جريز الزرعي، ثم الدمشقي الفقيه الأصولي المفسر النحوي الغارف، سمش الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، وأطلق عليه بـ (ابن القيم)، وذلك ان أباه كان قيما على الجوزية ومديرا لشوؤنها والجوزية هي مدرسة بناها محي الدين بن الحافظ بسوق القمح بدمشق، وقد تتلمذ الامام ابن القيم على علماء كبار، واساتذة عظام، وفقهاء، ومحدثين وحفاظ؛ منهم: القاضي تقي الدين سليمان، والشهاب النابلسي، وفاطمة تقي الدين سليمان، وتفقه في المذهب، وبرع وافتى، ولازم شيخه تقي الدين ابن تيمية، واخذ عنه، وتفنن في علوم الاسلام، وكان عارفقا بالتفسير، وباصول الدين، والفقه واصوله، والعربية وفنونها، وعالما بعلم السلوك، وكلام اهل التصوف، ومن مؤلفاته: (اعلام الموقعين عن رب العالمين، اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، التبيان في اقسام القران، جلاء الافهام في الصلاة على خير الانام، زاد المعاد في هدي خير العباد، الوابل الصيب من الكلم الطيب، مدارج السالكين، وهداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى)، وغيرها من الكتب، توفي ابن القيم سنة (٧٥١هـ)، ينظر: ترجمته في البداية والنهاية، ١٤/ ٢٣٤ والاعلام، ٦/ ٥٦.

ليجد ان طبيعة منهجه له خصوصية، تتجلي في مؤلفاته، ويتبين منها تنوع المسالك العلمية التي حرص ابن القيم على إقامتها في ثنايا مؤلفاته، ولا نسرف بالقول؛ لو اننا استقرائنا كتاب مدارج السالكين، لتذوقنا عبقا طيبا، قد يختلف عن كتاب آخر من تأليفه، دل ذلك على تنوع ثقافته، وامتزاج شخصيته العلمية بمشارب وعوامل أخرى، عندها أضحى منهجه العلمي يسير وفق اتجاهين:

الأول: كونه يعتمد المنهج السلفي الكتاب والسنة ومذاهب الصحابة. إذ كان يكثر من الأدلة النقلية على المسالة الواحدة.

الثاني: كونه تأثر في حركة النهضة العلمية، فاستفاد منها استفادة تامة فـ " كان ابن القيم (رحمه الله) باحثا دؤبا اخذ من كل علم، ووعى جميع الثقافات التي ازدهرت في عصره في بلاد الشام ومصر"[(١)].

وقد أجاد ابن القيم في الرد على مطاعن أهل الكتاب، في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)، بالحجة والبرهان والدليل، ولم يكن ذلك مؤلفه الأوحد في الديانات، بل ألف مباحثا ضمنية، بين فيها عقائد وأحوال أهل الكتاب وغيرهم من أهل الديانات، وآثار الشيطان الجسيمة وتلاعبه في القوم، وتزيينها لهم حتى ارتضوها عقائد ثابتة، وساروا عليها جيل بعد جيلا، فسمى كتابه (إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان).

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، ص ١١.

المطلب الأول: تأصيل جهود الامام ابن القيم في دراسة الأديان:

يعد موضوع دراسة الأديان عند ابن القيم من الموضوعات التي لها أهمية بالغة في نصرة الدين الحنيف، يقول ابن القيم في مقدمة كتابه هداية الحيارى:" ومن بعض حقوق الله على عبده رد الطاعنين على كتابه، ورسوله، ودينه، بالحجة والبيان والسيف والسنان، والقلب والجنان، وليس وراء ذلك حبة خردل من الإيمان"(١).

من اجل هذا خاض ابن القيم مخاض العلماء الأعلام الذين تصدروا لعلم مقارنة الأديان، من اجل نصرة دين الله المنان. فاجتهد فألف كتابه: (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى). الذي سيكون إن شاء الله تعالى محور دراستنا في إبراز جهوده، مع اخذ الاعتبار في دراستنا بعض المباحث الضمنية التي ألفها ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان).

أ) المقدمات التمهيدية في كتابه أجوبة الحيارى:

عمد ابن القيم إلى تأصيل دراسته في الأديان إلى بسط مقدمة تمهيدية، افتتح بها كتابه هداية الحيارى، هادفا فيها بيان جوهر الدين القويم، الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، فهو في ذلك يهدم كل دين خرج عن دين الحق، ناهيك عن الحديث عن شرائعها المبدلة. ثم لننظر إلى منهجه في ذلك، فنجده يسند دراسته إلى الأدلة: (الدليل النقلي، والعقلي) محاولا إبراز قيمة الدين القويم، وآثره البليغ في العقيدة التي يجب ان تتخذ دورها في الفكر الإنساني السليم، يقول ابن القيم: "فهو دينه الذي ارتضاه

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، تحقيق د. احمد حجازي السقا، دار التراث، القاهرة، ص ٣٨.

لنفسه ولأنبيائه ورسله وملائكته قدسه فيه واهتدى المهتدون، واليه دعا الأنبياء والمرسلون: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1].

فلا يقبل من احد دينا سواه من الأولين والآخرين: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2]، شهد بان دينه قبل شهادة الأنام، وأشاد به ورفع ذكره، وسمى به أهله وما اشتملت عليه الأرحام، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[3]. وحكم سبحانه بأنه أحسن الأديان، ولا أحسن من حكمه، ولا اصدق منه قيلا: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[4][5].

ومن الملاحظ ان ابن القيم استند في دراسته على رفد الآيات القرآنية الكريمة تباعا، يتخللها الدليل العقلي لإثبات الحجة، من جانب ومن جانب آخر تضمنت توجيهات إرشادية، أي أراد فيها جذب النظر للدين الحق،

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٨٣).

(٢) سورة آل عمران، الآية(٨٥).

(٣) سورة آل عمران، الآيتان (١٩.١٨).

(٤) سورة النساء، الآية (١٢٢).

(٥) هداية الحيارى، ص٢٤.

فقوله: "دين الله الذي ارتضاه لنفسه ولأنبيائه"، وقوله:" حكم سبحانه بأنه أحسن الأديان."، فإنهما مقدمتان، وأما النتيجة الحتمية؛ ان الله يبطل كل دين غير دينه الذي ارتضاه، قال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾[(١)]، ثم نجده ينكر على كل ذي لب من يتخذ دينا سوى دين الله، يقول ابن القيم:" وكيف لا يميز من له أدنى عقل، يرجع إليه بين دين قام أساسه وارتفع بناؤه على عبادة الرحمن والعمل بما يحبه ويرضاه مع الإخلاص في السر والإعلان وبين دين أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار بصحابه في النار"[(٢)].

ب) التاطير العلمي لجهود ابن القيم في الأديان:

يحاول ابن القيم وضع أطرا علمية لدراسته في كتابه هداية الحيارى، وذلك من واقع تقسيم ديانات أهل الأرض، ليستطيع بها الوقوف على عقائدها، وقد يلحظ عليه انه قسمها جملة دون الخوض في تفصيلات مسمياتها، وما انضوت عليه كل فرقة وفق أقسامها، وكذا بيان الحالة التطورية وفق العوامل والأسباب المختلفة، وهو في ذلك فارق ابن حزم في تصنيفه للفرق اليهودية وغيرها من الديانات وفق مسمياتها، والوقوف على كل واحدة منها. لقد قام ابن القيم بتقسيم العالم قبل بعثة نبينا محمد(ﷺ)، على قسمين وهم بجملتهم زائغين عن طريق الحق: (أهل الكتاب، وزنادقة لا كتاب لهم)، ثم جعل أهل الكتاب أفضل الصنفين، وهما نوعان:

---

(١) سورة النحل، الاية (٥٢).

(٢) هداية الحيارى، ص ٢٤.

(مغضوب عليهم، وضالون)، وسندرج قوله، وفق التقسيم الآتي:

١) الأمة الغضبية؛ (أي اليهود):

وهم الذين انسلخوا من رضوان الله كانسلاخ الحية من قشرها، وباءوا بالغضب، والخزي، والهوان، وفارقوا أحكام التوراة، ونبذوها وراء ظهورهم، واشتروا بها القليل من الأثمان[١]، ثم وصف ابن القيم أخلاقهم واطباعهم، فقال:" أهل الكذب، والبهت، والغدر، والمكر، والحيل، قتلة الأنبياء، أكلة السحت، أخبث الأمم طوية، وأرداهم سجية، وأبعدهم من الرحمة وديدنهم العداوة، والشحناء، بيت السحر والكذب، والحيل"[٢].

وجملة تلك الأوصاف عالجتها آيات قرآنية عظيمة بينت طباعهم وأخلاقهم وغلظتهم ومواقفهم مع أنبيائهم، فكان ابن القيم يسير مع المنهج القرآني في الوصف الحقيقي سيرا منهجيا، في بيان حقائق صنف من أهل الكتاب، حق عليهم غضب الله، واعد لهم عذابا عظيما، فسماهم بالأمة الغضبية.

٢) عبادة الصلبان؛(أي النصارى):

وهو دين أسس بنيانه على عبادة الصلبان، والصور المدهونة في السقوف والحيطان ثم يفضح عقائدهم وان رب العالمين نزل عن كرسي عظمته، فالتحم ببطن أنثى وأقام هناك مدة من الزمان، بين دم الطمث في ظلمات الأحشاء ثم خرج صبيا رضيعا يشب شيئا فشيئا، ويبكي ويأكل ويشرب، ويبول، وينام، ويتقلب مع الصبيان ثم جعل اليهود يطردونه،

---

(١) ينظر: هداية الحيارى، ص ٣٤.

(٢) المصدر نفسه. ص٢٤.

ويشردونه من مكان إلى مكان، ثم قبضوا عليه، وأحلوه أصناف الذل والهوان، فعقدوا على رأسه من الشوك تاجا من أقبح التيجان ثم ساقوه إلى خشبة الصلب مصفوعا، مبصوقا في وجهه وهم خلفه وأمامه وعن شمائله وعن الأيمان ثم شدت بالحبال يداه ومع الرجلان ثم خالطهما تلك المسامير التي تكس العظام، وتمزق اللحمان وهو يستغيث: يا قوم ارحموني! فلا يرحمه منهم إنسان ثم مات، ودفن في التراب ثم قام من القبر وصعد عرشه وملكه بعد ان كان ما كان(١).

وإذا ما تتبعنا هنا منهج ابن القيم فانه يشطره على طريقين:الأول: المنهج الوصفي، والثاني: المنهج الاستنكاري. ولذلك دلالات، وهي:

الأولى: دل أسلوبه الوصفي على ثرائه اللغوي، وقد استعمل السجع(٢) في أسلوبه، كي يعطي رونقا جميلا يتذوقه القارئ عند ترحاله بين ثنايا سطور كتابه.

الثانية: اننا عندما ننظر إلى حديثه الوصفي، اخذين بنظر الاعتبار المنظور المسيحي، ثم المنظور القرآني، نجد انه أجاد إجادة تامة وبالغة في تصوير المنظور المسيحي في وصف الإله الذي تجسدت بشخص عيسى(عليه السلام) تعالى الله عما يقولون وقد تطابق التصوير مع ذلك

---

(١) ينظر: هداية الحيارى ، ص ٢٥

(٢) يقال لغة السجع سجعت الحمامة او الناقة سجعا، إذا رددت صوتها على طريقة واحدة، والسجع من البديعة اللفظية الذي هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهو في النثر كالقافية في الشعر، وله اقسام وتفصيلات ينظر: البلاغة العربية، حبنكة الميداني، ٥٠٣/٢.

المنظور مطابقة حقيقية علمية مع مجموع الأناجيل المسيحية الأربعة: (متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، التي بجملتها صورت حياة المسيح، في ولادته، وصلبه، وقيامته، وما ترتب على ذلك من عقائد، دل على اطلاعه الواسع على كتب القوم، ثم نجده ينكرها إنكارا شديدا، بقوله:" هذا هو مدبر العالم العلوي والسفلي ثم يسند الأمر إلى المنظور القرآني الذي ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾[1].

فما ظنك بفروع هذا أصلها الذي قام عليه البنيان فقل ما شئت في طائفة أصل عقيدتها: ﴿ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ﴾[2][3].

٣)عبادة النيران؛(أي المجوس)[4]:

---

(١) سورة الرحمن، الآية (٢٨).

(٢) سورة المائدة، من الاية (٧٣).

(٣) هداية الحيارى، ص٢٥

(٤) المجوس: كلمة فارسية تطلق على أتباع الديانة المجوسية، والديانة المجوسية ديانة وثنية ثنوية، التي تقول بالهين اثنين، احدهما: اله الخير، والاخر اله الشر، وبينهما صراع دائم إلى قيام الساعة، التي تقوم حسب زعمهم الفاسد نتيجة لانتصار اله الخير على اله الشر، وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها إلى اقوال عدة: منها انها نسبة إلى رجل اسمه مجوس، او انه وصف لرجل انتسبت اليه المجوسية، او انها نسبة إلى لقبيلة من قبائل الفرس، او انها وصف لعبادة النار، ويذهب بعض الباحثين إلى ان المجوسية هي الزرادشتية، والحق ان المجوسية اسبق من الزرادشتية، وان زرادشت جددها واظهرها، وزاد فيها في القرن الثالث الميلادي. كما اختلف أهل العلم في المجوس هل هم أهل كتاب ولهم رسول، ولكنهم بدلوا وحرفوا ام لا؟ وذلك على قولين: ذهب الجمهور إلى انهم ليسوا باهل كتاب كما ذكر القرطبي، وابن قدامة، وابن القيم،=

وهو دين أسس بنيانه على شفا جرف هار، فانهار بصاحبه في النار، أسس على عبادة النيران، وعقد الشركة بين الرحمن والشيطان، وبينه وبين الأوثان(١).

ثم بين أفعال وأحوال المجوس بنص يتخلله السجع، يقول:" فأمة المجوس منهم تستفرش الأمهات والبنات والأخوات، جمع العمات، والخالات، وفيهم الزمر، وطعامهم الميتة، وشرابهم الخمر، ومعبودهم النار، ووليهم الشيطان، فهم أخبث بني ادم نحلة، وأرداهم مذهبا، وأسوأهم اعتقادا"(٢).

٤) زنادقة الصابئة وملاحدة الفلاسفة:

بين ابن القيم خصال هذه الأمم وما حملت من فكر، يقول:" لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، وليس للعالم عندهم رب، فعال بالاختيار لما يريد على كل شيء، عالم بكل شيء مرسل الرسل، ومنزل الكتب فليس عند نظارهم إلا تسعة أفلاك وعشرة عقول وأربعة أركان، وسلسلة ترتبت فيها الموجودات"(٣).

=وانما يعاملون معاملاتهم فيما يتعلق بالجزية فقط، والقول الثاني: قال به بعض أهل العلم من انهم أهل كتاب، ولكنهم بدلوا وحرفوا. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، دار الندوة العلمية، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ١١٣٩/٢ وما بعدها.

(١) هداية الحيارى، ص٢٤

(٢) هداية الحيارى، ص٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٦.

ثم بعد هذا التصنيف الذي أعددناه اطارا علميا لجهود ابن القيم، لا بد أن نربط ثمرات تلك الأطر وفق محاور دراسته في كتابه (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان)، الذي تضمن محاور عدة في بيان تلاعب الشيطان في تلك الأمم، فقد تضمن كتاب إغاثة اللهفان على مباحث موضوعية عدة في المسائل العقدية، التي اوعزها ابن القيم بجملتها إلى تلاعب الشيطان؛ فقد عقد ثمانية وثلاثين فصلا في بيان تلاعب الشيطان بأهل الديانات، نعرض هاهنا بعضا منها، ونكتفي في ضم الفصل الذي يبين مذاهب الناس في التوراة، كون التحريف دخل فيها، ثم نضمه مع مباحث كتاب (هداية الحيارى)، لتكون جملتها عنوانا في إبراز جهود ابن القيم في دراسة اليهودية.

اما الفصول التي تضمنت كتاب إغاثة اللهفان؛ نذكر منها على سبيل توثيق الجهود؛ هي[1]:

. فصل في تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام.

. فصل فيمن اتخذ بعض الكواكب أصناما يعبدونها.

. فصل في تلاعبه بعباد النار.

. فصل في تزيينه لقوم عبادة الملائكة.

. فصل في تلاعب الشيطان بالثنوية.

. فصل في المقصود في دين الأمة الصليبية.

. فصل في ذكر تلاعبه بالأمة الغضبية وهم اليهود.

---

(١) ينظر: اغاثة اللهفان من ص ٤٧٧- ص ٥٣٤

. فصل في تبديل التوراة وتحريفها.

المطلب الثاني: أسباب باعثة على التأليف في الأديان:

ذكر الإمام ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى)، ان هناك بواعث على تأليف كتابه المنفرد في الأديان، وعلى ما يبدو كانت هناك أسئلة عمد أهل الكتاب إلى وضعها في محاولة للانتصار مذهبهم، فيقول:

"وكان انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين، فلم يصادف عنده ما يشفيه، ولا وقع دواؤه على الداء الذي فيه، وظن المسلم انه بإجابته القاصرة أصاب، فقال هذا الجواب! فقال الكافر: صدق أصحابنا في قولهم: ان دين الإسلام انما قام بالسيف لا بالكتاب، فتفرقا وهذا ضارب وهذا مضروب أي السائل ضارب والمسلم الذي أجاب بغير علم كالمضروب وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب، فشمر المجيب عن ساعده العزم ونهض على ساق الجد، وقام لله قيام مستعين به مفوض إليه متكل عليه في موافقة مرضاته"(١).

ثم صرح ابن القيم في الإجابة عن السؤالات، في إعلان صريح أوجز فيه مباحث كتابه (هداية الحيارى)، ثم رغب في الاطلاع على مباحثه العلمية، عندها أضحى الكتاب مرجعا مهما من بين مراجع العلماء في كتب الردود على مطاعن أهل الكتاب، وبالوقت نفسه اثبت نبوة نبينا محمد(ﷺ)، ويقول:" والى الله الرغبة في التوفيق فانه الفاتح من الخير أبوابه، والميسر له أسبابه، وسميته (هداية الحيارى في أجوبة اليهود

---

(١) هداية الحيارى، ، ص٣٨.

والنصارى)، وضمنته أجوبة المسائل، وتقرير نبوة محمد(ﷺ)، بجميع أنواع الدلائل، فجاء بحمد الله ومنه، وتوفيقه كتابا ممتعا معجبا، لا يسأم قاريه، ولا يمل الناظر فيه، فهو كتاب يصلح للدنيا والآخرة، ولزيادة الإيمان، ولذة الإنسان يعطيك ما شئت من أعلام النبوة، وبراهين الرسل، وبشارات الأنبياء بخاتمهم، واستخراج اسمه الصريح من كتبهم، وذكر نعته وصفته، وسيرته من كتبهم، والتمييز بين صحيح الأديان وفاسدها، وكيفية فسادها بعد استقامتها، وجملة من فضائح أهل الكتابين، وما هم عليه وانهم أعظم الناس براءة من أنبيائهم، وان نصوص أنبيائهم تشهد بكفرهم وضلاهم والله المستعان، وعليه التكلان"[١].

<u>المطلب الثالث: جهود ابن القيم في نقد التوراة واثبات تحريفها وتغييرها:</u>

أ) البشارة وأثرها في بيان التحريف:

لقد أشار جل علماء الإسلام إلى ان من احد أسباب تبديل نصوص التوراة والإنجيل، هو حرص القوم على إخفاء بشارة نبينا محمد(ﷺ)، وتبديلها، كي تتصرف إشارة البشارة وفقا لأهواء القوم المريضة، وأغراضهم التي باتت جلية، في إنكار نبوة نبينا محمد(ﷺ)، ولا إسراف بالقول في ذلك، لان المعطيات النصية التي تخللت التوراة والأناجيل وصرفها نحو معاني بعيدة عن التعريف بصفات وشمائل نبي آخر الزمان(ﷺ)، لدليل واضح على تؤاطء القوم على ذلك ويأبى الله إلا ان يتم

(١) هداية الحيارى، ص٣٩.

نوره فان البشارات المذكور في كتبهم ولكثرتها، وتعدد مواقعها في ثنايا النصوص، قادت بالإمام ابن القيم إلى القول:

"وان البشارات لكثرتها لم يمكنهم إخفاؤها كلها، وتبديلها ففضحهم ما عجزوا عن كتمانه أو تبديله، وكيف ينكر من الأمة الغضبية ان يكتموا نعت رسول الله(ﷺ)، وصفته، وقد جحدوا نبوة المسيح ورموه وأمه بالعظائم، ونعته والبشارة به موجودة في كتبهم؟ ومع هذا أطبقوا على جحد نبوته، وإنكار بشارة الأنبياء به"(١).

من اجل هذا اعد العلماء، والإمام ابن القيم إخفاء البشارة وتبديلها، هي احد أسس تبديل الكتب المقدسة، لاسيما التوراة.

ب)اتفاق اليهود والنصارى على التبديل:

بين ابن القيم أساسا آخرا في تبديل التوراة، يقول: "ومن العجب انهم والنصارى يقرون ان التوراة كانت طوال مملكة بني إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده، وان اليهود تقر ان السبعين كاهنا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة(٢) ومن رضي بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن منه تحريف غيره ثم ان اليهود

---

(١) هداية الحيارى ، ص٢٠٧.

(٢) علق المحقق السقا بالقول: اجتمع سبعون عالما من علماء اليهود في الاسكندرية سنة(٢٨٢ق.م)، وترجموا اسفار موسى الخمسة من العبرانية إلى اليونانية، واليهود العبرانيون لما رجعوا من بابل زادوا في الحروف العبرانية الابجدية، وغيروا فلذلك كانت العبرانية الحديثة غير العبرانية القديمة التي يتمسك بها السامريون إلى اليوم ينظر: هداية الحيارى، هامش(١٢٧)، من صفحة ٢٠٧، نقلها المحقق من كتاب التاريخ مما تقدم عن الاباء، لابي الفتح ابن ابي الحسن السامري.

تقر أيضا ان السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلا ظاهرا، وزادوا ونقصوا، والسامرة تدعي ذلك عليهم(١).

ت) حديث التوراة عن الله تعالى عما يقولون وعن أصفياءه من الأنبياء والمرسلين:

أورد ابن القيم نصوصا من التوراة، وصفت الله وصفا تعالى الله عما يقولون، فيها بهتان عظيم، وزور مبين، ولم يبق وصفهم الهابط بعيدا عن أصفياء الله من الأنبياء والمرسلين، فقد تحدثت عن الأنبياء والرسل الكرام، ووصفتهم بأبشع الأوصاف، وذكر جملا منها، وهذه بعض منها:

في حق الله تعالى:

جاء في التوراة:" رأى الله ان قد كثر فساد الآدميين في الأرض فندم على خلقهم، وقال سأذهب الآدمي الذي خلقت على الأرض والخشاش، وطيور السماء، لأني نادم على خلقها جد "(٢)

- وفي التوراة: ان الله سبحانه وتعالى علوا كبيرا تصارع مع يعقوب فضرب به يعقوب الأرض(٣).

- وفي التوراة: ان الله استراح في اليوم السابع من خلق السموات والأرض(٤).

---

(١) هداية الحيارى، ص٢٠٧.

(٢) هداية الحيارى، والنص منقول من سفر التكوين، الإصحاح السادس.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٠٩، والنص منقول من سفر التكوين الإصحاح الثاني والثلاثين، والإصحاح الثاني عشر من سفر يوشع.

(٤) المصدر نفسه، ص٢١٠، والنص منقول من سفر التكوين، الإصحاح الثاني.

وفي التوراة: "ان الله بكى على الطوفان حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة"(١).

– وقولهم في صلاتهم: "انتبه كم تنام يارب؟ استيقظ من رقدتك"!(٢).

في حق أصفياء الله من الأنبياء والمرسلين:

– عن لوط (عليه السلام): انه خرج من المدينة وسكن في كهف الجبل ومعه ابنتاه، فقالت الصغرى للكبرى، قد شاخ أبونا فارقدي بنا معه لنأخذ من نسلا. ثم يعلق ابن القيم على النص؛ فهل يحسن ان يكون نبي كريم على الله يوقعه الله سبحانه في مثل هذه الفاحشة العظيمة وفي آخر عمره، ثم يذيعها عنه ويحكيها للأمم؟(٣).

– وفي حق هارون(عليه السلام): هو الذي صاغ لهم العجل، وهذا ان لم يكن من زياداتهم وافتراءهم، فهارون اسم السامري الذي صاغه ليس هو بهارون أخي موسى(٤).

– وفي التوراة: ان يهوذا بن يعقوب النبي زوج ولده الأكبر من امرأة يقال لها(ثامار)، فكان يأتيها مستدبرا، فغضب الله من فعله فأماته، فزوج يهوذا ولده الآخر بها، فكان إذا دخل بها أمنى على الأرض علما بأنه ان

---

(١) هداية الحيارى، ص٢١٠.

(٢) المزامير، المزمور الثامن والسبعين، الاية الخامسة والستون.

(٣) هداية الحيارى، ص ٢٠٨، والنص منقول من سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر، قصة زنى لوط – حاشاه نبي كريم

(٤) هداية الحيارى، ص٢٠٨، والنص منقول من سفر الخروج، الإصحاح الثاني والثلاثون.

أولادها كان أول الأولاد مدعوا باسم أخيه ومنسوبا إلى أخيه، فكره الله ذلك من فعله فأماته، فأمرها يهوذا باللحاق ببيت أبيها إلى ان يكبر ولده شيلا، ويتم عقله، ثم ماتت زوجة يهوذا وذهب إلى منزله ليجز غنمه، فلما أخبرت لبست زي الزواني، وجلست على طريقه، فلما مر بها خالها زانية فراودها، فطالبته بالأجرة فوعدها بجدي ورمى عندها عصاه وخاتمه، فدخل بها فعلقت منه بولدين، ومن ولد منهما كان (داود) النبي فقد جعلوه ولد زنا كما جعلوا المسيح ولد زنا، ولم يكفهم ذلك حتى نسبوا ذلك إلى التوراة[1].

ثم بعد هذا العرض النصي، يعمد ابن القيم إلى استعمال منهج يحاول من واقعه نقد نصوص توراتهم، ليبرهن تبديل التوراة وتغييرها، فيعرض النصوص القرآنية الكريمة في سياق مناقشته لهم، وهنا حقق مقارنة رائعة- تبعا للمنهج المقارن في المسائل، فيقول: "واما فرياتهم على الله ورسله وأنبيائه، ورميهم لرب العالمين ورسله بالعظائم فكثير جدا. فانزل الله(عز وجل)، على رسوله تكذيبهم بقوله:﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴾[2].

(١) هداية الحيارى، ص٢٠٩ وما بعدها، والقصة في سفر التكوين الاصحاح الثامن والثلاثين، قصة (يهوذا وثامار).

(٢) سورة ق، الاية (٣٨).

وحكـــــى قـــــولهم: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾[1]، وقــــــــولهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[2]، وقـــولهم: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا ﴾[3]، وقـــولهم ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾[4]

فتجرؤا على رب العالمين بهذه المناجاة القبيحة، كأنهم ينخونه بذلك، لينتخي لهم ويحتمي، وكأنهم يخبرونه انه قد اختار الخمول، لنفسه وأحبابه، فيهزونه بهذا الخطاب للنباهة واشتهار الصيت"[5].

ثم يسند ابن القيم أمر اليهود إلى الشيطان وتلاعبه بهم، فيذكر: ومن تلاعب الشيطان بهم أنهم يقولون بالقدح في الأنبياء وأذيتهم، وقد آذوا موسى (عليه السلام)، في حياته ونسبوه إلى ما برأه الله تعالى منه ويصرف ابن القيم الأنظار إلى النص القرآني الذي فيه نهي الله سبحانه هذه الأمة عن الاقتداء بهم في ذلك، إذ قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[6]، وقــال تعــالى:

---

(١) سورة ال عمران، من الاية (١٨١).

(٢) سورة المائدة، من الاية (٦٤).

(٣) سورة ال عمران، من الاية (١٨٣).

(٤) سورة البقرة، من الاية (٨٠).

(٥) هداية الحيارى، ص٢١٠ وما بعدها.

(٦) سورة الاحزاب، الاية (٦٩).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1].

وتأمل قوله: (وَقَد تَّعْلَمُونَ) فإنها جملة من مواضع الحال، أي تؤذونني وانتم تعلمون أني رسول الله إليكم وذلك ابلغ في العناد. وكذلك المسيح.

قال: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾[2]، فهذا قليل من كثير من أذاهم لأنبيائهم، واما أذاهم بالقتل والبغي فأشهر من أن يذكر، ولقد بالغوا في أذى النبي(ﷺ)، بجهدهم بالقول والفعل حتى ردهم الله تعالى خاسئين[3].

ثم نجد بعد ذلك ابن القيم ينقل أقوالا عن أكابر دينهم يقرون بتبديل التوراة، وبيان أصلها الحقيقي، من الذين شرح الله صدورهم للإسلام، وامنوا بالنبي محمد(ﷺ).

قال بعض أكابرهم بعد إسلامه: " فترى احدهم إذا تلا هذه الكلمات في الصلاة يقشعر جلده، ولا يشك ان كلامه يقع عند الله بموقع عظيم، وانه يؤثر في ربه ويحركه، ويهزه وينخيه. وقال بعض علمائهم الراسخين في العلم ممن هداه الله إلى الإسلام: لسنا نرى ان هذه الكفريات كانت في التوراة المنزلة على موسى، ولا نقول أيضا ان اليهود قصدوا تغييرها

(١) سورة الصف، الاية (٥).

(٢) سورة الصف، الاية (٦).

(٣) ينظر: اغاثة اللهفان، من ص٥٥٢-٥٥٩

وإفسادها، بل الحق أولى ما اتبع، قال: ونحن نذكر حقيقة سبب تبديل التوراة، فان علماء القوم وأحبارهم يعلمون ان هذه التوراة التي بأيديهم لا يعتقد احد من علمائهم وأحبارهم، انها عين التوراة المنزلة على موسى بن عمران البتة، لان موسى صان التوراة عن بني إسرائيل، ولم يبثها فيهم خوفا من اختلافهم من بعده في تأويل التوراة المؤدي إلى انقسامهم أحزابا، وانما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوي، قال: ودليل ذلك قول التوراة ما هذه ترجمته:" وكتب موسى هذه التوراة ودفعها إلى أئمة بني لاوي"(١).

وكان بنو هارون قضاة اليهود وحكامهم، لان الإمامة وخدمة القرابين، والبيت المقدس كانت فيهم، ولم يبد موسى لبني إسرائيل من التوراة إلا نصف سورة، وقال الله لموسى هذه السورة: "تكون لي هذه السورة شاهدة على بني إسرائيل، ولا تنسى هذه السورة من أفواه أولادهم"(٢)، واما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم وصانها عن سواهم، فالأئمة الهارونيين هم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها فقتلهم بختنصر على دم واحد، واحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس، ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة(٣).

ولا بد لنا من ذكر مسالة مهمة في هذا المقام، هو اننا وجدنا ابن القيم ينقل نصوصا من كلام علماء اليهود، دل ذلك على انه قرأ واطلع

---

(١) سفر التثنية، الإصحاح الحادي والثلاثون.

(٢) سفر التثنية: ٣٢: ٤٥-٤٦.

(٣) ينظر: هداية الحيارى، ٢١١-٢١٣.

على كثير مما وقع عليه من مؤلفات زادته ثقافة وسعة أفق، وكانت رغبته صادقة في اقتناء الكتب، وقد أسعفنا (محقق كتاب إغاثة اللهفان، الأستاذ طه عبد الرؤوف)، في وصف ثقافة ابن القيم، بالقول:" كان مغرما بجمع الكتب فحصل منها ما لم يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد وفاته دهرا طويلا"[١].

لذا فان ابن القيم كان يوثق مؤلفاته من تلكم الكتب الكثيرة التي حوتها مكتبته، هذا التوثيق يدل على حرص الإمام على المنهج العلمي في مؤلفاته، وما أشبه ذلك بالدراسات البحثية اليوم، لقد حرص جل علماؤنا الأبرار على الدراسات العلمية منذ أيامهم، ومن العسير ان يقال ان مؤلفاتهم كانت خارجة عن الأطر العلمية، بل مؤلفاتهم جامعة العلوم التي ينتهل منها العالم اجمع، ولعل الذين اختصوا في هذا المجال من علماء الغرب وغيرهم أدركوا ذلك إدراكا حقيقيا لا يغادر حقائق تتجلي أمام العيان سطوع نورها العظيم.

ثم ان النص الذي ذكره ابن القيم على لسان بعض علماء اليهود وسماهم بـ(الراسخين في العلم) ممن هداهم الله إلى الإسلام، قد لا نلتفت في دراستنا على معرفة مجاهيل المشار إليهم، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لنا لأننا ليس بصدد التحقيق بقدر ما يهمنا إجلاء حقيقية المنهج، وقد ذكرنا في ثنايا كتابنا وضمن مباحثها في مناسبات عدة، اننا سنبين حقائق جهود علماء الإسلام مستفيدين من تحقيقات الأساتذة الذين حققوا مؤلفات

---

(١) اغاثة اللفهان، مقدمة المحقق، ص١١.

علمائنا الأبرار، لذا استفدنا في هذا المقام من الشيخ الدكتور احمد السقا محقق كتاب (هداية الحيارى)، الذي أسعفنا بذكر أسماء علماء اليهود ممن اسلم، ومؤلفاتهم، ولعله أغنى كتابنا قيمة علمية ننقلها لتوثيق جهدنا الدراسي. فقد ذكر الدكتور المحقق السقا في تعليقه على ابن القيم:"ان المؤلف ينقل من كتاب (بذل المجهود في إفحام اليهود، للسموءل)"(١)، وكنا قد أدرجنا كتاب المؤلف(السموءل يحيى) وجهوده، على قائمة الدراسة من هذا الفصل، كما سنرى بعد قليل ان شاء الله تعالى.

ثم لننصرف إلى الوقوف على تعليق السقا في مسالة (نصف السورة) التي نقلها ابن القيم عن السموءل، يقول السقا: فهم السموءل والمؤلف أيضا ان موسى لم يبد إلا نصف سورة من هذا النص، " ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع بني إسرائيل بكل هذه الكلمات قال لهم: وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي انا اشهد عليكم بها اليوم لكي توصوا بها أولادكم، فيحرصوا ان يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة"(٢)، وهذا النص جاء عقب النشيد الذي يبدأ من أول الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية، والنشيد في نظرهما هو نصف السورة، ولكن المفهوم من النص ان الوصية (بجميع كلمات هذه التوراة)، وليس بنصف السورة، وكيف يوصيهم بالعمل بالكامل، وليس الكل منهم؟ والصحيح في هذا الموضوع:

ان موسى (عليه السلام)، اصطفى عن أمر الله سبط لاوي ليقوموا بتعليم التوراة، وتعليمها للناس ويتفرقوا بين الأسباط لهذا الغرض، وكتب

---

(١) هداية الحيارى، ص٢١١، هامش رقم (١٤٨).

(٢) سفر التثنية، ٣٢: ٤٥-٤٦.

موسى من التوراة ثلاث عشرة نسخة وضع واحدة في التابوت، وأعطى لكل سبط نسخة تذكارا، وفي بابل اتفق اليهود على التحريف، وبعدها حرفوا وبدلوا واضطهدوا، والعلماء الذين لم يوافقوا على التوراة الجديدة، حتى ضاعت القديمة الأصلية وانتشرت المحرفة[1].

غير ان ابن القيم فسر معنى (نصف السورة) في كتابه إغاثة اللهفان "يعني ان هذه السورة مشتملة على ذم طبائعهم، وانهم سيخالفون شرائع التوراة وان السخط يأتيهم بعد ذلك وتخريب ديارهم ويسبون في البلاد فهذه السورة تكون متداولة في أفواههم كالشاهد عليهم الموقف على صحة ما قيل لهم، فلما نصت التوراة ان هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم دل ذلك على ان غيرها من السور ليس كذلك وانه يجوز ان ينسى من أفواههم"[2].

<u>المطلب الرابع: عزرا الكاتب في ميزان ابن القيم:</u>

اعتمد ابن القيم على الوقائع التاريخية، أي استخدم المنهج التاريخي التي تعد احد الأسس في الكشف عن التحريف والتبديل، فيتجه ابن القيم في بحثه نحو وقائع تاريخية، وبروز دور عزرا الكاتب تجاه تلك الوقائع، فهو يسند التحريف والتبديل إلى عزرا ولعل مذهبه هذا متأثر بمذاهب العلماء حيال عزرا، والحق ان ابن القيم استفاد من سابقيه من العلماء في هذا الجانب، وهذا المؤشر بالنسبة لنا هو من باب تفاني الجهود العظيمة

---

(١) هداية الحيارى، ص٢١٢ وما بعدها، هامش رقم (١٥٠).

(٢) اغاثة اللهفان، ص ٥٦٣.

ومدى جديتها في تحقيق البحوث العلمية وثمراتها، وقد ذكرنا ان جهود العلماء سارت نحو أقطاب العلوم، وهي بجملتها كأنها سلسلة ابتدأت وانتهت وكأنما الذي ألفها مؤلف واحد، بالرغم من تنوع أسماء تلك المؤلفات، لان الباعث الحقيقي على هذا العمل العلمي هو إظهار الحق ودحض الباطل، وتثبيت الدعوة الحقة إلى الله تعالى.

نقل ابن القيم في كتابه هداية الحيارى أحوال عزرا: "فلما رأى عزير، ان القوم قد احرق هيكلهم، وزالت دولتهم، وتفرق جميعهم، ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما الفت منه التوراة التي بأيديهم، ولذلك بالغوا في تعظيم عزير غاية المبالغة، وقالوا فيه ما حكاه عنه في كتابه، وزعموا ان النور على الأرض إلى ألان يظهر على قبره عند بطائح العراق، لأنه عمل لهم كتابا يحفظ دينهم، فهذه التوراة التي بأيديهم على الحقيقة كتاب عزير، وان كان فيها أو أكثرها من التوراة التي انزلها الله على موسى وهذا يدل على ان الذي جمع الفصول التي بأيديهم رجل جاهل بصفات الرب تعالى، وما ينبغي له وما لا يجوز عليه، فلذلك نسب إلى الرب تعالى ما يتقدس ويتنزه عنه وهذا الرجل يعرف عند اليهود والنصارى بـ(عزرا الوراق)"(١).

وغلا بعضهم فيه حتى قال: هو ابن الله، ولذلك نسب الله تعالى إلى اليهود إلى جنسهم لا إلى كل واحد منهم، فهذه التوراة التي بأيديهم في الحقيقة كتاب عزرا وفيها كثير من التوراة التي انزلها الله تعالى على

(١) هداية الحيارى، ص ٢١٣.

موسى (عليه السلام)، ثم تداولتها امة قد مزقها الله تعالى كل ممزق وشتت شملها فلحقها ثلاثة أمور:

أحداها: بعض الزيادة والنقص.

الثاني: اختلاف الترجمة.

الثالث: اختلاف التأويل والتفسير(١).

<u>المطلب الخامس: تبديل التوراة وتحريفها وآراء العلماء فيها:</u>

افرد الإمام ابن القيم فصلا في كتابه إغاثة اللهفان، بين فيه آراء الناس في حقيقة التوراة، كون التبديل والتغيير أحاط بها. يقول: وقد اختلف الناس في التوراة التي بأيديهم: هل هي مبدلة أم التبديل والتحريف وقع في التأويل دون التنزيل على ثلاثة أقوال: طرفين ووسط(٢):

<u>الطائفة الأولى:</u> فأفرطت وزعمت انها كلها أو أكثرها مبدلة مغيرة، ليست التوراة التي انزلها الله تعالى على موسى (عليه السلام)، وتعرض هؤلاء لتناقضها وتكذيب بعضها لبعض

<u>الطائفة الثانية:</u> وطائفة أخرى من أئمة الحديث والفقه والكلام، قالوا: بل التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل وهذا مذهب أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، قال في صحيحه: يحرفون يزيلون، وليس لأحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله تعالى، ولكنهم يحرفونه يتأولونه على غير تأويله، وهذا اختيار الرازي في تفسيره ودليل هذه الطائفة:

---

(١) اغاثة اللهفان، ص٥٦٣.

(٢) اغاثة اللهفان، ص ٥٥٩ - ٥٦٢.

١) ان التوراة قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها، وانتشرت جنوبا وشمالا، ولا يعلم عدد نسخها الا الله تعالى ومن الممتنع ان يقع التواطؤ على التبديل والتغيير في جميع تلك النسخ بحيث لا يبقى في الأرض نسخة مبدلة مغيرة، والتغيير على منهاج واحد، وهذا مما يحيله العقل ويشهد ببطلانه.

٢) قال الله تعالى لنبيه(ﷺ) محتجا على اليهود بها: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ﴾[١].

٣) اتفقوا على ترك فريضة الرجم، ولم يمكنهم تغييرها من التوراة، ولهذا قرؤوها على النبي(ﷺ)، ووضع القارئ يده على آية الرجم.

__الطائفة الثالثة:__ وتوسطت، وقالت: قد زيد فيها وغير ألفاظ يسيرة، ولكن أكثرها باق على ما انزل عليه، والتبديل في يسير منها جدا، وممن اختار هذا القول شيخنا ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ولعل دليل الشيخ ابن تيمية دار حول مسالة (الذبيح) هل هو إسماعيل أم اسحق (عليهما السلام)؟ في عشرة مسائل عقدها، واستنبط القرائن في ترجيح إسماعيل من واقع النصوص، واثبات تبديل بعض ألفاظ النصوص التوراتية لصرف الإشارة عن معناها الحقيقي التي تشير إلى خاتم النبوة(ﷺ).

مما تقدم فإننا إبرزنا جوانب من جهود الإمام ابن القيم في دراسة الأديان وعرجنا على جهوده في نقد التوراة من واقع عرضه لبعض من

---

(١) سورة ال عمران، الاية (٩٣).

نصوصـها، ثم فلنختم تلك الجهود المباركة، بنقل ابن القيم قولا من أكابر اليهود الذين اسلموا معلنين براءة موسى وكتابه:

"فنحن وكل عاقل نقطع ببراءة التوراة التي انزلها الله على كليمه موسى من هذه الأكاذيب والمستحيلات والترهات كما نقطع ببراءة صلاة موسى وبني إسرائيل معه من هذا الذي يقولونه في صلاتهم اليوم، فإنهم في العشر الأول من المحرم في كل سنة يقولون في صلاتهم ما ترجمته: (يا أبانا املك على جميع أهل الأرض ليقول كل ذي نسمة الله اله إسرائيل قد ملك، ومملكته في الكل متسلطة)، ويقولون أيضا:

"(وسيكون لله الملك، وفي ذلك اليوم يكون الله واحدا اسمه واحد)، ويعنون بذلك انه لا يظهر كون الملك له ولكونه واحدا إلا إذا صارت الدولة لهم، فأما ما دامت الدولة لغيرهم فانه تعالى خامل الذكر عند الأمم مشكوك في وحدانيته مطعون في ملكه ومعلوم قطعا ان موسى ورب موسى بريء من هذه الصلاة براءته من تلك الترهات"[1].

---

(١) هداية الحيارى، ص٢١٤.

المبحث السادس

الحكيم السموءل بن يحيى المغربي الأندلسي وجهوده في إثبات التحريف والتبديل في التوراة

يعد الحكيم السموعل بن يحيى المغربي الأندلسي[1]، من أكابر اليهود، وعظمائهم، من الذين هداهم الله وشرح صدره للإسلام، وقد ألف كتابه الثمين، ذي الحجة والبيان، المسمى بـ(بذل المجهود في إفحام اليهود)[2]، وقد دل عنوان الكتاب على اشتماله على براهين قاطعة، يستعملها السموعل في إفحام أكابر اليهود خاصة، والى الإرشاد والتنبيه إلى قول الفصل في الديانة اليهودية، على أسس معرفية كونه كان من عظمائهم.

ولأهمية كتابه (بذل المجهود) في الأوساط العلمية، نال درجة معتبرة عند العلماء، واعتمده كثير منهم في دراستهم لليهودية، لاسيما الإمام ابن

---

(١) هو السموعل بن يهوذا المغربي الاندلسي الطبيب الماهر والحكيم العالم اليهودي اولا والمسلم آخرا، وكان ابوه ينشد الحكم والمال شان كل يهودي، وكان السموعل يحب العلم ويطلبه بشغف وشوق، ومثابرة حتى اتقن فنون الحكمة، وتضلع في علوم الرياضة، وتبحر في الفنون الطبية وصنف مصنفات وكان من نتيجة الدراسات ان اسلم الرجل عن علم وخبرة ويقين، وكان قبل اعتناقه للاسلام قد صار من كبار احبار اليهود، يدلنا على واسع علمه وكثرة خبرته ما في كتابه الذي الفه (بذل المجهود في افحام اليهود) توفي سنة ٥٧٠هـ، بالمراغة من اعمال اذربيجان ينظر: مقدمة مقدم الكتاب(محمد احمد الشامي)، ص٣.

(٢) طبع الكتاب بالقاهرة، في مطبعة الفجالة الكبرى، وقدم له الاستاذ محمد احمد الشامي وعلق عليه.

القيم الجوزية، إذ نقل منه نصوصا كثيرة كما رأينا فيما تقدم لذا سارت الأنظار في إدراج كتاب السموءل المعتبر في مبحثنا، ونبرز قيمة مباحثه العلمية، وبيان أوجه التحريف في التوراة التي ذكرها السموءل في ثنايا كتابه، ولابد قبل الشروع في دراسة ذلك من وقفة موجزة، نتعرف فيها على بعض جوانب شخصيته، وإسلامه:

المطلب الأول: أسرته وسيرته العلمية:

ذكر السموءل في مقدمة كتابه جوانب كثيرة عن حياته وأسرته، نقتطف بعضا منها، يقول السموءل معرفا أسرته: "ان أبي كان يقال له: الراب يهوذا بن أيوب، من مدينة فاس التي بأقصى المغرب، والراب لقب ليس باسم، وتفسيره (الحبر)، وكان اعلم أهل زمانه بعلوم التوراة وأقدرهم على التوسع في الإنشاء والإعجاز في ارتجال منظوم العبراني ومنشوره وكان اسمه المدعو به بين أهل العربية أبا البقاء بن يحيى بن عباس المغربي وكان اتصاله بأمي ببغداد واصلها من البصرة، وهي إحدى الأخوات الثلاث المنجبات في علوم التوراة والكتابة بالقلم العبري وقد نذرت ان رزقت ولدا تسميه شموائيل على اثر رؤيا رأتها وحين رزقتني دعتني شموائيل وهو إذا عرب(السموءل)، وكناني أبي أبا نصر"[1].

اما عن سيرته العلمية، فيقول السموءل: "شغلني أبي بالكتابة بالقلم العبري، ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها، حتى إذا أحكمت علم ذلك عند كمال السنة الثالثة عشر من مولدي، شغلني حينئذ بتعلم الحساب الهندي وقرأت

---

(١) بذل المجهود في افحام اليهود، ص٤.

علم الطب عل الفيلسوف أبي البركات هبة الله ابن على (رحمه الله)، والتأمل في علاج الأمراض، وغيرهم من العلماء في الهندسة والحساب، والعلوم الرياضية، فخلوت في نفسي وحللت جميع تلك الكتب وشرحها واتضح لي بعد مطالعة ما طالعته من الكتب التي بالعراق والشام وأذربيجان الطريق إلى استخراج علوم كثيرة، واختراع الأدوية مثل الدرياق الذي وسمته بالمخلص ذي القوة النافذة وقد كنت قبل اشتغالي بهذه العلوم وذلك في السنة الثانية عشرة، والثالثة عشرة معتنيا بالأخبار والحكايات شديد الحرص على الاطلاع على ما كان في الزمن القديم بما جرى في القرون الخالية، فاطلعت على التصانيف المؤلفة في الحكايات والنوادر على اختلاف فنونها، وطلبت الأخبار الصحيحة، فمالت نفسي إلى التواريخ فطالعت تاريخ الطبري وغيرهما من التواريخ، وكانت تمر بي هذه التواريخ أخبار النبي(ﷺ)، وغزواته، وما اظهر الله تعالى من معجزات، وخصه به من الكرامات وحباه بها من النصر والتأييد في غزوة بدر وخيبر وغيرهما ومعاداة أهله له، وإقامته فيما بين أعدائه يجاهدهم بإنكار دينهم عليهم، والدعوة إلى دينه مدة طويلة، إلى ان أذن الله له في الهجرة إلى دار غيرها"[1].

---

(١) بذل المجهود في افحام اليهود ، ص٦ وما بعدها.

المطلب الثاني: إسلامه:

علمنا ان السموءل درس كثيرا، واجتهد ونال من العلوم، ما مكنه ان يرتقي إلى منازل عالية، وقد مكنه الله بالنظر الصحيح للوصول إلى إثبات النبوة، ومن ثم الإيمان بأنبياء الله تعالى، عندها راح إلى إعلان إسلامه، ولنقتطف شيئا من حديثه: "علمت ان العقل حاكم يجب تحكيمه في كليات أمور عالمنا هذا، إذ لولا العقل أرشدنا إلى إتباع الأنبياء والرسل، وتصديق المشايخ والسلف، لما صدقناهم في سائر ما نقلناه عنهم، وعلمت انه إذا كان أصل التمسك بالمذاهب الموروثة عن السلف، واصل إتباع الأنبياء مما أدى إليه العقل، فان تحكيم العقل عن كليات جميع ذلك واجب وعلمت أيضا اني لم أر موسى بعيني، ولم أشاهد معجزاته، ولا معجزات غيره من الأنبياء (عليهم السلام)، ولولا النقل وتقليد الناقلين لما عرفنا شيئا من ذلك، فعلمت انه لا يجوز للعاقل ان يصدق واحداً ويكذب واحداً من هؤلاء الأنبياء(عليهم السلام)، لأنه لم ير احدهم ولا شاهد أحواله إلا بالنقل، وشهادة التواتر موجودة لثلاثتهم موسى وعيسى ومحمد (عليهم السلام) فليس من العقل، ولان من الحكمة ان يصدق الكل أو بعض الكل، فأما تكذيب الكل، فان العقل لا يوجبه أيضا، لانا انما نجدهم أتوا بمكارم الأخلاق، وندبوا إلى الفضائل ونهوا عن الرذائل فصح عندي بالدليل القاطع نبوة المسيح والمصطفى (عليهما السلام)، وآمنت بهماوجاءتني الموعظة الإلهية برؤيتي للنبي(ﷺ)، في المنام في ليلة

الجمعة تاسع ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وكان ذلك بالمراغة في أذربيجان"[١].

المطلب الثالث: كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود:

أ) سبب تأليف الكتاب:

صرح السموءل في مقدمة كتابه بذل المجهود عن السبب الباعث لتأليف كتابه، قال فان " الغرض الأقصى من إنشاء هذه الكلمة الرد على أهل اللجاج والعناد، وان يظهر ما يغور كلمتهم من الفساد، على ان الأئمة. ضوعف ثوابهم قد انتدبوا لذلك وسلكوا في مناظراتهم اليهود أنواع المسالك، الا ان أكثر ما نوظروا به لا يكادون يفهمونه أو لا يلتزمونه. وقد جعل الله إلى إفحامهم طريقا ما يتداولونه في أيديهم من نص تنزيلهم، وإعمالهم كتاب الله عند تبديلهم ليكون حجة عليه موجودة في أيديهم"[٢].

ب) مضامين كتاب بذل المجهود:

استطاع السموءل يحيى بفكره العلمي تحقيق المقاصد الجليلة التي دارت مع بواعث تأليفه للكتاب، فقد تضمن كتابه مسائل عدة، أولها مناقشة مسالة النسخ في اليهودية، ثم اسند مناقشته إلى الدليل الذي هو نص كتابهم التوراة وما تقتضيه أصولهم، على ثبوت النسخ في شريعته، وقد أجاد المؤلف في تقديم الأمثلة على النسخ من وجوه عدة.

---

(١) بذل المجهود في افحام اليهود، ص ٨-١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٠.

ثم انه بعدما اثبت النسخ، وحجاجه لليهود فيه، انتقل إلى مسألة ثانية اثبت فيها نبوة المسيح (عليه السلام)، وذكر الأدلة النصية الدالة على نبوته، التي تلزم اليهود الإيمان بها(١). وكذا اثبت نبوة نبينا محمد(ﷺ)، في فصل آخر ذاكرا الأدلة، ثم جمع المسالتين إثبات نبوة عيسى، ونبوة محمد(ﷺ) في موضع آخر، عندها قدم مواضع النصوص التي تلزم اليهود الإيمان بهما(٢).

ثم انتهى إلى فصول ذكر فيها طرفا من كفرهم وتبديلهم، وشرح أسباب تبديل التوراة، واستشهد على بعض اعتقاداتهم في فصل مستقل. وأخيرا ذكر بعضا من فضائحهم(٣).

المطلب الرابع: جهوده في إثبات التحريف والتبديل في التوراة:

أ) منهجه:

اتسم منهج السموءل يحيى في دراسته لليهودية، بسمات جوهرية مهمة لاحت أفاق النصوص اليهودية المقدسة، فقد استعمال السموءل يحيى نصوص القوم في حجاج أهل اللجاج، وقد نجد ذلك جليا فانه يذكر النص التوراتي بالعبرانية. كما هو موجود في الكتب ثم سرعان ما يترجم النص بكل سهولة ويسر، ثم بعدها يستحضر النصوص التي ترادف النص، ليحقق في ذلك منهجا موضوعيا مقارنا في دراسة المسالة التي يريد ان

---

(١) ينظر: بذل المجهود في افحام اليهود، ص٢٩، ص٣٢–٣٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٩–٣٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٣.

يحقق بها الحجة الدامغة على القوم، ولا غرابة في الأمر كونه من عظائم اليهود في الأمس، وانه تضلع في الكتب المقدسة ومعاني نصوصها، ثم اننا نجد الطريقة التي يقتبس بها النص تدلنا على النظر في رشاقة تنقله وتطوافه بين تلك النصوص، ليدّعم بها منهجه النقدي في مناقشة المسالة من جوانبها التوراتية، معنى ذلك انه كان يعمد إلى تأصيل حقيقي من قلب النصوص التوراتية التي آمن القوم بها إيمانا عميقا ثم بعد ذلك كله، يعمد في منهجه إلى عكس، وقلب هذا التأصيل ليكون حجة بالغة في إفحام اليهود، لذا نجده قد وسم كتابه بـ(بذل المجهود في إفحام اليهود).

ثم انه راح بعيدا عن استعمال النصوص المقدسة الإنجيلية، والآيات القرآنية الكريمة، على إثبات نبوة عيسى ومحمد (عليهما السلام)، بل أشار إلى مواضع النصوص التي تثبت نبوتهما، في النصوص التوراتية، عندها لا محالة لليهود للحياد عن تلك النصوص، أضحى الأمر عندها إلزاميا، والإيمان بها واجب.

ب) جهوده في إثبات التحريف والتبديل:

١) إثبات تلفيق النصوص:

ناقش السموءل يحيى مسألة تعبدية، أراد منها إلزام القوم، واثبات لمساتهم التي باتت خفية في تحريف نصوص التوراة، وقد يستعمل السموءل منهجا لم يفت التنويه عنه انه يستعمل الاستفهام التقريري في تثبيت حجاجه، ولننظر هذا المنهج في نماذج المحاورة الاتية:

سأل السموءل اليهود بما تقولون في صلواتكم وصومكم، هل هي التي فارقكم عليها موسى (عليه السلام)، فان قالوا: نعم. قلنا: فهل كان موسى

وأمته يقولون في صلاتهم كما تقولون الذي ترجمته "الله اضرب بطوق عظيم لعنقنا. واقبضا جميعا من أربعة أقطار الأرض إلى قدسك سبحانك يا جامع شتيت قوم بني إسرائيل"، أم هل كانوا على عهد موسى(عليه السلام).

يقولون كما تقولون في كل يوم الذي ترجمته[1]: رد حكامنا الأولين، ومسراتنا كالابتداء، وابن يروشليم قدسك في أيامنا واعزنا ببنائها. سبحانك يا باني يورشليم". اما هذه فصول شاهدة بأنكم لفقتموها بعد زوال الدولة؟ وأما صوم إحراق بيت المقدس، وصوم حصاره، هل كان موسى يصومه، وأمر بها هو أو خليفته يوشع بن ذنون؟ هل هذه الأمور مفترضة بالتوراة أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها في هذه الإعصار؟[2].

٢) مسالة النسخ وأثرها في بيان وإثبات التبديل:

جعل السموءل من مسالة النسخ طريقا لبيان واثبات التبديل، وهو في ذلك حقق قضيتين:

الأولى: جواز وقوع النسخ، في الوقت الذي ينكروه اليهود إنكارا شديدا.

والثانية: إثبات تخرصات القوم في الشريعة التوراتية.

---

(١) لا بد ان نذكر ان السموءل يذكر النص التوراتي بالعبرية، ثم يترجمه إلى العربية، ونحن بدورنا سناخذ الترجمة العربية، ونشير بكلمتي (الذي ترجمته)، لندل على وجود نص عبري مترجم ذكره المؤلف، واستئنف الحديث بعد ذلك.

(٢) بذل المجهود في افحام اليهود، ص ٢٧ وما بعدها.

ولعل استعمال السموءل منهج الاستفهام التقريري في الحجاج، يعد من سمات منهجه الثابتة حيال تقرير وتثبيت المسالة من جميع أركانها، ولننظر إلى ذلك اخذين بنظر الاعتبار المنهج العقلي في حجاجه للقوم.

طرح السموءل يحيى أسئلة عدة على القوم، في قضية النسخ طالبا من القوم أجوبة بما تقتضيه تشريعات النصوص التوراتية، فسألهم: هل كان قبل نزول التوراة شرع أم لا؟. فان جحدوا كذبوا بما نطق به الجزء الثاني من السفر الأول من التوراة، إذ شرع الله على نوح (عليه السلام)، القصاص في القتل، وذلك قوله تعالى: (الذي ترجمته):

"سافك دم الإنسان، فليحكم بسفك دمه، لان الله تعالى خلق ادم بصورة شريفة"، وما يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة، إذ شرع على إبراهيم ختان المولود في اليوم الثامن من ميلاده، وهذه وأمثالها شرائع، لان الشرع لا يخرج عن كونه أمرا، ونهيا من الله لعباده سواء نزل على لسان رسول أو كتب في أسفار فإذا اقروا بأنه قد كان شرع. قلنا لهم: ما تقولون في التوراة؟ هل أتت بزيادة على تلك الشرائع أم لا؟ فان قالوا: لا. فقد صارت عبثا إذ لا زيادة فيها على ما تقدم ولم تغن شيئا. فلا يجوز ان تكون صادرة عن الله فيلزمكم ان التوراة ليست من عند الله تعالى. وذلك كفر على مذهبكم.

وان كانت التوراة أتت بزيادة، فهل في تلك الزيادة تحرم ما كان مباحا أم لا؟ فان أنكروا ذلك بطل قولهم من وجهين:

أحداهما: ان التوراة حرمت الأعمال الصناعية في يوم السبت بعد ان كان مباحا. وهذا بعينه نسخ.

والثاني: انه لا معنى لزيادة في الشرع إلا التحريم ما تقدمت إباحته، أو إباحة ما تقدم تحريمه.

فان قالوا: ان الحكيم لا يحظر أي لا يحرم شيئا ثم يبيحه، لان ذلك ان جاز مثله كان كمن أمر بشيء ضده، فالجواب: ان من أمر بشيء وضده في زمانيين مختلفين غير متناقض في أوامره، وإنما يكون ذلك لو كان الأمران في وقت واحد. فان قالوا: ان التوراة حظرت أمورا كانت مباحا من قبل، ولم تأت بإباحة محظور، والنسخ المكروه هو إباحة المحظور، لان من أبيح له شيء فامتنع عنه وحظره على نفسه، فليس بمخالف، وإنما المخالف من منع شيء فاتاه باستباحته المحظورة.

فالجواب: ان من أصل ما حظره الشرع في طبقة المحرم لما أحله الشرع، إذ كل منهما قد خالف المشرع. ولم يقرأ الكلمة على معاهدها، فإذا جاز ان يأتي شرع التوراة بتحريم ما كان إبراهيم (عليه السلام)، ومن تقدمه عن استباحته فجاز ان تأتي شريعة أخرى بتحليل ما كان في التوراة محظورا. وأيضا فلا تخلو المحضورات من ان يكون تحريمها مفترضا في الأزمنة، بل نهى عنه في بعض الأزمنة، فان كان الله نهى عن عمل الصناعات في يوم السبت لعين السبت ينبغي ان يكون هذا التحريم على(إبراهيم ونوح وآدم)، لان عين السبت كان أيضا موجود زمانهم وهي على التحريم. وإذا كان ذلك غير محرم على (إبراهيم) ومن تقدمه، فليس النهي عنه لعينه وإذا لزمكم ان تحريم الصناعة في يوم السبت ليس تحريما في جميع أوقات السبت، فليس يمتنع ان ينسخ هذا التحريم في زمن آخر وإذا ظهر قائم بمعجزات الرسالة، وأعلام النبوة في زمن آخر

بعد فترة طويلة فجاز ان يأتي بنسخ كثير في أحكام الشريعة فما الذي يحيل أو يمنع كونه تعالى يأمر امة بشريعة، ثم ينهى امة أخرى عنها، أو يحرم محظورا على قوم ويحله لأولادهم، ثم يحظره ثانيا على من يجيء من عدهم؟. وكيف للمتعبد ان يعارض الرسول تحليله ما كان حراما على قوم، ويستدل بذلك على كذبه بعد ان جاء بالبينة وأوعب العقلاء تصديقه وتحكيمه، أليس هذا تحكما وضلالا وعدولا عن الحق؟(١).

٣) فصل في ذكر طرف من كفرهم وتبديلهم وما يعتقدونه:

ثم بعد ان اثبت السموئل وقوع النسخ في التوراة، عمد إلى عقد فصل يذكر فيه شواهد من النصوص التوراتية، التي دلت على كفرهم وتبديلهم للشريعة:

أ) يقول السموئل:" انهم مع ذهاب دولتهم، وتفرق شملهم، وعملهم بالغضب الممدود عليهم، يقولون كل يوم في صلواتهم: انهم أبناء الله وأحباؤه، وذلك قولهم الذي ترجمته وجميع الذين اقتفوا اثر نبيك واعدا جماعتك كلهم عبروا البحر واحد منهم لم يبق، ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك المحيطة بأعلى حيطان الكرم"(٢).

ب) ومن الشواهد التي ذكرها السموئل من واقع توراتهم: "ان موسى صعد الجبل مع مشايخ أمته فأبصروا الله جهرة، وتحت رجليه كرسي منظره كمنظر البلور، ويزعمون ان اللوحين مكتوبين بإصبع الله، وذلك قولهم(بأصابع الوهيم)، ويطول الكتاب ان عددنا ما عندهم من

---

(١) بذل المجهود في افحام اليهود، ص ٢٠-٢٣.

(٢) بذل المجهود في افحام اليهود ، ص٣٨.

كفريات التجسيم ومن ذلك انهم ينسبون الله تعالى إلى الندم على ما يفعل، فمن ذلك قولهم في التوراة التي في أيديهم الذي تفسيره وندم الله على خلق البشر في الأرض وشق عليه وعندهم ان الله تعالى قال لشموايل النبي عليه السلام الذي تفسيره ندمت إذ وليت شاؤل على يسرائيل"[١].

ج) ومن الشواهد التي دلت على تغيير أذكار وأدعية صلواتهم، يقول السموأل: "فان الفرس كثيرا ما منعوهم من الختان، وكثيرا ما منعوهم عن الصلاة، لمعرفتهم صلوات هذه الطائفة دعاء على الأمم بالبوار، وعلى العالم بالخراب، سوى بلادهم التي هي ارض كنعان، فلما رأت اليهود الجد من الفرس في منعهم من الصلاة، اخترعوا أدعية زعموا انها فصول من صلاتهم، وسموها (الخزانة)، وصاغوا لها ألحانا عديدة، وصاروا يجتمعون أوقات صلواتهم على تلحينها وتلاوتها، والفرق بين هذه الخزانة وبين الصلاة، ان الصلاة بغير لحن، والمصلي يتلو الصلاة وحده ولا يجهر معه غيره، وما الخزانة فيشاركه جماعة في الجهر بالخزانة، ويعاونونه، في الإلحان وكانت الفرس إذا أنكرت عليهم ذلك منهم زعمت اليهود انهم يغنون أحيانا وينوحون أحيانا عل أنفسهم، فتركوهم وذاك، ومن العجب ان دولة الإسلام لما جاءت مقرة لأهل الذمة على ديانتها، وصارت الصلاة مباحة لهم، صارت الخزانة عند اليهود من السنن المستحبة في الأعياد والمواسم

---

(١) بذل المجهود في افحام اليهود، ص ٤١ ومابعدها.

والأفراح، ويجعلونها عوضا عن الصلاة، ويستغنون بها عنها من غير ضرورة تبعثهم على ذلك"[1].

وبعد هذا الاستهلال فإننا نرى ان السموءل حقق هدفه في إثبات جواز وقوع النسخ في الشرائع، وان إنكاره على الحال الذي عمد إليه اليهود يفضي إلى القول: بتعنتهم وعدولهم عن الشريعة الحقة، فهذا هو التحريف بعينه، ولا غرابة في الأمر، وقد طالت اذرعة تحريفهم الذات الإلهية، وتقولهم على الله تعالى، وكذا مقام الأنبياء الكرام، وقد ذكر السموءل قسما كبيرا منها في كتابه بذل المجهود، إلا انه لا نريد ان نكررها، فقد ذكرنا قسما كبيرا منهما فيما تقدم عند الأئمة: (ابن حزم، والجويني، وابن القيم). وكذا الأسباب التي آلت إلى تبديل التوراة، وتغييرها.

---

(١) بذل المجهود في افحام اليهود ، ص٤٦ ومابعدها.

الفصل الرابع

جهود علماء المسلمين في دراسة الديانة المسيحية؛ وفيه ستة مباحث:

- المبحث الأول:: في بيان جوهر الديانة المسيحية.
- المبحث الثاني.: الأناجيل المسيحية وجهود الإمام القرافي والشيخ رحمت الله في دراستها ونقدها.
- المبحث الثالث: عقيدة التثليث وجهود الإمام الباقلاني والقرطبي في دراستها ونقدها.
- المبحث الرابع:: عقيدة الاتحاد والحلول وجهود الشيخين ابن تيمية وعبد الله الترجمان في نقدها.
- المبحث الخامس: عقيدة الصلب والفداء وجهود العلامة عبد الرحمن الباجه جي والشيخ احمد ديدات في نقدها.
- المبحث السادس: جهود علماء المسلمين في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)، من واقع كتب القوم المقدسة.

الفصل الرابع

جهود علماء المسلمين في دراسة الديانة المسيحية ونقدها.

الديانة المسيحية، ديانة معقدة، وشائكة، لاحتوائها على فلسفات غامضة صعب على العقل ان يسوغها، ذاك ان أكابر المسيحية حرفوها عن أصولها، وجعلوا مسائلها العقدية تدور حول المسيح نفسه!!!. والدارس لتلك المسائل ليجد ان صلب عقيدتهم عبرت عن جسامة الانحراف وعمقه البليغ لتضحي؛ الديانة المقدسة التي تتجسد بشخصية المسيح (عليه السلام)، من حيث كينونته، وكيفيته، وكل ما يدور في طبيعته. والمشكلة العظمى ان تعزى كل تلك المسائل إلى الوحي الإلهي، لتصبح أصولا مقدسة عبر الأزمنة والأمكنة، ثابتة لدى القوم، فما اغرب القوم عندما تتخبطهم معتقدات لا طاقة لهم بحملها على محامل التدبر!.

ثم ان مناظير علم اللاهوت المسيحي لتلك العقائد، زاد الأمر أكثر تعقيدا، عندما عمدوا إلى وضع تفسيرات لمقالاتهم، وكذا نصوص الكتاب المقدس، ثم بعد ذلك أحاطوها بقسم آخر من أقسام علم اللاهوت ألا وهو علم اللاهوت الجدلي لتثبيت تلك العقائد، فخاضوا في الله اشد مخاض ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[1]، وجادلوا في المسيح بكل فنون الجدال، لينصروا مذاهبهم، عندها بات لاهوتهم الجدلي أقصى غايته هو الدفاع عن عقائدهم.

---

(١) سورة الرعد، من الآية (١٣).

لذلك انبرى علماء الإسلام معتبرين الأصل القرآني العظيم لمناقشة تلك العقائد، وبيان تهافتها وبطلانها، ونقد أصولها وفق القواعد المنهجية العلمية.

وبعد هذه التقدمة نشرع بعون الله وتوفيقه إلى دراسة جهود علماء المسلمين[1] في دراسة الديانة المسيحية، ونقدها. ونريد بادئ ذي بدء تأسيس قاعدة بحثية لدراستنا، وذلك في بيان جوهر الديانة المسيحية، وأثار الدخائل الفلسفية فيها، التي اعتمدتها المجامع الكنسية تباعا، وكذا نقف سراعا على مناظير المذاهب الأخرى المنشقة عن تلك المجامع، ونكون في ذلك حققنا الإطار العلمي العام لدراسة المسيحية ونقدها.

---

(١) مما هو جدير بالذكر ان هناك كوكبة عظيمة من العلماء الذين تصدوا لعقائد النصارى بالدرس والتحليل والنقد، وسنقصر دراستنا على الصفوة منهم، وستتوزع تلك الجهود المباركة على المباحث التي انطوت تحتها عقائد النصارى. ومن ثم نختم الفصل في بيان جهود علماء الاسلام في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)، من واقع كتب القوم المقدسة. ومن هؤلاء العلماء الذين نريد ان نبرز جهودهم في هذا الفصل:

١) القاضي الباقلاني، ت(٤٠٣هـ).
٢) الإمام القرافي، ت(٦٨٤هـ).
٣) الإمام ابن تيمية، ت(٧٢٨هـ).
٤) الإمام القرطبي.
٥) عبد الله الترجمان
٦) الشيخ رحمت الله الهندي، ت(١٣٠٨هـ).
٧) العلامة عبد الرحمن الباجه جي، ت(١٣٣٠هـ).
٨) الشيخ احمد ديدات، ت (١٤٢٦هـ).

وسنقسم موضوعات الدراسة في هذا الفصل على ستة مباحث تتفرع عنها مطالب عدة:

- **المبحث الأول: في بيان جوهر الديانة المسيحية، وفيه أربعة مطالب وهي:**

❖ المطلب الأول: العقائد المسيحية واثر الدخيل فيها.

❖ المطلب الثاني: المجامع الكنسية وأثرها في إقرار العقائد المسيحية.

❖ المطلب الثالث: نظرة في علم اللاهوت المسيحي.

❖ المطلب الرابع: الفرق المسيحية وعقائدها.

- **المبحث الثاني: الأناجيل المسيحية وجهود الإمام القرافي والشيخ رحمت الله الهندي في دراستها ونقدها، وفيه ثلاثة مطالب:**

❖ المطلب الأول: التعريف بالأناجيل المسيحية.

❖ المطلب الثاني: الإمام القرافي وجهوده في دراسة الأناجيل ونقدها.

❖ المطلب الثالث: الشيخ رحمت الله الهندي وجهوده في دراسة الأناجيل ونقدها.

- **المبحث الثالث: عقيدة التثليث وجهود الإمام الباقلاني والقرطبي في دراستها ونقدها، وفيه أربعة مطالب:**

❖ المطلب الأول: بيان عقيدة الاقانيم الثلاثة تبعا للإيمان المسيحي.

❖ المطلب الثاني: البيان القرآني لعقيدة التثليث.

❖ المطلب الثالث: الإمام الباقلاني وجهوده في نقد عقيدة التثليث.

❖ المطلب الرابع: القرطبي وجهوده في نقد عقيدة التثليث.

- **المبحث الرابع: عقيدة الاتحاد والحلول، وجهود الشيخين ابن تيمية، وعبد الله الترجمان في نقدها، وفيه ثلاثة مطالب:**

❖ المطلب الأول: بيان عقيدة الاتحاد والحلول تبعا للمنظور المسيحي.

❖ المطلب الثاني: الإمام ابن تيميه وجهوده في نقد عقيدة الاتحاد والحلول.

❖ المطلب الثالث: عبد الله الترجمان وجهوده في نقد عقيدة الاتحاد والحلول.

- **المبحث الخامس: عقيدة الصلب والفداء، وجهود العلامة عبد الرحمن الباجه جي و الشيخ احمد ديدات في نقدها وفيه ثلاثة مطالب:**

❖ المطلب الأول: عقيدة الفداء والصلب في المنظور المسيحي.

❖ المطلب الثاني: جهود العلامة (عبد الرحمن الباجه جي زاده)، في نقد عقيدة الفداء والصلب.

❖ المطلب الثالث: الشيخ احمد ديدات وجهوده في مناقشة عقيدة الفداء الصلب.

- **المبحث السادس: جهود علماء المسلمين في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)، من واقع كتب القوم المقدسة، وفيه سبعة مطالب:**

❖ المطلب الأول: منهج علماء المسلمين في إثبات البشارات.

❖ المطلب الثاني: في بشارات إبراهيم (عليه السلام).

❖ المطلب الثالث: في بشارة هاجر (عليها السلام).

❖ المطلب الرابع: في بشارات موسى (عليه السلام).

❖ المطلب الخامس: في بشارات داود (عليه السلام).

❖ المطلب السادس: في بشارات إنجيل متى.

❖ المطلب السابع: في بشارات إنجيل يوحنا.

المبحث الأول
في بيان جوهر الديانة المسيحية

المطلب الأول: العقائد المسيحية واثر الدخيل فيها:

لقد حقق مجمع نيقية عام (٣٢٥م)، جملة عقائد اقرها إقرار لزوميا بعد مصادقة (٣١٨) قسسا عليها، وهي بجملتها عبرت عن جوهر العقيدة المسيحية، التي هي: "نؤمن باله واحد أب ضابط الكل خالق كل الأشياء ما يرى و ما لا يرى وبرب واحد يسوع ابن الله المولود في الأب المولود الوحيد أي من الجوهر الأب، اله من اله نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض الذي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم، وقام أيضا في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وسيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات وبالروح القدس. واما الذين يقولون انه كان زمان لم يوجد فيه وانه لم يكن له وجود قبل ان ولد وانه خلق من العدم أو انه من مادة أخرى أو جوهر آخر أو ان الله مخلوق أو انه قابل التغيير أو متغير فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية"(١).

ثم تطورت هذه العقائد وزادوا عليها في المجامع الكنسية التي تلت هذا المجمع، يعني ذلك ان التطور العقدي ابتدأ صياغته منذ القرن الرابع الميلادي والقرون التالية إلى ان انتهى إلى الشكل الذي ما هو عليه اليوم. وان تلك المجامع عقدت بعد رفع المسيح(عليه السلام) بقرون عدة تباعا،

---

(١) نظام التعليم في علم اللاهوت القويم، جيمس انس، بيروت ١٨٩٠م، ط(١)، ١٢٢/١.

وان المجالس بجملتها باتت لإقرار تعدد الآلهة، وبإدخال أفكار وثنية، وفلسفات غريبة، غيرت معالم الدين الصحيح الذي جاء به المسيح(عليه السلام)، ثم لننظر إلى تلك الدخائل:

أولا: الأثر الفلسفي في الديانة المسيحية:

اختلفت المناظير المسيحية في طبيعة المسيح (عليه السلام)، فقد "اجتمع العلماء وتناقشوا أو تحاوروا في شان يسوع من هو على وجه الحق الواضح؟، فيما يتعلق بالاتصال بين البشرية فيه والإلوهية: الناسوتية واللاهوتية، ومن حصيلة المناظرات والمناقشات ولدت المذاهب المسيحية"(١).

والناظر المتتبع لتلك المجادلات يجد ان الوحدانية التي هي أصل الدين، ذبحت على طاولات المجامع المسيحية، عندما صنعوا خليطا للوحدانية؛ فاوجدوا الإله الابن، وروح القدس، إضافة إلى الإله الأب. وقد يلحظ صبغة الأثر الفلسفي في مقررات أكابر المسيحية في مجامعهم، ثم لننظر إلى ذلك التبلور الحاصل في العقيدة المسيحية، ولنقف على البيئة التي نشأت بها المسيحية، لنؤشر طبيعة ذلك التبلور، فان المصادر تشير: " إلى ان المسيحية منذ اوائلها، كانت قد اختمرت وتطورت في البيئة الإغريقية الرومانية حول البحر المتوسط وسرعان ما اضطر العلم المسيحي إثناء نشأته ان يقيم للتراث الإغريقي الروماني حسابا فاضطر

---

(١) التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، د. رؤوف شلبي، ص٤٩٢.

على الفور إلى ان يهتم بحلقة الصناعات الحرة والفلسفة التي تكتنفها، ليدرجها في ثنايا رسالة الإنجيل"[1].

وقد تسعفنا المصادر كثيرا في بيان العلاقة بين المسيحية، والفلسفة اليونانية، ومن جملة تلك المصادر ما أشار به شيخنا الإمام أبو زهرة (رحمه الله)، في محاضراته أسباب مزج الأصول المسيحية بالفلسفة، فيقول: "لقد كان من المسيحيين من يفرون بدينهم، ومنهم من يظهر الوثنية، ويبطن المسيحية، ومنهم من دخل النصرانية وفي رأسه تعاليم وثنية، ولم تخلع منه وهؤلاء لاشك تفكيرهم اثر في المسيحية، التي لم يكن لها قوة تحميها، وان التاريخ يروي لنا انه في القرن الثاني والثالث والرابع الميلادي قد دخل الرومان والمصريون أفواجا أفواجا في المسيحية يحكي التاريخ ان مدينة الرومان لم تكن متناسقة تناسقا اجتماعيا، فلم يكن توزيع الثروة بينهما توزيعا يتحقق معه العدل الاجتماعي نرى ألوف والألوف من الناس قد حرموا ما يتبلغون به في حياتهم، فاستولى عليهم الإحساس بالظلم والسخط على الحياة ولولا الإيمان بحياة مستقبلية يتمتعون فيها بما حرموا منه في هذه الحياة لضاقت الصدور بما يجلجل في القلوب ولانفجرت ثورة اجتماعية لكن توجهت هذه النفوس إلى الإيمان بعالم علوي وفي هذا الوقت أراد الفلاسفة ان يحلوا فلسفتهم محل الأديان فاعتور

---

(١) فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية، تاليف لويس غرديه، و. ج. قنواتي، نقله إلى العربية: د. صبحي الصالح، والاب د. فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧م، ط(١)، ص٢١٨ وما بعدها. ويقارن دروس في الفلسفة، د.ابراهيم مدكور، ويوسف كرم، مطابع مدكور، مصر، ١٩٥٤م، ص٤٩.

النفس الرومانية حينئذ عاملان كلاهما فيه قوة، وباس، فشعورهم بالبأساء والآلام يجعلهم في حاجة إلى عزاء من الدين، وسلوى باليوم الآخر وملاذ إلى حياة روحية، والفلسفة لما وجدت الأوثان تسقط قيمتها أرادت ان تحل محلها حينئذ التحمت الفلسفة بالشعور الديني، أو التفت الفلسفة والدين فكانت تلك الحال داعية اتصال بينها لا داعية افتراق"[١].

وفي هذا فقد تبين لنا جوانب من الأثر الفلسفي في الديانة المسيحية، وان النظريات الفلسفية التي تلاقحت مع الدين المسيحي، كونت أوجها جديدة ثم "ان البيئة التي اختمرت بها الديانة المسيحية كانت الحاضنة الرئيسة في تغذيتها وأما الأديان التي كانت في بلاد الرومان فهي ثلاثة: الوثنية الرومانية، واليهودية، والمسيحية الناشئة، ومن هنا حق لنا ان نسال فهل عملت الفلسفة على إيجاد ديانة تجمع بين المسيحية واليهودية فيها وثنية؟ وهل المسيحية التي تؤمن بالتوراة التي عند اليهود على اختلاف هيِّن، وتؤمن بالتثليث، وإلوهية المسيح، وتقديس الصليب، هي النظام الديني الجامع بين الأديان الثلاثة؟"[٢].

فالجواب عندنا يكون هو النظر إلى جوهر المعتقد المسيحي، عندها تتكشف لنا حقائق المزج الفلسفي في المعتقد المسيحي الذي بات إيمانا راسخا عند القوم خاصتهم وعامتهم. ثم لنأخذ نموذجا تطبيقيا لبيان الاختلاف الكنسي في طبيعة المسيح(عليه السلام)، نبين فيه الأثر الفلسفي.

---

(١) محاضرات في النصرانية، ص٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٣.

نموذج عملي: الاختلاف الكنسي في طبيعة المسيح(عليه السلام):

١) الاختلاف الناسوتي واللاهوتي:

اختلفت المذاهب المسيحية في طبيعة المسيح(عليه السلام)، وان الاختلاف دار حول" هل طبيعته طبيعة واحدة، لأنه اله، أم ان له طبيعتان؛ طبيعة إلهية وطبيعة إنسية، لأنه ابن الله، وابن الإنسان معا؟ فقد جاء من مريم، ومريم من البشر، فيكون بذلك قد اجتمع فيه، اللاهوت بالناسوت على حد تعبيرهم"(١).

وعلى هذه الاختلافات قامت مذاهب وعقدت مجامع كنسية عدة:

(فالمذهب الارثوذكسية): أخذ بالمذهب الأول الذي هو للمسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية، ثلاث كنائس صغيرة من الكنائس التي سمت نفسها(الارثوذكسية)، وهي:

أ) الكنيسة الارثوذكسية في مصر والحبشة، وتسمى الارثوذكسية المرقسية.

ب) والكنيسة الارثوذكسية السريانية ويتبعها كثير من مسيحي أسيا.

ج) والكنيسة الارثوذكسية الارمنية. وبذلك انفصلت هذه الكنائس الثلاث عن بقية كنائس المسيحيين وخلاصة اعتقاد هذه الكنائس الثلاث: ان الله ذات واحدة مثلثة الاقانيم، اقنوم الأب، واقنوم الابن، واقنوم روح القدس، وان الاقنوم الثاني اقنوم الابن تجسد من روح القدس ومن مريم

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، د، علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ط(١)، ص ١٠٨.

العذراء، مصيرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين[1].

والمذاهب الأخرى: فقد أخذت المذاهب الأخرى بالمذهب الآخر؛ الذي هو ان للمسيح طبيعتين: طبيعة إلهية، وطبيعة إنسية، أي اجتمع اللاهوت بالناسوت، وقد أخذت بهذا جميع الكنائس الأخرى. ثم انبثقت عن ذلك فرق عدة[2].

الا ان الأمر لم ينته وينحصر بالمذهبين فحسب، بل هناك تطورات عقدية بين الفرق، من واقع اختلافاتهم بتفسير طبيعة المسيح وأمه، فازدادت الديانة تعقيدا، وشاكت مسائلها، وصعبت "لأننا نجدهم يجتهدون في تصويرها، ويشعرون بعظم المشقة في ذلك، حتى يئسوا فقالوا انها فوق العقل، وان العقل لا يستطيع تصويرها تصويرا كاملا، وانها ستنجلي يوم القيامة، ولذلك نجد من الظلم لأنفسنا ان نناقشها لان العقل لا يستسيغها باعترافهم"[3].

ونلحظ قولهم وهو في غاية الغرابة، لأنهم لم يتوقفوا عن الاجتهاد في طبيعة المسيح، لقولهم ان العقل لا يستسيغها، بل ان أصول مذاهبهم، ما قامت الا على اختلافهم في اجتهادهم حول طبيعة المسيح، وغيرها

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، د. علي عبد الواحد وافي، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ط(١)، ص١٣٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) محاضرات في النصرانية، ص ١١٠.

كاختلافهم في قضية صلب المسيح، وهل وقع الصلب على جزئيه الناسوتي واللاهوت، ام على قسم منهما؟ من اجل هذا اتفقوا على ان يأتمروا في مجامعهم وتقرير ما سيكون في ذلك. فكان مجمع نيقية عام (٣٢٥م)، ولنقف على جوانب منه لبيان اقرار النصارى تلك الدخائل.

٢)مجمع نيقية المسكوني، (٣٢٥م):

المجامع عند المسيحيين قسمان؛ قسم يسمى مجامع مسكونية؛ أي تجمع رجال الكنائس المسيحية في كل أنحاء المعمورة. وقسم يسمى(المجامع المكانية)، وهي التي تقعدها كنائس مذهب، أو امة في دوائرها الخاصة من أساقفتها، وقساوستها، اما لإقرار عقيدة، أو لغرض عقائد أخرى(١).

ويعد مجمع نيقية من أكبر مجامعهم المسكونية، وقد "انعقد هذا المجمع وهو بكر المجامع العامة المسكونية، في مدينة نيقية في شهر مايو سنة (٣٢٥م)، بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الكبير لحسم بعض المسائل الدينيةومدينة نيقية تقع في الشمال الغربي لآسيا الصغرى، وقد تهدمت ولم يبق منها سوى أطلال موقعها الآن قرية (أسنيك) التركية وقد

---

(١) ينظر: الأسفار المقدسة، وافي، ص٩٣، ومحاضرات في النصرانية، ص١١١. ولابد من ذكر المصادر التي اعتمدها الشيخ ابي زهرة، و.د.علي وافي في كتابيهما، فقد اعتمدا على مصادر مسيحية اصيلة، ومنها كتاب تاريخ الفكر المسيحي، للقس حنا الخضيري، وتاريخ الامة القبطية زكي شنودة، سوسنة سليمان في احوال العقائد والايمان، نوفل جرجس الطربلسيوتاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، سعيد بن البطريك.

اختيرت مدينة نيقية لانعقاد المجمع لتوسط موقعها بين أسيا وأوربا، وبلغ عدد الآباء الذين حضروا المجمع (٣١٨) أسقفا ولاشك ان الحاضرين في المجمع كانوا خليطا من الأساقفة اللاهوتيين"[١]

وعلى ما يبدو ان هناك أسباب عامة، وأخرى خاصة لهذا المجمع، فان المصادر تشير إلى اشتداد الاختلاف بين الطوائف المسيحية الأولى، وتباعدت مسافات الخلاف تباعدا شديدا لا يمكن ان يكون معه وفاق، وكان الاختلاف حول شخصية المسيح؛ أهو رسول من عند الله فقط، من غير ان تكون له منزلة اكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه، ام له بالله صلة خاصة اكبر من رسول، فهو من الله بمنزلة الابن لأنه خلق من غير اب، ولكن ذلك لا يمنع انه مخلوق لله، لأنه هو كلمته، ومن قال انه ابن الله له صفة القدم، كما لله تعالى تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم واختلفت، وكل يزعم ان نحلته هي المسيحية الصحيحة التي جاء بها المسيح(عليه السلام)، ودعا إليها تلاميذه من بعده، ويظهر ان ذلك الاختلاف وتلك النحل المتنازعة قد ظهرت عندما دخلت طوائف مختلفة من الوثنيين من الرومان واليونان والمصريين، لتكون في المسيحية مزيج غير تام التكون، غير تام الاتحاد والامتزاج، وكان قد بقى عنده عن عقائده الأولى ما آثر في تفكيره في دينه الجديد وممن دخل في ذلك الدين

---

(١) محاضرات في التاريخ الكنسي المجامع الكنسي، نيافة الأنبا يوأنس، الانبا رويس الاوفست، العباسية، القاهرة، ١٩٩٤، ط(١)، ص ٢٤.

فلاسفة لهم آراء فلسفية أرادوا ان يفهموا ما اعتنقوا جديدا على ضوئها وعلى مقتضى منطقها وتفكيره[١].

ومن الأسباب الخاصة التي قادت إلى عقد المجمع، هي الآراء التي نادى بها آريوس[٢]، حسب أدعائهم إذ أعلن تعاليمه في إنكار لاهوت المسيح، وانه غير مساو للأب في الجوهر وقد صور معتقده هذا "ان الابن ليس مساويا للأب في الأزلية، وليس من جوهره وان الأب كان في الأصل وحيد، واخرج الابن من العدم بإرادته، وان الابن اله لحصوله على لاهوت مكتسب[٣].

ومهما تكن أسباب انعقاد المجمع، الذي يهمنا من ذلك كله هو بيان الفلسفات التي حملتها الأساقفة والقساوسة إلى المجمع. وقد نقل الإمام أبو زهرة في محاضراته قول ابن البطريك في ذلك:

---

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية، ابو زهرة، ص١١٢.

(٢) آريوس: ولد في مدينة القيروان، ب (ليبيا)، سنة(٢٧٠م)، ودرس الكثير من العلوم والمعارف، ثم نزح الى الاسكندرية حيث التحق بمدرستها اللاهوتية، فاظهر في دراسته نبوغا كبيرا، وسعى للحصول على درجة من درجات الكهنوت، فاصبح قسيسا في كنسية الاسكندرية، وداعيا قوي التاثير واضح الحجة جريئا في المجاهرة برايه، وقد اخذ على نفسه مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما ذهبت اليه من القول بالوهية المسيح وبنوته ت (٣٣٦م) ينظر: محاضرات في التاريخ الكنسي، ص٢٧، والاسفار المقدسة، وافي، ص ١٠٨.

(٣) ينظر: محاضرات في التاريخ الكنسي، نيافة الأنبا يوأنس، ص٢٧، ص٣٤.

اجتمع في مدينة نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة، وكانوا مختلفين في الآراء والأديان، وهذه آرائهم[١]:

١) منهم من كان يقول ان المسيح وأمه إلهان من دون الله ويسمون هؤلاء بـ(المريميين)، نسبة لمريم.

٢) ومنهم من كان يقول ان المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها.

٣) ومنهم من كان يقول لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لان الكلمة دخلت إذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعاتها.

٤) ومنهم من كان يقول ان المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، ان ابتداء الابن من مريم وانه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي ابن الله، ويقولون الله جوهر قديم، واقنوم واحد، ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس.

٥) ومنهم من كان يقول انهم ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما.

٦) ومنهم من كان يقول بإلوهية المسيح وهي مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا.

وقد قرر المجمع قرارات وفرضها على المسيحيين، منها:

---

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية، ص١١٤ وما بعدها. نقلا عن تاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، لابن البطريك.

١) قرر المجمع إلوهية المسيح، وانه من جوهر الله، وانه قديم بقدمه، وانه لا يعتريه تغيير ولا تحول.

٢) طرد كل من يخرج على هذه العقيدة.

٣) حكم على آريوس بحرمانه ونفيه وحرق كتبه.

٤) اختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارت، وحرق ما عداها، والقرارت هي عشرين قانونا تتضمن بعض النظم الكنسية[١]

هذه جملة مقالاتهم في المسيح (عليه السلام)، وهذه جملة تكهناتهم، فأين الصحيح من بين تلك المقالات؟ وأين دعوة المسيح (عليه السلام) التي جاء بها من ذلك كله؟ فبات لدينا جليا اثر تلك الفلسفات في الديانة النصرانية.

ثانيا: اثر أفكار بولس الرسول في العقيدة المسيحية:

تشير المصادر إلى ان بولس الرسول وأتباعه غيبوا الإنجيل الحق، واستعاضوا عنه برسائل بولس الكفرية، وبولس هو الذي أدخل جملة من العقائد الوثنية المستمدة من عقائد الأمم الكافرة، وتعد تلك الرسائل في نظر المسيحية تتمة لما أوحى بها اليه المسيح من العقائد في الإنجيل، وبهذا فان المسيحية تنسب إلى بولس أكثر ما تنسب لأحد. وحق لنا الوقوف على بولس الرسول باعتباره واضع الأفكار الغريبة للديانة المسيحية:

---

(١) ينظر: المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، د.سلطان عبد الحميد سلطان، ط/ ١، دار الامانة، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.ص ٩٢.

يقول د. احمد شلبي:" وضع بولس بذرة إلوهية المسيح وصادفت البذرة أرضاً خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت المسيحية وساعد على نمو هذه الأفكار ما صادفه المسيحيون الأوائل من الاضطهادات المدمرة"(١).

وان الرومان في فلسطين آله بعضهم المسيح في حياة المسيح نفسه من قبل وجود بولس ذلك لوجود الرومان في ارض فلسطين سنة ٣٦ق.م، وفي عهدهم ظهر المسيح، وكان الرومان الذين هم الورثة الشرعيين لفلسفات اليونان يقولون بتجسيد الآلهة، ولقد شاع الرومان هذا القول في حياة المسيح وما بعده بل زعموا بعضهم أن بولس هذا إلهاً متجسداً وقد انتهز بولس هذه الفرصة السانحة ونادى بإلوهية المسيح جهراً بدون خوف اعتماداً على أن الرومان يألفون هذه العقيدة وسيساعدونه على نشرها وكذا استعان بالفلسفة الشائعة في العالم عن التثليث لتثبيت أركان هذه العقيدة(٢).

ويجدر بنا معرفة هوية بولس، ففي سفر أعمال الرسل تفصيل تام لحياة بولس، وقد أخذت أعماله من ذلك السفر الشطر الأكبر. ولقد جاء

---

(١) مقارنة الأديان، المسيحية، د. احمد شلبي طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥م، ص١٠٤ وما بعدها

(٢) اقانيم النصارى، د. احمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م، ص٨٩، ويقارن قصة الحضارة، ول. ديورانت، مطبعة لجنة التاليف والنشر والترجمة، القاهرة، ١٩٦٢م، ترجمة محمد بدران، ٢٥٣/١١.

فيه إن مولده كان في طرطوس[1]، وتربى في أورشليم واسمه الأصلي شاؤل وهذا نص سفر الأعمال بقوله: "أنا رجل يهودي ولدت في طروس كيكلنية، ولكن تربيت في هذه المدينة"[2] أي أورشليم.

ونجد كُتاب المسيحية متفقون على أنه من اليهود، غير أن سفر الرسل يناقض هذا الادعاء فقد جاء في أخر الإصحاح الثاني والعشرين:" فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانا رومانيا غير مقضي عليه..."[3].من هنا يتضح لدينا أن هنالك نصان متعارضان الأول انه يهودي والثاني رومانييقول أبو زهرة: لعل أرجحها انه يهودي لأنه ذكر انه روماني عندما رأى أن جسمه سيكوى بالسياط.

وهكذا نراه يتقلب في أقواله فتجده في سفر الأعمال يصرح انه قال: انه فريسي ليوقع الخلاف بين الصدوقيين، والفريسيين، وينجو من كيدهم، والمعروف لدينا العداء الثابت بين هاتين الفرقتين:

فأراد بولس أن يُقع بينهم.ثم نعود إلى بولس وموقفه من المسيحية قبل اعتناقهم المسيحية، فالمتتبع لحياته، يجد أن بولس هذا كان من أشد

---

(١) طرطوس: مدينة من (٣٣٨٢٢) نسمة، في تركيا على نهر طرطوس (فره صو)، وهي كدنوس القديمة، كانت ثغرا لبلاد كيليكا، دخلها الاسكندر الأكبر، وفيها ولد بولس، وتوفي ودفن فيها المأمون الخليفة العباسي، ينظر: الموسوعة الميسرة/١١٥٧.

(٢) سفر أعمال الرسل: ٢٢: ٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٥:٢٢.

أعداء المسيحية وأبلغهم كيداً لها في أكثرهم إمعاناً في أذى معتنقيها كما يدل سفر الأعمال في مواضع كثيرة منه.

وقد دخل إلى المسيحية بقصة عجيبة قد سردها سفر الاعمال وفي الإصحاح التاسع يقول:

"في ذهابه حدث أنه أقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له شاؤل، شاؤل لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال أنا يسوع الذي أنت تضطهده، فقال وهو مرتعد متحير يارب ماذا تريد أن افعل فقال له الرب: قم وأدخل المدينة فسيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل، وبعد ذلك دخل بولس أو شاؤل المدينة، وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح، ولكنهم أرجسوا منه خيفة، ولم يصدقوا أيمانه".

هكذا أخذ بولس في التطواف في الأقاليم ينشئ الكنائس ويقوم بالدعاية ويلقي الخطب وينشئ الرسائل. وهو يبشر الناس وله من لسان في المسيحية فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواه، فرسائله الأربع عشرة التي شرحها بنفسه وقام بنشاطه الجم وتطوافه في الأقاليم مشرقاً ومغرباً، لا يستقر في مكان على نية الإقامة[1]. ويستخلص شيخنا أبو زهرة صفات هذا الرجل بقوله[2]:

---

(١) محاضرات في النصرانية، ص٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٧.

ان الذي يستخلص من أحوال وأقوال بولس التي دونت في رسائله أو أعماله أو أقواله التي ذكرها سفر أعمال الرسل يتبين انه امتاز بثلاث صفات:

إحداها: انه كان نشيطاً دائم الحركة ذا قوى لا تكل وذا نفس لا تمل.

ثانيها: انه كان ألمعيناً شديد الذكاء بارع الحيلة قوي الفكر يدبر الأمور لما يريد بدهاء الألمعي، وذكاء ويسدد السهام لغاياته ومآربه فيصيبها.

ثالثها: انه كان شديد التأثير في نفوس الجماهير، وقوى السيطرة على أهوائهم، قديرا على انتزاع الثقة به ممن يتحدث به.

ومن اخطر العقائد الكفرية التي تبلورت على يد بولس في الإيمان النصراني، ثم صارت مع مرور الزمن أركان العقيدة النصرانية، هي:

١) عقيدة إلوهية المسيح وربوبيته.

٢) عقيدة بنوة المسيح.

٣) عقيدة التثليث.

٤) أسطورة الخطيئة

والتكفير والخلاص.وبهذا فقد أزال بولس رسالة المسيح(عليه السلام)، وقوله: "فاني الحق أقول لكم إلى ان تزول السماء والأرض لا يزول حرف أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكمل الكل"[١].

---

(١) إنجيل متى، ١٨:٥.

ومثل ذلك القول في إنجيل لوقا:" السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول"[1]. غير انه استبدل كل ذلك بعد ان وضع له إنجيلا، وذلك انه:"بلغ من تجرؤ بولس على المسيح وتعاليمه ان جعل لنفسه إنجيلا خاصا به يعلم الناس ويشرع لهم فيه فتراه يقول في رسالته إلى أهل روميه: (في اليوم الذي فيه يدين الله سائر الناس حسب إنجيل يسوع المسيح)[2]، فهل نزل الإنجيل على عيسى ابن مريم أم نزل على بولس أم صار الإنجيل هو رسائله!!"[3].

المطلب الثاني: المجامع الكنسية وأثرها في إقرار العقائد المسيحية:

لم تكتمل عقيدة التثليث في مجمع نيقية(٣٢٥م)، و"بقي فكر الآباء حتى سنة (٣٨١م)، يدور حول القانون الذي فرضه مجمع نيقية(٣٢٥م)، من خلال نظرتهم إلى الابن الذي أعلنوا انه مساو مع الأب في الذات والجوهر"[4].

وقد كانت المسيحية قبل مجمع نيقية(٣٢٥م)، "على اختلاف كبير جدا، ويكفي للدلالة على هذا الاختلاف ان الذين حضروا المجمع نيف وأربعون بعد الألفين، وهم على آراء مختلفة، ولم يجمع أعضاء هذا المجمع على نحلة واحدة، اما عقيدتهم في الابن وقولهم انه تولد عن

(١) إنجيل لوقا، ٢١:٣٣.

(٢) رومية، ٢: ١٦.

(٣) المسيح والتثليث، د. محمد وصفي، دار الفضيلة، القاهرة، ص٦٤.

(٤) فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية، تاليف لويس غرديه، ص٢٨٩.

المنشئ من غير زمن بينهما كما يقول الفلاسفة، وانه من جوهر أبيه كما يقولون لم تسد الا بعد ذلك المجمع"[(١)][(٢)]. وحرموا من قال غير ذلك

مجمع قسطنطينية الأول سنة (٣٨١م) وتقرير إلوهية روح القدس:

لم تبحث قضية علاقة الإلوهية بروح القدس في مجمع نيقية " ولم يتعرض لروح القدس أهو اله أم روح مخلوق، أو ليس باله، ولم يكن مجمع نيقية قد اصدر قرارا في هذا الأمر. لذلك ظهرت أفكار بين المسيحيين لا تعترف بإلوهيته، ويظهر ان الإسكندرية التي كانت مهدا للأفلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث، وان المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه؛ قوة المكون الأول، والعقل (الابن)، والنفس العامة (الروح القدس)، تريد ان تفرض ذلك فرضا على المسيحيين كما كانت العامل القوي في إعلان إلوهية المسيح"[(٣)].

وكان عندها قد راجت فكرة ملخصها ان الروح القدس ليس باله، وانما هو مخلوق مصنوع يحملها القسيس (مكدونيس)، فلقيت هذه الفكرة نوعين من الناس.

---

(١) محاضرات في النصرانية، الإمام ابو زهرة، ص٣٦.

(٢) اتفق على مقالة بولس (٣١٨) اسقفا، وقد حضر المجمع ثمانية وأربعون والفان، ثم عندما نقارن هذا بكلام صاحب كتاب محاضرات في التاريخ الكنسي، لـ(نيافة الأنبا يوأنس)، نجد انه ذكر ان الذين حضروا المجمع عددهم (٣١٨) اسقفا، وعلى ما يبدو ان المؤلف قصر العدد على ما وافق قرارات المجمع، وأهمل بقية الاساقفة الذين خالفوا الثلاثمائة ونيف.

(٣) محاضرات في النصرانية، ص١٢٢.

الأول: الموحدون أتباع(آريوس)، حيث تقبلوها ونشروها وروجوا لها.
الثاني: الوثنيون المؤلهون وعلى رأسهم بطريك الإسكندرية، فخلفوها، وحاربوها، واجتمع هؤلاء بما لهم من سلطة دينية عند الملك، وأشاروا عليه بعقد مجمع يقرر ان روح القدس اله[1].

وعقد المجمع القسطنطيني عام (٣٨١م)، وبالرغم الأحوال المخزية، وتناحر القوم[2]. ثم تقرر الرأي على ما ذهب إليه بطريق الإسكندرية (تيموثاوس). "قال تيموثاوس بطريك الإسكندرية: ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئا غير حياته، فإذا قلنا ان روح القدس مخلوق، فقد قلنا ان حياته مخلوقة، وإذا قلنا ان حياته مخلوقة فقد زعمنا انه غير حي، وإذا زعمنا انه غير حي فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن"[3].

وهذه السلسلة التي ذكرها بطريق الإسكندرية، ومن ثم قررها مجمع القسطنطينية، فيها نظر، وقد أغنانا شيخنا الإمام أبو زهرة بنظرته الفاحصة، يقول: "نريد ان نستطرد استطرادة صغيرة عاجلة، وهي ان ننظر في تلك السلسلة الفكرية التي ساقها في شكل دليل شرطي كثرت مقدماته، وكثرت تالياته، وان نظرة سريعة فاحصة إلى الأساس الذي قامت عليه

---

(١) ينظر: أصول المسيحية كما يصورها القران، د.داود على الفاضلي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ص٢٤٢.
(٢) للاطلاع على الأحوال المخزية للمجامع الكنسية، ينظر كتاب: دلائل تحرف الكتاب المقدس، د. شريف سالم، ٢/٣٥-٧٠.
(٣) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص ١٢٣.

السلسلة انه جعل روح القدس هي روح الله، وهذا لا يسلمه له مخالفه، ولا يستطيع هو ان يقيم عليه دليلا، ان روح القدس خلقه الله، واتخذه ليكون رسولا بينه وبين من يريد ان يلقى عليه وحيا من خلقه، أو أمرا كونيا، فهي ليس روح الله المتعلقة بذاته، وليس عنده دليل على ما قال، لكن هكذا ساق السلسلة، وهكذا اقتنع سامعوه وبذلك تم له الثالوث الذي يتشابه تماما مع فلسفة الإسكندرية، وقد أعلنها بطريك الإسكندرية، وزادوا بذلك على مجمع نيقية هذا الاقنوم"[١].

مجمعي افسس

الأول والثاني، وتقرير طبيعة المسيح (عليه السلام):

علمنا ان قسما كبيرا من الكنائس ذهبت إلى ان للمسيح "طبيعتين؛ طبيعة إلهية وطبيعة إنسية، لأنه ابن الله، وابن الإنسان معا؟ فقد جاء من مريم، ومريم من البشر، فيكون بذلك قد اجتمع فيه، اللاهوت بالناسوت"[٢]، وقد عقد مجمع افسس سنة (٤٣١م)، لإقرار ذلك، وكذا الرد على بدعة نستور المخالفة لهذا، ويعد ذلك أول اختلاف وقع بينهم بعد إقرار الاقانيم الثلاثة.

وكان نستور هذا بطريك القسطنطينية سنة (٤٢٨م)، فقد ذهب نستور إلى القول بان مريم العذراء لم تلد الإله، بل ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالاقنوم الثاني اتحادا مجازيا، لان الإله وهبه المحبة النعمة، فصار بمنزلة الابن، فللقضاء على هذا المذهب الذي ينكر

---

(١) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة ، ص١٢٣.

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، د، علي عبد الواحد وافي، ص ١٠٨.

إلوهية المسيح من أصلها، وان كان يقول بالاقانيم الثلاثة، انعقد مجمع افسوس الأول سنة (٤٣١م)، وقد لعن نستور وطرده. وكتب معظم أعضائه صحيفة قرروا فيها ان مريم العذراء ولدت إلهنا، وربنا يسوع المسيح، وان المسيح اله حق، وإنسان ذو طبيعتين، غير ان النسطورين قد انحازوا في عصورهم الأخيرة إلى الرأي القائل بامتزاج اللاهوت في الناسوت فانحرفوا بذلك عن المذهب الأصلي لزعيمهم[١].

مع "ان مجمع افسس انتهى بإدانة النسطورية، إلا انه كان أكثر المجامع اضطرابا في تاريخ الكنيسة فقد تميز بالتراعات المريرة اللاهوتية، والكنيسة بين الأحزاب المتنازعة المتصارعة، وهذا عند الأرثوذكس مجمع مسكوني، وعند الكاثوليك وبتعبير بابا روما انه مجمع اللصوص[٢].

ولم يحسم ذلك المجمع الخلاف في مسألة اجتماع العنصر الإنساني، والعنصر الإلهي في المسيح، فلم يقض على نحلة نسطور قضاء مبرما، وان كان قد نفاه بل نمت نحلته بعد ذلك في المشرق وذاعت في البلاد ولم يتم الخلاف في ذلك عند نسطور وأتباعه، بل ان كنيسة الإسكندرية قد خرجت هي الأخرى برأي جديد عرضته على الملا من الأساقفة، وجمعوا له جمعا قرروه فيه، ذلك الرأي: ان للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت، وانعقد لأجل هذا **مجمع افسس الثاني** الذي تسميه

---

(١) ينظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، د، علي عبد الواحد وافي، ص١١٠ وما بعدها.

(٢) دلائل تحريف الكتاب المقدس، د. شريف سالم، ٢/ ٤٤.

الكنسية الكاثوليكية مجمع اللصوص، وفي هذا المجمع أعلن ذلك الرأي[1].

واما الكنائس القائلة: "ان الله ذات واحدة مثلثة الاقانيم، اقنوم الأب، واقنوم الابن، واقنوم روح القدس، وان الاقنوم الثاني اقنوم الابن تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء، مصيرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين وقد اقر هذا المذهب معظم المجتمعين في مجمع افسس الثاني الذي انعقد في منتصف القرن الخامس الميلادي، واكتسب قوة بعد ان انتصر له في القرن السادس داعية قوي الحجة جريء في الجهر برأيه اسمه (يعقوب البرادعي)، حتى لقد أطلق على هذا المذهب اسم المذهب (اليعقوبي)، نسبة إليه"[2]. ولم يحسم الأمر في طبيعة المسيح، فانعقد مجمع خليكدونية سنة (٤٥١م).

مجمع خليكدونية سنة (٤٥١م)

انعقد مجمع خليكدونية(٤٥١م)، وسارت المناقشة بعد ذلك في جو عنيف متعصب وانتهى المجمع إلى ان قرر ان مريم العذراء ولدت إلهنا ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في

---

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص ١٢٦. ويقارن: الأسفار المقدسة، د. علي وافي، ص١٠٩، ودلائل تحريف الكتاب المقدس، د. شريف سالم، ٢/ ٤٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: الأسفار المقدسة، د، علي وافي، ص١٠٩.

الطبيعة الإنسانية، وشهدوا ان المسيح له طبيعتان واقنوم واحد ووجه واحد(١)

وقد انتصر لمذهب ازدواج الطبيعتين الإمبراطور الروماني، بل انه هو الذي عمل على اجتماع مجمع خليكدونية، لينتهي إلى تقرير هذا الرأي في صورة حاسمة، ومن ثم يطلق على هذا المذهب اسم المذهب الملكي، أو الملكاني نسبة إلى الملك أي إمبراطور روما(٢).

أضواء على الانقسام الكنسي:

١) تعالت الأصوات في أجواء مشحونة، وبات الحال أكثر عنفا، وانتهى مجمع خليكدونية بطرد ولعن ونفي من عارض قرار ازدواجية طبيعة المسيح.

٢) وعلى اثر القرار المجمعي "نرى انشقاقا بين المسيحية المثلثة، واختلافا يكون بعيد المدى في الأجيال المقبلة، وهو أساس اختلاف الكنائس إلى يومنا الحاضر، فهذا المجمع يرى ان المسيح له طبيعتان وهو بذلك يخالف النسطوريين لأنهم يقولون: ان اقنوم الابن لم يكن من العنصرين بل من العنصر الإنساني وحده، ويخالف قرار افسس الثاني، الذي يقول ان المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتي من الروح القدس، ومن مريم العذراء مصيِّرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من

---

(١) ينظر: الأسفار المقدسة، ص١٠٩ وما بعدها، ومحاضرات في النصرانية، ص١٢٧.

(٢) ينظر: الأسفار المقدسة، ص ١١٠.

طبيعتين، ومشيئة واحدة، وقد بدأت آثار ذلك المجمع سريعة واضحة"[1].

٣) ولعل الناظر في قرارات المجامع الكنسية منذ بدايتها أي منذ مجمع نيقية سنة(٣٢٥م)، إلى مجمع خليكدونية(٤٥١م)، يجد أنها حققت مزيدا من العقائد المنحرفة، ومزيدا من الفرقة في الأوساط الكنسية، وهي بجملتها ما انزل الله بها من سلطان، ثم ما جدوى تلك العقائد التي حققوها مقابل رسالة المسيح(عليه السلام)، الا من جعله إلها مع الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا، والمسيح مبرأ عن كل مقالاتهم، لذا جاء الخطاب القرآني جليا في تبرأت عيسى وأمه مما نسب إليهما، ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2].

---

(١) محاضرات في النصرانية، ص١٢٨ وما بعدها.

(٢) سورة المائدة، الآيات (١١٦/١١٩).

٤) ولم تكتف المجامع بالطرد واللعن فحسب، بل ان هناك جرائم عظمى حصلت قبالها، وقد ذكرها صاحب كتاب دلائل تحريف الكتاب المقدس، يقول:" هم لا ينكرون تلك الحقيقية المخجلة واللاهوتيون المتخصصون يعترفون بها وهم كثيرا ما يحاولون دائما إخفاءه من امر المجاميع، وما حدث بها من مجازر بشرية ودموية شنيعة يخجل منها أي متدين، فما بالك وهي التي جمعت ذلك الكتاب، وفرضت تقديسه على الشعب الكنسي"(١).

٥) العقائد التي قررتها المجامع، هي:

أ- تقرير عقيدة إلوهية المسيح.

ب- تقرير عقيدة إلوهية الروح القدس.

ت- تقرير عقيدة ان المسيح اجتمع في الإنسان والإله، لا الإنسان فقط، وان مريم ولدت الاثنين.

ث- تقرير طبيعة المسيح ذو طبيعتين منفصلتين، لا طبيعة واحدة متحدة.

د وهي بجملتها مزج فلسفي أرهقت عقولهم، واركستها نحو زوايا الانحراف التام، وصدرت عنها فرق عدة. تحت ظل المجامع الكنسية العظمى (الأربعة)، التي سيطرت عليها الأجواء الفلسفية. ولم يقتصر تقرير العقائد على ذلك فحسب، بل عقدت مجامع أخرى، ومنها:

---

(١) دلائل تحريف الكتاب المقدس، د. شريف سالم، ص ٤٦، ثم ذكر المؤلف نحوا من الجرائم الدموية، ومن ذلك حادثة مقتل (بروثوريوس رئيس الأساقفة الخلقدوني) الذي ذبحوه وعلقوه وجروا جثته بالشوارع واحرقوها ينظر: ص٥٦.

١) المجمع الخامس الذي انعقد بالقسطنطينية سنة (٥٣٣م)، ويسمى المجمع القسطنطيني الثاني.
٢) المجمع القسطنطيني الثالث سنة (٦٨٠م).
٣) مجمع تحريم اتخاذ الصور الذي انعقد بأمر قسطنطين الخامس، سنة (٧٥٤م)، قرر فيه تحريم الصور والتمايل في العبادة، وحرم طلب الشفاعة من مريم العذراء، ولأجل ذلك كله عقد مجمعا ليقابله الا وهو المجمع السابع، ويسمى المجمع النيقاوي سنة (٧٨٧م)، وأصدروا قرارا بتقديس صورة المسيح والقديسين لا لعبادتها، وقد وافق على هذا المجمع عدد كبير من الكنائس فاعتبروه عاما، وخالفته أخرى ولم يعتبروه كذلك.[١]

وفي روما عقدت مجامع عدة، منها مجمع روما سنة (٨٦٩م)، ومن أهم قراراته هو اعتبار الروح القدس منبثقا عن الأب والابن، وان تكون الكنيسة في روما هي الحكم الفاصل في المنازعات المسيحية، وان يكون البابا صاحب الكلمة التي يخضع لها مسيحيو العالم، وكان هذا المؤتمر سببا في انقسام الكنسية إلى كنسية شرقية وأخرى غربية ثم عقد مجمع روما سنة (١٢١٥م)، الذي أعلن فيه ان البابا حق منح الغفران ثم جاء مجمع (كونستانس)، سنة (١٤١٧م)، الذي أنهى الانقسام البابوي وإعادة وحدة الكنيسة وتعيين بابا واحد لها في روما بدلا من اثنين[٢].

---

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية، ص ١٣١-١٣٣

(٢) ينظر: مقارنة الأديان – المسيحية – د. احمد شلبي، ص٢٠٠-٢٠٣.

المطلب الثالث: نظرة في علم اللاهوت المسيحي:

يهتم المسيحيون بـ(علم اللاهوت)، اهتماما بالغا، وله منزلة خاصة عندهم من بين العلوم كلها، وقد يعود هذا الاهتمام إلى ان سائر الاجتهاد المسيحي الفكري في مسائل الإلوهية، وطبيعة المسيح(عليه السلام)، انضوى تحت علم اللاهوت، وبالرغم من اختلاف مناظير الفرق المسيحية ومقالاتهم في تلك المسائل، وعند التحقيق نجد إضافة اسم الفرقة المسيحية إلى علم اللاهوت لدلالة على اختصاصها في معتقدات محددة، فمثلا نجد مسائل عقدية في علم اللاهوت الكاثوليكي امتازت عن علم اللاهوت الأرثوذكس

أولا: تعريف علم اللاهوت المسيحي وأقسامه:

عمد أكابر المسيحية إلى وضع الدراسات عن الله (تعالى)، وصفاته وشرائعه في إطار علم سموه (علم اللاهوت)، ومن هؤلاء القس (جيمس انس) فعرف علم اللاهوت بأنه:" يبحث عن الله وصفاته وشرائعه وأعمال عنايته، والتعاليم التي يجب ان نعتقدها، والأعمال التي يجب ان نقوم بها، وهو قسمان وحييٌّ، وطبيعي، ولماذا سمي علم اللاهوت علما لا معرفة لان العلم إدراك الكليات أو المركبات، والمعرفة إدراك المفردات والقضايا البسيطة، وبعلم اللاهوت نعرف العقائد الدينية وما بينها من العلاقات"(١).

فيكون عند ذلك كل من تصدر لدراسة هذا النوع من الموضوعات يسمى(لاهوتي)، يقول انس عن دور اللاهوتي في جمع مصادر العقائد:

---

(١) علم اللاهوت النظامي، تاليف القس جيمس انس، راجعه ونقحه القس منيس عبد النور، ص١٥.

"تجدها متفرقة في الكتاب المقدس، غير ان اللاهوتي يجمعها وينظمها ويبين علاقة بعضها ببعض، وما بينها من الاتفاق، ولا يخفى ما في هذا من الصعوبة والأهمية، وعلى هذا لا يكون الكتاب المقدس هو كتاب علم اللاهوت بل مصدره وأساسه، أي ان علم اللاهوت مأخوذ منه ومبني عليه"[١].

ثانيا: أقسام علم اللاهوت:

لعلم اللاهوت أقسام، وهي[٢]:

١) علم اللاهوت التفسيري: وهدفه مطالعة الكتاب المقدس بكل دقة وتانٍ لتفسيره صائبا.

٢) علم اللاهوت التعليمي، وهدفه ترتيب الحقائق المتحصلة من علم اللاهوت التفسيري وتنظيمها.

٣) علم اللاهوت الدفاعي أو الجدلي، وغايته دفع الضلال والدفاع عن الحق، وهو يتم بدحض الآراء الخاطئة والهرطقات بأسلحة الحق وبراهين الصدق.

٤) علم اللاهوت التاريخي، وغايته بيان تقدم التعاليم اللاهوتية من قرن إلى آخر وما طرأ عليها من التغيير إلى ان بلغت حالتها الحاضرة.

نقد وتحليل:

لابد من النظر في تلك التقسيمات الأربع، وما انضوت تحتها من منهجية في توجيه سير الإيمان المسيحي. ونناقشها مناقشة علمية.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧.

١) فاما القسم اللاهوتي التفسيري، فكان غايته الاطلاع على الكتاب المقدس بكل دقة، للخروج بتفسيرات صائبة، ثم إننا بحاجة إلى ان نسأل أكابر المسيحية عن التفسير الصائب، وهل وضعتم شروطا للتفسير الصائب بحيث إذا خرج عنها صار تفسير خاطئا؟. ثم عند النظر في أحوال المعتقد المسيحي نجد أن هناك تدرج عقدي لا يمكن تجاهله مطلقا، ويسند كلامنا في هذا المقام قسم اللاهوت التاريخي الذي قالوا فيه: "غايته بيان تقدم التعاليم اللاهوتية من قرن إلى آخر وما طرا عليه من التغيير إلى ان بلغت حالتها الحاضرة"، فالتعاليم اللاهوتية نفهمها من طريقين اما تعليم يخص العقيدة، واما تعليم يخص الشريعة، فاما تعاليم العقيدة فمحال ان تتغير من قرن إلى آخر، لأنها ثابتة ومفهومها جلي، والديانة المسيحية أصولها توحيدية، معنى ذلك انها نازلة من عند الله تعالى. فالأصل ان الله واحد، فلا يمكن للتفسير اللاهوتي ان يقسم هذا الأصل المعتبر عند الديانات السماوية إلى ثلاثة اقانيم، عندها يصبح التفسير باطلا لمخالفة الأصل السماوي. وكذلك لا يمكن تفسير الاقانيم الثلاث، بالوحدانية المطلقة كما ذهبت بعض المذاهب المسيحية في القول: التوحيد بالتثليث والتثليث بالتوحيد، عما سنرى في دراستنا لعقيدة التثليث. واما التعاليم التي تخص الشريعة، فمن الممكن ان تتغير تبعا لقواعد الاستنباط الفقهي من الأدلة المعتبرة لدى الديانة، مع التأكيد على ضرورة إتباع القواعد المعتبرة في الاستنباط.

٢) واما علم اللاهوت التعليمي الذي هدفه ترتيب الحقائق المتحصلة من اللاهوت التفسيري، فنرى انه بنى بنيانه على أسس واهية، لان التفسير اللاهوتي فسر العقيدة الإلهية تفسيرا باطلا لا يمكن للعقل ان يسوغه، لأنه خرج عن أصل الدعوة الحقة التي نادى بها المسيح(عليه السلام)، ثم لننظر إلى كلام صاحب كتاب اللاهوت (القس انس) السالف بالذكر قبل قليل، يقول عن اللاهوت التعليمي: "كيف استخرجت الكنيسة الحقائق التعليمية اللاهوتية من الكتاب المقدس؟ كان ذلك بالتدرج، ففي أزمنتها الأولى استخرجت التعاليم المختصة بتثليث الله، وشخص المسيح، وفي القرون المتوسطة استخرجت التعاليم المختصة بالإنسان، ثم استخرجت بعد ذلك ما يتعلق بالفداء. ثم يقول ولا نقصد ان الكنيسة لم تعرف الحق بتمامه منذ نشأتها بل إنها أخذت تلك الحقائق المهمة كمواضيع للبحث الدقيق بالتتابع"(١).

فما أعجب قولهم!! أليس البحث الدقيق بالتتابع له اثر في نفوس معتنقي الديانة؟. فإذا بقت الكنيسة قرون عدة في تدرج العقائد على الناس، فما هو حال معتنقي الديانة في القرون الأولى إذ لم يصلهم التعاليم المختصة بالإنسان التي استخرجتها الكنيسة في القرون التي

---

(١) علم اللاهوت النظامي، تاليف القس جيمس انس، ص ٢٠.

تلت؟ وحرموا نصيبا عظيما من تعاليم الديانة وماتوا على ذلك، فكيف يكون خلاصهم في الآخرة؟. وكذا الأمر مع معتنقي الديانة في القرون الوسطى وقد حرموا الإيمان بعقيدة الفداء، وماتوا على ذلك وكل الأجيال عبر القرون حرموا نصيبا إيمانيا فماتوا على نقصان الدين، لا على تمامه.

٣) واما علم اللاهوت الدفاعي أو الجدلي الذي غايته دفع الضلال والدفاع عن الحق وهو يتم بدحض الآراء الخاطئة والهرطقات بأسلحة الحق وبراهين الصدق. فمن العسير إدراج مسائل عقدية باطلة تحت عنوان الدفاع عن الحق ببراهين الصدق؛ لان علم الجدل لابد ان يسير وفق طريقين، اما في إثبات قضية لها حقية كون أصولها صحيحة ومعتبرة، واما دحض قضية باطلة كون أصولها اما باطلة أو انحرفت عن الحق فأصبحت برمتها باطلة، فلا يمكن تعاكس ذلك، ولا يجوز عقلا ان نخوض في مسالة ونعدها صائبة وأصولها باطلة كل البطلان لان هذا خلاف منطق الفكر السليم، وان مجمل عقائد النصارى هي من النوع الثاني، فاصلها صحيح كونها نازلة من عند الله تعالى ودعا إليها المسيح(عليه السلام)، وانحرفت فيما بعد عن الأصل فأصبحت باطلة.

فمن العسير تسمية اللاهوت الجدلي بـ(علم)، لان العلم هو: "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"[1]، والواقع هو ان إخبار المسيح(عليه السلام)،

---

(١) التعريفات، السيد الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٥٧.

وهو رسول الله ونبيه، فهل يطابق الاعتقاد الجازم مع دعوته؟. فإذا تطابق صار حريا بنا ان نسميه علم، ونجادل في إثبات دعوته وما جاء به اشد الجدال، وإذ لم يطابق واقع دعوته عندها خرجت من حد العلم، فأصبحت سفسطة لا جدوى منها، لأنها أرادت إثبات الباطل، لا لتبيين الحق، عندها نردها ردا عظيما، وهذا ما قام به علماء الإسلام في مناقشة أهل الكتاب، ودحض عقائدهم التي ما انزل الله بها من سلطان.

ثم ان اختلافاتكم العقدية، أدى إلى انبثاق علم لاهوتي خاص لكل مذهب من مذاهبكم، وعند التحقيق نجد ان هناك مؤلفات تشير إلى ذلك، ومن بينها: كتاب(علم اللاهوت القسم الخاص بالاختلافات العقدية والطقسية بين الكنيسة القبطية والأرثوذكسية، والكنائس البروتستانتية)، لعالمهم (القمص ميخائيل مينا).

فإذا كان الاختلاف العقدي قائم بين مذاهبكم، خاصة والاختلاف بينكم في أعظم مسالة في الدين، مسالة الناسوت واللاهوت، التي أرهقت مجامعكم الكنسية عبر القرون، فأي علم لاهوتي جدلي تحتاجون إليه لإثبات حقائق الإلوهية ببراهين الحق ودحض الهرطقات كما زعمتم في تعريفكم لهذا العلم؟ وزعمكم كله باطل

المطلب الرابع: الفرق المسيحية وعقائدها:

فيما تقدم تعرفنا على جوانب من الاختلاف المجمعي الكنسي في طبيعة المسيح، الذي أدى إلى انشقاقهم، وتفرقهم إلى فرق عدة، تحمل كل واحدة منها مقالة خاصة بها، والدارس المتتبع للفرق المسيحية برمتها ليجد

ان هناك فرق موحدة رفضت كل المجامع الكنسية، وقراراتها، وسنقف هنا في بيان مذاهب الفرق المسيحية، وكنائسها.

أولا: الفرق المسيحية التي نشأت في ظل المجامع:

١) النسطورية:

أ) **النسبة:** ينسب النسطوريين إلى نسطور بطريك القسطنطينية سنة ٤٣١م.

ب) **مذهبهم:** هو محاولة للعودة إلى التوحيد أو القرب منه، وجوهر مذهبهم، هو: ان مريم لم تلد إلها، لان ما يولد من الجسد ليس إلا جسدا، ولان المخلوق لا يلد الخالق، فمريم ولدت إنسانا، ولكن كان آلةً للاهوت، وعلى هذا لا تسمى والدة الإله، بل والدة المسيح الإنسان، وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته، أي اتحد عيسى بعد الولادة، بالاقنوم الثاني اتحادا مجازيا فمنحه الله المحبة ووهبه النعمة. وقد وضع نسطور بذلك الأساس للقول بطبيعتين في المسيح، ذلك القول الذي سيتبناه **الكاثوليك**[١].

وذكر الشهرستاني ان نسطور: "تصرف في الأناجيل بحكم رأيه قال: ان الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة(الوجود والعلم والحياة)، وهذه الاقانيم ليست زائدة عن الذات.واتحدت الكلمة بجسد عيسى ومن النسطورية قوم يقال لهم (المصلين) قالوا مثل ما قال نسطور"[٢].

---

(١) ينظر: مقارنة الأديان، د. احمد شلبي، ص١٩٢ وما بعدها، نقلا عن كتاب تاريخ الأقباط، لزكي شنودة، ص١٥٩.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ١/٢٣٠وما بعدها.

٢) الملكانية:

أ) النسبة: وهم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم ومعظم الروم ملكانية[١].

ب) مذهبهم: مذهب الكاثوليك الملكانية، وهو مذهب الطبيعتين والمشيئتين، وقد اعتنقه كنيسة روما- كما رأينا في مجمع خلكدونية سنة٤٥١م فالمسيح اقنوم الهي بحت، ولكن له ذاتان، وكيانان هما الإله والإنسان، ويختلفون الملكانية عن النسطورية في مريم، فيقولون هي ولدت يسوع المسيح الذي هو مع ابيه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في الطبيعة الإنسانية. فهو طبيعتان ومشيئتان واقنوم واحد.[٢].

وقد ذكر الشهرستاني: "وعقيدتهم التثليث واخبر الله تعالى عنهم بقوله: (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة)[٣]. وقالوا: ان المسيح ناسوت كلي لا جزئي وهو قديم أزلي من قديم أزلي، وقد ولدت مريم (عليها السلام) ألها أزليا، والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا[٤].

٣) اليعاقبة:

أ) النسبة: نسبة إلى داعية مشهور اسمه يعقوب البرادعي. مر ذكره في مجمع افسس سنة ٤٣١م.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ينظر: مقارنة الاديان، د. احمد شلبي، ص ١٩٤.

(٣) سورة المائدة، الآية (٧٣).

(٤) الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ٢٣٠. ٢٣١.

ب) **مذهبهم:** مذهب الكنائس الشرقية الأرثوذكس، المذهب اليعقوبي، ومذهبهم يقضي بان المسيح طبيعة واحد، ومشيئة واحدة، ففي المسيح اقنوم واحد تم بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج، ولذلك فالعذراء تدعى بحق والدة الإله[1]، وقد ذكر الشهرستاني انهم: "قالوا بالاقانيم الثلاثة، وقالوا ان الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو، هو، وعنهم اخبرنا القران الكريم: (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم)[2]. فمنهم من قال ان المسيح هو الله، ومنهم من قال:ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح"[3].

٤) المذهب الماروني:

أ) **النسبة:** المذهب الماروني ومؤسسه (مارون) الذي ظهر أيام الملك (موريق)[4].

ب) **مذهبهم:** احدث مارون آراء بان بها عمن تقدمه من النصارى في المشيئة وغيرها، وبذلك فهو وافق الملكية والنسطورية، واليعاقبة في

---

(١) ينظر :مقارنة الأديان، د. احم شلبي، ص١٩٣ وما بعدها، نقلا عن تاريخ الأقباط، زكي شنودة، ص ١٦٠ ومابعدها.

(٢) سورة المائدة، الآية (٧٢).

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٣٢/١.

(٤) ينظر : محاضرات في النصرانية، ص١٣٢.

الثالوث، ولكن خالفهم فيما يذهب إليه من المسيح جوهران اقنوم واحد ومشيئة واحدة، وهذا القول متوسط بين قول النسطورية والملكية[1].

وذهب المارون إلى ان للمسيح طبيعتين، ولكن له مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في اقنوم واحد، ولكن البطاركة لم يقبلوا ذلك، وأشاروا على الإمبراطور ان يعقد مجمعا، فعقد مجمع بالقسطنطينية سنة (٦٨٩م)، وقرر ان للمسيح طبيعتين ومشيئتين، وكان ذلك تأكيدا لمذهب الكاثوليك، وقد لعن هذا المجمع كل من يقول بغير ذلك[2].

ثانيا: الفرق المسيحية الموحدة:

وكما هو معلوم ان أصول الديانة المسيحية توحيدية، وقد حقق المسيح(عليه السلام)، البلاغ المبين لتلك الأصول بين قومه، قال تعالى حكاية عن المسيح: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[3]، فتبع التلاميذ نبيهم ومعلمهم على ذلك، والقران الكريم بين لنا حقيقية إيمانهم. ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[4]

وبعد رفع المسيح(عليه السلام)، "كان المؤمنون به يؤكدون حقيقة وحدانية الله وهذا يجليه حقيقة ان إنجيل راعي هرمس، وقد كتب

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٢.

(٢) ينظر: مقارنة الاديان، د. احمد شلبي، ص ١٩٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية (٥١).

(٤) سورة المائدة، الآية (١١١).

حوالي(٩٠م)، وكانت تنظر إليه الكنسية كإنجيل معترف به، يبدأ في أول وصاياه الاثنى عشر بالآتي: (قبل كل شيء آمن ان الله واحد، وانه خلق كل شيء، ودبره أمره، وفي العدم خلق الأشياء كلها، وهو يسع الكون كله ولا يسعه الكون وعندما انتشرت تعاليم المسيح واختلطت بالثقافات الأخرى وتصارعت مع أصحاب السلطة والجاه استوعبتها وهضمتها هذه الثقافات، وتم تغييرها"[١]. ومن هؤلاء الموحدين:

١) آريوس: التي تنسب إليه الفرق الاريوسية:

لقد لعب آريوس دورا كبيرا في تاريخ المسيحية وكان من هؤلاء الذين حاولوا ان يتبعوا المسيح في وقت أوشكت فيه هذه العقيدة على التفكك، وعندما كانت ذكريات المسيح كرجل يملك هذه العقيدة قد ضعفت في أذهان أتباعه، يبرز رجل (آريوس).

مذهبه:

أ) توحيد الله وصفاته:

كان يؤمن آريوس ان الله واحد، وان الله لا يلد ولا يولد، وانه ابدي خالد، وليس له بداية، وانه جميل وقادر لا يتبدل، ولا يتغير، وان وجوده مخفي بسر ابدي عن أعين كل مخلوق، وكان يعارض أي رأي يتعلق ببشرية الله وكان مستعدا ان يحدد في المسيح كل صفة من صفاته، ويبين انها لا تتفق مع وحدانية وتفرد الله، وكان يرفض ان يهادن أي رأي يدعو إلى الإيمان بتعدد الآلهة، ولذلك كان ملتزما برفض أي فكرة تعدو إلى

---

(١) عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، ترجمة عادل حامد محمد، مركز الحضارة العربية، القاهرة ٢٠٠١م، ط(١)، ص٧ وما بعدها.

الإلوهية المسيح، لان صفة الولادة من الطبيعة البشرية، وليست من طبيعة الله، وبالتالي لا يمكن لا يمكن ان يكون هناك ابن لله بالمعنى، والمحدد لتلك الكلمة، وإذا كانت صفة الولادة فإنها تؤثر في وحدانية الله، وتلتصق بالله صفة العاطفة، والجسدية، وهي بشرية، وقد تعنى هذه الصفات ان الله يحتاج، وهو ليس كذلك، ولذلك فانه بأي طريقة كان من المستحيل إلصاق صفة الولادة لله[١].

ب) مقالته في المسيح(عليه السلام):

المسيح ليس من روح الله، ولكنه مخلوق من الله مثل كل المخلوقات الأخرى، بالرغم من كونه متفردا بين الناس بسبب نبوته، وبدلا من كونه يشارك الله في الروح، فهو لا يدري ما هي روحه؟ وكان يعتمد مثل كل الجنس البشري له إرادة حرة، وطبيعة قد تؤدي به إلى فعل أفعال قد ترضى الله او لا ترضيه، وبالرغم من قدرته على فعل أفعال قد لا ترضي الله، فان فضيلته الذاتية قد بعدت به عن ذلك[٢].

ظهور مذهب (آريوس):

لقد ظهر مذهب (آريوس)، في عهد الإمبراطور الجديد قسطنطيوس، وقد اعتنق هذا الإمبراطور عقيدة آريوس، واستمر الإيمان بالوحدانية رسميا كمذهب معترف به للمسيحية الحقيقية، وانعقد مؤتمر في (أنتيوخ عام ٣١٤م)، واعترف بالتوحيد كمبدأ أساسي للمسيحية، وهذا الحكم أكده مؤتمر آخر، انعقد في (سيرميوم عام٣٥١م)، بمساندة الإمبراطور، وهكذا

---

(١) ينظر: عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، ص١١٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، ص ١١٤.

اعتنق غالبية المسيحيين في ذلك الوقت مذهب آريوس وفي الأعوام التالية زاد عدد أتباع مذهب التثليث، وفي عام (٣٨١م)، أعلن ان الديانة الرسمية للإمبراطور في القسطنطينية هي ديانة آريوس، وتدريجيا بعد ذلك أصبح مذهب التثليث هو المعترف به للمسيحية في الغرب، وتظهر ظاهرة المجالس الدينية التي تصدر قرارات رسمية[١].

٢)الابيونيون:

وهي من الفرق المسيحية الموحدة، وتنسب إلى قس اسمه أبيون، وقيل: الأبيونية هم: الفقراء إلى الله، فسموا بذلك لفقرهم وزهدهم، وقد ظهرت هذه الفرقة في القرن الأول الميلادي من أصل يهودي، وقد نشطت هذه الفرقة بعد عام(٧٠م)، وقد ذكر معتقدات هذه الفرقة المؤرخون الأوائل خلال نقدهم لعقائد فرقة الأريوسية المتأخرة. فيقول بطريرك الإسكندرية ت(عام ٣٢٦م) عن عقيدة آريوس: فهذا التعليم الثائر على تقوى الكنيسة هو تعليم (أبيون وأرطيماس)، وهو نظير تعليم بولس السمياطي[٢].

ويقول ايريناوس: (القديس إيريناوس أسقف ليون) في كتابه (ضد الهرطقات):

"والذين يدعون باسم الأبيونية يوافقون على أن الله هو الذي خلق العالم، ولكن مبادئهم عن الرب مثل كرنثوس ومثل كربو قراط و هم يستخدمون إنجيل متى فقط، ويرفضون بولس الرسول، ويقولون عنه: إنه

(١) ينظر: عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم ، ص١١٥.

(٢) تاريخ الكنيسة، أوسابيوس القيصري، ص١٣٠.

مرتد عن الناموس، يحفظون الختان، وكل العوائد المذكورة في الشريعة"[1].

ويقول أوسابيوس القيصري (ت٣٤٠م) في تاريخه: "قد كان الأقدمون محقين إذ دعوا هؤلاء القوم (أبيونيين)، لأنهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة ووضيعة، فهم اعتبروه إنساناً بسيطاً عادياً قد تبرر فقط بسبب فضيلته السامية"[2]

مقالاتها:

اتسمت أفكار فرقة الابيونيين بعقائد التوحيد، وقد شدد أصحاب المذهب على التوحيد، الاقنوم الواحد، فأنكروا إلوهية المسيح، ومن هذه الجماعة من قال بان المسيح إنسان عادي بسيط، ولد بطريقة فائقة الطبيعة من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية، ثم انقرضت هذه الفرقة في أواخر القرن الرابع الميلادي.[3]

---

(١) تاريخ الكنيسة، أوسابيوس القيصري، ص١٣٠.

(٢) تاريخ الكنيسة، أوسابيوس القيصري، ص١٣٠.

(٣) ينظر: الأسفار المقدسة، وافي، ص ١٠٨، وأصول المسيحية، د. علي الفاضلي، ص٢٣٤.

٣)**فرقة بولس السمياطي:**

وفي أواسط القرن الميلادي الثالث ظهرت فرقة البولينية وهم أتباع بولس السمياطي، الذي تولى أسقفية إنطاكية عام(٢٦٠م)، كما كان يشغل منصباً كبيراً في مملكة تدمر[١].

مقالاتها:

ويلخص القس كيرد (ت١٣٢٤م) عقيدة السمياطي، فيقول في كتابه (مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة): "ملة تدعى البولية أو البوليانيون، وهي ملة بولس السمياطي بطريك إنطاكية، وهم الذين يؤمنون بأن الله إله واحد، جوهر واحد، اقنوم واحد، ولا يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة أنها مخلصة، ولا أنها من جوهر الأب، ولا يؤمنون بروح القدس المحيي، ويقولون: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت مثل خلق آدم، وكمثل واحد منا في جوهره، وأن الابن ابتداؤه من مريم... ونظروا إلى كل موضع من الكتب فيه ذكر أزلية الابن ولاهوته وأقانيم ثالوثه، فغيروا وكتبوا مكانه غيره كما يحبون، وعلى ما يوافق ديانتهم، ولم يغيروا أسماء الكتب ولا أسماء الرسل ولا حديثهم".وقد عقدت الكنسية ثلاث مجامع خلال خمس سنوات لإقناعه بالعدول عن مذهبه، آخرها مجمع في إنطاكية عام ٢٦٨م، وحضره بولس، ودافع فيه عن مذهبه، فطرد وعزل

---

(١) ينظر: الاسفار المقدسة، علي وافي، ص١٠٨.

من جميع مناصبه، لكن أتباعه استمر وجودهم إلى القرن الميلادي السابع، وقد يدعى أتباعه البوليقانيون[1].

ثالثا: الكنائس المسيحية في العصر الحاضر ومذاهبها:

ينقسم المسيحيون في العصر الحاضر إلى ثلاث طوائف كبار: (الكاثوليك، الأرثوذكس، البروتستانت)، ويطلق المسيحيون على الفرقة اسم الكنيسة وثمة ثلاث فرق أو كنائس كبرى في المسيحية إلى جانب فرق صغرى، والاختلاف بين بعضها كالكاثوليك والأرثوذكس جزئي للغاية في حين كان كبيرا بين بعضها الأخر كما هو الحال بين الكاثوليك والبروتستانت[2].

"وهذه الطوائف كلها متفقة على القول بإلوهية المسيح بن مريم، وعلى القول بالتثليث، وعلى القول بالصلب فهم جميعا يعتقدون ان الله أوصى آدم الا يأكل من الشجرة فأكل منها بإغواء إبليس فاستحق هو وذريته الفناء ولكن الله رحم عباده فجسد كلمته وهي ابنه الأزلي تجسيدا ظاهرا، فأرسل الله ملاكه جبريل إلى مريم العذراء وبشرها بالمسيح المخلص، وانها تلد الكلمة الأزلية، وتصير والدة الإله، وانه رضي بموته على الصليب

---

(١) ينظر: التوحيد فيما قبل مجمع نيقية، د. منقذ بن محمود السقار، نقلا عن عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية، حسين الاطير، ص٥٥-٦٤. وينظر: الأسفار المقدسة، وافي، ص ١٠٨.

(٢) ينظر: دروس في تاريخ الأديان، حسن توفيقي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، طهران، ص٢١٤.

وهـو غيـر مسـتحق لـذلك ليكـون فـداء الخطيئـة الأولـى، غيـر ان هـذه الطوائف الثلاث تختلف عن بعضها في بعض الفروع"[1].

١) **الكاثوليك:**

أ) **التسمية:** سميت بذلك لادعائها انها أم الكنائس، ومعلمتهم، وانها وحدها هي التي تنشر النصرانية في العالم، وتسمى كذلك الكنيسة الغربية أو اللاتينية، لأنها غلبت على الغرب اللاتين خاصة، فصارت لها السيطرة في ايطاليا وبلجيكا وفرنسا واسبانيا والبرتغال كما تسمى الكنيسة البطرسية أو الرسولية، لان أتباعها يدعون ان مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين، والرئيس العام للكنائس الكاثوليكية هو بابا روما[2].

ب) **مقالاتها في الإلوهية**[3]: تؤمن الكنيسة الكاثوليكية مثل باقي الكنائس الأخرى باله واحد مثل الاقانيم: الأب، الابن، الروح القدس، كما تؤمن بان المسيح طبيعتين بعد الاتحاد؛ أحداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية.

---

(١) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، د. عبد القادر شيبة الحمد، ص٤٢.

(٢) ينظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، د.عبد القادر شيبة الحمد، ص٤٢، ودروس في تاريخ الأديان، حسن توفيقي، ص٢١٤. وتاريخ الديانتين، الساموك، ص ١٣٦.

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة، الرياض، (١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م)، ط (٥)، ٢/٦٠٦.

واعتقدوا ان روح القدس نشأ عن الله الأب وعن الله الابن معا، كما انهم يعتقدون بالمساواة الكاملة بين الله الأب، والله الابن كما قالوا بالتجسد الله في المسيح من اجل خلاص البشرية، من خطيئة ادم فيعتقدون انه ولد من مريم وصلب ومات لخطاياهم، ثم قام بعد ثلاثة أيام ليجلس على يمين الرب ليحاسب الخلائق يوم الحشر

ت) عقيدتهم في مريم(عليها السلام)(١)

يقدسون السيدة مريم (عليها السلام)، وكذلك القديسين والقديسات، والإيقونات المجسمة والمصورة مع الإشادة بالمعجزات.

ث) شريعتهم:

تؤمن الكنيسة الكاثوليكية بنصوص الكتاب المقدس، وبما يتضمنه من التوراة، وأسفار الأنبياء وبالعهد الجديد، ورسائل الرسل، وعلى كل ما اقره المجمع النيقاوي. والمجامع الأخرى، وفي ذلك فهي تستمد جذورها الفكرية والعقدية من ذلك. ويؤمن معتنقو هذا المذهب بأسرار الكنيسة(٢).

---

(١) الموسوعة الميسرة، ٢/ ٦٠٦.

(٢) أسرار الكنيسة سبعة: يؤمن المسيحيون بان المسيح القائم من الأموات يحيا في مجتمعه ومعه، وانه ما زال ينجز الأعمال التي كان ينجزها مدة حياته في فلسطين من تعليم، وصلاة، وخدمات، وشفاء المرضى، وإطعام الجياع، ومسامحة الخطاة، وتكبد الآلام، والموت، تلك الأعمال غير المنظورة التي قام بها المسيح تصبح منظورة في الحياة التي تحياها الكنيسة بالأسرار، او بعبارة أخرى عندما يشترك المسيحي في احد الأسرار فانه يؤمن إذ ذاك بأنه يلتقي المسيح الذي قام من الموت، ومنحه نعمة الله المخلص، لأجل الحصول على العناية الإلهية والرحمة، وهذه الأسرار، هي:

٢) **الأرثوذكس:**

أ) **التسمية:**

وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية، أو الكنيسة الشرقية، أو اليونانية، لان أكثر أتباعها من الروم الشرقيين كروسيا، والبلقان، واليونان، وكان مقرها الأصلي القسطنطينية، وقد كانت في الأصل تابعة للكنيسة الكاثوليكية، ثم انفصلت عنها في عهد (ميخائيل كارولاريس)، بطريك

---

١) **التعميد**؛ سكب الماء المقدس على الشخص الذي يروم الدخول إلى المسيحية، والى الطفل، وهي علامة على تطهيره من الخطايا.

٢) **التثبيت**؛ أي حلول الروح القدس في الشخص الذي دخل المسيحية. وبمعنى آخر: يكون التشديد على الناحية الايجابية في تأدية الشهادة لما حققه الله من اجل البشرية في عيسى وعلى استمداد القوة من روح القدس، للقيام بهذا الواجب، والتثبيت يمنحه الأسقف او من ينوب عنه، وقوامه ان يمسح طالبه بالزيت في حين يقال:له تقبل روح القدس لتستطيع تأدية الشهادة للمسيح

٣) **الزواج المسيحي**؛ بان يجعلوا من اتحاد الرجل بامرأته علاقة حبه لحب الله وللبشر ولحب المسيح ولهذا السبب يرون ان الزواج التزام مدى الحياة، ولا يوافقون عل الطلاق

٤) **التوبة**:وهي نيل المغفرة من الخطايا التي يرتكبها المسيحي بعد التعميد.

٥) **التناول**: أي تناول الخبز والنبيذ تشبها بالعشاء الرباني الأخير، والخبز يرمز إلى لحم المسيح، والنبيذ إلى دمه.

٦) **مسحة المرضى**: وهي مسح المريض عندما يشرف على الموت لتقوية إيمانه.

٧) **الكهنوت**: أي تبرك الأسقف لرجال الدن الذين يدخلون هذا السلك، أي منحهم البركة والرحمة والعزيمة

ينظر: تاريخ الديانتين، السامولك، ص ١٣١ وما بعدها، نقلا عن تاريخ أوربا في عصر النهضة، ص١٧٤ وما بعدها ودروس في تاريخ الأديان، توفيقي، ص١٩٣-١٩٩.

القسطنطينية سنة(١٠٥٤م)[1]. وتضم الكنيسة الأرثوذكسية البطريركيات الأربع القديمة: القسطنطينية، الإسكندرية، وأنطاكية، وأورشليم، إلى جانب البطريركيات الحديثة، روسيا، وصربيا، ورومانيا فضلا عن الكنائس الأرثوذكسية في قبرص واليونان وينضوي المسيحيون الأرمن في عداد الأرثوذكس في العقائد، وكانت أرمينيا أول دولة في التاريخ تعتنق المسيحية دينا رسميا لها[2].

ب)مقالاتها:

يختلف الأرثوذكس عن الكاثوليك في بعض المسائل العقدية، فإنهم: يعتقدون أن روح القدس نشأ عن الله الأب فقط، ولم ينشأ عن الابنكما يعتقدون ان الإله أفضل من الإله الابن كما تؤمن بربوبيته وإلوهية الرب والمسيح في ان واحد على أنهما من جوهر واحد ومشيئة واحدة ومتساويين في الأزلية لكن **كنيسة أورشليم الأرثوذكسية اليونانية** ومن يتبعها تؤمن بان المسيح له طبيعتان ومشيئتان موافقة لمجمع خليكدونية **واما الأرثوذكس الأقباط** فإنهم يعتقدون أن الاقانيم الثلاثة ما هي إلا اختصاص للذات الإلهية الواحدة، ومتساوية معه في الجوهر والأزلية، ومنزهة عن التأليف والتركيبلكن **الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية** ومن تبعها تعتبر اقنوم

---

(١) ينظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، د. عبد القادر شيبة الحمد، ص٤٣.

(٢) ودروس في تاريخ الأديان، توفيقي، ص ٢١٥.

الابن اقل من اقنوم الأب في الدرجة، ولذلك فهي عند اليونان مراحل انقلب فيها الله إلى الإنسان[١].

٣) **<u>البروتستانت:</u>**

أ) **التسمية:**

هم أتباع مارتن لوثر[٢] الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، ومعنى البروتستانت أي المحتجون على الكنيسة الغربية باسم

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، د. مانع الجهني، ٢/٥٩٣ وما بعدها، ودروس في تاريخ الأديان، توفيقي، ص٢١٥، الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، د. عبد القادر شبية الحمد، ص٤٣.

(٢) ولد مارتن لوثر عام (١٤٨٣م)، في مقاطعة (ساكسونيا)، في ألمانيا، وتربى في بيئة نصرانية وشب على حب العلم، واستمر في دراسته حتى نال شهادة أستاذ العلوم ثم عدل عن تلك الدراسة الى الدراسات اللاهوتية، فدخل دير الرهبان، ثم عين قسيسا لرعاية كنيسة كنتريج بالمانيا وفي عام (١٥١٠م) زار روما ليتبرك بالمقر الرسولي فيها ولكن ما ان حل في روما حتى هاله ما رأى من دعاوى: غفران الذنوب، وامتلاك سر التوبة، وحق منح صكوك الغفران، وتفشي مظاهر الفساد والانحلال الخلقي في الطبقات العليا من الكنيسة بوجه اخص، ومن ثم عاد إلى ألمانيا خائبا رجاؤه، ومستنكرا ما رأى، وأصبح منشغلا بوضع خطة الإصلاح الكنيسة وقد اصطدم لوثر بفكرة بيع صكوك الغفران، إذ يقول ان النجاة والقصاص لا تأتي عن طريق شراء الصكوك، وإنما تأتي عن الإيمان بالله، وقام بتعليق نشرة احتجاجية على مساوئ الكنيسة الكاثوليكية، ورفع شعائره القائل ان الغفران مرتبط بالإيمان برحمة الله لا عن طريق شراء صكوك الغفران، وان الكتاب المقدس وحده هو القانون الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير العقائد، وفي المسائل المختلف فيها، وأنكر ان المجاميع الكنسية منزهة عن الخطأ، وأبدى رغبته بالزواج، ودعا إلى زواج الرهبان عند ذلك اصدر البابا قرارا بحرمان لوثر، أي مقاطعة الكنيسة والناس له، وعدم منحه حق حرية الحياة في أي مكان.وكاد البابا=

الإنجيل والعقل، وتسمى كنيستهم (الكنيسة الإنجيلية) لدعواهم أنهم يتبعون الإنجيل دون غيره، ويفهمونه بأنفسهم دون الحاجة إلى البابوات، وهم يعترضون على كل أمر يخالف الكتاب ويعتقدون ان لكل قادر الحق في فهمه، فالكل متساوون ومسؤولون أمامه. والبروتستانتية حركة إصلاحية بدأت في الكنيسة الكاثوليكية بدعوات الإصلاح ومن ثم تحولت من حركة إصلاحية داخل الكنيسة إلى حركة عقائدية مستقلة ومناهضة لها(١).

ب) مذهبهم(٢):

١) لا يؤمنون بعصمة البابوات، أو رجال الدين، وتهاجم بيع صكوك الغفران.

٢) ان القديسين لقب يمكن ان يوصف به كل إنسان نصراني.

٣) ترفض البروتستانتية مرتبة الكهنوت، حيث ان جميع المؤمنين بها كهنة.

٤) تؤمن بسرين من أسرار الكنيسة، وهما سر المعمودية، والعشاء الرباني

٥) لا تؤمن بالصوم كفريضة، بل هو سنة حسنة

٦) لا تؤمن بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى.

=ان يحرقه لولا مساندة حاكم المقاطعة لهينظر: لوثر، السيرة الذاتية، تأليف ايفان غوبري، ترجمة سلمان حرفوش، منشورات الهيئة العامة السورية، للكتاب، دمشق، (٢٠٠٧م)، الموسوعة الميسرة، د. مانع الجهني، ص ٦١٥. وتاريخ الديانتين، الساموك، ص ١٣٨، نقلا عن كتاب تاريخ أوروبا، ص٩٤-١٠٤.

(١) ينظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، د. عبد القادر شبية الحمد، ص٤٤

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة، د. مانع الجهني، ٦٢١/٢ وما بعدها.

٧) الصلاة ليس مقدارا محددا كما انه ليس من الحتم الالتزام بحرفية الصلاة الربانية

٨) لا يؤمنون بنظام الرهبنة.

٩) منع البروتستانت اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها

١٠) تؤمن بعض الكنائس الانجليلية الصهيونية، ان شرط المجيء الثاني للمسيح هو إقامة دولة إسرائيل في فلسطين. واللافت للنظر في هذا المحور ان اليهود استطاعوا تهويد بعض الكنائس البروتستانتية، وتسريب الأفكار الصهيونية، وإنشاء أحزاب، وكنائس تتبناها، وتدعو إليها من خلال ما يعرف بالصهيونية المسيحية

وبهذا نكون قد وصلنا إلى نهاية المبحث، إذ تعرفنا على جوهر الديانة المسيحية، وكذلك بسطنا قاعدة بحثية لدراستنا، لنشرع بعدها في بيان جهود علماء الإسلام في دراسة الديانة المسيحية ونقدها.

المبحث الثاني

الأناجيل المسيحية وجهود الإمام القرافي والشيخ رحمت اللّه الهندي في دراستها ونقدها

يتضمن العهد الجديد على "البشائر الأربع الأناجيل وأعمال الرسل، ورسائل بولس الثلاث عشرة، والرسالة إلى العبرانيين، والرسائل العامة السبع، ثم سفر الرؤيا تكونت اللائحة القانونية لأسفار العهد الجديد على مراحل أول مجموعة تكونت هي رسائل بولس، التي تكلمت عنها رسالة بطرس الثانيةثم الأناجيل وسفر الأعمال وبعد نقاشات بين الكنائس قبلت الرسالة إلى العبرانيين ورسالة يعقوب وبطرس الثانية ويهوذا أو سفر الرؤيا"(١).

سنقف في هذا المبحث على بيان حقيقة الأناجيل والتعريف بها، ثم نعمد بعد ذلك إلى إبراز جهود الإمام القرافي، والشيخ رحمت الله الهندي(رحمهما الله)، في دراسة أناجيل النصارى، ونقدها.

<u>**المطلب الأول: التعريف بالأناجيل المسيحية:**</u>

١) **معنى الإنجيل في المنظور المسيحي**: تعني كلمة الإنجيل في اللغة اليونانية، (الخير السار)، وبخاصة بشرى سارة، وهي تدل على الكتاب الذي يروي حياة المسيح(عليه السلام)(٢)، وكل إصدارات كتاب العهد الجديد الموجودة بين أيدينا تناولت حياة المسيح وأحواله وأيامه فدل

---

(١) مقدمة الكتاب المقدس. دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

(٢) ينظر: قاموس الكتاب المقدس، ص١٢٠-١٢١، ومعجم اللاهوت الكتابي، ص١١٣.

اسم الإنجيل على سيرة المسيح(عليه السلام)، نقلها تلاميذه حسب زعمهم ثم دونت فأصبحت فيما بعد الأناجيل الأربعة التي اعتمدتها الكنيسة دون غيرها من الأناجيل. و"تعتقد غالبية من المسيحيين ان كتاب الأناجيل شهود عيان على حياة المسيح، وانهم بهذا قد أقاموا شهادات لا تقبل الجدل عن الأحداث التي وقعت في حياته وتبشيره. فكيف للمؤمن عندما يواجه مثل ضمانات الصحة هذه، ان يناقش المعلومات التي قد تخرج منها؟ كيف يمكن للمؤمن ان يشك في قيمة المؤسسة الكنسية التي نشأت بفضل تطبيق التوجيهات العامة التي أعطاها المسيح"(١).

ولنترك ضمانات الصحة، وقيمة المؤسسة الكنسية الآن، ليناقشها علماء الإسلام ضمن إطار جهودهم في دراسة الأناجيل المقدسة ونقدها.

٢) **الأناجيل الأربع**: لقد اعتمدت الكنيسة أربعة أناجيل، غير ان "هناك أناجيل أخرى كثيرة، ربما تفوق على مائة إنجيل، الا ان الكنيسة حرمت جميع الأناجيل الأخرى، وأقرت الأربعة الحالية، وهذه الأناجيل مع ما أصابها من تحريف، وحذف فإنها لا تزال اكبر دليل على انها غير إنجيل السيد المسيح(عليه السلام)، فهي تصرح بهذه الحقيقة التي لا تقبل الشك، والمسيح إنما جاء بإنجيل واحد، وهذه الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في عصر المسيح، وانما كتبت بعده بعشرات السنين"(2).

---

(١) دراسة الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٧٠.

(٢) الكتاب المقدس في الميزان، الشيخ محمد علي برُّ العاملي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٣هـ /١٩٩٣م، ص٢٣٤.

ولعل قضية اعتماد الكنيسة الأناجيل الأربعة دون غيرها[1]، يثير تساؤلات عظيمة، يتحتم على الكنيسة ان تجلي الأمر، لشعبها من معتنقي الديانة المسيحية، وكذا للنقاد لذا أصبح لزاما على الكنيسة ان توضح ذلك.

ثم اننا نريد ان نسأل ما هي المعايير التي اعتمدتها الكنيسة لتلك الأناجيل دون غيرها؟. وهل هناك ضوابط وشروط لمن يقبل نصوص إنجيله المقدس، ومن لا يقبل؟. وهل حظيت الأناجيل الأربعة بالقدسية، لأنها وحي من الله تعالى، أم نالت قدسيتها من قدسية البابوية وغيرها من رجال الكهنوت المسيحي؟.

ثم ان الناظر في المجامع الكنسية التي عقدت بشان الكتاب المقدس، ليجد تخبط البابوية جليا حيال اعتماد الكتاب المقدس، وللنظر إلى احد تلك المجامع لتبين ذلك. فقد ذكر الأستاذ احمد زكي في كتابه انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح: "بين سنة (١٨٦١-١٨٧٠م)، عقد الفاتيكان مجمعا اقر فيه ان الكتب القانونية للعهد القديم والجديد، قد كتبت بالهام من الروح القدس!! ولكن بعد ان طال النقد الكتاب المقدس من النقاد

---

(١) ذكر الأستاذ احمد عد الوهاب ف كتابه المسيح في مصادر العقائد المسيحية، الأناجيل التي لم تعترف بها الكنيسة، وذلك نقلا عن دائرة المعارف الأمريكية، ومن هذه الأناجيل: إنجيل توما، إنجيل العبريين، إنجيل الناصريين، إنجيل الاثنى عشر، إنجيل الابيونيين، وإنجيل المصريين، إنجيل بطرس، إنجيل مريم ينظر: المسيح في مصادر المسيحية، مهندس احمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، (١٤٠٨هـ . ١٠٨٨م)، ط(٢)، ص ٣٧ وما بعدها.

المسيحيين الغربيين أنفسهم واشتد ذلك في السنوات الأخيرة، عقد الفاتيكان مجمعا آخر في أواسط الستينات(١٩٦٢/١٩٦٥م)، وخرج بوثيقة جديدة، تراجع فيها عن قرار السابق بالنسبة للعهد القديم، واعترف فيها صراحة ان العهد القديم يحتوي على شوائب وشيء من البطلان! ولكن عندما جاء للعهد الجديد نفى عنه ذلك، وكرر انه كتب بالهام من الروح القدس"[١].

يقول بوكاي "ان هذا الموقف الجماعي المتخذ الذي صدر عن أكثر من مائة مفسر للعهد الجديد كاثوليك، وبروتستانت، يختلف بشكل مميز عن الخط الذي عرفه المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني في دستوره العقائدي عن التنزيل، هذا الدستور الذي اعد فيما بين (١٩٦٢/١٩٦٥م)، لقد استطاع المجمع المسكوني ان يعلن بشان العد القديم ان الأسفار التي تكونه (تحتوي على شوائب وشيئا من البطلان)، ولكنه لم يضع أي تحفظات مثل هذه بالنسبة للأناجيل بل العكس، قالت الوثيقة:

لا يغفل على أي إنسان ان من بين كل الكتب المقدسة، بل حتى كتب العهد الجديد، كان هناك ما يتمتع عن حق بالامتياز مثل الأناجيل، باعتبار انها تكون شهادة حقيقية عن حياة ودرس الكلمة المتجسدة، أي منقذنا، وفي كل مكان حفظت الكنيسة وما زالت الأصل الرسولي للأناجيل الأربعة، والواقع ان ذلك هو الذي دعا إليه الرسل بأمر المسيح، فقد نقلوا إلينا أنفسهم والناس الذين كانوا يحيطون بهم، وتأثير من الوحي الإلهي للروح كتابات هي أساس الإيمان، ونعني الإنجيل المربع (متى ولوقا

---

(١) انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، احمد زكي، دار الحداثة، للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥، ط(١)، ص٢٩.

ومرقس ويوحنا)، ان كنيستنا الأم المقدسة قالت وتقول بحزم وثبات دائمين ان هذه الأناجيل الأربعة التي تؤكد تاريخها دون أي تردد، تنقل بشكل أمين فعلا أقوال وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر بخلاصهم الأبدي والى ان رفع إلى السماء"[١].

فإذا كان الفاتيكان قد شدد على هذه الوثيقة، ودار حول الأناجيل الأربعة دوران الأفلاك، فهذا لا يعطيها حق منح عصمة الأناجيل وقدسيتها، يقول الأستاذ احمد زكي:" ان العهد الجديد ليس حصينا كما يدعي الفاتيكان في وثيقته، بل ظهر انه ممتلئ بالثغرات التي يمكن الهجوم عليه منها من كل جانب. لذا هاجمه النقاد الغربيون المسيحيون أنفسهم، وأثخنوه بالجراح، وأزاحوا عنه غطاء الوحي، والقداسة، واذهبوا عنه الامتياز المزعوم من قبل الفاتيكان لا بل ثبت ان الأمر اخطر بكثير من ان يعالج بتصريح من الفاتيكان، أو مجرد وثيقة تخرج منه موقعة باسم القساوسة الذين حضروا الاجتماع، لان القضية لم تعد قضية العهد الجديد وحده، وانما قضية العقيدة المسماة زورا بالمسيحية، وما هي الا العقيدة (الشاؤولية البولسية الكنيسة الوثنية)، برمتها(أي الأب، والابن، والروح القدس، وابن الله، وأم الله، والتجسد، وخطيئة ادم، والكفارة، وصلب الله ودفن الله، وقيامه من الأموات وعصمة البابوية تلك العقيدة شوهت مسيحية المسيح الحقة"[٢].

---

(١) دراسة الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٧٧ وما بعدها.

(٢) انزعوا قناع بولس، احمد زكي، ص٣٠ وما بعدها.

واننا لا نريد مناقشة الفاتيكان في هذا المقام(١) بقدر ما نريد ان نبين حقيقة اعتماد الأناجيل الأربعة، والقدسية التي فرضتها البابوية في مجامعها الكنسية. ومن الوثيقة السالفة بالذكر نستطيع الآن ان نجمل ما يأتي:

أ) تمتعت الأناجيل الأربعة، بحق الامتياز لشهادتها الحقيقية عن حياة وتعاليم الكلمة المتجسدة المتمثلة بالمخلص.

ب) اعتمدت الكنيسة الأصل الرسولي في نقل الأناجيل.

ت) نقل الرسل والناس الذين كانوا معهم تحت مظلة الوحي الإلهي للروح كتابات التي أعدت أساس الإيمان.

ث) ان الكنيسة أقرت الأناجيل التي تضمنت أقوال، وأفعال المسيح وخلاصه للبشر بكل أمانة وتوثيق وثبات.

---

(١) ناقش الأستاذ علي الريس عصمة الكتاب المقدس من واقع تبين أقوال القساوسة المعاصرين والأساتذة المعتبرين في اللاهوت الجدلي المسيحي، وفي ذلك فانه حقق الرد العلمي على: كل من قال بعصمة الكتاب المقدس، ومن قال في مؤلفه: استحالة تحريف الكتاب المقدس للقمص مرقس عزيز، ومن قال في مؤلفه:الكتاب المقدس يتحدى نقاده، لعبد المسيح بسيط، ومن قال في مؤلفه: من يقدر على تحريف كلام الله، لداود رياض، ولمن قال في مؤلفه: تحريف الإنجيل حقيقة أم افتراء، لفريز صموئيل، ولمن قال في مؤلفه النقد الكتابي لشنودة الثالث، كل هذه المؤلفات بجملتها ضعفت وتلاشت أمام قول الحق عندما عمد الأستاذ علي الريس إلى مناقشتها وإبطالها من واقع مؤلفاتهم اللاهوتية والكنسية، والأكاديمية، ومن واقع سرده لجملة من هؤلاء الآباء المسيحيين الاوائل ومقالاتهم، والنقد الكنسي الموجه اليهم. والطعن فيهم، ينظر: كتاب: تحريف مخطوطات الكتاب المقدس، علي الريس، طباعة مكتبة النافذة.

ثم لننظر في هذا المحور إلى الأصل الرسولي الذي اعتمدتها الكنائس في مجمعها، وزينتها بأثواب القدسية. لننظر إلى الأناجيل الأربعة التي اعتمدتها الكنائس، من بعض الزوايا، فالأناجيل هي: (متى، ولوقا، ومرقس، ويوحنا):

أ) **إنجيل متى:**

افتتح العهد الجديد بإنجيل متى، و"يحتل إنجيل متى بين الأناجيل الأربعة المكانة الأولى في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد، وهي مكانة لها ما يبررها، فهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم بشكل ما، فقد كتب ليثبت ان المسيح (يكمل تاريخ إسرائيل)، يقول هذا المعلقون على الترجمة المسكونية"[١].

وإنجيل متى ينسب إلى القديس متى وهو احد تلامذة السيد المسيح، وكان يهوديا يعمل عشارا يجبي الضرائب للحاكم الروماني (كلوديوس)، آمن بالمسيح (عليه السلام)، واتبعه وترك وظيفته[٢]، وان كان النقاد يميلون إلى القول بأنه من تأليف احد أتباع متى وليس من أقوال العشار نفسه، وحتى أكثر العلماء يرجعون به إلى تلك الفترة البعيدة المحصورة بين (٧٥/٩٠م)[٣].

وقد اتفق جمهور النصارى على انه كتب الإنجيل بالعبرية أو السريانية، واختلفوا في تاريخ تدوينه، وكما اختلفوا في تاريخ ترجمته إلى

---

(١) دراسة الكتب المقدسة، موريس بوكاي، ص٧٩.

(٢) الكتاب المقدس في الميزان، الشيخ محمد علي، ص ٢٤٣.

(٣) قصة الحضارة، ول ديورانت، ١/ ٢٠٨.

اليونانية، كما لا يعرف من الذي ترجمه وكل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي[1].

وهذا "الاختلاف في كاتب الإنجيل، وتاريخ كتابته وضياع النسخة الأصلية التي كتبت باللغة الآرامية وعدم معرفة المترجم الذي ترجمه إلى اللغة اليونانية، وعدم معرفتنا بمقدار تضلعه باللغتين العبرية واليونانية، وانقطاع سند هذا الإنجيل كل ذلك يوجب ضعف هذا الإنجيل"[2].

وقد تزايد نقد هذا الإنجيل حول تحقيق نسب الإنجيل لمتى أو غيره، يقول صاحب كتاب انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح:" يقال لنا في هذا الإنجيل ان المسيح في بداية رسالته صادف (متى)، ذات يوم جالسا على باب دار الجباية، وقال له اتبعني، فقام وتبعه في الحال[3]، وانه بهذه الطريقة أصبح احد التلاميذ الاثنى عشر بطلب من المسيح شخصيا، وينسب إليه كتابه الإنجيل المسمى باسمه ولكن مرقس فيناقض آباء الكنيسة الأوائل، ويقول ان الذي كان جالسا على باب دار الجباية هو (لاوي بن حلفي)، وليس متى، وفيما هو مجتاز رأى لاوي بن حلفي جالسا عند مكان الجباية، فقال له اتبعني فقام وتبعه[4]. ويوافقه على ذلك لوقا من إنجيله[5] والغريب في الأمر ان اسم لاوي هذا يختفي بعد ذلك كليا

---

(١) محاضرات في النصرانية، ابو زهرة، ص ٤٨ وما بعدها

(٢) الكتاب المقدس في الميزان/ص٢٤٤.

(٣) ينظر: إنجيل متى، ٩-٩.

(٤) مرقس: ٢:١٤.

(٥) ينظر: لوقا، ٥:٢٧.

من إنجيل مرقس، وكذا من إنجيل لوقا، ويستبدل باسم (متى)، ولو طلبت من قسيس ان يفسر لك ذلك لقال ان متى كان له اسمين (متى ولاوي)، وهو بالطبع لا يملك دليلا على ذلك، والناقد البصير لا يسمي هذا جوابا، انما يسميه ترقيعا كما يسميه تحريفا في هذه الأناجيل"[١].

وإذا كان النقاد غير متيقنين من نسبة الإنجيل لمتى، فقد توسع النقد ودار حول اختفائه وظهور ترجمته "يجمع المؤرخون بان (التلميذ متى)، كتب إنجيله بالعبرانية، في بيت المقدس لليهود المسيحيين هناك ثم ما لبث ان اختفي إنجيل متى هذا اختفاء نهائيا مريبا! وظهرت مكانه ترجمة له باليونانية، بعد موت جميع التلاميذ، زعموا يومها انها ترجمة لإنجيل متى المفقود الذي كان مكتوبا بالعبرانية، ثم ترجمت تلك الترجمة إلى لغات شتى عبر القرون ويجمع كثير من النقاد الغربيين في عصرنا الحاضر بأنه لا يمكن ان تكون الترجمة التي بين أيدينا اليوم(المسماة إنجيل متى)، هي ترجمة إنجيل (متى التلميذ الحقيقي) لذا نجدهم في الترجمات الأجنبية يكونون حذرين، فلا يقولون إنجيل متى، بل يقولون الإنجيل حسب ما دونه متى"[٢].

محتويات إنجيل متى:

يتضمن إنجيل متى بحسب ما جاء في طبعة الكتاب المقدس العهد الجديد[٣]:

---

(١) انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، ص١٤٦.

(٢)انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح ، ١٤٧-١٤٩.

(٣) ينظر: العهد الجديد، مقدمة إنجيل متى، ص٣.

١) نسب يسوع وميلاده: (١:١ إلى ٢:٢٣).
٢) رسالة يوحنا المعمدان: (١:٣-١٢).
٣) معمودية يسوع وتجربته على يد إبليس: (٣: ١٣ إلى ٤: ١١).
٤) رسالة يسوع في الجليل: (٤: ١٢ إلى ١٨: ٣٥).
٥) الصعود إلى الجبل إلى أورشليم: (١٩: ١ إلى ٢٠: ٣٤).
٦) الأسبوع الأخير في أورشليم وجوارها(٢١: ١ إلى ٢٧: ٦٦).
٧) القيامة وظهور الرب (٢٨: ١-٢٠).

ب) إنجيل مرقس:

يعد إنجيل مرقس من اقصر الأناجيل، وهو أيضا أقدمها، ولكنه ليس كتاب احد الحواريين، بل هو على أكثر تقدير هو كتاب حرره تلميذ لأحد الحواريين، ويرى ان هناك كثيرا من تراكيب الجمل تدعم الفرض القائل ان مؤلف هذا الإنجيل يهودي الأصل، ولكن وجود المناحي اللغوية اللاتينية قد يوحي بأنه قد كتب إنجيله في روما[(١)]، ويقول المؤرخون: إن اسمه يوحنا، ويلقب بمرقس، ولم يكن من الحواريين الاثنى عشر الذين تتلمذوا على المسيح وأصله من اليهود، وكانت أسرته باورشليم في وقت ظهور المسيح عليه السلام، وهو من أوائل الذين أجابوا دعوته فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس (في اعتقادهم)، من بعد رفعه، وألهموا التبشير بالمسيحية كما ألهموا مبادئها[(٢)]، يقول الإمام القرافي

(١) ينظر: الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، بوكاي، ص٨٤.
(٢) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٢.

(رحمه الله):"ان مرقس من السبعين، وبشر بإنجيله باللغة الفرنجية لمدينة روما[١]، وهذا القول يدعم ما ذهب إليه بوكاي.

ومن العيوب التي يذكرها العلماء حول إنجيل مرقس أن أصحابه حرروه دون أي اهتمام بالتعاقب الزمني للأحداث، فهذا الإنجيل يقع في بداية روايته الإصحاح (١: من ١٦-٢٠) حكاية الصيادين الأربعة الذين يدعوهم المسيح بأن يتبعوه قائلاً لهم ببساطة: (ستصيرون صيادي الناس) على حين أنهم لا يعرفونه ويضاف إلى ذلك إن هذا المبشر يبرز افتقاراً كاملاً للمعقولية[٢].

وهناك عيوب عدة في هذا الإنجيل وقف عليها المحققون، ذكر الأستاذ احمد عبد الوهاب نحوا منها: "يثير هذا الإنجيل كغيره من الأناجيل عددا من المشاكل من أخطرها ولا شك مشكلة الاختلافات التي تظهر في النسخ المختلفة للإنجيل الواحد، وذلك بالإضافة إلى اختلافه مع غيره من الأناجيل، وثمة مشكلة أخرى هامة، الا وهي خاتمة الإنجيل ذلك ان نهاية هذا الإنجيل كغيره من الأناجيل غير متفق عليها في النسخ المختلفة، إذ ان الإصحاح السادس عشر- هو الأخير- من إنجيل مرقس يحتوي على (٢٠) عددا، لكن الأعداد من (١٩) إلى رقم (٢٠)، وهي

(١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، القرافي، ص٤٢.

(٢) ينظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ٤٣ وما بعدها، والكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، بوكاي ص٨٦.

آخر الإنجيل تعتبر في نظر بعض المراجع الهامة مثل النسخة القياسية المراجعة من العهد الجديد، كأنها فقرات غير موثوق منها"[١].

محتويات إنجيل مرقس:

يتضمن إنجيل مرقس بحسب ما جاء في طبعة الكتاب المقدس العهد الجديد[٢]:

١) بدء بشارة يسوع المسيح ابن الله تعالى الله عما يقولون (١: ١-١٣).
٢) رسالة يسوع في الجليل (١: ١٤ إلى ٩: ٥٠).
٣) من الجليل إلى أورشليم (١٠: ١-٥٢).
٤) الأسبوع الأخير في أورشليم وجوارها (١١: ١ إلى ١٥:٤٧).
٥) قيامة المسيح (١٦: ١-٨).
٦) ظهور الرب يسوع وصعوده إلى السماء (١٦: ٩-٢٠).

ت)إنجيل لوقا:

لم يحسم الباحثون أمرهم في شان لوقا، وانهم ليسوا على علم يقين بمولد وحياة كاتب هذا الإنجيل، فمنهم من قال: أنه أنطاكي ولد بإنطاكية، ومنهم قال: أنه روماني ولد في إيطاليا، ومنهم قال: أنه طبيباً، ومنهم من قال: إنه كان مصوراً وكلهم يتفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حواريه، كما اختلفوا في القوم الذين كتبوا لهم وفي تاريخ تأليفه، وقد كتب باليونانية[٣].

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مهندس احمد عبد الوهاب، ص٥٥.
(٢) ينظر: العهد الجديد، مقدمة إنجيل مرقس، ص ٥٤.
(٣) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٥.

ويذكر بوكاي بأنه: "يمكن تقدير تاريخ إنجيل لوقا بالنظر إلى عوامل عدة، فقد استعان لوقا بإنجيلي مرقس ومتى، وكما تقول الترجمة المسكونية، فيبدو انه عايش حصار القدس وتدميرها تحت جيوش تيتس عام (٧٠م)، وعلى ذلك يكون هذا الإنجيل لاحقا على ذلك التاريخ، ويحدد النقاد الحاليون غالبا تاريخ تحريره بما بين (٨٠-٩٠م)، ولكن هناك معلقين آخرين ينسبونه إلى تاريخ أكثر قدما"(١).

ويستطيع ان يلمح القارئ هذا الإنجيل على حد تعبير بوكاي" ان إنجيل لوقا عمل أدبي، لا يجادل، كتب بلغة يونانية كلاسيكية راقية، تخلو من حوشي الكلام، لوقا أديب وثني امن بالمسيحية، واتجاهه بالنسب إلى اليهود يتضح مباشرة فان لوقا يحذف من روايته أكثر الآيات اليهودية عند مرقس ويبرز كلمات المسيح في مواجهة كفر اليهود، وعلاقته الطيبة مع السامريين الذين يمقتهم اليهود، هذا على حين يقول متى في إنجيله ان المسيح طلب إلى حوارييه ان يجتنبوا السامريينوذلك مثال جلي بين أمثلة كثيرة على ان المبشرين يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية فهم يعطوننا ان أقوال المسيح الرواية التي تتكيف مع وجهات نظر الطوائف التي ينتمون إليها. كيف يمكن إذن أمام أمور جلية كهذه إنكار ان الأناجيل ليست كتابات خصامية او ظرفية كما قيل أعلاه، ان المقارنة بين المنحى العام لإنجيل متى وإنجيل لوقا يأتي ببرهان قاطع في هذا الشأن"(٢).

---

(١) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، بوكاي، ص٨٨.

(٢) الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، بوكاي ، ص٧٨ وما بعدها.

محتويات إنجيل لوقا:

يتضمن إنجيل لوقا حسب ما جاء في طبعة الكتاب المقدس العهد الجديد[١]:

١) تقديم لوقا (١:١-٤).

٢) مولد يوحنا المعمدان وميلاد يسوع وطفولتهما (١: ٥ إلى ٢: ٥٢).

٣) يوحنا يمهد الطريق ليسوع (٣: ١-٢٠).

٤) معمودية يسوع وتجربته (٣: ٢١ إلى ٤: ١٣).

٥) يسوع يبشر في الجليل (٤: ١٤ إلى ٩: ٥٠).

٦) من الجليل إلى أورشليم (٩:٥١ إلى ١٩:٢٧).

٧) الأسبوع الأخير في أورشليم وجوارها (١٩: ٢٨ إلى ٢٣: ٥٦).

ج) قيامة الرب يسوع وظهوره وصعوده (٢٤: ١-٥٣).

إنجيل يوحنا:

يقول جمهور النصارى إن كاتب الإنجيل هو(يوحنا الحواري ابن زبدي الصياد)، الذي كان يحبه المسيح (عليه السلام)، حتى أنه استودعه والدته وهو فوق الصليب على زعمهم وقد نفي ايام الاضطهاد الأولى، ثم عاد إلى افسس، ولبث يبشر فيها حتى توفي شيخا هرما[٢].

---

(١) ينظر: العهد الجديد، مقدمة إنجيل لوقا، ص٨٧.

(٢) ينظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص٤٦.

"يرى العلماء ان إنجيل يوحنا يعتبر تقديما دراميا لحياة يسوع، ورسالته، وموته، وتمجيده، وانه كتب بغرض التعليم والعبادة في الكنائس، وكذلك للتبشير والدعاية خارج الكنيسة، وهو يختص بموضوعات كانت موضع جدل في العالم المسيحي الاممي (من غير اليهود)، في نهاية القرن الأول او بداية القرن الثاني"(١)

ويعد هذا الإنجيل أكثر خطرا من غيرهلأنه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكرا صريحا، لإلوهية المسيح، فهذه الإلوهية تعد هي نص إثباتها وركن الاستدلال فيها، ولذلك كان لابد من العناية به، إذ كان التثليث هو شعار المسيحية، وهو مخالفتها لديانات التوحيد، وأساس التبيان بين هذه الديانة وتلك الديانات(٢).

ولعل هناك أسباب جوهرية قادت إلى تدوين هذا الإنجيل، وقد نقل أبو زهرة عن مصادر مسيحية معتبرة في ذلك منها "لقد قالوا انه كتب لغرض خاص، وهو ان بعض الناس قد سادت عندهم فكرة ان المسيح إلها، وان كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة، فطلب إلى يوحنا ان يكتب إنجيلا يتضمن بيان هذه الإلوهية، فكتب هذا الإنجيل، وقد قاله (جرجس زوين اللبناني)، فيما ترجمته: ان (شيرينطوس وابيسون)، وجماعتهما، لما كانوا يعلّمون المسيحية بان المسيح ليس إنسانا، وانه لم يكن قبل أمه مريم، لذلك اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا، سنة (٩٦م)، والتمسوا منه ان يكتب عن المسيح، وينادي بإنجيل مما لم

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مهندس احمد عبد الوهاب، ص٦٩.

(٢) محاضرات في النصرانية، ابو زهرة، ص٤٦.

يكتبه الإنجيليون الآخرون، وان يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح، قال (يوسف الدبس الخوري)، في مقدمة تفسيره (من تحفة الجبل): ان يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب أساقفة كنائس آسيا وغيرها، والسبب انه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته، وذكر ما أهمله متى، ومرقس، ولوقا في أناجيلهم يستفاد أيضا ان كتاب النصارى يجمعون او يكادون على ان الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات إلوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها لعدم وجودها في الأناجيل الثلاثة وان الأساقفة اعتنقوا إلوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها، ويصرح بها ولما أرادوا ان يحتجوا على خصومهم، ويدفعوا هرطقتهم في زعمهم لم يجدوا مناصا من ان يلتمسوا دليلا ناطقا بثبت ذلك فاتجهوا إلى يوحنا"[١].

محتويات إنجيل يوحنا:

يتضمن إنجيل يوحنا حسب ما جاء في طبعة الكتاب المقدس العهد الجديد[٢]:

١) مقدمة (١: ١-١٨).

٢) يوحنا المعمدان وتلميذ يسوع الأول (١: ١٩-٥١).

٣) يسوع يبدأ عمله (٢: ١ إلى ١٢: ٥٠).

٤) الأيام الأخيرة في أورشليم وجوارها (١٣: ١ إلى ١٩: ٤٢).

٥) قيامة الرب يسوع وظهوره (٢٠: ١-١٣).

---

(١) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ٤٨-٥٠.

(٢) ينظر: العهد الجديد، مقدمة إنجيل يوحنا، ص١٣٩.

٦) خاتمة: الظهور الثاني في الجليل (٢١: ١-٢٥).

المطلب الثاني: الإمام القرافي وجهوده في دراسة الأناجيل المسيحية ونقدها:

تقدم الحديث عن الإمام القرافي، في مؤلفه (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على اليهود والنصارى)، الذي يعد من نفائس الكتب في علم الأديان، وقد عرضنا أبواب الكتاب وما اشتملت عليه من مباحث في الرد على شبهات أهل الكتاب، وقد حقق القرافي (رحمه الله)، منهجا نقديا قيما، إذا ما قورن بالمناهج النقدية الأخرى. وسنقف في هذا المطلب على بيان جهوده، في دراسة أناجيل النصارى ونقدها.

لقد ناقش القرافي في الباب الأول من كتابه الأجوبة الفاخرة، أناجيل النصارى الأربعة المعتمدة عندهم، وفي سياق الرد على شبهتهم التي قالوا فيها: "ان القران دل على تعظيم الحواريين، والإنجيل وانه غير مبدل لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1][2].

وعند استقرائنا لجهود القرافي في دراسة الأناجيل ونقدها، فإننا نجده قد سلك طرق عدة، ومن ذلك:

---

(١) سورة المائدة، من الآية (٤٨).

(٢) الأجوبة الفاخرة، ص٣٨ وما بعدها.

١) المنهج الوصفي: وذلك عرضه للأناجيل عرضا إجماليا.

٢) المنهج التحليلي النقدي: ويتحقق ذلك في النظر إلى ذات النصوص وسندها.

٣) المنهج المقارن: إثبات التناقض بين نصوص الأناجيل.

١) المنهج الوصفي:

عرض القرافي الأناجيل المسيحية عرضا إجماليا، فيقول القرافي: ان الأناجيل خمسة، يعرف النصارى منها أربعة مشهورة، والخامس لا يعرفه إلا القليل منهم. فالأربعة:

الأول: إنجيل متى، وهو من الحواريين الاثنى عشر، وبشر بإنجيله باللغة السريانية بأرض فلسطين، بعد عود المسيح(عليه السلام)، إلى السماء بثمان سنين، وعدد إصحاحاته ثمانية وستون إصحاحا(١).

الثاني: إنجيل مرقس، وهو من السبعين وبشر بإنجيله باللغة الفرنجية لمدينة رومية، بعد صعود المسيح (عليه السلام)، باثني عشر عاما وعدد إصحاحاته ثمانية وأربعون إصحاحا.

الثالث: إنجيل لوقا، وهو من السبعين وبشر بإنجيله بالإسكندرية باللغة اليونانية وعدد إصحاحاته ثمانون إصحاحا.

---

(١) ذكر القرافي (رحمه الله) عدد إصحاحات الأناجيل الأربعة التي كانت متداولة في عصره، اما التي عندنا اليوم فهي غير الأعداد التي ذكرها القرافي، ذلك يثبت ان التغيير مستمر منذ عصر القرافي الذي هو القرن السابع الميلادي إلى يومنا هذا.

الرابع: إنجيل متى، وهو من الاثنى عشر، بشر بإنجيله في مدينة افسس من بلاد رومية بعد صعود المسيح(عليه السلام)، بثلاثين سنة، وعدد إصحاحاته في النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون إصحاحا.

الخامس: يسمى إنجيل الصبوة، ذكر فيه الأشياء التي صدرت عن المسيح في حال طفولته ينسب لبطرس عن مريم، وفيه زيادة ونقصان، وقد ترك كثيرا من أعلام المسيح (عليه السلام)، ومشاهير معجزاته، ويذكر فيه قدوم المسيح (عليه السلام)، وأمه ويوسف النجار إلى صعيد مصر، ثم عودته إلى ناصرة قرية عند بيت المقدس واليها ينسب النصارى(١).

٢) المنهج التحليلي النقدي:

حقق القرافي منهج التحليل ومنهج النقد، وذلك في دراسته لذات النصوص الإنجيلية وسندها:

أ) نقد السند:

عد الإمام القرافي النصوص الإنجيلية بجملتها نصوصا غير موثوق بها، وانها في غاية الوهن والضعف، وسقم الحفظ والراوية والسند، بحيث لا يوثق بشيء منها، وان أكثرها من أقوال الرواة وأقاصيصهم ثم ان لوقا ومرقس ليس من الحواريين بل نقلا عن غيرهما عن المسيح (عليه السلام)، فهما نقلا كلام غير المسيح(عليه السلام)، والحجة انما هي في كلامه، فلا حجة في هذين الإنجيلين البتة، وقد قال لوقا في صدر إنجيله:

(١) ينظر: الأجوبة الفاخرة، ٤١ . ٤٣.

"إن أناسا رامو ترتيب الأمور التي نحن بها عارفون، كما عهد إلينا، أولئك الصفوة الذين كانوا خداماً للكلمة فرأيت أنا إذ كنت تابعاً أن أكتب إليك أيها الأخ العزيز تأويلاً تعرف بها حقائق الأمور الذي وعظت به"(١)، فقد اعترف لوقا بأنه لم يلق المسيح عليه السلام ولا خدمه، وإنما كتابه تأويلات جمعها مما وعظ به خدام الكلمة(٢).

ثم الذي ينقلونه عن عيسى(عليه السلام)، من لفظه وهو القليل، لا يلزم ان يكون منزلا من عند الله تعالى، لان المسيح كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضى الطباع البشرية، وغير ذلك، فهذا كله ليس من عند الله(٣).

ب) نقد المتن:

يذكر القرافي: ان الذين نقلوه أفسدوه بما الحقوا فيه من حكايات، وأمور غير مسموعة من المسيح(عليه السلام)، ولا من أصحابه، مثل حكاية صورة الصلب، والقتل، وتغير لون القمر وانشقاق الهيكل، وهذه الأمور إنما جرت في زعمهم بعد المسيح(عليه السلام)، بسبب قتله، فكيف تُجعل من الإنجيل الحق، إنما هو الذي نطق به المسيح (عليه السلام). وإذا كان كذلك فانخرمت الثقة بهذا الإنجيل، لاسيما وهي أربعة والمنزل واحد، وهذه الأربعة أمليت في أقطار الأرض المتباعدة بلغات مختلفة

---

(١) لوقا ١: ١-٤.

(٢) الأجوبة الفاخرة /٤٤، ٤٥.

(٣) الاجوبة الفاخرة، ص٥١ وما بعدها.

وأقلام متباينة مع ان كل واحد منه ذكر من الأقاصيص والحكايات ما لم يذكره الآخر(١).

٣)المنهج المقارن النقدي في إثبات التناقض بين الأناجيل:

وبعد ان عرض الإمام القرافي الأناجيل عرضا إجماليا، وكذا نقد سندها ومتنها، عمد إلى مقابلة النصوص الإنجيلية، وفق المنهج المقارن لبيان اختلافاتها، خلص إلى نتائج علمية تبين فيها تهافت الأناجيل، وبطلانها، وقد سمى القرافي ذلك بالتناقضات. ولنأخذ نماذج عملية نجلي فيها منهج الإمام:

نماذج عملية من منهج الامام في إثبات تناقض الأناجيل:

أ) التناقض الأول:

قال يوحنا: من يوسف خطيب مريم(عليها السلام)، وهو المسمى النجار، إلى إبراهيم(عليه السلام)، اثنان وأربعون ولادة.

قال لوقا: أربع وخمسون(٢).

ب) التناقض الثاني:

قال لوقا: قال جبريل الملك لمريم بناصرة: انك ستلدين ولدا اسمه يسوع يجلس الرب على كرسي أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب.وكذبه يوحنا وغيره، فقال: بل حمل يسوع هذا الذي وعده الله بالملك إلى القائد (بيلاطس)، وقد البسه شهرة الثياب، وتّوجه بتاج الشوك، وصفعوه وسخروا منه، ففاوضه (بيلاطس)، فلم يتكلم، فقال له: اما تعلم ان لي عليك

(١)الاجوبة الفاخرة، ص٤٤.

(٢) ينظر: الاجوبة الفاخرة، ص ٤٥.

سلطانا، ان شئت صلبتك، وان شئت أطلقتك، فأجابه يسوع: لولا انك أعطيت ذلك من السماء لم يكن لك عليّ سلطان، ومن اجل ذلك خطيتي التي أسلمتني إليك عظيمة، وصلبه بعد ذلك.

نقد القرافي للنصوص:

ويعلق القرافي على النصوص المتقدمة بالقول: وهو تناقض فاحش، أحدهما: يجعل يسوع (عليه السلام) ملكاً عظيماً لبني إسرائيل، والآخر يصفه بصفة الذل والمهانة، ثم إن هذا الملك لم يتفق قط على رأيهم فلأنه صلب وهو في نهاية الخمول -وأما على رأينا- فلان الله تعالى رفعه من غير ملك ولا مهانة، فهذا لا أصل له، ثم أن محاورة تجري بين جبار وعيسى (عليه السلام) أي شيء أدخلها في الإنجيل المنزل من السماء؟ بل نقطع بأن هذا غير منزل(١).

ت) التناقض الثالث:

قال لوقا: لما نزل بيسوع (عليه السلام)، الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه، وكان يصلي متوترا وصار عرقه كعبيط الدم(٢). ولم تذكر الأناجيل الثلاثة الأخرى.

نقد القرافي النص:

وإذا تركوا ذلك لم يُؤمَن أن يتركوا ما هو أهم من الفرائض والأحكام، وإن كان الترك صحيحا فتكون الزيادة كذبا في النسخ الأخرى، وهذا هو التحريف والتبديل، مع إن نقل لوقا يقتضي رفع المسيح (عليه السلام)،

---

(١) الأجوبة الفاخرة، ص٤٥ وما بعدها.

(٢) لوقا ٢٢: ٤٣- ٤٥.

إلـى السماء لأن الملك لا تغلبـه اليهود، وما نـزل إلا للعصمة مـن الأذى والرفع هذا ظاهر الحال، وهو مبطل معتقد النصارى في الصلب. ثم تقوية الملك إن كانت للاهوت المتحد بالناسوت فمحال؛ لأن الله تعالى لا يحتاج إلـى تقويـة بغيره وإن كان لناسوت فحينئذ هو غير اللاهوت، فما حصل الاتحاد الذي يقولونه[١].

ويعد هذا من الأدلة القويـة التي استخدمها القرافـي فـي منهجه لـرد عقيدة الاتحاد والحلول.

ث) التناقض الرابع:

قال يوحنا: إن أول آية أظهرها المسيح(عليه السلام)، تحويل الماء خمرا[٢].

نقد القرافي:

فيقول: لم يذكر الثلاثة، وإذا غفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين، وإن كانت لم تتضح عندهم، فكيف ينقل دين عن شخص واحد، وهو يوحنا، وشروط ثبوت الأديان التواتر[٣].

ج) التناقض الخامس:

قال متى: يوسف خطيب مريم عليه السلام، أسم أبيه يعقوب[٤].

---

(١) الأجوبة الفاخرة، ص ٤٦.

(٢) يوحنا ٤: ٤٦.

(٣) الأجوبة الفاخرة، ص ٤٧.

(٤) متى ١: ١٦.

وقال لوقا: قام يسوع ثلاثين سنة يظن أنه ابن يوسف ابن هال.

نقد القرافي لهذه النقول الإنجيلية:

فجعل أسم أبيه هال، والأول جعله يعقوب، وهو تكاذب، ثم إن قضية عيسى (عليه السلام)، في كونه ولد من غير أب كانت في غاية الشهرة عند بني إسرائيل حتى آذوا مريم (عليها السلام)، إيذاء عظيما برميها بالزنا، ووصلت القضية إلى أقطار الأرض، فكيف يخفى على عيسى (عليه السلام)، ذلك ثلاثين سنة[1].

ح)التناقض السادس:

قال يوحنا: لما مضى المسيح(عليه السلام)، ليوحنا المعمداني، ليتعمد منه، قال له المعمداني حين رآه: هذا خروف الله الذي يحمل خطايا العالم، وهو الذي قلت له لكم انه يأتي به من بعدي، وانه أقوى مني.

وقال متى: لما رآه المعمداني قال: إني المحتاج إلى أن أنصبغ على يديك فكيف جئتني تنصبغ على يدي وأرسل إليه بعد ذلك: أأنت الآتي أو ننظر غيرك؟[2].

ومرقس: لم يقل شيئا من ذلك. فاختلف الثلاثة: بجزم الأول، وجعله الثاني غير عالم حتى يسأله، وسكت الثالث بالكلية[3].

---

(١) الأجوبة الفاخرة، ص٤٧وما بعدها.

(٢) متى ٣: ١٣ – ١٥.

(٣) الأجوبة الفاخرة، ص ٤٧.

خ) التناقض السابع:

قال متى: صلب مع المسيح عليه السلام لصان عن يمينه وعن شماله، كانا يهزءان به جميعاً ويعيرانه[1].

وقال لوقا: نما هزأ به أحدهما، وكان الآخر يقول لصاحبه: أما تتقي الله تعالى، أما نحن فبالعدل جوزينا، اما هذا فلم يعمل قبيحاً، ثم قال للمسيح أذكرني في ملكوتك، قال حقا انك تكون معي اليوم في الفردوس[2].

نقد القرافي:

ويعلق القرافي على هذا التناقض، فيقول: فكذب قول متى إنهما يهزءان به، وأغفل عن هذه القضية مرقس ويوحنا، ومن المحال أن يحدث مثل هذا ولا يشيع في ذلك الوقت، فإن كان صحيحاً فلم تركاه؟ أو كذباً فلم اختلفه الآخر؟[3].

د) التناقض الثامن:

قال متى: أن مريم (عليها السلام)، خادمة المسيح (عليه السلام)، جاءت لزيارة قبره عشية السبت ومعها امرأة أخرى، وإذا ملك قد نزل من السماء وقال: لا بأس عليكما، قولا لإخواني ينطلقون إلى الجليل[4].

---

(١) متى ٢٧: ٣٨ – ٣٩.

(٢) لوقا ٢٣: ٣٩ – ٤٣.

(٣) الأجوبة الفاخرة، ص ٤٨.

(٤) متى ٢٨: ١ – ١٠.

وقال يوحنا: جاءت وحدها يوم السبت بخلس فرأت الصخرة قد رفعت عن القبر فأسرعت إلى شمعون وتلميذ أخر فأخبرتهما أن المسيح (عليه السلام) قد أخذ من المقبرة ولا أدري أين دفن؟. فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية القبر فبينما هي كذلك التفتت فرأت المسيح (عليه السلام) قائماً فلم تعرفه وحسبته حارس البستان، فكلمها فعرفته وقال لها إني لم أصعد بعد ذهبي إلى أخواني فقولي: (إني منطلق إلى أبي وأبيكم والهي ٠٠٠٠٠٠٠)[١].

نقد القرافي للنصوص الإنجيليةّ:

فيقول: فأحدهما يقول أن الملك هو الذي أمنها والآخر هو المسيح (عليه السلام).

وأحدهما يقول: عشية السبت والآخر يقول يوم الأحد.

وأحدهما يحكي عن مريم وحدها، والآخر عنها مع غيرها. ويجعل النصارى هذا الكلام مع اضطرابه أصلاً لاعتقادهم، ويقولون: قد قال: "إني منطلق إلى أبي"، ويغفلون عن قوله: "وأبيكم"، ويقبلون في أصل دينهم قول امرأة واحدة مع أن هذا الكلام لو وجد في كلام المغفلين لم يقبل وأستهجن، ولا يظهر في مرآة عقلهم كيف يعبدون من وُلِدَ في رطوبات الأرحام ودمائها، ونشأ في ضعف الطفولة ولوائها، تعتروه الأمراض والأسقام والأفكار والآلام والحاجة إلى الشراب والطعام والمنام، ثم يصفح على زعمهم ويصلب ويهان ويبكى عليه ويندب بالثكلان،

---

(١) يوحنا ٢٠: ١ – ١٠.

ويلتبس على من رآه بناطور البستان، فلو أن اليهود بالغوا في الهزء والسخرية بالنصارى ما قدروا أن يقولوا أكثر من هذا الهذيان[١].

ذ) التناقض التاسع:

صعود المسيح (عليه السلام) إلى السماء أغفله(يوحنا ومتى) وهما من الحواريين الاثنا عشر، ذكره لوقا ومرقس وهما ليس من الحواريين واختلفا، فقال مرقس: إن سيدنا يسوع لما قام كلم تلاميذه تكليماً ثم صعد من يومه[٢].

وخالفه لوقا فقال: إنما صعد بعد قيامه بأربعين يوماً[٣]، مع أن الصعود أمر عظيم لا ينبغي أن يخفى على التلاميذ ويعلمه غيرهم[٤].

ر) التناقض العاشر:

قال متى: قال المسيح (عليه السلام)، للتلاميذ الإثنا عشر: أنتم الذين تكونون في الزمن الأتي جلوساً على اثنا عشر كرسياً تدينون اثني عشر سبطاً من بني إسرائيل[٥].فشهد للكل بالفوز والزعامة. ثم نقض ذلك متى بنفسه، فقال: "مضى أحد التلاميذ الإثنا عشر وهو يهوذا صاحب صندوق

---

(١) الأجوبة الفاخرة، ص٤٩.

(٢) مرقس ١٦: ١٩-٢٠.

(٣) اعمال الرسل:١: ١ - ٤

(٤) الأجوبة الفاخرة، ص٥٠.

(٥) متى ١٩: ٢٨ -٣٠.

الصدقة فارتشى على يسوع ثلاثين درهما وجاء بالشرطة فقال له يسوع: الويل لك خير لك أن لا تولد"[1][2].

مما تقدم فقد تبين منهج القرافي في إثبات تناقض النصوص الإنجيلية، وقد ترك إلى كل ذي لب النظر إلى تلك المقارنات التي أدت إلى انخرام الثقة بالأناجيل.

المطلب الثالث: الشيخ رحمت الله الهندي[3] وجهوده في دراسة الأناجيل المسيحية ونقدها:

---

(١) متى ٢٦: ٤٧.

(٢) الأجوبة الفاخرة، ص٥٠ وما بعدها.

(٣) هو رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي، ولد في بلدة كيرانة من توابع الهند العاصمة، في عام (١٢٣٣هـ /١٨١٨م)، في عائلة اشتهر أفرادها في تلك المقاطعة أمراء ورؤساء وحكام وعلماء وأطباء، كما ينتهي نسبة للخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، واليه ينسب، وكان أول من قدم إلى الهند من آل سيدنا عثمان، هو الشيخ عبد الرحمن الكاذروني الجد الأعلى لرحمت الله، إذ كان قاضيا شرعيا لجيوش المجاهد المصلح مسعود غازي في عهد السلطان محمود الغزنوي، وقد استقر ببلدة (باني بت)، متفرغا للعلم والعبادة والدعوة إلى الله تعالى، ثم انتقلت أسرته إلى كيرانة. نشا رحمت الله في ظل أسرة توفرت لها أسباب الإمكانات المادية والعلمية إلى أهله لان يطلب العلم من مظانه ويرتقي في سلم المعرفة حسب النظام المتبع في ذلك العهد. فبدا بحفظ القران الكريم والمبادئ من الكتب المتداولة في بلدته كيرانته، على يد كبار إفراد أسرته المشهورين بالعلم والفضل ثم شد رحاله إلى دلهي عاصمة العلوم والفنون ثم التحق ببلدة(لكنو)، فاخذ عن عدة علماء أفاضل بها وتخصص في آداب الفارسية وعلوم الطب، كما درس العلوم الرياضية والهندسية، فجمع بذلك العلوم الشرعية والمدنية، مما أهله لاستخلاص منهج جديد في النظر والفهم سلكه في محاوراته، وأسس فقه كتاباته(المناظرة الكبرى) التي وقعت بينه وبين=

بلغ الشيخ رحمت الله الهندي في كتابه إظهار الحق، مبلغا عاليا في الجهد، في دراسة الكتاب المقدس ونقده. وقد اتخذ الشيخ طرقا عدة في مناقشة نصوص الكتاب المقدس بعهديه (العتيق والجديد):

١) منهجه في تقسيم دراسته للكتاب المقدس:

قسم الشيخ رحمت الله الهندي موضوعات دراسته للكتاب المقدس على بابين:

فأما الباب الأول: فكان: (في بيان كتب العهد العتيق والجديد)، وهو مشتمل على أربعة فصول، وهي:

الفصل الأول: بيان أسمائها وتعدادها.

الفصل الثاني: افتقار أهل الكتاب للسند المتصل.

الفصل الثالث: الاختلاف والأغلاط في هذه الكتب.

الفصل الرابع: استبعاد إلهامية كتب العهد العتيق والجديد.

وأما الباب الثاني فكان بعنوان: في إثبات التحريف وقسمه على ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول: التحريف اللفظي بالتبديل.

المقصد الثاني: التحريف بالزيادة.

المقصد الثالث: التحريف بالنقصان.

ثم ختمها بذكر أمور يزول بها استبعاد وقوع التحريف.

=القسيس فندر، صدر عنها كتاب اظهار الحق، ينظر: دراسة العقائد النصرانية، محمد لافي، ص١١٣ وما بعدها.

٢) منهجه في عرض الكتاب المقدس:

عرض الشيخ رحمت الله في الفصل الأول من الباب الأول من كتابه إظهار الحق، أسماء، وأقسام الكتاب المقدس، كمنهج وصفي لمذاهب القوم، وبيانه:

أ) ذكر أسماء وأقسام الكتب التي يضمها الكتاب المقدس، وكما هي عند أصحابها، يقول الشيخ: انهم يقسمون هذه الكتب إلى قسمين، قسم منها يدّعون انه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى(عليه السلام)، وقسم منها يدعون انه كتب بالإلهام بعد عيسى(عليه السلام)، ومجموع الكتب من القسم الأول يسمى بالعهد العتيق، ومن القسم الثاني يسمى بالعهد الجديد، ومجموع العهدين يسمى (بيبل)، وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب، ثم ينقسم كل من العهدين إلى قسمين، قسم اتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحيين، وقسم اختلفوا فيه. اما القسم الأول من العهد العتيق فثمانية وثلاثون كتابا، سفر التكوين، سفر الخروج، سفر الاحبار، سفر العدد، سفر الاستثناء، ومجموع هذه الكتب الخمسة يسمى بالتوراة كتاب يوشع بن نون، كتاب القضاة، كتاب راعوث إلى كتاب ملاخيا، وعدد الكتب ثمانية وثلاثون، كانت مسلمة عند جمهور المسيحيين، والسامريين لا يسلمون الا سبعة كتب، الكتب الخمسة المنسوبة لموسى، وكتاب يوشع، وكتاب القضاة وما القسم الثاني من

العهد العتيق فتسعة كتب، كتاب استير، كتاب باروخ إلى كتاب المقابيين الثاني(١).

ب) ويتضمن العهد الجديد قسمين:

اما القسم الأول من العهد الجديد: فعشرون كتابا:

١)إنجيل متى. ٢) إنجيل مرقس. ٣) إنجيل لوقا. ٤) إنجيل يوحنا. ولفظ الإنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة، وقد يطلق مجازا على مجموع كتب العهد الجديد، وهذا اللفظ معرب كان في الأصل اليوناني (انكليون)، اي البشارة والتعليم. ٥) كتاب اعمال الحواريين. ٦) رسالة بولص إلى اهل رومية إلى الرسالة العشرين رسالة يوحنا الاولى.

وأما القسم الثاني من العهد الجديد، فسبعة كتب ١) رسالة بولس إلى العبرانيين. ٢) الرسالة الثانية لبطرس إلى الرسالة السابعة مشاهدات يوحنا(٢).

٣) نقده لسند الكتاب المقدس:

يقول الشيخ رحمت الله: ان أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لأي كتاب من كتب العهد العتيق والجديد وإذا كان الكتاب سماويا واجب التسليم لابد ان يثبت بدليل تام ان هذا الكتاب جاء بواسطة النبي الفلاني،

---

(١) إظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي، ٥٥/١.

(٢) ينظر: إظهار الحق، ٥٦/١.

ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، والإسناد إلى شخص ذي الهام بمجرد الظن والوهم، لا يكفي في إثباته انه من تصنيف لك الشخص ذي الإلهام[1] بمجرد الظن والوهم، وكذلك مجرد

ادعاء فرقة او فرق فلا يكفي[2].

وقد طالع الشيخ رحمت الله الأناجيل الأربعة ونصوصها، ووقف على أقوال علماء المسيحية، فأستنتج: ان إنجيل متى كان باللسان العبراني، وفُقد بسبب تحريف الفرق المسيحية، والموجود الآن ترجمته فحسب ولا يوجد عندهم إسناد لهذه الترجمة، ولم يعلم باليقين اسم المترجم إلى يومنا هذا فضلا عن جهالة أحوال المترجم، فهم يقولون رجما بالغيب لعل فلانا وفلانا ترجمه وكذا لا يثبت مثل هذا الظن استناد الكتاب إلى المصنف ولم يثبت بالسند الكامل ان الإنجيل المنسوب إلى يوحنا من تصنيفه، بل ان أمور تدل على خلافه[3].

---

(١) الالهام: القاء معنى في القلب بطريق الفيض، أي بدون كسب ونظر، ويكون بواسطة الملك، ويقلبه الوسواس وهو ما يحصل بواسطة النفس والشيطان والالهام الذي يلقيه الملك في النفس لا يكون سببا من اسباب العلم لعامة الخلق ولا يصلح للالزام على الغير ولا يكون الا في الخير قال تعالى:﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾سورة الشمس/٨، وقد يحصل الالهام لبعض الخلق خاصة ويحصل به العلم بالنسبة له لا لغيره ينظر: شرح النسفية، د. عبد الملك السعدي، ص٣٥.

(٢) اظهار الحق، ١/٧٤.

(٣) المصدر نفسه.

واما إنجيلي (مرقس ولوقا)، إضافة إلى افتقارهما للسند المتصل، فان مطاعن المحققين الغربيين قادت بعدم الاعتراف ببعض نصوصه[1].

٤) منهجه في إثبات الاختلاف والأغلاط في الأناجيل الأربعة:

بعد ان عرض الشيخ رحمت الله الهندي الكتاب المقدس ومحتوياته، وتقسيماته المعتبرة عند النصارى، فعندئذ حقق أسلوب العرض المنهجي مشفوعة بحجيتها طبقا للإيمان المسيحي، وهو في هذا وضع لبنات التأصيل الدراسي ليعمد بعدها إلى مناقشة سند الكتاب المقدس، ونقده. ثم نرى شيخنا بعد ذلك يناقش قضية الاختلافات والأغلاط في الأناجيل الأربعة، وفق المنهج الموضوعي النقدي والمقارن، وسنأخذ من النماذج ما نبرز به جهوده العلمية في إثبات أخطاء واختلاف الكتاب المقدس لدى القوم:

أولا: نماذج عملية في إثبات أغلاط واختلاف إنجيل متى؛ منها:

١) بيان خطأ الأناجيل في نسب المسيح(عليه السلام):

أ) النص الإنجيلي الأول:

عرض النص:

ذكر الشيخ رحمت الله: ان الآية السابعة عشر من الباب الأول من إنجيل متى هكذا ترجمته بالعربية(١٨٦٠م): "فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلا، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلا".

---

(١) للاطلاع على أقوال هؤلاء المحققين التي نقلها الشيخ رحمت الله، ينظر، ٧٤/١ وما بعدها.

نقد النص:

يقول الشيخ رحمت الله: ويعلم منها ان بيان نسب المسيح يشتمل على ثلاثة أقسام، وكل قسم منها مشتمل على أربعة أجيال، وهذا غلط صريح، لان القسم الأول يتم على داود، وإذا كان داود(عليه السلام)، داخلا في هذا القسم يكون خارجا من القسم الثاني لا محالة، ويبتدئ القسم الثاني لا محالة من سليمان ويتم على (يوخانيا)، وذا دخل في هذا القسم كان خارجا من القسم الثالث، ويبتدئ القسم الثالث (شلتائيل)، لا محالة ويتم على المسيح في هذا القسم لا يوجد إلا ثلاثة عشر جيلا، واعترض عليه سلفا وخلفا ولعلماء المسيحية اعتذارات باردة غير قابلة للالتفات(١).

ب) نص الإنجيلي الثاني:

عرض النص:

في الآية الثامنة من الباب الأول من إنجيل متى هكذا (يورام ولد عوزيا).

نقد النص:

ذكر الشيخ رحمت الله: وهذا غلط بوجهين: الأول: انه يعلم منه ان (عوزيا بن يورام)، وليس كذلك لأنه ابن (احزيا بن يزاش بن امصياه بن يورام)، وثلاثة أجيال ساقطة ههنا، وهؤلاء الثلاثة كانوا من السلاطين المشهورين وأحوالهم مذكورة في الباب الثامن، والثاني عشر والرابع عشر من سفر الملوك الثاني والباب الثاني والعشرين والرابع والعشرين، والخامس

---

(١) إظهار الحق، ١٣٣/١وما بعدها.

والعشرين من السفر الثاني من إخبار الأيام، ولا يعلم وجه وجيه لا سقاط هذه الأجيال سوى الغلط، لان المؤرخ إذا عيَّن زمانا، وقال ان الأجيال الكذائية مضت في مدة هذا الزمان وترك قصدا او سهوا بعض الأجيال فلا شك ان يسفه ويغلط. والثاني: ان اسمه (عزيا)، لا (عوزيا)، كما في الباب الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام والباب الرابع عشر والخامس عشر من سفر الملوك الثاني(١).

ج) النص الإنجيلي الثالث:

عرض النص:

في الآية الثالثة عشر من الباب الأول من إنجيل متى ان أبي هود (ابن زوربابل).

نقد النص:

يقول الشيخ رحمت الله: وهذا غلط أيضا لان (زور بابل)، كان له خمسة بنين كما هو مصرح في الآية التاسعة عشر من الباب الثالث من السفر الأول من إخبار الأيام، وليس فيهم احد مسمى بهذا الاسم. ثم يختم الشيخ القول: فهذه احد عشر غلط صدرت عن متى في بيان نسب المسيح فقط، وقد عرفت في القسم الأول منه هذا الفصل اختلافات في بيانه ببيان لوقا، فلو ضممنا الاختلافات بالأغلاط صارت سبعة عشر، ففي هذا البيان خدشة لسبعة عشر وجها(٢).

---

(١) المصدر نفسه، ١/ ١٣٥.

(٢) اظهار الحق، ١٣٦/١.

٢) **بيان خطا الأناجيل في قصة مجيء المجوس إلى أورشليم:**

أ) **النص الإنجيلي الأول:**

عرض النص:

كتب متى في الباب الثاني من إنجيله قصة مجيء المجوس إلى أورشليم برؤية نجم المسيح في المشرق، ودلالة النجم إياهم بان تقدمهم حتى جاء ووقف فوق الصبي.

نقد النص:

يقول الشيخ رحمت الله: وهذا غلط لان حركات السبع السيّارة، وكذا الحركة الصادقة لبعض ذوات الاذناب من المغرب إلى المشرق، والحركة لبعض ذوات الاذناب من المشرق إلى المغرب، فعلى هاتين الصورتين يظهر كذبها يقينا، لان بيت لحم من أورشليم إلى جانب الجنوب نعم دائرة حركة بعض ذوات الاذناب تميل من الشمال إلى الجنوب ميلا ما، لكن هذه الحركة بطيئة جدا من حركة الأرض التي هي مختار حكمائهم الان، فلا يمكن ان تحسر هذه الحركة إلا بعد مدة، وفي المسافة القليلة لا تحس بالقدر المعتمد به، بل مشي الإنسان يكون أسرع كثيرا من حركته، فلا مجال لهذا الاحتمال، ولأنه خلاف علم المناظر ان يرى وقوف الكوكب أولا، ثم يقف المتحرك، بل يقف المتحرك أولا ثم يرى فوقه(١).

---

(١) اظهار الحق ، ١/ ١٣٦.

ب) النص الإنجيلي الثاني:

عرض النص:

جاء في الآية السادسة عشر من الباب الثاني من إنجيل متى هكذا: "حينئذ لما رأى هيردوس ان المجوس سخروا به غضب جدا، فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم، وفي كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس"

نقد النص:

يقول الشيخ رحمت الله: وهذا أيضا غلط نقلا وعقلا، اما نقلا: فلأنه ما كتب احد من المؤرخين الذين يكونون معتبرين ولا يكونون مسيحيين هذه الحادثة، لا يوسفيس ولا غيره من علماء اليهود الذين كانوا يكتبون زمائم (هيردوس)، ويتصفحون عيوبه، وجرائمه. وهذه الحادثة ظلم عظيم وعيب جسيم، فلو وقعت لكتبوها على أشنع حالة، وان كتبها احد من المؤرخين المسيحيين، فلا اعتماد على تحريره، لأنه مقتبس من هذا الإنجيل. وأما عقلا فلأن بيت لحم كان بلد صغيرة لا كبيرة، وكانت قريبة من أورشليم لا بعيدة، وكانت في تسلط (هيردوس)، لا في تسلط غيره. فكان يقدر قدرة تامة على أسهل وجه ان يتحقق أمر المجوس وما كان محتاجا إلى قتل الأطفال المعصومين[1].

(١) اظهار الحق، ١/ ١٣٨ وما بعدها.

٣) بيان خطأ في ابن الإنسان:

أ) النص الإنجيلي الأول:

عرض النص:

في الباب السادس عشر من إنجيل متى هكذا" فان ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله. الحق أقول لكم ان من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته".

نقد النص:

يقول الشيخ رحمت الله: وهذا أيضا غلط لان كلا من القائمين هناك ذاقوا الموت، وصاروا عظاما بالية وترابا، ومضى في ذوقهم الموت أزيد من ألف وثمانمائة سنة. وما رأى احد منهم ابن الله آتيا في ملكوته في مجد أبيه مع الملائكة مجازيا كلا على حسب عمله[١].

ب) النص الإنجيلي الثاني:

عرض النص:

وفي الآية الثالثة والعشرين من الباب العاشر من إنجيل متى هكذا" ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فاني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان".

---

(١) اظهار الحق ، ١/ ١٤٣.

نقد النص:

يقول الشيخ رحمت الله: وهذا أيضا غلط لأنهم أكملوا مدن إسرائيل، وماتوا ومضوا على موتهم أزيد من ألف وثمانمائة سنة وما أتى ابن الإنسان في ملكوته[1].

ت) النص الإنجيلي الثالث:

عرض النص:

الآية الثامنة والعشرون من الباب التاسع عشر من إنجيل متى هكذا" فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم انتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون انتم أيضا على اثني عشر كرسيا".

نقد النص:

يقول الشيخ رحمت الله: فشهد ان عيسى للحواريين الاثنى عشر بالفوز والنجاة والجلوس على اثني عشر كرسيا، وهو غلط لان يهوذا الاسخربوطي الواحد من الاثنى عشر، قد ارتد ومات مرتدا جهنميا على زعمهم، فلا يمكن ان يجلس على الكرسي الثاني عشر[2].

ثانيا: نماذج عملية في إثبات أغلاط واختلاف في الأناجيل الثلاث الأخرى؛ منها:

---

(١) اظهار الحق ، ١/ ١٤٣.

(٢) اظهار الحق ، ١/ ١٤٧.

١) في الآية الثالثة عشرة من الباب الثالث من إنجيل يوحنا هكذا: "ليس احد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الله الذي هو في السماء".

نقد النص:

يقول الشيخ رحمت الله: وهذا غلط أيضا لان (اخنوخ، وايلياء)، (عليهما السلام)، رفعا إلى السماء وصعدا إليها كما هو مصرح في الباب الخامس من سفر التكوين والباب الثاني من سفر الملوك الثاني[١].

٢) الآية الثالثة والعشرون من الباب الحادي عشر من إنجيل مرقس هكذا: "لأني الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان ما يقوله يكون له فيكون له مهما قال"، وفي الباب السادس عشر من إنجيله هكذا:" وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بالسنة جديدة يحملون حيات وان شربوا شيئا مميتا لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤن"، والآية الثانية عشرة من الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا هكذا:" الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التي أنا اعملها يعملها أيضا، ويعمل أعظم منها لأني ماضي إلى أبي".

---

(١) اظهار الحق ، ١/١٤٨.

نقد النصوص:

فقوله "من قال لهذا الجبل"الخ عام لا يختص بشخص دون شخص، وزمان دون زمان، بل لا يختص بالمؤمن بالمسيح أيضا، وكذا قوله" تتبع المؤمنين" عام لا يختص بالحواريين ولا بالطبقة الأولى، وكذا قوله" من يؤمن بي" عام لا يختص بشخص وبزمان، وتخصيص هذه الأمور بالطبقة الأولى لا دليل عليه غير الادعاء البحت، فلا بد ان يكون ألان أيضا من قال لجبل أنطرح في البحر ولا يشك وان يكون من علامة من آمن بالمسيح في هذا الزمان أيضا الأشياء المذكورة، ان يفعل مثل أفعال المسيح بل أعظم منها، والأمر ليس كذلك وما سمعنا ان أحدا من المسيحيين فعل أفعالا أعظم من أفعال المسيح، لا في الطبقة الأولى ولا بعدها، فقوله:" ويعمل أعظم منها" غلط يقينا لا مصداق له في طبقة من الطبقات المسيحيين، والأعمال التي تكون من أعمال المسيح ما صدرت عن الحواريين وغيرهم من الطبقات التي بعدهم، وعلماء بروتستنت معترفون بان صدور خوارق العادات بعد الطبقة الأولى لم يبت بدليل قوي[١].

٣) في الآية الخامسة والعشرين من الباب الرابع في إنجيل لوقا، وفي الآية السابعة عشر من الباب الخامس من رسالة يعقوب:" ان لم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر في زمان إيليا الرسول".

---

(١) اظهار الحق ، ١/ ١٤٨ وما بعدها.

٤) **نقد النص:**

وهذا غلط لأنه يُعلم من الباب الثامن عشر من سفر الملوك الأول ان المطر نزل في السنة الثالثة، ولما كان هذا بالغلط في إنجيل لوقا في قول المسيح وفي الرسالة في قول يعقوب فهما غلطان(١).

٥) **منهجه في إثبات التحريف اللفظي بالتبديل وبالزيادة وبالنقصان في العهدين:**

أولا: إثبات التحريف اللفظي بالتبديل:

يحاول الشيخ رحمت الله إثبات التحريف اللفظي، وذلك باعتبار النسخ الثلاث عند القوم، فيبدأ ببيان تلك النسخ، فيقول: ان النسخ المشهورة للعهد العتيق عند أهل الكتاب ثلاث نسخ: الأولى النسخة العبرانية، وهي المعتبرة عند اليهود، وعلماء بروتستنت، والثانية: النسخة اليونانية وهي التي كانت معتبرة عند المسيحيين إلى القرن الخامس عشر من القرون المسيحية، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية، وهي إلى هذا الزمان معتبرة عند الكنيسة اليونانية، وكذا عند كنائس المشرق، وهاتان النسختان تشتملان على جميع الكتب من العهد القديم، والثالثة: النسخة السامرية وهي المعتبرة عند السامرين وان السامريين لا يسلمون الكتب الباقية من العهد العتيق أي الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى وكتاب يوشع وكتاب القضاة وتزيد على النسخة العبرانية في الألفاظ والفقرات الكثيرة التي لا توجد فيها الآن، وكثير من محققي علماء

(١)اظهار الحق ، ١/١٥٣.

بروتستنت، مثل: (كي كات، وهيلز، وهيوبي كيت وغيرهم)، يعتبرونها دون العبرانية، ويعتقدون ان اليهود حرفوا العبرانية، وجمهور علماء البروتستنت أيضا يضطرون في بعض المواضع إليها، ويقدمونها على العبرانية[1].

ثم بعد ذلك يسعى الشيخ رحمت الله إلى إثبات التحريف بالأدلة القاطعة، جامعا بين الأسماء والتواريخ والأحداث، وقد ذكر شواهد نصية عدة، منها:

١) ان الزمان من خلق ادم إلى طوفان نوح(عليه السلام)، على وفق العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة(١٦٥٦)، وعلى وفق اليونانية ألفان ومائتان واثنتان وستون سنة (٢٢٦٢)، وعلى وفق السامرية ألف وثلاثمائة وسبع سنين (١٣٠٧).

٢) الآية الرابعة من الباب السابع والعشرين من كتاب الاستثناء في النسخة العبرانية هكذا (فإذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال، وشيدوها بالجص تشييدا)، وهذه الجملة فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبال عيبال، في النسخ السامرية هكذا (فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم في جبل جرزيم) وعيبال وجرزيم جبلان متقابلان كما يفهم من الآية الثانية عشرة والثالثة عشر من هذا الباب، ومن الآية التاسعة والعشرين من الباب الحادي عشر من هذا الكتاب، فيفهم من النسخة العبرانية ان

---

(١) اظهار الحق، ١/ ١٩٧.

موسى (عليه السلام)، أمر بنائه على جبل جرزيم، وبين اليهود والسامريين سلفا وخلفا نزاع مشهور يدعي كل فرق منها ان الفرقة الأخرى حرفت التوراة(١).

ثانيا: إثبات التحريف اللفظي بالزيادة:

يذكر لنا الشيخ رحمت الله في هذا المقام ان هناك ثمانية كتب من العهد العتيق، كانت مشكوكة غير مقبولة عند المسيحيين إلى ثلاثمائة وأربع وعشرين سنة، وهذه الكتب: (استير، باروخ، طوبيا، يهوديت، وزدم، ايكليزيا ستيكس، والكتاب الأول والثاني للمقابيين). وبعد انعقاد المجمع الأول، مجمع نيقية سنة (٣٢٥م) فبعد المشاورة في هذه الكتب المشكوكة فيها، حكم هؤلاء ان كتاب يهوديت واجب التسليم، وابقوا باقي الكتب مشكوكة كما كانت، ثم اعتمدت المجامع اللاحقة باقي الكتب، واعترفت بها تباعا(٢).

وعلى ما يبدو ان هناك جدل نصراني حاد في إلهامية تلك الكتب، وبالرغم من ان تلك الكتب صارت جزءا معتبرا من الكتاب المقدس فيما بعد إلا ان الجدل لا زال يسير وفق الاعتراف بها من عدمه، واتهام بعضهم بعضا بالتحريف.

يذكر الشيخ رحمت الله: فإذا عرفت هذا فأقول أي تحريف بالزيادة أزيد من هذا عند فرقة بروتستنت واليهود ان الكتب التي كانت غير مقبولة إلى ثلاثمائة وأربع وعشرين سنة وكانت محرفة غير إلهامية جعلها أسلاف

---

(١) اظهار الحق، ٢٠١/١.

(٢) ينظر: اظهار الحق، ٢١٥/١.

المسيحيين في المجالس المتعددة واجبة التسليم وادخلوها في الكتب الإلهامية، واجمع الألوف من علمائهم على حقيقتها والهاميتها، والكنيسة الرومانية إلى هذا الزمان تصر على كونها إلهامية، فظهر من هذا انه لا اعتبار لإجماع أسلافهم، فكما اجمعوا على هذه الكتب المحرفة الغير إلهامية، يجوز ان يكون إجماعهم على هذه الأناجيل المروجة مع كونها محرفة غير إلهامية، ثم ألا ترى ان هؤلاء الأسلاف كانوا مجمعين على صحة نسخة اليونانية، وكانوا يعتقدون تحريف النسخة العبرانية، وكانوا يقولون ان اليهود حرفوها، والكنيسة اليونانية وكذا الكنائس المشرقية إلى هذا الحين أيضا، مجمعون على صحتها واعتقادها كاعتقاد الأسلاف، وجمهور علماء بروتستنت اثبتوا ان إجماع الأسلاف وكذا الاختلاف المقتدين غلط، وعكسوا الأمر، فاعتقدوا وقالوا في حق العبرانية ما قال أسلافهم في حق اليونانية، وكذلك أجمعت الكنيسة الرومانية على صحة الترجمة اللاطينية، وعلماء بروتستنت اثبتوا أنها محرفة وإذا كان فعلهم بالنسبة إلى ترجمتهم المقبولة المتداولة غاية التداول هذا، فكيف يرجى منهم أنهم لم يحرفوا المتن الأصلي الذي لم لم يكن متداولا بينهم مثلها يقينا؟ بل الأظهر ان من بادر منهم إلى تحريف الترجمة بادر إلى تحريف الأصل ليكون فعله سترا عند قومه(١).

ثم يعزز الشيخ رحمت الله مقالته في الأخطاء التاريخية في نصوص الكتاب المقدس وذكر شواهد كثيرة، ومن تلك الأخطاء التاريخية:

---

(١) اظهار الحق، ٢١٧/١.

ما ورد في الآية الحادية والثلاثين من الباب السادس والثلاثين من سفر الخليقة هكذا:" هؤلاء الملوك الذين ملكوا في ارض أدوم قبل ان يملك لبني إسرائيل". ولا يمكن ان تكون هذه الآية من كلام موسى (عليه السلام)، لأنها تدل على ان المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطنة بني إسرائيل، وأول ملوكهم شاؤل وكان بعد موسى بثلاثمائة وستة وخمسين سنة، ويستشهد الشيخ رحمت الله بالمفسر (ادم كلارك) في تفسيره في المجلد الأول ذيل هذه الآية:" غالب ظني ان موسى ما كتب هذه الآية، والآية التي بعدها إلى الآية التاسعة والثلاثين، بل هذه الآيات هي آيات الباب الأول من السفر الأول من كتاب أخبار الأيام، وأظن ظنا قويا قريبا من اليقين ان هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة، فظن الناقل أنها جزء من المتن فادخلها فيه" انتهى كلام كلارك، فاعترف المفسر بإلحاق الآيات التسعة على اعترافه يلزم ان كتبهم كانت صالحة للتحريف، لان هذه الآيات التسعة مع عدم كونها من التوراة دخلت فيها وشاعت بعد ذلك في جميع النسخ(١).

ثالثا: إثبات التحريف اللفظي بالنقصان:

ذكر الشيخ رحمت الله في هذا المقصد عشرين شاهدا على التحريف اللفظي بالنقصان، فابتدأ بعرض شواهد من سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر العدد، وسفر القضاة، وسفر أيوب، وسفر الزبور، وسفر اشعياء، ثم أورد شواهد تفسيرية بحسب كتب تفسير (ادم كلارك، وهورن، وهارسلي)،

---

(١) اظهار الحق، ٢١٨/١.

لدلالة على وقوع التبديل تبعا للشهادات التفسيرية لعلماء القوم. ثم بعد ذلك عمد الشيخ رحمت الله إلى عرض شواهد من إنجيل لوقا، وإنجيل متى، وكان الأخير قد نال نصيبا كبيرا من مناقشة الشيخ ونقده، وانه ليس من تصنيف متى.

ثم سعى الشيخ رحمت الله إلى إيراد خمس مغالطات نصرانية، ومناقشتها تبعا لمحاور سماها بالهدايات، وسنكتفي بعرض واحدة من تلك المغالطات تبيانا لجهود شيخنا:

المغالطة الأولى: (دعوى التحريف):

يذكر لنا الشيخ رحمت الله ان كثيرا ما يتذرع علماء النصارى بالتفريق بين غلط الكاتب وبين اختلاف العبارة، فيذكر لنا انه لابد من فهم لفظتين مستعملتين في كتب إسنادهم هما لفظ (اراته)، ولفظ (ويريوس ريدنك)، وبحسب (هورن)، في الصفحة (٣٢٥) من المجلد الثاني من تفسيره المطبوع (١٨٨٢م): الفرق بين اراته يعني غلط الكاتب، وبين ويريوس ريدنك يعني اختلاف العبارة، وما قاله (ميكايليس)، انه إذا وجد الاختلاف بين العبارتين وأكثر فلا تكون الصادقة إلا واحدة، والباقية إما أن تكون تحريفا قصديا أو سهوا لكاتب، لكن تمييز الصحيحة عن غيرها عسير غالبا، فإذا بقي شك فيطلق على الكل اختلاف العبارة، وإذا علم صراحة ان الكاتب كتب هاهنا كذبا، يقال: انه غلط كاتب. فعلى المذهب المختار عند المحققين فرق بين اللفظين المذكورين، واختلاف العبارة المصطلح

فيما بينهم هو التحريف المصطلح عندنا، فمن اقر باختلاف العبارة بالمعنى المذكور يلزم عليه الاعتراف بالتحريف[1].

ثم يسعى الشيخ إلى توثيق التحريف تبعا لهدايات ثلاث[2]:

الهداية الأولى: ذكر فيها أقوال المخالفين للمسيحية، التي يثبت بها التبديل والتغير، ومن ذلك رأي (بارك) قال: قالت ملة بروتستنت ان المعجزات الأزلية والأبدية حفظت العهد القديم والجديد، عن ان تصل إليها صدمة خفيفة لكن هذه المسالة لا تقدر ان تقوم في مقابلة عسكر اختلاف العبارة التي هي ثلاثون ألفا

الهداية الثانية: نقل فيها الشيخ رحمت الله أقوال الفرق المسيحية، ومنها الفرقة الابيونية في القرن الأول المسيحي التي عاصرت بولس، وكانت تقول انه مرتد، وكانت تسلم لإنجيل متى، وهو مخالف لهذا الإنجيل المنسوب إلى متى عند معتنقي بولس الآن في مواضع كثيرة، ومن الفرق أيضا (المارسيونية)، التي كانت ترد جميع كتب العهد العتيق، وتقول إنها ليست إلهامية، وكذا ترد جميع العهد الجديد إلا إنجيل لوقا وعشر رسائل من رسائل بولس.

الهداية الثالثة: فقد نقل فيها الشيخ رحمت الله أقوال المسيحيين المعتبرين من المفسرين والمحققين، وقد ذكر نحو ثلاثين قولا يثبت التحريف في الكتاب المقدس[3].

---

(١) اظهار الحق ، ١/ ٢٥٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١/٢٥٦-٢٦١.

(٣) للاطلاع ينظر: اظهار الحق، ١/٢٦١-٢٧٤.

مما تقدم فإننا نخلص إلى:

ان شيخنا حقق المنهج العلمي في دراسته للكتاب المقدس، لاسيما العهد الجديد، بعد عقد المقارنات النصية، الخطأ في حساب التواريخ والأوقات التي تناقلتها الأناجيل واضطرابها، وكذا اضطراب الوقائع التاريخية، واضطراب النسخ بالزيادة والنقصان والتبديل، وشهادات علمائهم المعتبرين، والقرائن العملية التي استعملها الشيخ تبعا لمنهجه، آل الأمر إلى استبعاد إلهامية كتب العهد العتيق والجديد.

المبحث الثالث

عقيدة التثليث وجهود الإمام الباقلاني والقرطبي في دراستها ونقدها

تعد عقيدة التثليث من العقائد الجوهرية في الديانة المسيحية "وهكذا فبدل الله الواحد الذي نادى به المسيح عليه السلام صاغت المجامع الكنسية صانعة الآلهة لطوائفها إلها ثلاثيا غريبا عجيبا، لا بل مستحيل عند كل ذي عقل سليم، لأنه مكون الله وإنسان وملاك، اختلف فيه الطوائف، وتعاركت منذ نشأتها حتى اليوم، أهو واحد في ثلاثة أم ثلاثة في واحد؟. فهو عند بعضها أب وابن وروح قدس، وتسمي ذلك بالتعدد، وعند البعض الآخر يتغير فيه الأب إلى الابن إلى روح قدس، وتسمي ذلك بالتجسد، وكلا الطائفتين تسميان هذه الحالات بالاقانيم"[(١)].

سنعمد في هذا المبحث إلى بيان عقيدة التثليث وفق المنظور المسيحي، وكذا المنظور القرآني وذلك لتأصيل المبحث، ومن ثم ندرس جهود الإمام الباقلاني، والقرطبي(رحمهما الله) في نقد عقيدة التثليث، وذلك وفق المطالب الآتية:

---

(١) انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، احمد زكي، ص٩٥.

المطلب الأول: بيان عقيدة الاقانيم الثلاثة تبعا للايمان المسيحي:

أولا: مفهوم الاقانيم:

تعرضنا إلى تعريف كلمة اقنوم، الذي هو بمعنى كيان ذاتي، وقد استحسنت الكنيسة هذا اللفظ ليدل على المسيحية، ويذهب المسيحيون إلى كون إلههم عبارة عن ثلاثة اقانيم ممتازة امتيازا حقيقيا، ويسمونها: الأب، والابن، وروح القدس، ويصفونه هكذا:

الأب: هو الاقنوم الأول، وهو والد الاقنوم الثاني، وهو مُكونُ الكائنات.

الابن: هو الاقنوم الثاني، وهو ولد الاقنوم الأول، وهو المخلص من الخطيئة.

الروح القدس: وهو الاقنوم الثالث، ويصدر عن ركني التثليث الآخرين بصورة دائمة وأبدية، وهو معطي الحياة.

ويقولون: ان هذه الثلاثة اقانيم واحد[١].

ثانيا: مفهوم التثليث:

يرى الفلاسفة النصرانيون ان الله (سبحانه وتعالى)، يتكون من ثلاثة اقانيم؛ أي ثلاثة عناصر أو أجزاء، وهذه الاقانيم الثلاثة، هي: (الذات، النطق، الحياة)، فالله موجود بذاته ناطق بكلمته، حي بروحه، وكل هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الله تعطيه وصفا أو مظهرا خاصا،

---

(١) ينظر: المسيح والتثليث، د. محمد وصفي، ص١٠٥.

فإذا تجلى الله بصفته ذاتا، سمي الأب، وإذا نطق فهو الابن، وإذا ظهر كحياة، فهو روح القدس[1].

ولكن الإيمان بهذا الثالوث خلق لهم مشكلة، تلك محاولة التوفيق بين الوحدانية التي هي سمة الأديان السماوية، والتي قالت التوراة بصراحة وبين القول بعبادة الثالوث، وحينئذ جدّ جدهم، وجندوا جندهم وقالوا كلاما يوفقون به بين الوحدانية والتثليث، لكنهم عندما قالوا ذلك لم يكونوا يقنعون به، وصرحوا بعدم اقتناعهم أحيانا ولكن على كل حال لم يكن بد من الاستمرار في القول بالتثليث وافق العقل أو لم يوافقه، وعندما ثبت القول بالتثليث بدأت المرحلة الثانية، مرحلة البحث عن إفراد هذا الثالوث[2].

لذا صار لزاما على علماء المسيحية أن يجدوا تفسيرا لذلك والذي قررته مجامعهم الكنسية، عندها "بدا المسيحيون بعد هذا يبحثون عن الإلهين الآخرين، فقالوا بإلوهية المسيح، فأصبح ثاني الآلهة، ثم قالوا بإلوهية روح القدس، لأنهم كانوا يريدون أن يدعوا الصلة بالله، وتلقي العلم منه، فقالوا بإلوهية روح القدس، وانه ينزل عليهم ويمتلئون به ويعرفون بواسطته مالا يعرف البشر، فأصبح روح القدس بذلك ثالث الآلهة، وتم بذلك الثالوث الذي يريدون"[3].

---

(١) ينظر: مباحث فلسفية، بولس سباط، ص١١١، الله أم ثالوث، محمد مجدي مرجان، دار النهضة العربية، ص١٠.

(٢) مقارنة الأديان، المسيحية، احمد شلبي، ص ١٣٤

(٣) المصدر نفسه.

ثالثا: أدلتهم على التثليث:

ان الأدلة على التثليث من الأناجيل قائمة على التأويلات، ولا يوجد عند المسيحيين دليلا قطعيا على التثليث، يستطيعون أن يظهروه مطلقا، وان هذه التأويلات جاءت عبر دخائل فلسفية زيفت الديانة الحقة، وقد وقفنا فيما تقدم على أعظم مجمع كنسي الذي هو مجمع نيقية وكذا غيره من المجامع، ليقروا عقيدة تعدد الاقانيم، وغيرها من العقائد ولا يوجد في الأناجيل إلا ما يدل على التوحيد الحقيقي ومن تلك الأدلة على التوحيد، ما روى مرقس:" الرب إلهنا اله واحد، وليس آخر سواه"(١).

ومن الأدلة التي تم تأويلها بالثالوث الأقدس:

١) جاء في متى: "اذهبوا وتلمذوا كل الأمم معمدين إياهم باسم الأب والابن والروح القدس"(٢).
٢) وجاء في متى:" هذا هو ابني الحبيب به سررت"(٣).
٣) جاء في لوقا:" ان الروح القدس يحل عليه، وقوة العلي تضلك ولذلك فالقدس المولود فيك يدعى ابن الله"(٤).
٤) وجاء في لوقا:" سيكون عظيما وابن العلي يدعي"(٥).

---

(١) مرقس: ١٢: ٣٠-٣١.
(٢) متى: ٢٨: ١٩.
(٣) متى: ٣: ١٧.
(٤) لوقا: ١: ٣٥.
(٥) لوقا: ١: ٣٥.

٥) جاء في رسالة يوحنا: "فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة وروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم وهؤلاء الثلاثة هم في الواحد"(١).

ويعلق الأستاذ محمد وصفي على النص بالقول:" ان الفقرة التي تشير إلى التثليث في الكلام السابق يشهد بتحريفها علماؤهم المشهورون، وان جمهور علماء البروتستانت ان هذه الجملة في السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض الحاقية محرفة"(٢).

٦) وجاء في يوحنا:" في البدء كان كلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هو في البدء كان عند الله. وبه كان كل شيء. وبغيره ما كان شيء مما كان. وفيه كانت الحياة وحياته كانت نور الناس. والنور يشرق في الظلمة والكلمة صار بشرا وعاش بيننا فرأينا مجده ناله من الأب كابن له أوحد"(٣).

تلك بعض أدلة القوموان صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يكتب سر واحد من الأناجيل، وان هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية التي كانت ذات سيطرة، وكانت آراؤها شائعة، وتكاد تكون عامة أو عالمية(٤).

---

(١) ينظر: رسالة يوحنا الأولى: ٥: ٧-٨

(٢) المسيح والتثليث، د. محمد وصفي، ص١٠٦.

(٣) يوحنا: ١: ١-٥، ١٤.

(٤) مقارنة الاديان، المسيحية، احمد شلبي، ص ١٥١.

رابعا: نماذج من أقوال علمائهم في التثليث:

يرى الفلاسفة المسيحيون ان الإنسان خلق على صورة الله ومثاله فكما ان الله مثل الاقانيم، كذلك فان الإنسان مكون من ثلاثة عناصر ، ولا يمكن معرفة الله إلا بعد تصوره بالصورة البشرية(١)، ومن أقوال علماء المسيحية في التثليث:

١) يتساءل بولس اليأس في كتابه يسوع المسيح:" لماذا لا نقول من الأفضل الله واحد وحسب؟ ويجيب على نفسه إجابة فلسفية؛ فيقول:" لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث، فهو يفرض التثليث فرضا، ثم كيف نطلع على كنه الله الذي لا يمكن حده ومشاكلته بمخلوق؟ ثم يقول وكنه الله محبة، ولا يمكن إلا أن يكون محبة ليكون سعيدا فالمحبة هي مصدر سعادة الله، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور وثمرة هذه المحبة بين الأب والابن هي روح القدس، هو الحب إذ ما يجعل الله ثالوثا وواحد معا(٢).

٢) ما قاله يوسف بوست في قاموس الكتاب المقدس:" أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة اقانيم متساوية: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، والى الابن الفداء،

---

(١) الله أم الثالوث، محمد مجدي مرجان، ص١٤.

(٢) يسوع المسيح، بولس الياس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٥م، ص٧٩. ويقارن: المسيحية، د. احمد شلبي، ص ١٣٢.

والـى الـروح القـدس التطـهير، غيـر أن الثلاثـة الاقـانيم تتقاسـم جميـع الأعمال الإلـهية على السواء"[1].

٣) ويقول (william patoun) إذا قصـدنا فهم طبيعـة الله فـي المسيحية فهناك تراه الله الذي عاش معه يسوع في صلة وثيقة لا تنفصم عراها، صلة الابن بالأب، وكل ثروات الولاء والتعبد التـي خلفها كُتاب العهد القديم، كلها اختزنت في فكر يسوع المسيح، عوناً لنـا علـى فهم حقيقة الله، (يعلن عن الأب في كلمات ينطلق بها في حياتـه) أنـا فـي الأب والأب في، ومن رآني فقد رأى الرب[2].

٤) وقال القس بولس سباط[3]، يعتقد المسيحيون أن الله جوهر واحد ولـه كل صفات الكمال وله ثلاث خواص ذاتية كشف المسيح عنها وهـي: الأب، والابن، وروح القدس، ويشرون بـالجوهر إلـى الأب، وبـالجوهر نفسـه الـذي يسمونه ذا العقل العاقل ذاتـه إلـى الابن، وبـالجوهر عينـه الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى روح القدس[4].

خامسا: وظائف الثالوث:

بعد ان قسم أصحاب الثالوث تقسيماتهم، وزعوا أعمالها كما يأتـي:

---

(١) قاموس الكتاب المقدس جورج يوسف ت١٩٠٩ م، مكتب العلوجي والحجية مطبعة، دار البصري بغداد، ١٩٧٦م، المطبوع مع وعد بلفور. ص١٦.

(٢) مقارنه الأديان المسيحية، أحمد شلبي، ص١٣٩ وما بعدها.

(٣) بولس سباط: كاهن سرياني حلبي تعلم في دير الشرفة بلبنان، وله مؤلفات عدة منها، المشرع، وفهرست المخطوطات العربية، ينظر: الأعلام، ٧٨/٢.

(٤) صور من عقائد أهل الأرض، شافع توفيق المحامي، المركز العربي للنشر والتوزيع إخوان معروف، ص٤٥ وما بعدها.

الأب: جعلوه مصدر العدل.

الابن: جعلوه مصدر الرحمة.

الروح القدس: جعلوه مصدر النعمة.

فمن يريد العدل فعليه الأب، ومن يريد الرحمة فليتوسل إلى الابن، ومن يطلب النعمة، فليبتهل إلى روح القدس، والله الأب ينسب إليه الخلق، والتبني، والدعوة، اما الله الابن فينسب إليه نداء البشرية، وغفران الخطايا والذنوب، اما روح القدس، فينسب إليه منح الميلاد الثاني والحياة الطاهرة للبشر، وتقديس النفوس، ومعنى هذا ان الله الأب لا يستطيع غفران الذنوب، وان الله الابن ليس من اختصاصه تقديس النفوس، وان الله الروح القدس لا يملك الخلق[١].

سادسا: التثليث في الديانات القديمة نظرة مقارنة:

لعل الناظر في معتقدات الديانات القديمة، يجد ان الثالوث الأقدس يدور في أفلاك تلك المعتقدات، ولم تخلو ديانة من الديانات القديمة من التعدد، أو من القول بالاقانيم، غير ان لكل واحدة منها فلسفة خاصة لتلك الاقانيم:

١) **الثالوث المصري**: ويتكون من ثلاثة آلهة:

أ) الإله اوسيروس، ويسمى الأب الوالج.

ب) الإله هور، ويسمى الابن أو النطق أو الكلمة.

ت) الإله أريس، ويسمى الأم أو الوالدة[٢].

---

(١) الله أم ثالوث، محمد وجدي، ص٢١٩.

(٢) سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، نوفل جرجس، ص٢٧.

أما (اوسيروس) فهو الإله الأكبر علة. الإله الثاني (هور)، وخالق المخلوقات وحاكم الأزلية اله الحق والعدل وأما (هور)، فهو ابن(اوسيروس)، واله النطق والكلام، وشبهوه بعجل ممتاز عن بقية العجول، وهو يحمل ذنوب وخطايا العالم، ليكون قابلا للموت وأما (اريس)، فهي ملكة السماء، أم هور، باعثة الحياة للبشر، وشهد بالتطابق بين الثالوث المصري هذا، والثالوث النصراني العلامة (جار سلاف كريني) أستاذ الحفريات بجامعة أكسفورد ببريطانيا، في كتابه (ديانة قدماء المصريين)، حتى قال ان الثالوث المسيحي مأخوذ عن هذا الثالوث الفرعوني(١).

وقد نقل الأستاذ احمد شلبي قولا عن اثر الفكر المصري في المسيحية: "ان كلمة الحياة عند قدماء المصريين تُرسم بما يُرسم الصليب، وليس بعيدا ان يكون رسم الصليب مقتبسا من الفكر المصري، بمعنى نهاية الحياة، أو الحياة التي تلي الصلب"(٢).

٢) **الثالوث الهندي**: يتكون الثالوث الهندي من ثلاثة آلهة، هي:

أ) براهما الخالق.

ب) فشنو الحافظ الابن.

ت) سيفا المهلك والمعيد روح القدس.

---

(١) أصول المسيحية كما يصورها القران الكريم، د. داود علي الفاضلي، ص٢٠٨.

(٢) مقارنة الاديان، المسيحية، احمد شلبي ص١٧٧، نقلا عن كتاب مجد الكتاب المقدس للاستاذ صابر جبره، ص١٠٣.

ويقولون لما أراد (براهما)، خالق الوجود الذي لا شكل له، ولا تؤثر فيه الصفات ان يخلق اتخذ صفة الفعل فصار (براهما الخالق)، ثم زاد في العمل فانقلب إلى الصفة الثالثة فصار (سيفا)، أي المهلك، ويسمى الثلاثة (ترامورتي)، الاقانيم الثلاثة، و(فشنو)، هو الابن، وسيفا المهلك روح القدس(١).

ويذهب (مال فير) إلى القول بوجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي، والثالوث المسيحي وذكر ان عقيدة الهنود القدماء تتلخص في: نؤمن بـ(سافتري)، أي الشمس اله واحد، ضابط الكل خالق السموات والأرض، وبابنه الوحيد(آنى)، أي النار، نور من نور، مولود غير مخلوق تجسد من (فايو)، أي الروح في بطن (مايا العذراء)، ونؤمن بـ(فايو)، الروح المحلي المنبثق من الأب والابن الذي هو مع الأب والابن، والابن يسجد له ويمجد(٢).

٣) التثليث عند البابليين:

لعل البابليين هم أول من قال بالثالوث، وذلك في الألف الرابع قبل الميلاد، قد كانوا يدينون بتعدد الآلهة، ولكنهم نظموا هذه الآلهة ثلاثا، أي جعلوها مجموعة متميزة المكانة، والقدرة كل مجموعة ثلاثة، فكانت المجموعة الأولى على آلهة، وتتكون هذه المجموعة من اله السماء، واله

---

(١) أصول المسيحية كما يصورها القران الكريم، د. داود الفاضلي، ص ٢٠٨.

(٢) أصول المسيحية كما يصورها القران الكريم، د. داود الفاضلي ، ص ٢١٠ وما بعدها.

الأرض، واله البحر، اما المجموعة الثانية، فهم الإله القمر، واله الشمس، واله العدالة والتشريع"[1].

٤) **وهكذا نجد عند البوذيين ثالوثا**، فإنهم يقولون بوذا مثلث الاقانيم، والصينيون يعبدون (بوذا)، ويقولون مثلث الاقانيم، ويرمزون للثلاثة بهذه الحروف (أوم)، فالهمزة أولها، والميم آخرها، ومن أقصى الحلق إلى الشفتين، فهؤلاء هم الأول والظاهر والأخر[2].

وعلى ذلك فان المسيحية تأثرت تأثيرا كبيرا في ثالوث الأديان، وتبنتها وسارت وفق منظورها الفلسفي، وعقد علماؤنا مقارنات نصية عدة بين المسيحية والديانات الاخرى، في محاولة تأصيل معتقد التثليث لدى النصارى.

المطلب الثاني: البيان القرآني لعقيدة التثليث:

لقد أبان القران الكريم حقيقة عقيدة التثليث لدى النصارى، وأنها عقيدة انحرفت عن الديانة الحقة، وقد ردها القران الكريم جملة وتفصيلا، وبين الوعيد العظيم للذين اتخذوا من دون الله الآلهة، ومن تلك الآيات الكريمة:

١) ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ

---

(١) مقارنة الأديان، المسيحية، د. احمد شلبي، ص ١٣٦، نقلا عن تاريخ الفلسفة، د. إبراهيم مدكور، ص٦.

(٢) أصول المسيحية، د. داود الفاضلي، ص ٢١١.

مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ
سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلًا ﴾[1].

٢) ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن
يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ
وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

٣) ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ
يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ
ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[3].

٤) ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ
وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآية (١٧١).

(٢) سورة المائدة، الآية (١٧).

(٣) سورة المائدة، الآية (٧٢).

(٤) سورة المائدة، الآيتان (٧٣-٧٤).

٥) ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[1].

مما تقدم من الآيات الكريمة فان النداء الرباني لأهل الكتاب، والدعوة التي تتضمن دروسا يتجه سياق الحديث فيه إلى إنصاف الحق، والعقيدة، وإنصاف سيدنا عيسى ابن مريم (عليه السلام)، كذلك من غلو النصارى ومن الأساطير الوثنية التي دبت في الديانة النصرانية في شتى الملل، سواء ذلك في أساطير اليونان، وأساطير المصريين القدماء، وأساطير الهنود[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية (٣٠).

(٢) ينظر: في ظلال القران، سيد قطب، دار التراث العربي، بيروت، ١٩٧١م، ط(٧)، ٦٠٣.

المطلب الثالث: الإمام الباقلاني[1] وجهوده في نقد عقيدة التثليث:

فيما تقدم عرفنا ان المنهج العقلي هو احد مناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان، الذي اتخذوه سبيلا في دحض شبهات أهل الكتاب، وقد تبنت المدارس الكلامية المنهج العقلي في إلزام أهل الكتاب، وكذا الدفاع عن الإسلام، وقد أنجبت هذه المدارس النخبة الطيبة من العلماء، ومنهم الإمام الباقلاني الذي يعد واحدا من الأعلام الذين تصدوا لعقائد أهل الكتاب وشبهاتهم، وسنقف في هذا المطلب على جهوده في نقد عقيدة التثليث، غير انه لابد من تمهيد نشير فيه إلى المدارس الكلامية ودورها في بناء منهجية علمية في عرض العقائد درء الشبهات.

أولا: المدارس الكلامية ودورها في بناء منهجية لدرء الشبهات:

ان استقراء الموروث الكلامي يشعر بوجود مقصد منهجي كان علماء الكلام، قد وضعوه ضمن المقاصد التي تأسس عليها علم الكلام فالبنية المنهجية في عرض العقائد والدفاع عنها مقصد كلامي معلوم له ارتباط برسوخ المدارس الكلامية وتطورها، إذ ان الأسس المنهجية تتكون في الإطار المدرسي والإمام الباقلاني (رحمه الله)، المتكلم الأشعري الذي

(١) هو محمد ابو بكر بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بالباقلاني، الملقب بشيخ السنة، ولسان الامة، المتكلم على مذهب اهل السنة، واهل الحديث، وطريقة ابي الحسن الاشعري، امام وقته، من اهل البصرة، وسكن بغداد، سمع من القطيعي، وابن ماشا وغيرهما، واليه رياسة المالكيين في وقته، وكان حسن الفقه، عظيم الجدل، وكانت له بجامع المنصور ببغداد حلقة عظيمة توفي يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث واربعمائة، ينظر: الديباج المذهب في معرفة علماء اعيان المذهب، لابن فرحون المالكي، ٢/ ٢١٧.

أرسى قواعد التنهيج العلمي في مدرسته الكلامية، فالتزم طريقة منهجية في عرض العقائد والدفاع عنها[1].

وقبل المدرسة الاشعرية كانت الأحاديث بين النصرانية والإسلام في مبدأ الأمر أحاديث جدل في لين ورقّة، ثم بعد ذلك أخذت صورة أخرى من الشدة وقد قاوم المعتزلة الأولون المسيحية مقاومة شديدة من ناحية عقلية، وقد تطور هذا النزاع في المدرسة المعتزلية، فكان من تقاليدها ان تعرض لآراء مخالفي الإسلام، وبخاصة المسيحية، فتعرض بأمانة نادرة، ثم تناقش هذه المذاهب واحدا واحدا وقد أنكر المسلمون متخذين كل الوسائل الجدلية، أفكار التثليث والتعدد، وقول المسيحية: قبول الله للأعراض والتحيز[2]، فأنتجوا نظرا دينيا في مشكلة الصفات شغل أجيالا

---

(١) ينظر: النظر في علم الكلام، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الاسلامية، د.محسن قحطان الراوي، العدد الثامن، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٩٥٥.

(٢) العَرَض: هو ما قام بغيره، أي لا يقوم بذاته، بل يفتقر إلى محل يقومه، فيكون ممكنا والعرض لا تحيز له بذاته حتى يتحيز غيره بتبعيته، وهذا مبنى على ان البقاء الشيء معنى زائد على وجوده، والعرض تابع تحيزه للجوهر الذي هو موضوعه أي =محله الذي يقومه، فهو كالالوان والحركة والسكون، فالحجر جوهر وعرض، فمادته جوهر والوانه او حركته او سكونه عَرَض، والاعراض حادثة بدليل تغيرها من وجود إلى عدم وبالعكس ومن سكون إلى حركة وان الله ليس عرضا، لان العرض لا يقوم بذاته بل يحتاج إلى محل يقوم به، وبالتالي يكون ممكنا متغيرا، وكذا لو كان عرضا لاحتاج إلى غيره والله تعالى وجوده واجب وانه مستغن عن غيره. .ينظر: شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني ت٧٩٣هـ، مكتبة المثنى بغداد، ص٦٨، التعريفات، للجرجاني، ص١٣، اصول الدين، قحطان الدوري، رشدي عليان، ص٦٨. شرح النسفية، عبد الملك السعدي، ص ٦٤.

متعددة من المسلمين[1]، ولا نريد في هذا المقام مناقشة مشكلة الصفات بقدر ما نريد تأصيل خطى المدارس الكلامية الإسلامية في درء شبهات أهل الكتاب بخصوصيتها وعموميتها.

ثم ان "خطر اليهودية في القول بالرجعة. والتشبيه، وخلق القران، كما قالوا بخلق التوراة من قبل، وأرسل آباء الكنيسة على المسلمين شواظا من أسئلتهم واعتراضاتهم الملفقة بمشكلة الجبر والاختيار، وذهبوا إلى إنكار أبدية عذاب النار"[2].

وكذا عوامل الاحتكاك والاختلاط، وحراك الجدل الديني لها آثارها في تقدم شريحة من العلماء إذ "دخل في الإسلام طوائف من المجوس والصابئة واليهود والنصارى، وغير هؤلاء، وأولئك ورؤوسهم ممتلئة لكل ما كان في أديانهم وعقائدهم من تعاليم، ومبادئ فاسدة عمرت قلوبهم، وجرت في نفوسهم مجرى الدم في الجسم، ففهموا الإسلام على ضوئهاوقد انبرى لمقاومة هؤلاء فرقة درست العقول وفهمت المنقول، فكانت المعتزلة"[3].

وجملة تلك الأسباب، قادت بعلماء الإسلام إلى مناقشة العقائد والتعاليم الفاسدة لدى القوم، فابتدأ الأمر بدور المعتزلة الكبير في رد شبهات أهل الكتاب وغيرهم "ومن ابرز الأمثلة لمناقشة علماء المسلمين

---

(١) ينظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي النشار، ١/ ص٩٢، ص١٠١.

(٢) الاتجاهات العقائدية في الفكر الإسلامي المعاصر، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، من قبل الطالب إسماعيل محمد عواد الكبيسي، ص٦٥.

(٣) دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية، د. محمد السنوتي، ص ١٤٢.

للمسيحيين مثال أبو علي الجبائي شيخ المعتزلة، وتلميذه القاضي عبد الجبار من المعتزلة"[1]. فكان "لهم سابقة الفضل بالدفاع عن الإسلام، فقد كان لهم باع طويل وقدم راسخة في مقارعة أهل الأهواء والتصدي للرد على المخالفين من ثنوية، ودهرية، وزنادقة، ومجوس، ويهود، ونصارى، ونفرت بعوثهم إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي لنشر رسالة الإسلام"[2].

ثم جاء دور الاشاعرة، ولأسباب عدة ذاع صيتها المتمثلة بـ"المدرسة الاشعرية حتى انتشرت في سائر الأمصار والأقطار، وهذه الأسباب تتلخص: سبب فكري تمثل في طبيعة المنهج الأشعري الذي تعاطى مناهج التأويل والبحث والنظر بصورة مثلت محاولة تصحيحية لمنهج المعتزلة الذي تعصبوا في استعمال العقل إلى جانب استعمال النقل، فقام الاشاعرة بإحداث التوازن بين العقل والنقل بلا إفراط ولا تفريط وقيامهم بالتصنيف في نقد الملل والنحل، ومواجهة الديانات، والفلسفات التي استهدفت تعكير عقائد المسلمين، شاغلين بذلك فراغا كانت المعتزلة قد تركته أبان انهيار مدرستها، ولعل هذا واضح في كتب ومؤلفات القوم؛ منها مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والروافض والخوارج والمعتزلة، للإمام الباقلاني، وتهافت الفلاسفة وفضائح الباطنية للإمام الغزالي"[3].

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي، د. سامي النشار، ١/١٠٠.

(٢) دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية، د. محمد السنوتي، ص٢٠٦.

(٣) الاتجاهات العقائدية في الفكر الإسلامي المعاصر، إسماعيل عواد، ٩٠-٩٢.

وقد استعان الأشعري في منهجه بقضايا فلسفية ومسائل عقلية، خاض فيها الفلاسفة والمناطقة، والسبب في سلوكه ذلك المسلك العقلي انه تخرج على المعتزلة، وتربى على موائدهم الفكرية، فنال من ثمرات تفكيرهم، فنزع نزعتهم العقلية في الاستدلال لعقائد القران والسنة، وان لم يسلك طريقتهم في فهم النصوص الشرعية، ثم انه قد تصدى للرد على المعتزلة وصرف همته إلى تفنيد آرائهم، فكان لابد له من ان يلحن بمثل حجتهم، وان يحذوا حذوهم في الاستدلال ليفلج عليهم، ويقطع شبهاتهم ويفحمهم بما أيديهم، فضلا عن انه تصدى لمناقشة الفلاسفة والقرامطة والباطنية، وغيرهم(١).

وقد قسم الدكتور السنوتي أطوار المذهب الأشعري تبعا لتغيرات متعاقبة على يد الأتباع، وكما يأتي:(٢)

١) الطور الأول: طور النشأة، ويبدأ بالإمام أبي الحسن الأشعري، وينتهي بظهور الإمام الباقلاني، ت(٤٠٣هـ)، وفي هذا الطور وضع الأشعري المبادئ الأساسية لمنهجه الكلامي القائم على محاولة الجمع بين النقل والعقل قصدا إلى إثبات العقائد الإيمانية السلفية بالأدلة العقلية ودفعا في صدور أهل البدع ويتسم هذا الطور بغلبة الطابع النقلي المتمثل في الالتزام بالنصوص الشرعية إلى حد كبير ومعاداة الفلسفة والاعتزال.

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية، الإمام أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٧١.

(٢) دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية، د. محمد السنوتي، ٢٣٩-٢٤١.

٢) الطور الثاني: يبدأ بالقاضي أبي بكر الباقلاني، ويمتد إلى الإمام فخر الدين الرازي ت(٦٠٦هـ)، وفي هذا الطور بدأت النزعة العقلية تغلب على المذهب

٣) الطور الثالث: يبدأ بفخر الدين الرازي، وينتهي بعضد الدين الإيجي ت(٧٥٠هـ)، وفي هذا اتجه الرازي بعلم الكلام الأشعري وجهة جديدة بعد انتشار علوم المنطق والفلسفة في الملة.

٤) الطور الرابع: وينتهي بنهاية عصر الإيجي، حيث كان معين الأصالة والاجتهاد ونضب ليدخل الفكر الأشعري دور المتون والشروح والحواشي

الذي يهمنا من بين ذلك كله القاضي الباقلاني وجهوده في مناقشة النصارى الذي "ترك لنا صحائف من كتاب التمهيد، يناقش المسيحيين فيها مناقشة دقيقة رائعة"(١).

ثانيا: الإمام الباقلاني وجهوده في نقد عقيدة التثليث:

لعل أهم قاعدة يتبعها الباحث العلمي في دراسة الأديان هو ان يعتمد: "على النصوص الموثوقة، والمراد بذلك أن تؤخذ من الكتب المقدسة، وما يماثلها في القداسة من كتابات أو آثار منقوشة، وعلى ذلك

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي، د. سامي النشار، ١/ ١٠٠.

فان الكتابات العلمية في الدراسات الدينية المبرأة من الهوى تعتمد على هذا المنهج"(١).

والإمام الباقلاني عزز هذه القاعدة في كتابه (التمهيد)، وهو يناقش معتقدات القوم تبعا لكتبهم المقدسة، فقد وقف على كتب المسيحية ومقالاتهم الفلسفية في الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا، واستعماله للمنهج العقلي في مناقشة مقالات فحول المسيحية، ودحضها، وتفنيدها.

١)التعريف بكتاب (التمهيد)(٢):

---

(١) العقائد والديانات، الديانات الكبرى المعاصرة، د. محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م، ص٥.

(٢) ذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه مذاهب الإسلاميين، ان كتاب التمهيد نشر لأول مرة عن مخطوطة باريس وجدها الدكتور أبو ريدة، والأستاذ المرحوم محمد الخضيري، القاهرة سنة (١٩٤٧م)، مع مقدمته في (٣١ص)، ونشرا معه ترجمة القاضي أبي بكر الباقلاني الواردة في كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك) للقاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المتوفى، بمراكش، سنة (٥٤٤هـ)، وذلك عن المخطوط رقم(٢٢٩٣)، تاريخ بدار الكتب المصرية. وقد لاحظ الناشران أن ثم ما يدعو إلى الشك في تمام النص الذي نشراه، وذلك لان مخطوط باريس فهرسا واقعا في ظهر الورقة الأولى من المخطوط بينه وبين نص التمهيد اختلاف كبير، إذ يحتوي هذا الفهرس على خمسة وعشرين عنوانا لفصول غير موجودة في نص مخطوط باريس، كما انه لا يشير إلى أبواب كثيرة وردت في التمهيد، ومع ذلك اكتفيا بمخطوط باريس، لعدم تمكنهما من الحصول على المخطوطين التركيين الآخرين، ولهذا جاء الأب (رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي) فأعاد تحقيق النص وفقا للمخطوطات الثلاثة،وقد تبين ان الأبواب المذكورة في فهرس=

يعد كتاب التمهيد سفرا خالدا يضاف إلى أسفار العلماء الأبرار، ومؤلفا عظيما للنماذج التطبيقية العملية الواقعية، لأمهات الكتب التي الفت في علم الكلام، فقد صور الباقلاني في التمهيد العقائد وما يتفرع عنها من مسائل تصويرا عمليا على صفحات نقاشية خلص إلى تفنيد المعتقدات الواهية، وما انضوت عليها من مسائل. فقد قسم الباقلاني موضوعات كتابه على النحو الآتي[1]:

أ) بيان معنى العلم، وأقسامه، وطرقه، ومراتبه، وضروب المعلومات وحقائق الموجودات.

ب) بيان حدوث العالم، واثبات مُحدثه، وانه مخالف لخلقه، وعلى ما يجب كونه عليه من وحدانية، وكونه حيا عالما قادرا في ازله، وما جرى مجرى.

=مخطوط باريس موجودة في مخطوطي استانبول لكن مكارثي مع الأسف لم يصدر نشرة كاملة للكتاب، اذ اسقط نشر الأبواب المتعلقة بالإمامة، واعتذر عن ذلك، لسببين: الأول: ان هذه الأبواب مدخل لكتاب (مناقب الأئمة)، وهو يرى أن يطبع في كتاب واحد، باب الإمامة من كتاب التمهيد والثاني انه لا يرى مستعدا لتولي هذا العمل الشاق وكانت نشرة مكارثي بعنوان (كتاب التمهيد)، تأليف القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني –وهذه النسخة التي بين أيدينا الآن وسندرس جهود الإمام من واقعها. ينظر: مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١م، ط(١٩، ١/ ٥٨٨-٥٩٠.

(١) ينظر: التمهيد، الباقلاني، عني بتصحيحه ونشره رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧م، ص٤.

ت) بيان صفات ذاته، وانه عادل فيما أنشأه من مخترعاته، من غير حاجة منه إليه وجواز إرساله رسلا إلى خلقه وسفراء بينه وبين عباده وقع العذر في إيجاب تصديقهم بما أبانهم به من الآيات، ودل به على صدقهم من المعجزات.

ث) بيان جمل من الكلام على سائر أهل الملل المخالفين لملة الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وأهل التثنية.

ج) بيان جمل من مناقب الصحابة وفضائل الأئمة الأربعة، واثبات إمامتهم، ووجه التأويل فيما شجر بينهم.

٢) مقدمة الكتاب:

قدم الإمام الباقلاني في كتابه التمهيد، تقدمة نزه الله تعالى عما لا يليق بقدسه، وما نسبه إليه أصحاب المقالات الضالة، ويلحظ على الباقلاني انه استخدم السجع في إنشاء مقدمته، فبعد أن حمد الله بكلمات خاشعة، وجه الأنظار إلى قدرة الله تعالى ومشيئته، وانه ليس كمثله شيء، ولننظر إلى تلك المقدمة الرائعة، التي كتبها الباقلاني (رحمه الله) في صدر كتابه: "الحمد لله قامع الأباطيل، ومدحض الأضاليل، وهادي من اختصه برحمته إلى سواء السبيل، ومضل الناكب عن النهج المستقيم، والحائد عن واضحات الحجج، ونيرات البراهين، احمده حمدا معترف بأنه لا شبه له يساويه، ولا ضدٌ ينازعه، وانه ملك الخلق ومنشئه، ومعيده ومبدئه، ومفقره ومغنيه، وراحمه ومبتليه، لا مالك فوقه يزجره، ولا قاهر

ينهاه ويأمره، وان الخلق جميعا قبضته، ومتقلبون بمشيئته، ومتصرفون بين حدوده ومراسمه"[1].

٣) استعداد الباقلاني العلمي:

تشير المصادر إلى أن الباقلاني كان غزير التصنيف، يكتب كل ليلة خمسا وثلاثين ورقة تصنيفا من حفظه، فإذا صلى الفجر دفع إلى بعض أصحابه ما صنفه في ليلتهن وأمر بقراءته عليه وأملي عليه الزيادات فيه والباقلاني عالما كبيرا تكلم في مقدمات البراهين العقلية للتوحيد، فتكلم في الجوهر والعرض، وان العرض لا يقوم بالعرض، وان العرض لا يبقى زمانيين إلى آخر ما هنالك[2]. وروى ابن خلكان عنه، انه كان كثير التطويل في المناظرة، مشهورا بذلك عند الجماعة[3].

وتروي المصادر ان أهم أحداث حياته ان عضد الدولة البويهي، أرسله في سفارة إلى إمبراطور بيزنطة (باسيليوس الثاني)، سنة (٩٨٢-٩٨٣م)، في القطسنطينية واختصه بذلك ليظهر رفعة الإسلام ويغُص من النصرانية وجرت بعض الأحاديث بين الإمبراطور وبين الباقلاني، منها معجزة انشقاق القمر على عهد رسول الله (ﷺ)، التي أجاد بها الباقلاني في الإجابة والتحقيق، وتكلما في المسيح (عليه السلام)، وحقيقته، وفي مجلس آخر تكلما عن الناسوت واللاهوت، وعن اتحادهما

---

(١) التمهيد، الباقلاني، ص٣.

(٢) ينظر: تاريخ المذاهب الإسلامية، أبو زهرة، ص ١٧٢.و مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، ١/ ٥٧١.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/ ٤٠٠.

في مجلس آخر، وكان الامبراطوار يسأل الباقلاني أسئلة عدة، ويجيب الباقلاني عنها بكل علمية إلى نهاية الأمر[1].

وتجسد استعداده العلمي في كتابه التمهيد، في تسجيل مناقشاته للنصارى، و" يلفت النظر في كتاب الباقلاني هذا اهتمامه بالرد على النصارى، ولا بد انه كان ثمة حركة مناظرة قوية بين الإسلام والنصرانية، خصوصا في بغداد، حيث وجد أفذاذا من علماء النصرانية المشاركين في اللاهوت والفلسفة معا"[2].

٤) منهجية الباقلاني في مناقشة الاقانيم وتفنيدها:

اتخذ الباقلاني أسلوبا في مناقشة اقانيم النصارى، ألا وهو تحفيز النظر العقلي إلى تلك المعتقدات التي يعتنقها القوم، وذلك على صيغة أسئلة يسألها ثم يرد عليها ردا افتراضيا لتوضيح المعتقد الخاطئ وكأنها مناظرة بين مجاميع من علماء النصارى وبين الباقلاني تدار في وقت واحد فهو يحقق في ذلك منهجا إلزاميا للقوم، من واقع الاستدلال العقلي، فكان الإمام يكتب المسالة تبعا لمنظور القوم، ومن ثم يرد عليها، وفي ذلك حقق المنهج الموضوعي في دراسة دقائق المسائل، وتحليلها ضمن منهجه التحليلي، ومن ثم عالجها بالنقد الموضوعي.

لقد التزم الباقلاني طريقة منهجية في عرض العقائد بذكر مقدمات كلامية لها أهميتها البالغة في فهم الدلائل العقلية وبنائها من جهة، ولها

---

(١) للاطلاع على تفصيلات مجالس المناظرات، ينظر: مذاهب الإسلاميين، بدوي، ٥٧٥-٥٨٤.

(٢) مذاهب الاسلاميين، ص٥٩٥.

ضرورتها في مجاراة الخصوم وتفنيد شبهاتهم وإبطال دعاواهم من جهة ثانيةان قضية التنسيق المنهجي للأبواب والمسائل التي ساقها الباقلاني في كتابه التمهيد يؤكد انه سائر بمنهجية يتم فيها عرض المسائل الكلامية والدفاع عنها عرضا روعي فيه السياق الموضوعي والعلاقة البنيوية بين المسائل(١).

ونستطيع ان نجمل القواعد المنهجية وأسسها المتينة التي أرساها لنا الباقلاني في علم المناظرة، من واقع استقرائنا لجهوده العلمية في كتابه التمهيد، بما يأتي:

١) القاعدة الأولى: يجب على المناظر ان يكون على قدر تام من الإحاطة، والاطلاع الدقيق على نصوص القوم المقدسة، وعلى تأويلات مذاهبها المعتبرة.

٢) القاعدة الثانية: استعمال المنهج التقريري في محاجة القوم، ويتأتى هذا من واقع الأسئلة الاستنكارية، والأسئلة التي تؤدي إلى أعمال الفكر وتوجيهها نحو المعتقد.

٣) القاعدة الثالثة: المناورة الفكرية، ويتأتى هذا بإشغال العقل بطرح أفكار عدة، تدور في فلك المعتقد بحيث تهز ثوابت المعتقد، ومثاله عند الباقلاني، قوله: لم زعمتم ان الله تعالى ثلاثة أقانيم دون ان تزعموا انه أربعة وعشرة وأكثر من ذلك؟.

(١) ينظر: النظر في علم الكلام، د. محسن قحطان، ص ٩٥٥.

٤) القاعدة الرابعة: إلزام الخصم بالتسليم إلى الاستدلال العقلي، ولا نكران لتلك النتائج العقلية التي جاءت عبر المخاض العقلي المبرمج وفق خطوات النظر السليم لتلك المعتقدات، ومثاله عند الباقلاني، (وزعم قوم منهم: ان معنى الاقانيم والخواص انها أشخاص. فيقال لهم: أهي أشخاص لأنفسها أم لجوهر يجمعها؟ فان قالوا لأنفسها تركوا قولهم. وان قالوا لجوهر جامع لها أبطلوا التثليث).

ومن القواعد المنهجية التي كان يستعملها الباقلاني السبر والتقسيم(١).

و بهذا المسلك، الذي عبر عنه بقوله: "ومن الأدلة أن ينقسم الشيء في العقل على قسمين أو أقسام يستحيل أن تجتمع كلها في الصحة والفساد، فيبطل الدليل أحد القسمين، فيقضي العقل على صحة ضده ......"(٢).

ومعنى هذا أن العقل قد يجوز تقسيم الشيء على أمرين، أو على أمور فإذا كان التقسيم منحصراً بين أمرين لا ثالث لهما في تجويز العقل، وكانا معاً متقابلين من كل وجه، فإذا قام الدليل على فساد أحدهما، دل

---

(١) السبر والتقسيم، السبر معناه في اللغة: الاختبار، ومنه سمّي ما يختبر به طول الجرح وعرضه مسباراً، وتقول العرب هذه القضية يسبر بها غور العقل: أي يختبر، والأصل أن تقول التقسيم والسبر، لأنا نقسم أولاً، ثم نقول في معرض الاختبار لتلك الأوصاف الحاصلة في التقسيم هذا لا يصلح وهذا لا يصلح فيتعين هذا، فالاختيار واقع بعد التقسيم، لكن التقسيم لما كان وسيلة للاختبار، والاختبار هو المقصد، وقاعدة العرب تقديم الأهم والأفضل، فقدم السبر لأنه المقصد والأهم وأخر التقسيم لأنه وسيلة أخفض رتبة من المقصد وهذه الطريق مفيدة للعلة، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الاصول، الإمام القرافي، ص ٣٠٩.

(٢) التمهيد، الباقلاني، ٨٣. س

ذلك على ثبوت نقيضه، كقولك العالم إما قديم أو حادث، فإثبات حدوثه يبطل قدمه، واثبات قدمه يبطل حدوثه(١).

وعلى هذا الأساس فقد عد السبر والتقسيم بابا من أبواب الجدل يتخذه سبيلاً لإبطال دعوى من يجادله، ويكون ذلك بحصر الأوصاف للموضوع الذي يجادل فيه ثم يبين أنه ليس في أحد هذه الأوصاف خاصة تسوغ قبول الدعوى فيه فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع(٢).

ولبيان منهج الباقلاني وقواعده في المناظرة، نأخذ نماذج عملية في مناقشة تعدد الاقانيم عند النصارى وفرقها من واقع كتابه التمهيد، ونجعلها ضمن المسائل الآتية:

أولا: المسألة الأولى: مناقشة الباقلاني تعدد اقانيم النصارى:

ناقش الباقلاني مسالة تعدد الاقانيم عند النصارى والمحصورة بـ(الثلاثة اقانيم)، وقد أنكر عليهم هذا الحصر، مع إمكان تكثيرها لتصل إلى أربعة عشر اقنوما أو أكثر من ذلك، لأنه لا ضابط علمي، ولا مستند نقلي لها، وقد استعمل الباقلاني منهجا موضوعيا في بيان الصفات الحقة في ذات الله تعالى، من واقع فقهه لها، ولننظر إلى منهجه وهو يتجابه مع النصارى في حصرهم للاقانيمهم بالعدد ثلاث، محاولا في ذلك إعمال فكرهم وتحفيزه.

---

(١) الباقلاني وأراؤه الكلامية، استاذنا محمد رمضان، مطبعة الامة، بغداد، ١٩٩٦م، ص ٢٩٨.

(٢) ينظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ص ٢١٥.

يقول الباقلاني في مناقشته للنصارى:

يقال لهم: لم زعمتم ان الله تعالى ثلاثة أقانيم دون ان تزعموا انه أربعة وعشرة وأكثر من ذلك؟

فان قالوا: من قبل انه قد ثبت ان البارئ سبحانه موجود جوهر، وثبت انه حي، وانه عالم، فوجب انه جوهر واحد ثلاثة أقانيم، منها الوجود، ومنها العلم، ومنها الحياة، لان الحي العالم لا يكون حيا عالما حتى يكون ذا حياة وعلم، فوجب وثبت ان الاقانيم ثلاثة.

فيقال لهم: ما أنكرتم ان يكون الاقانيم أربعة؟ لأننا نقول ان القديم موجود حي عالم قادر[1]، والقادر لابد له من قدرة، فوجب ان يكون الاقانيم أربعة.

فان قالوا: القدرة هي الحياة، فهما اقنوم واحد، قيل لهم: فما أنكرتم ان يكون العلم هو الحياة، فوجب ان يكون البارئ سبحانه اقنومين؟.

فان قالوا: قد ينقص العلم ويزيد، ويُعدم جملة ويوجد، والحياة بحالها، فوجب ان يكون العلم ليس معنى الحياة في شيء. قيل لهم: وكذلك قد

---

(١) ذكرنا فيما تقدم ان بعض المتكلمين من علماء المسلمين قسموا الصفات الالهية على ثلاثة أقسام: ١) الصفة النفسية وهي صفة الوجود. ٢)الصفات السلبية (القدم، البقاء، المخالفة للحوادث، القيام بالنفس، الوحدانية)، والمراد بكونها سلبية ان كل واحدة منها سلبت امرا لا يليق بالله، فمثلا معنى القدم بمعنى الازلية أي ان الله غير مسبوق بالعدم فالله ليس له بداية. ٣) صفات المعاني ومعناها ان كل صفة منها معنى وجودي قائم بذات الله تعالى وسميت ذاتية لانها لاتنفك عن الذات ينظر: الفصل الثاني، ص٩٩ وما بعدها.

تنقص القدرة وتزيد وتعدم جملة وتوجد والحياة بحالها، فوجب ان تكون القدرة غير الحياة، وبخلاف معناها.

فان قالوا: قد يبطل العلم جملة في حال النوم والغشي، والإنسان حي. قيل لهم: وكذلك قد تبطل القدرة جملة حتى لا يقدر الإنسان على تحريك يده او لسانه، أو إيماء بعض جوارحه، وهو حي في تلك الحال، فوجب ان تكون القدرة غير الحياة وان الاقانيم أربعة.

فان قالوا: دخول حرف المبالغة في صفة الحي، والتفضيل بين الحيّين دليل على ان القدرة غير الحياة، لأننا نبالغ في صفة القادر. ونقول: (قادر)، و (اقدر منه)، و لا نقول (حي)، و(أحيا منه)، فوجب ان تكون القدرة غير الحياة.

وكذلك يقال لهم: ما أنكرتم ان يكون الاقانيم خمسة وعشرة، لأننا نقول ان البارئ موجود حي عالم قادر، ونقول انه مريد وباق وسميع وبصير ومتكلم[1]. والباقي السميع البصير المتكلم المريد لا يكون كذلك الا لوجود بقاء وإرادة وسمع وبصر وكلام.

(١) الكلام صفة تدل على جميع المعلومات، وكلامه تعالى نوعان: كلام نفسي وهو الكلام حقيقة المعبر عنه بالالفاظ، ليس من جنس الاصوات والحروف، بل صفة ازلية قائمة بذات الله تعالى، منافية للسكوت والآفة، وهو قديم لامتناع قيام الحودات بذات الله تعالىوالنوع الثاني: كلام لفظي وهو الحروف والاصوات وهذا يقولون بحدوثه وعدم قيامه بذاته تعالى، وهو القران الكريم وسائر الكتب المنزلة، فالقرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق، واما القران بمعنى اللفظ الذي نقروه فهو مخلوق لكنه يمتنع ان يقال: القرآن مخلوق، ويراد اللفظ الذي نقروه الا في مقام التعليم، لانه ربما أوهم ان القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق وهذا مذهب الاشاعرة وكذا الماتريدية وقد احتج=

فان قالوا: البقاء هو هو.

قيل لهم: والحياة والعلم هما هو، فقولوا انه اقنوم واحد.

فان قالوا: الكلام والإرادة فعل من أفعال المتكلم المريد.

قيل لهم: وكذلك العلم فعل من أفعال العالم، فقولوا اقنومان.

فان قالوا: قد يعلم بالعلم من لم يفعله.

قيل لهم: وقد يرد بالإرادة من لم يفعلها، ويتكلم بالكلام من لم يفعله.

=الاشعري بادلة نقلية منها قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأعراف: ٥٤، اذ ذكر الخلق الذي يشمل جميع المخلوقات في مقابل الامر، وامر الله هو كلامه بدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ الروم: ٢٥، أي بامره لهما بالقيام دون هُوِيٍّ أو سقوط، فدل ذلك على أن أمر الله الذي هو كلامه غير مخلوق ومنها قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ الروم: ٤، يعني من قبل ان يخلق الخلق ومن بعد ذلك، وهذا يوجب أن الامر غير مخلوق، ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ الكهف: ١٠٩، فقد دلت هذه الاية على ان البحار لو كانت مدادا تكتب به كلمات الله لنفدت البحار وتكسرت الاقلام، ولم يلحق الفناء بكلمات الله تعالى، لان من فنى كلام لحقته الآفات، وجرى عليه السكوت، فلما لم يجز ذلك على ربنا (عز وجل)، صح أنه لم يزل متكلما بكلام غير مخلوق، ويفرق الاشعري بين الكلام النفسي القديم والكلام اللفظي المخلوق، ونجد هذه التفرقة عند الباقلاني الذي يصرح بان القرآن، قديم من حيث هو معنى قائم بالله سبحانه، وحادث من حيث حروف منظومة معبرة عن هذا المعنى الازلي، وتلك هي في رايه هي جهة الاعجاز ينظر: شرح المقاصد، ٩٩/٢، الابانة عن اصول الديانة، أبو الحسن الاشعري، ط جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ص٣١ وما بعده، الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ٨٧ وما بعدها، التمهيد، ص١٢٦.

وكذلك ان قالوا: سمع الباريء سبحانه وبصره هو نفس علمه، فوجب انهما ليسا باقنومين غير العلم.

قيل لهم: وكذلك علم الباريء سبحانه هو حياته، فوجب انه تعالى اقنومان.

ولا جواب لهم عن شيء من ذلك.

وان قال منهم قائل: إنما تثبت للباريء بصفة ترجع إلى نفسه لا تعلق لها بغيره وكونه موجودا وجوهرا يرجع إلى نفسه، وكونه حيا يرجع إليه، ولا تعلق له بغيره، وكونه عالما بنفسه يرجع إلى نفسه، وإنما له اقنوم بكونه عالما بنفسه لا بغيره.

قيل له: وكذلك قديم بنفسه، وليس كل موجود جوهرا قديما بنفسه، فوجب ان يكون كونه قديما اقنوما رابعا، وكذلك هو شيء موجود بنفسه وجوهر بنفسه. فيجب ان يكون كونه شيئا موجودا اقنوما وكونه جوهرا اقنوما، لأنه ليس كل موجود جوهرا، وكذلك كونه باقيا صفة ترجع إلى نفسه لا تعلق لها بغيره، وليس كل موجود باقيا، فوجب ان يكون كونه باقيا اقنوما خامسا. ولا جواب لهم عن ذلك وفيه ترك التثليث[١]. وفي ذلك حقق الباقلاني منهج الإلزام، ولا نكران لتلك النتائج العقلية.

المسالة الثانية: محاورة الباقلاني فرق المسيحية:

حاور الباقلاني فرق المسيحية في مسالة جوهر الاقانيم، وقد اتجه منهج الباقلاني نحو طريقين: الأول: تحقيق مقالة الفرقة المسيحية، وكأنه

---

(١) ينظر: التمهيد، ٧٩-٨١.

يريد تأصيل منهجه الدراسي بوصف تلك المقالات كما دانت بها أصحابها، الثاني: بيان معاني دلالات الاقانيم والجوهر، ووجوب التفريق بينها، يقول الباقلاني:

يقال لهم: خبرونا عن الجوهر العام الجامع للاقانيم الذي هذه الاقانيم أقانيم له، أهو عندكم الاقانيم أم غيرها؟.

فان قالت اليعقوبية والنسطورية: ليس الجوهر بغير الاقانيم.

قيل لهم: أفليس الجوهر غير مختلف من حيث كان جوهرا، ومن حيث لم يكن معدودا، ومن حيث لم تكن خواصا متباينة المعنى؟ فان قالوا: اجل وهو قولهم.

قيل لهم: أفليس الاقانيم مختلفة من حيث متباينة المعنى ومن حيث هي معدودة ومن حيث هي أقانيم ومن حيث ان الابن منها تدرع واتحد بجسد المسيح(عليه السلام)، دون الروح؟

فان قالوا: نعم، ولا بد من ذلك.

قيل لهم: فإذا كان الجوهر هو الاقانيم، والاقانيم مختلفة معدودة متباينة المعنى متحدة بناسوت المسيح (عليه السلام)، فيجب ان يكون نفس الجوهر الذي ليس بمعدود ولا مختلف ولا متحد ولا متباين المعنى هو نفس المختلف المعدود المتباين المعنى المتحد، وهذا جهل ممن صار إليه، وليس ذلك من قولهم في الجوهر، ولا خلاص لهم منه.

وان قالت الملكية منهم وهم الروم ان الجوهر غير الاقانيم.

قيل لهم: فإذا كان الجوهر إلها والاقانيم الثلاثة آلهة، وهي غيره، فالإله إذن أربعة: جوهر وثلاثة أقانيم غيره، وهذا يبطل قولكم بالتثليث.

وان قالوا: الإله ثلاثة أقانيم، والرابع جوهر، ليس باله غير الثلاثة.

قيل لهم: فلا فرق إذا بين قولنا: (الاقانيم ثلاثة ولا جوهر هناك يجمعها وتكون له) وبين قولنا: (ان هناك ثلاثة أقانيم وجوهرا جامعا لها) فيجب ان يكون وجود الرابع كعدمه، وإثباته كنفيه، وهذا تجاهل ممن صار إليه.

ويقال لهم: ان جاز ان يكون الرابع مع الثلاثة ثلاثة فقط، فما انكرتم ان يكون الروح والعلم مع الاله الموجد واحدا فقط، وان يكون اقنوما واحدا، ولا يكون الثاني والثالث شيئا يزيد على الواحد، كما لم يكن الرابع شيئا يزيد على الثالث؟ فتكون الثلاثة هي جوهر واحد، كما كانت الأربعة التي منها الجوهر ثلاثة، ولا جواب عن ذلك.

وكذلك يقول لهم: واليعقوبية والنسطورية، في قولهم: ان الأب اله وان الابن اله وان الروح اله، وان الإله مع ذلك واحد، لأنه إذا كان كل واحد منهم إلها، فهم ثلاثة آلهة، فلا معنى لقولهم (اله واحد)، وهم قد جعلوا الإلهية لكل واحد منهم[1].

المسالة الثالثة: بيان اختلافهم في معنى الاقانيم:

زعم قوم منهم ان معنى الاقانيم التي هي الخواص، انها صفات للجوهر.

فيقال لهم: إذن استحال ان تكون أقانيم، وخواص، لأنفسها، فإنما تكون صفات واقانيم لشيء آخر هو غيرها، ولا يقال له انه هي وهذا

---

(١) ينظر: التمهيد، ص٨٤ وما بعدها.

يوجب إثبات أربعة معان، منها جوهر وثلاثة خواص له، وهذا ترك التثليث. وان قالوا: هي خواص لأنفسها واقانيم لأنفسها.

قيل لهم: فيجب ان يكون الابن ابن نفسه، والروح روح نفسه، والصفة صفة نفسها. وهذا جهل عظيم، ويجب بطلان ما هي خواص له ونفيه، وألا يكون هناك مخصوص بهذه الخواص، وهذا إبطال للجوهر.

وزعم قوم منهم: ان معنى الاقانيم والخواص انها أشخاص.

فيقال لهم: أهي أشخاص لأنفسها أم لجوهر يجمعها؟ فان قالوا لأنفسها تركوا قولهم. وان قالوا لجوهر جامع لها أبطلوا التثليث.

وقال بعضهم: معنى الاقانيم انها خواص فقط.

فيقال لهم: أفهي خواص لأنفسها أم لجوهر جامع لها هي خواص له؟ ويكلمون في ذلك بما كلمنا به من زعم انها أشخاص وصفات. ولا جواب لهم عن ذلك[1]

المسالة الرابعة:

يقال لهم: إذا كانت الاقانيم جوهرا واحدا، وكان الأب جوهره الابن، وجوهر الروح من جوهرهما، فلم كان الابن والروح بأن يكونا ابنا وروحا خاصين للأب أولى من ان يكون كل واحد منهما أبا، وان يكون الأب خاصا لهما؟ إذا كان الابن والروح جوهرين لأنفسهما، وكان جوهرهما من جوهر الأب، وكان الأب جوهرا لنفسه، وكان قديما لنفسه، وكانا أيضا

---

(١) ينظر: التمهيد ، ص٨٦.

قديمين لأنفسهما، ولم يكن الأب قبل الاقانيم والخواص ولا اسبق في الوجود، ولا الخواص اسبق منه، فما الذي جعله بان يكون أبا لهما أولى من ان يكون كل واحد منهما أبا لما جعلتموه أبا له، وان يكون الأب خاصا ؟فلا يجدون إلى تصحيح تحكمهم سبيلا[1].

مما تقدم فان صبغة المنهج العقلي جلية في منهج الباقلاني، وان أهمية استعمال المنهج العقلي في المناظرات، ودحض الشبهات، له ثماره في تبيين الحقائق ودرء الباطل وتفنيده.

المطلب الرابع: القرطبي وجهوده في نقد عقيدة التثليث:

أولا) كتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ونسبته إلى الإمام القرطبي:

يعد كتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، من الكتب الرائعة في الردود على شبهات النصارى، وقد قام بتحقيق الكتاب الأستاذ الدكتور (احمد السقا)، غير ان هناك التفاتة مهمة جدا من المحقق حول نسبة الكتاب للقرطبي، وقد رأينا اغلب المحققين قالوا بنسبة الكتاب إلى القرطبي المفسر، وهذا الأمر في مقال، إذ نبه المحقق (احمد السقا)، على نسبة الكتاب في مقدمته لها، فقال: كتاب الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام، تأليف القرطبي وقد وضع المحقق علامة(؟) على القرطبي، للإشارة إلى من هو

---

(١) ينظر :التمهيد، ص٨٦.

القرطبي؟ أهو القرطبي المفسر أم غيره[1]؟ وقد ذكر المحقق ان هناك أسباب وقرائن تحول إلى عدم نسبة الكتاب إلى القرطبي المفسر، منها:

٣) انه كاتب الإعلام ذكر في نهاية كتابه هذا، انه فرغ منه سنة سبعمائة وست وعشرون من الهجرة، معنى هذا ان القرطبي مؤلف كتاب الإعلام، ليس هو القرطبي الإمام الفقيه المفسر للقران الكريم، لان القرطبي الإمام الفقيه المفسر توفي سنة ستمائة وواحد وسبعين من الهجرة.

٤) ان أسلوب مؤلف الإعلام غير أسلوب مفسر القران.

٥) ان ابن فرحون[2] (رحمه الله) في الديباج المذهب لم يعد الإعلام من كتب القرطبي المفسر[3].

---

(١) ينظر: الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام واظهار محاسن دين الاسلام واثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، تاليف الامام القرطبي، تقديم وتحقيق وتعليق، د. احمد حجازي السقا، دار التراث العربي، ١/٥.

(٢) ابن فرحون: هو القاضي برهان الدين، بن علي بن محمد بن محمد أبي القاسم بن محمد بن فرحون، أبو الوفاء، ابن الإمام المحدث نور الدين أبي الحسن اليعمري المدني المالكي، ولد بالمدينة بعد السبعمائة بيسير، وتفتحت براعمه في ضلال دوحة علمية باسقة، وقد توفي سنة ٧٩٩هـ، له مؤلفات: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، مناهل الأحكام، وغيرها، ينظر: ترجمته كاملة في مقدمة الديباج المذهب، الديباج المذهب في معرفة اعيان المذهب، ابن فرحون المالكي.

(٣) الاعلام، ١/٥ وما بعدها.

فيبنى على هذا ان هناك شيخ قرطبي آخر قام بتأليف كتاب الإعلام غير الإمام المفسر القرطبي، وقد لا نستطيع الكشف عن مجهول، الا ان البحوث المنشورة في مواقع الانترنت لهذا الموضوع قد تسعفنا، إذ ان هناك بحوث منشورة لكل من الأستاذ سمير القدوري، والأستاذ محمد ابن إبراهيم، اللذان حاولا من خلال البحث والتحقيق ان يخرجا بنتيجة ان كتاب الإعلام قد ألفه شيخ القرطبي الإمام أبي العباس احمد بن عمر القرطبي ت (٦٥٦هـ)[١].

وإذا ما قورنت هذه النتيجة بما ذهب إليه الدكتور السقا، فيكون هناك تناقض بينهما، ذاك ان صاحب كتاب الإعلام، قد انتهى من تأليف الكتاب بتصريحه سنة (٧٢٦هـ)، وأما شيخ القرطبي المذكور توفي سنة (٦٥٦هـ)، فعلى هذا يقودنا تصريح صاحب الكتاب إلى ان نفتش عن عالم قرطبي آخر، وقد يعمد الباحثون في قابل الأيام لتحقيق المسالة، ونكون نحن في هذا المقام قد عمدنا إلى تحقيق مسالتين، أحداها: التنويه عن عدم صحة نسبة الكتاب للقرطبي المفسر، والثاني إبراز جهود مؤلف الإعلام في الرد على شبهات النصارى.

ونريد ان ننوه اننا سنطلق في ثنايا البحث اسم القرطبي كاتب او مؤلف الإعلام، لتمييز بينه وبين القرطبي المفسر.

---

(١) ينظر: موقع ملتقى اهل التفسير، ومنتدى التوحيد، على الشبكة العنكبوتية، تاريخ الزيارة: ٢٠١١/١٢/٢٥م.

http://www.tafsir.net/vb/tafsir

http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php

ثانيا) أسباب تأليف كتاب الإعلام:

لم يفترق القرطبي مؤلف الإعلام عن سابقيه من العلماء الذين ألفوا كتبهم في الردود والدفاعات ودحض الشبهات، فكان جلهم يؤلفون كتبهم على اثر رسالة وردت من أهل الكتاب، أرادوا بها أثارت مقالاتهم، وتثبيت معتقداتهم من واقع الاستدلال النقلي أو العقلي، وكذا الحال بالنسبة لكتاب الإعلام، وقد صرح المؤلف عن ذلك في مقدمته، يقول:" فقد وقفت وفقك اللهه على كتاب كتب به بعض المنتحلين لدين الملة النصرانية سماه كتاب (تثليث الوحدانية)، بعث به من طليطلة أعادها الله إلى مدينة قرطبة حرسها الله، معترضا فيه لدين المسلمين نائلا فيه من عصابة الحق الموحدين سائلا عما لا يعنيه، ومتكلما بما لا يدريه، فأمعنت النظر فيه، فإذا بالمتكلم يهرف بما لا يعرف وينطق بما لا يحقق ناقض ولم يشعر، وعمى من حيث يظن انه يستبصر أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالإنعام بل هم أضل"(١).

ثالثا: مضامين الكتاب:

يتضمن كتاب الإعلام أربعة أبواب:

- **الباب الأول:** تضمن الكلام على الاقانيم، وبيان مذاهب النصارى قي الاقانيم الثلاثة، ثم عمد المؤلف إلى إبطال قولهم فيها.
- **الباب الثاني:** في بيان مذاهب النصارى في الاتحاد والحلول، وإبطال قولهم فيها.

---

(١) الاعلام، ٤٣/١.

- **الباب الثالث:** في الكلام عن النبوات، وذكر كلام النصارى فيها، وهو على قسمين:

القسم الأول: نقل القرطبي مؤلف كتاب الإعلام فيه كلام مؤلف (تثليث الوحدانية في معرفة الله)، في امر المسيح المنتظر، الذي هو (المسيا)، وبين ان التوراة والإنجيل رغم تحريفهما فيها ذكر محمد (ﷺ)، وقد اثبت في ذلك نبوة نبينا محمد (ﷺ).

القسم الثاني: ذكر فيها المؤلف معنى النبوة، والمعجزة، وبين ان معجزات عيسى (عليه السلام)، لا تدل على إلوهيته، بل على نبوته، ثم ذكر المؤلف أربعة أنواع لإثبات نبوة نبينا محمد (ﷺ).

- **الباب الرابع:** في بيان جمل من فروع أحكامهم، وانها تسير وفق محض الهوى، والتحكم.

وكل باب من هذه الأبواب اشتمل على فصول وفروع وسنقف على الباب الأول في هذا المقام، الذي تضمن مناقشة اقانيم النصارى والرد عليها، وهو مرادنا في هذا المطلب.

رابعا: منهجية القرطبي في كتابه الإعلام:

استعمل القرطبي مناهج عدة في مناقشة مسالة التثليث عند النصارى، وشانها شان المناهج العلمية التي استعمها علماء الإسلام في دراسة عقائد أهل الكتاب ونقدها، ومن ذلك:

١) قسم القرطبي موضوعات كتاب (تثليث الوحدانية)، على أبواب رئيسة، وكل باب شمل مسائل عدة، وهو في ذلك حقق تصنيفا

موضوعيا منتظما، الذي يسمى بالوحدة الموضوعية، في دراستنا المعاصرة.

٢) استعمل القرطبي منهج التحليل، إذ كان يكتب النص الموجود في كتاب (تثليث الوحدانية)، ثم عمد إلى تحليل النص كلمة كلمة، ثم يتجه إلى وضع مقابل كل كلمة من ذلك النص نقدا علميا، بعد ان بين أصول الكلام، وما يجب ان يفهم من معاني الألفاظ.

٣) استعمل القرطبي المقدمات في عرض مسائل بعض نصوص كتاب (تثليث الوحدانية)، ثم بين فساد نتائجها.

٤) استعمل القرطبي النصوص الإنجيلية في معارضة بعض نصوص كتاب (تثليث الوحدانية)، وتعد هذه المقابلة، منهجا علميا دقيقا، يدل على اطلاع المؤلف بكتب القوم المقدسة، فكان يستشهد بالموضع الإنجيلي ضمن سياق حديثه في مسالة ما.

٥) استعمل القرطبي أسلوب المناقشة الذاتية، واعني بذلك انه كان يرد مسالة احد قساوسة النصارى، ثم يأتي برد من قس اعلم من الأول ومعتبر عن النصارى، فيدحض مقالة الأول، ثم يكر القرطبي على الأعلم، ويناقشه مناقشة علمية ويدحض مقالته.

٦) استعمل القرطبي النصوص القرآنية التي تبين معاني اللفظ وتؤول إلى إسقاط حجج صاحب كتاب (تثليث الوحدانية) السالف بالذكر.

٧) استعمل القرطبي السبر والتقسيم، فكان يحصر الموضوعات المشتركة تحت عنوان رئيسي، ثم يقسمها على فصول. ثم يناقشها مناقشة علمية.

ولنلمس منهجه بين النظرية والتطبيق في المحاور الآتية:

خامسا: جهود القرطبي مؤلف الإعلام في مناقشة الاقانيم:

١) مناقشة صدر كتاب (تثليث الوحدانية):

افرد القرطبي (رحمه الله)، فصلا نقاشيا يناقش فيه عنوان كتاب(تثليث الوحدانية)، للمؤلف النصراني، فأراد فيه بيان كيفية استخدام اللغة وتوظيفها في بيان الدلالات الصحيحة الموضوعة لها، وقد عاب على مؤلف كتاب تثليث الوحدانية في ذلك، فيقول: "اما قوله (تثليث الوحدانية)، فكلام متناقض لفظا، وفاسد معنى، بيان ذلك ان قوله تثليث الوحدانية، كلام مركب من مضاف ومضاف إليه، ولا يفهم المضاف ما لم يفهم المضاف إليه، فأقول لفظ الوحدانية مأخوذ من الوحدة، ومعناها راجع إلى نفي التعدد والكثرة والتثليث، معناه تعدد وكثرة، فإذا أضاف هذا القائل التثليث للوحدة، فكأنه قال تكثير مالا يتكثر، وتكثير مالا يتكثر باطل بالضرورة، فأول كلمة تكلم بها هذا السائل متناقضة وباطلة بالضرورة"[١].
هذا فهمهم السقيم لمعاني اللغة، ودلالاتها، وقد وقعوا من قبل في تأويلات باطلة عندما عمدوا إلى الانتصار لمذاهبهم ببعض آيات القرآن الكريم،

---

(١) الإعلام، ٤٣/١.

فأضحت شبهاتهم جلية، فتصدى علماؤنا لها بالكشف والبيان السليم، ودحض التأويل السقيم.

٢) مناقشة مذهبهم في معاني الاقانيم الثلاثة (القدرة والعلم والحياة):

ناقش القرطبي مؤلف الاعلام مقالات النصارى في معاني الاقانيم، فبدا القرطبي يعرض تحقيق مؤلف كتاب (تثليث الوحدانية)، لتلك المقالات، ومن ثم يضعها تحت طائلة المنهج التحليلي النقدي، والملاحظ هنا ان القرطبي استخدم المنهج النصي في رفد المسالة وكذا البيان اللغوي لمعاني اللفظ. ثم يقابل بين تلك النصوص لبيان المقام الصريح لتلك الالفاظ.

أ) عرض المسالة:

قال مؤلف كتاب (تثليث الوحدانية) في فصل الاقانيم: "فان قلت لم لا تقولون بسم العالم القادر المريد، إذا قلتم: باسم الأب والابن والروح القدس ثالثا. اعلم ان المسيح لما بعث الحواريين إلى جميع الأجناس قال لهم: من آمن منهم فعمدوه على اسم الأب والابن والروح القدس، وانما خاطبنا بمثل تعاقلنا، فجعل هذه الأسماء كاختلاف قضايا تلك الأفعال، ثم واسط، ثم أخر، فأول القضايا خلق الله الجميع بيد، سماها: أبا، وأضافها إلى القدرة، وأضاف قضية وعظ المسيح للناس إلى العلم، وسماه ابنا، لان العلم لا يوقع عليه، حتى يتولد كلاما، وأضاف قضية فناء جميع ومكافأة

أهلها بأعمالهم إلى الإرادة، وسماها: روح القدس الذي هو قادر، عالم مريد، اسما للواحد الذي لا يتكثر"[1].

ب) تحليل ونقد معاني الاقانيم:

أجاب القرطبي عن معاني الاقانيم التي أولها النصارى وفق أهوائهم بـ(القدرة والعلم والحياة)، ويلحظ ان القرطبي يستخدم النصوص المقدسة في بيان المراد من معاني اللغة، فيقول: اعلم ياهذا انك لم تحسن السؤال، ولا حصلت منه على الصواب مقال أردت ان تقول في الاعتراض الذي وجهته على نفسك لم لا تكتفون باسم القادر، العالم، المريد، ولا تقولون باسم الأب، والابن، وروح القدس؟ فقدمت وأخرت، وباللفظ والمعنى أخللت، ثم أنتجت النتيجة قبل ذكر المقدمات، فصار لذلك كلامك من أرك الترهات فقلت فيه: (فيتبين: أب وابن وروح القدس ثالثا)، وهذا كلام مختل ناقص، مشوب بالفساد وأما استدلاله على الاعتقاد وجوب الأب والابن والروح القدس، وإطلاق القول بذلك بما قاله عيسى للحواريين، فلا حجة لك فيه، إذ ليس بنص قاطع، بل هو مما تقولون انتم فيه متشابه، فانه يحتمل ان يكون مراده به: عمدوهم على تركهم هذا القول، كما يقول القائل كل على اسم الله، وامش على اسم الله، أي على بركة الله، ولم يعين الأب والابن من هما؟ ولا ما المعنى المراد بهما؟ فلعله أراد بالأب هنا: الملك الذي نفخ في مريم أمه الروح، إذ نفخه سبب علوق أمه وحبلها به، وأراد بالابن نفسه، إذ خلقه الله تعالى من نفخة الملك، فالنفخة له

---

(١) الإعلام، ١/٦٣.

بمثابة النطفة في حق غيره. ثم لا يبعد أيضا في التأويل ان صح عن عيسى (عليه السلام)، انه كان يطلق على الله لفظ الأب ان يكون مراده به: انه ذو حفظ له، وذو رحمة وحنان عليه، وعلى عباده الصالحين فهو لهم بمنزلة الأب الشفيق الرحيم. وهم له في القيام بحقوقه وعبادته بمنزلة الولد البار. ويحتمل ان يكون تجوز بإطلاق اللفظ على الله تعالى، لأنه معلمه وهاديه، ومرشده كما يقال: (المعلم أبو المتعلم)، ومن هذا قوله تعالى في كتابنا: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[1]. ومن هذين التأويلين يصح حل ما وقع في أناجيلهم من هذا اللفظ، بل هذان التأويلان ظاهران، وسائغان فيها، ويشهد لهذين التأويلين، قول عيسى للحواريين على ما جاء في سورة الوصية، حيث قال: (إذا صليتم فقولوا يا أبانا السماوي، نقدس اسمك وقرب ملك)[2].

وكذلك وقع إنجيل يوحنا: (ان عيسى قال لليهود: أنا عالم إنكم من نسل إبراهيم، ولكن تريدون قتلي، لأنكم لا تعلق بكم وصيتي، فاعلم بما رأيت عند الأب، وانتم انما تعملون ما رأيتم من أبيكم، فأجابوه، وقالوا: انما أبونا إبراهيم، فقال لهم: ان كنتم بني إبراهيم، فاقفوا آثره، ولا تريدوا قتلي على إني رجل، وذنبي إليكم الحق الذي سمعت عن الله، ولم يفعل إبراهيم غير هذا، انكم تقفون آثار أبيكم، فقالوا لسنا أولاد زنا، وانما نحن بنو الله، فقال لهم: لو كان الله أباكم لحفظتموني لأني منه)[3].

---

(١) سورة الحج، من الاية (٧٨).

(٢) متى ٦: ٩-١٠، لوقا ٢: ١١

(٣) يوحنا: ٨: ٣٧-٤٢.

ثم نقول لأنه (عليه السلام)، وان كان يطلق هذه الأسماء فإنما كان يطلقها متمثلا بها ثم قد نهى عن إطلاقها في الإنجيل الحواريين، قال: في إنجيل لوقا: (ما تقولون انتم؟ فأجابه شمعون وقال له أنت المسيح ابن الله فنهاهم)[1]. فهذا يدل دلالة بينة على: ان المسيح كان يطلق لفظ الأب على الله تعالى، بالمعنى الذي يطلق على إبراهيم (عليه السلام)، انه أب، وذلك بمعنى المعلم الشفيق، وكذلك جاء اللفظ في كتابنا: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾، وبذلك المعنى تقول اليهود والنصارى في إبراهيم، وليس على حقيقة الأبوة، ومع ذلك ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].وكذلك في الإنجيل في غير ما موضع(قال لكم أبيكم، وقلت لأبي)[3]، ويلزم على مساق هذا الا يخص المسيح باسم الابن ولا الله تعالى باسم الأب[4].

---

(١) لوقا: ٩: ٢٠-٢١.

(٢) سورة ال عمران، الاية (٦٧).

(٣) يوحنا: ١٢: ٤٤-٤٩.

(٤) الإعلام، ٦٤-٦٧.

ج) المناقشة الكلامية والمنطقية للمسالة:

لم يكتف القرطبي ببيان تلك الدلالات المعنوية في معنى الاقانيم، بل عمد إلى مناقشة القضية تبعا لمباحث علم الكلام والمنطق، ومن هنا اشر إلينا مؤشرا جديا أهمية هذه الدراسات في إثبات العقيدة الحقة، ودفع الشبهات الفاسدة، بالأدلة اليقينية.

قال القرطبي مؤلف الإعلام: لا يخلو المستدل بذلك أو ما يقاربه على المعنى المتقدم، اما ان يريد به حقيقة الأب والابن، أو لا يريد ذلك، فان أراد الحقيقة كان محالا وباطلا، فان حقيقة الأب عند العقلاء: حيوان ولد من نطفة حيوان هو من نوعه، وبهذه النسبة والصفة، تفهم حقيقة الابن، وهذا الوصفان محالان على القدرة والعلم، فان العلم ليس بحيوان مولود من نطفة حيوان، ولا القدرة حيوان يخرج منها نطفة يتولد منها حيوان، وهذا معلوم البطلان بالضرورة. وان أراد بذلك المجاز[1]، فلا يصح له حمله على المجاز حتى يجتمع المجاز والحقيقة في أمر ما، فانك إذا قلت (زيد أسد)، انما تجوزت بلفظ الأسد، وأطلقته على (زيد)، لأجل الشجاعة الجامعة بين (أسد)، و(زيد)، ولو ذلك لما صح المجاز، فإذن لابد لهذا المتجوز من جامع بين الحقيقة والمجاز، فما الجامع الذي لأجله تجوز هذا المحتج؟. فان قال: الأمر الجامع ان القدرة أصل العلم وقد قال ذلك

---

(١) هو ما جاوز وتعدى عن محله الموضوع له إلى غيره لمناسبة بينهما، اما من حيث الصورة، او من حيث المعنى اللازم المشهور، او من حيث القرب المجاورة، كاسم الاسد للرجل الشجاع، ينظر: التعريفات، للجرجاني، ص٨٨، شرح الفاظ المتكلمين، الامدي، ص٧١.

داخل كتابه منعنا ذلك، ولم نسأله، وقلنا: المفهوم من القدرة، والمعقول منها عند العقلاء صفة كاشفة نفسها، ومعلومها يصدر عنها الإحكام والإتقان، وهما في حق الله تعالى أزليان عندنا وعندهم، وإذا كانا كذلك فلا يتقدم احدهما على الآخر في الوجود، وإذا لم يصح ذلك فلا يكون أحداها أصلا للآخر. فان أراد هذا القائل: التقدم في الذهن فالعلم هو المتقدم في الذهن، لأنه لا يصح فعل اختياري من غير عالم، فان العلم شرط الإيجاد، والشرط متقدم في الذهن (فعلم)، ويتحقق هذا المعنى على القطع عند من عرف الفرق بين العلم المشروط بالضرورة، وكذلك تقول: (علم زيد فقدر)، ولا تقول: (قدر الفعلي والانفعالي)، ولو عكستم ما ذكرتم فسميتم العلم: أبا، والقدرة، ابنا لكان أحق بذلك وأولى(١).

ثم بعد ذلك يفحم خصمه بهذه المقدمات والتدرج بها، التي تؤول إلى الإلزام، اما قولك " فجعل هذه الأسماء ثلاثا" فيفهم منه ان هذه الثلاثة الاقانيم الذي تقدم ذكرها مجعولة، وان الله هو الذي جعلها، وإذا كانت بجعل الله فهي بخلقه، وما كان بخلقه فو محدث فيلزمك على ظاهر قولك: ان هذه الاقانيم محدثة باختراعه تعالى، وانتم تقولون إنها أزليات قديمة(٢). واما قولك "لان العلم لا يوقع عليه حتى يتولد كلاما"، فكلام حطيط ينبئ عن جهل وتخليط، فان العلم لا يتولد كلاما، إذ لو جاز ذلك لانقلبت حقيقة العلم، ولو جاز انقلاب حقيقة واحدة لجاز انقلاب كل حقيقة، فيقلب القديم حادثا، والحادث قديما، والجسم عرضا، والسواد بياضا

(١) الاعلام، ص٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٩.

إلى غير ذلك من أنواع انقلاب الحقائق، ثم قولك فاسد وباطل بالضرورة، فانا نعلم أمورا من غير كلام موصل إلى ذلك، فقولنا بوجود أنفسنا وبالهانا، ولذاتنا ومحسوساتنا بديهيات. ثم قد صرحت بلفظ التولد، وهو باطل من أصله، فان المتولدات ممكنات، وكل ممكن مقدور بقدرة الله تعالى، فكل المولدات مقدورة بقدرة الله تعالى، فلا يقال أنها متولدات(١).

٣) مناقشة دليلهم على التثليث:

بعد ان صوب القرطبي معاني ودلالات التثليث، يعمد هنا إلى إبطال دليل مقالة تثليث التوحيد، وان التثليث بمنظوره أي مؤلف كتاب تثليث التوحيد يفضي إلى القول بوحدانية الله تعالى، وبيان المسالة وتهافتها من أوجه عدة عند القرطبي.

أ) عرض المسألة:

قال مؤلف كتاب(تثليث الوحدانية): فان سأل من المخالفين، فقال: فما الدليل على صدق ما تدعون من تثليث وحدانية الخالق، وكيف يمكن ان تكون الثلاثة واحدا، والواحد ثلاثة، مع ما ابتدأتم به من القول، وإثباتكم إياه فردا لم يزل؟. قلنا لهم: اما ان تكون الثلاثة واحدا، والواحد ثلاثة، فلذلك لعمري ما لا يمكن كونه، ولكن نقول: ان جوهرا قديما لم يزل موجودا بثلاث خواص أزليات، جوهرات غير متباينات، ولا متفرقات في الجوهر القديم الأزلي، الذي لا يتبعض، ولا يتجزأ بعينه، وكما له، فلا هو ثلاثة، وجميع الثلاثة: خواص هي بمعنى ما هو واحد، ولا هو واحد

---

(١) الاعلام، ص ٧٠.

بمعنى ما هو ثلاثة، اعني ليس هو خاصة واحدة بل ثلاثة خواص، فهذا مذهبنا في تثليث وحدانية الخالق[١].

ب) مناقشة المسألة:

قال القرطبي ردا على مسالة النصراني: هذا السؤال الذي وجهت على نفسك، وارد عليك، ولازم لك، واما انفصالك عنه فمخرجك عن ملة النصرانية، ولا يبقى عليك منها بقية، وذلك ان مرادك من هذا الجواب انك قلت كلاما معناه: ان كون الواحد ثلاثة، والثلاثة واحدا غير جائز عقلا، ولكن معنى التثليث ان الله تعالى جوهر قديم، لم يزل موصوفا بثلاث خواص أوليات، فهو واحد بمجموع الاقانيم، وثلاثة بتفرق الاقانيم، وتلك الاقانيم لا تفارق وجوده، ولا تبيانه، ولا يمكن ان يحمل كلامك الا على هذا. وان حمل على غيره فهو بعيد وغير مفيد. وهذا الذي ذكرته، لا يسأله لك أكثر النصارى، بل يتبرأون عنه، ولا يرضون بشيء منه، إذ نصارى قبلك أكثرهم متفقون على ان الاقانيم الثلاثة لآلهة، وإنها اله واحد، فأنت تقول: هي خواص، وهم يقولون آلهة، فأي شيء يجمع بين الخاصية والإلهية؟ وبينها ما بين السماء والأرض. ثم نقول لهم: لأي شيء تحكمتم بتسمية خالقكم جوهرا؟ وفي أي موضع كتب الأنبياء وجدتم الأمر بذلك؟ أو على لسان من بلغكم الأمر به ولو كنتم ممن يستحي من الله لما تحكمتم عليه بان سميتموه بما لم يسم به نفسه ولفظ الجوهر في المتعارف عند النظار وغيرهم يطلقونه على المتحيز، وهو الجرم الشاغل قدرا من

---

(١) الاعلام، ص٧٧.

المساحة، ولا بد لـه من الحركة والسكون، وهما دليلا تغيره، وحدوثه، فان أردت معنى أخر فلا بد من بيانه، إذ لم تتكلم بما تكلم به أرباب النظر[1].

٤) جهود القرطبي في بيان اختلافهم في معاني الاقانيم:

نـاقش القرطبـي(رحمـه الله)، مذاهـب النصـارى واختلافهم فـي الاقـانيم فـي فصـل مستقل، ونقل فيـه ألفاظ مذاهبهم، وكمـا هـي فـي كتبهم، يقول القرطبـي مؤلـف كتـاب الإعـلام: نبيـن فـي هـذا الفصـل مـذاهب اوائلهـم، ونـتكلم معهم فيهـا، ونوضـح مسـائلهم فيهـا، ان شـاء الله تعـالى، وتـحكـي مذاهبهم بألفاظهم كما وجدتها فـي كتـبهم، ولـم أعـول فـي ذلـك علـى نقل علمائنا عنهم فقط، بل تتبعت ما أمكنني من كتبهم، والله الموفق[2].

وبهذا التصـريح لم يبق لأكـابر النصـارى حجـة علـى علمائنـا الأبرار، وان مناقشـتهم لهـم تسير نحـو الجهـود العلميـة، فـالقرطبي لـم يكتـف علـى النقل من علماء الإسـلام المحققين السـابقين (رحمهم الله)، بل اعتمـد علـى نصـوص القوم التـي توافرت عنـده، هذا من جانـب ومن جانـب آخر سـاهم فـي حـراك الجـدل المسيحي فـي زمانـه وعلـى مـا رأينـا عنـد أسباب تـأليف كتابه الإعلام. ومن اختلاف القوم في اقانيمهم، وكما حققه القرطبي:

---

(١) الاعلام ، ص٧٧ وما بعدها.

(٢) الاعلام، ص٧٩.

أولا: بيان منظورهم الأول لمعاني الاقانيم:

قالوا: لما أفهمتنا الشواهد العقلية: أن الخالق لم يزل حيا، ولم يزل ناطقا. قلنا: فهل يحق ان يكون هو بحياته، ونطقه شخصا واحدا جامعا لأجزاء مختلفة، كما يقال: في حد الإنسان: انه حيوان ناطق مائت؟. إذ تسمى أجزاء جوهره مع أعراضه المختلفة فيه: اقنوما واحدا، شخصا واحدا، ولا يسمى كل جزء، وكل عرض منها اقنوما انسيا، وذلك لان اسم الاقنوم واجب للشيء المستغني بذاته، القائم بشخصه، لا لذي الاضطرار كالأجزاء ولا لذي الاشتباك كالأعراض، فان الأجزاء والأعراض لا تقوم مكتفية بذواتها، كما ان حر النار الذي هو جزء من قوى النار، لا يقوم بذاته اقنوما منفردا دون أصلية النار وضوئها. وكذلك الأعراض المشتبكة في الجوهر كالسواد والبياض، وما أشبههما لا تقوم أشخاصا مكتفية بذواتها دون الجوهر اللازم لها. فالاقنوم هو المستغني بذاته عن أصل جوهريته كالإنسان المستغني بخاصية إنسانيته عن الناس والشجر عن الأشجار، فامتناع أجزاء الإنسان من القيام أشخاصا لاضطرارها، وعجزها عن القيام بذواتها كروح العاجزة عن القيام بتحديدها إنسانا دون جنسه ونطقه، يعجز كل واحد منهما عن القيام بتحديده إنسانا دون روحه، وذلك لاضطرار كل جزء منها إلى صاحبه في القيام بإنسانيته. فإذا تقرر هذا فحياة الله ونطقه لا يخلو من ان يكونا جزأين من جوهره، كما هو من الإنسان، أو غير جوهره، فان قلنا: هما جزءان من جوهره ألزمناه ما يلزم الإنسان من الاضطرار والتأليف، لانا وجدنا أجزاء الإنسان لاضطرار بعضها إلى بعض تقصر عن احتمال أسماء الاقانيم، وهذا يستحيل على

الجوهر الأزلي، إذ هو متعالي عن الأجزاء والتأليف والتركيب والأعراض، فأوجبوا ان تكون خواصه لغنائه، وكمالها تسمى اقانيم قائمة بخواصها، ومستحقة الذي توصف به بجوهريته قديمة كقدمه لأنه لم يزل حيا، وناطقا بكلمته، ومن زعم ان الحياة من الله، والنطق منه، محدثان وصف الله تعالى في أزليته بالموت والجهل، وان قلنا: حياته ونطقه غير جوهره أزليان، فقد أشركنا مع الله في أزليته غيره. فلذلك يسمى كل واحد من الروح والكلمة جوهرية خاصة، فوجب ان يكون جوهر الخالق تعالى: اقنوما خاصا قائما، كاملا بخاصية لم يزل، ونطقه الذي هو كلمته اقنوما خاصا كاملا قائما بخاصية لم تزل، وروحه اعني حياته اقنوما خاصا كاملا قائما بخاصة لم يزل، فهذه ثلاثة اقانيم معروفة بمعانيها، لا متفاصلة، ولا متركبة ولا متشابكة، جوهر واحد، ذات واحدة(١).

ثانيا: بيان منظورهم الثاني في معاني الاقانيم:

نقل القرطبي مقالة آخرى لمعاني الاقانيم، وهي مقالة قس من قساوسة النصارى، وقد تكون مختلفة عن المقالة الأولى، يقول: هذه الثلاثة الاقانيم متوحدة لأجل الأب، متساوية لأجل الابن، منتظمة لأجل الروح، فنؤمن ان الأب: أب، لأجل انه ذو ابن، والابن ابن لأنه ذو أب، والروح القدس منبثق لأنه من الأب والابن، فالأب أصلية الإلهية لأنه كما لا يخلو قط ان يكون إلها، كذلك لم يخلو قط ان يكون أبا، الذي الابن منه مولود، والذي الروح القدس منه ليس مولودا لأنه ليس ابنا، ولا غير

---

(١) الاعلام، ص٧٩ وما بعدها.

مولود لأنه ليس مخلوقا لأنه ليس من شيء بل اله منبثق من الأب والابن اله، واقنوم الأب غير اقنوم الابن، واقنوم الابن غير اقنوم الروح القدس، لكن التثليث المقدس ذات واحدة، إلهية واحدة، وهذا تصريح بان الاقانيم آلهة، وان كان واحد منها غير الآخر(١).

وقد عقب القرطبي على ذلك بالقول: وإذا وقفت على هذه الأقاويل الضعيفة، والآراء السخيفة، لم تشك في تخبطهم في عقائدهم وجدتهم في مقاصدهم قالوا في الله تبارك وتعالى بآرائهم، واتبعوا فيها ظاهر أهوائهم، فهم في ريبهم يترددون، ولجهالهم مقلدون. ولما رأينا هذه المذاهب الركيكة لا تستحق ان تحكى أعرضت عنها إعراض المطلع على عوره أمام من يخاف جوره، فعزمت على نقل مذهب كبيرهم (اوغشتين)(٢)، فان مذهبه في الاقانيم، مقارب في الصفات مذهب المسلمين(٣).

---

(١) الاعلام ، ص٨٠ وما بعدها.

(٢) ولد القديس اوغشين او (أوغسطين) في طاجست بالجزائر عام ثلثمائة واربع وخمسين من الميلاد، لاب وثني، وام مسيحية هي القديسة (مونيكا)، وقد ارسلته امه في السابعة عشر من عمره ليتم دراسته العليا في (قرطاجنة) ونما عقله في المذاهب الفلسفية وتطوافه بها، فاعتنق الافلاطونية مرة، والمانوية مرة اخرى، والافلاطونية الجديدة مرة ثالثة، وقد ظل (اوغسطين)، حوالي تسع سنوات معتنقا الثنائية المانوية مات عام اربعمائة وثلاثين من الميلاد، ينظر ترجمته كاملة في كتاب: روح الفلسفة المسيحية في مصر في العصر الوسيط، تاليف اتين جلسون، عرض وتحقيق امام عبد الفتاح امام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م، الصفحات، ١٢، ٤٨، ١٦١.

(٣) ينظر: الاعلام، ص٨١.

وفي ذلك يحقق أسلوب المناقشة الذاتية، ويبني على ذلك رؤى جديدة لمعاني الاقانيم الثلاث، وان كان قد خالف هذا الأعلم من سبقه منم أعلام منه، ولعل استخدم القرطبي أسلوب المقارنة ليهدم منظور من سبق (اوغشين).

ثالثا: بيان منظورهم الثالث في معاني الاقانيم:

قال اوغشين: لما اقر علماء المجوس بالقوة الماسكة لكل شيء، وأراد بعضهم ان ينزلوها جوهرا غير حي، ولا مستغن بنفسه وجب علينا ان نحتج عليهم بما يضمهم إلى الإقرار بان تلك القدرة ذات علم وإرادة. قال وقد رد علينا هذه المقالة (برفيريش)، فقال: لا نقول انه شيء فيكون قد سميناه بالأشياء التي لا تسلم من عيب، ولكنا نقول (انه)، ولا نقول (شيء)، ثم قال: ألستم تقرعون ان الذي قدر هو الذي علم، وان الذي علم هو الذي أراد فهو واحد في جميع المعاني، وإنما القدرة والعلم والإرادة أسماء صارت فيما بين الخلق والمخلوق، وليست لا خالق ولا مخلوقة، لأنه لو لم يكن الشيء المقدور، لم يسم ذا قدرة، ولو لم يكن الشيء المعلوم لم يسمى ذا علم، وكذلك القول في الإرادة، فهذه الأسماء انما هي أعراض وأسماء فيما بينه، وبين الخلق مثل قولنا: ذو رحمة، ذو حكم، ذو عقاب، فلو لم يكن الخلق المرحوم لم يلزمه اسم الرحمة ثم رد (اوغشتين)، على (برفيريش)، بالقول: لا نقول ان لكل شيء عقيب، وما لم يكن له عقيب، فليس بشيء، لان عقيب شيء، لا شيء، وإذا كان انما ينفي عنه اسم شيء، لان الأشياء كلها له، فمثل ذلك يجب عليه في قوله (ان)، أو قوله (كان)، مع انا لا نعرف شيئا، نقول فيه: (ان)، الا بعد معرفتنا إياه

(شيئا)، وحسبنا في هذا قولنا شيء ليس كشيء من جميع الأشياء قال: واما قوله: ان القدرة، والعليم انما هي أعراض لزمته فيما بينه، وبين الخلق، وإنها مثل الرحمة والحكم، فانا نحتج عليه في ذلك بان نقول: لست تنكر انه كان قبل الأشياء، ودون الأشياء بلا ابتداء. فهل تقدر ان تجحد انه أبدا قادرا؟ فإذا أقررت ان القدرة صفة أزلية، فان قلت انه لا يجوز ان يسمى قبل ان يكون الشيء المقدور عليه، وإنما يسمى قادرا بعد كون الشيء المقدور علينا. قلنا: أفكان يقدر على ان يقدر أم لا؟ فلا بد لك من ان نقول: كان يقدر فيلزمك وصفه بالقدرة على كل حال، وكذلك قولنا في العلم والإرادة، وقولك: يرحم ويغفر ويحكم ليس مثل قولنا، يقدر ويعلم ويريد، لأنك لا تقول كان أبدا يرحم، وكان أبدا يخلق، ولا بد من ان تقول كان أبدا يقدر، وكان أبدا يقدر وكان أبدا يعلم وكان أبدا يريد ثم قال: ان قلنا عرفناه بوحدانيته وعلمناه بذاته من غير نظرنا إلى فعله الدال على قدرته، وعلمه، وإرادته، فقد كذبنا، لأنه لا يقدر احد ان يقول: انه وقع على معرفته، الا بما نظر إليه من خلقه، وتفكر فيه من حكمه، وبمعرفته بنفسه. وكل هذا إقرار بالثلاثة الاقانيم التي ذكرنا، لانا لما وجدنا الخلق الذي لم يقدر ان يكون بنفسه وجب الإقرار بالشيء الذي قرر ان يكون، وهي القدرة التي سماها علماء المجوس (الهيول)[1]، ثم نظرنا إلى تدبير الخلق وجب الإقرار بالعلم والإرادة، لان التدبير لا يكون الا ممن يعلم

(١) الهيولي لفظ يوناني بمعنى الاصل والمادة، وفي الاصطلاح هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية ينظر: التعريفات، للجرجاني، ص١١٣.

ويريد، فثلاثتها اسم لإله واحد، ونعت لمدبر فرد، ولا تجد هي غيره، ولا يجد هو غيرها، فهذا قولنا في التثليث الذي وصفه الإنجيل، وأمر الإيمان به وسماه باللسان العجمي: الأب والابن والروح القدس[١].

مناقشة القرطبي لمقالة القس (اوغشتين):

قال القرطبي (رحمه الله): فهذا كلام هذا القس، والنصارى بأنه اعرفهم بدينهم، وأعلمهم بشرعهم، ويقينهم ينص على ان الاقانيم الثلاثة صفات، ونعوت للواحد الفرد، ولا يقال فيها انها هو ولا هي غيره، وهو لعمري من المسددين في هذا النظر، إذ قد سلك مناهج البحث والعبر، ولقد قارب الحنيفية[٢]، وتباعد عن ملة النصرانية، الا اننا ننازعه نزاعين:

احدهما: في تسمية هذه الصفات الأب والابن والروح القدس، وهذا نزاع لفظي ليس بكبير، ولا له من حظ خطير.

والنزاع الثاني: في انه قصر الاقانيم على هذه الثلاثة. كما نازعهم الباقلاني ولم يعد الحياة فيها كما فعل غيره منهم، وكذلك الوجود الموصوف بهذه الصفات لم يعده اقنوما، وقد صرح بانها صفات، ولا بد للصفات من موصوف بها بالضرورة ومع هذا فقد سلك الرجل مسلك أرباب العقول، وتبرأ من جهالة كل جهول

(١) الاعلام، ص ٨٢ وما بعدها.

(٢) حنيفا أي مائلا عن الأديان المكروهة إلى الحق والحنف: الميل، ومنه رجل احنف وهو الذي تميل قدماه كل واحدة منها إلى اختها باصابعها، وسمي ابراهيم (عليه السلام)، حنيفا لانه حنف إلى دين الله وهو الإسلام ينظر: الجامع لاحكام القران، القرطبي، ١٣٩/٢ وما بعدها.

ثم قال القرطبي: اننا يمكننا ان نناقش هذا القائل كما ناقشنا السائل لكنا تركنا مناقشته اللفظية، وصرفنا المناقشة لمباحثه المعنوية فنقول له لا يشك عاقل سليم الفطرة: ان خالق العالم موجود ليس بمعدوم، وقد اعترفتم بأنه حي عالم، ومن لم يعترف بذلك أقيمت عليه البراهين القاطعة، فإذا تقرر ذلك، قلنا: فمفهوم انه حي هو عين مفهوم انه عالم أو غيره، فان كان عينه، فقولكم: حي، عالم، كقولكم: حي، حي، أو عالم، عالم، والفرق بينهما معلوم ضرورة، ولو كان عينه لاختلطت الحقائق، فثبت أنهما متغايران متعددان، فإذا ثبت ذلك، فاما ان يرجعا إلى الخالق سبحانه وتعالى في قولكم، انه حي عالم، أو لا يرجعان، فان لم يرجعا لم يصح الإخبار عنه بهما، ولم يكونا وصفين لهما، فثبت انهما يرجعان إليه، وإذا ثبت ذلك، فلابد ان يكونا من أوصافه تعالى النفسية، اعني الذاتية، فان كانا من أوصافه النفسية أدى ذلك إلى ان يكون ذاته، وماهيته متركبة متبعضة، وذلك محال على ما قررتم فيما تقدم من كلامكم. وأيضا لو عقل كون العلم والحياة من الأوصاف النفسية في محل عقل ذلك في كل محل، ويلزم من ذلك كون العلم والحياة من صفات أنفسنا، وذلك معلوم البطلان بالضرورة، وأيضا لو جاز ذلك للزم ان يكون العلم والحياة قائمين بنفسهما، اعني موصفين، لان جزء القائم بنفسه، قائم بنفسه، وقد ثبت بالأدلة القاطعة: ان البارئ تعالى قائم بنفسه، والمعقول من العلم والحياة، انهما صفتان لا موصوفان، فإذا تقرر ذلك، وثبت لزم منه انهما زائدان على النفس، فإذا تقرر ذلك فاما ان يقوما به، أو لا يقوما به، فان لم يقوما به لم يتصف بهما، ولو جاز ان يتصف بهما، ولو جاز لا يقوم به،

لجاز ذلك في حقنا، فكان يلزم عليه، ان يكون علم (زيد) يتصف به (عمرو)، وذلك محال ضرورة، فدل ذلك على انهما قائمان به، فإذا قاما به وهما وجودان زائدان على الذات حصل من ذلك كله: ان ذاته واحدة لا تركيب فيها، ولا تعدد، وان صفاته الزائدة هي المتعددة، وهذا لا إحالة فيه، بل هو الحق الذي لا غبار عليه، ولا بد لكل ناظر من الرجوع، وان تخبط إليه، فهكذا ينبغي ان تفهم صفات البارئ تبارك وتعالى، وتقدس وتنزه، عما يقولون الجاحدون والكافرون علوا كبيرا[١][٢].

وبهذا الاستهلال فقد رأينا القرطبي (رحمه الله) مؤلف كتاب الإعلام، قد أجاد إجادة تامة في بيان حقيقية التثليث عند النصارى، وقد رأينا جليا منهجه الذي اصطبغ بصبغة المنهج العقلي، واستعماله لمباحث علم الكلام والمنطق، وهي روافد علمية رفدت ذهن القرطبي ناهيك عن المناهج الأخرى.

---

(١) الاعلام، ص٨٤ وما بعدها.

(٢) لقد ناقش علماء الإسلام موضوع وحدانية الله تعالى، واثبات وحدانيته في ذاته وصفاته وافعاله، وانه تعالى ليس مركبا من اجزاء، والوحدانية في اصفات تنفي الكم. والكم هو التركيب. المتصل الذي هو تعدد صفتين من جنس واحد كقدرتين فاكثر، وكذا تنفي الكم المنفصل الذي هو اثبات صفة لغيره تعالى تشبه صفته، كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها ويعدم بها كقدرته تعالى والوحدانية في الافعال:تنفي الكم= =المنفصل فقط، الذي هو اثبات فعل لغيره تعالى على طريق الايجاد والخلق ينظر: اصول الدين، قحطان الدوري، ورشدي عليان، ص ١١٨ ومابعدها.

المبحث الرابع

عقيدة الاتحاد والحلول وجهود الشيخين ابن تيمية وعبد الله الترجمان في نقدها

تعد عقيدة الاتحاد والحلول احد أركان الإيمان النصراني، غير ان مذاهبهم فيها ليست على وتيرة واحدة، بل ان هناك مقالات مختلفة ومتباينة فيما بينها، وعقيدة الاتحاد والحلول هي الأخرى من نتاجات المجامع الكنسية، وقد تعرضت هذه العقيدة كأخواتها من العقائد النصرانية، إلى النقد والتحليل من قبل علماء الإسلام.

وسندرس في هذا المبحث عقيدة الاتحاد والحلول وجهود الشيخ ابن تيميه، والشيخ عبد الله الترجمان(رحمهما الله). في دراستها ونقدها. وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: بيان عقيدة الاتحاد والحلول تبعا للمنظور المسيحي:

اختلفت مقالات النصارى في معاني الاتحاد والحلول؛ فمنهم من قال ان الله رب العالمين نزل من علياء مجده، وحل في بطن العذراء مريم، وخرج طفلا، ثم كبر، ثم قتل وصلب، ثم صعد إلى السماء، أي هو واحد في مراحل ثلاثة، والمرحلة الأولى قبل تجسده هي مرحلة كونه الأب، والثانية هي الابن، والثالثة هي الروح القدس، والاقنوم عندهم مرحلة من مراحل الاله الثلاثة[1].

---

(١) الادلة الكتابية على فساد النصرانية، د. احمد السقا، ص١٥٥.

ومنهم من قال: ان كلمة الله انقلبت لحماً ودماً بالاتحاد، وزعم آخرون: إن اتحاد الكلمة بالناسوت الذي هو الجسد هو اتخاذها له هيكلاً ومحلا، هو تدبيرها الأشياء عليه وظهورها فيه دون غيره، وقد اختلفوا في معنى ظهور الكلمة في الهيكل، وإدراعها له فقال أكثرهم: معنى ذلك أنها حلته ومازجته مزاج الخمر بالماء، وقال آخرون: إن اتحاد الكلمة بالجسد ليس على معنى المزاج ولكن على سبيل ظهور صورة الإنسان في المرآة من غير حلول صورة الإنسان في المرآة وكظهور نقش الخاتم في الشمع من غير حلول نقش الخاتم بالشمع. وقال بعضهم: أن كلمة اتحدت بجسد المسيح(عليه السلام)، على معنى أنها حلته من غير مماسة ولا ممازجة كما أقول: أن الله سبحانه حال في السماء، وليس بمماس لها ولا مخالط، وكما أقول: أن العقل جوهر حال في النفس، وهو مع ذلك غير مخالط للنفس ولا مماس لها، وزعمت الملكانية: أن معنى اتحاد الكلمة بالجسد أن الاثنين صارا واحدا وصارت الكثرة قلة، وصارت الكلمة وما اتحدت به واحدا[١].

ويستدلون على اعتقادهم بما في نصوص الكتاب المقدس، فقد جاء في الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا:" الكلمة صار جسدا وحل بيننا"[٢]. و "في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله"[٣]. وكذا ما جاء في رسائل بولس:" الله ظهر في الجسد. تبرر في الروح ترى لملائكة"[٤].

وكذلك يستندون عقيدتهم إلى الدليل العقلي، ومثاله: (الاتحاد بين ذات الله وذات الشجرة التي خاطب منها موسى في الوادي المقدس)، فقولهم لولا الاتحاد بين الذاتين لما صح الكلام، بل إنما كلمته الشجرة حينئذ، وإذا صح الاتحاد بالشجرة صح بذات عيسى[٥].

---

(١) التمهيد، للباقلاني، ٨٦.

(٢) يوحنا: ١:١٤.

(٣) يوحنا: ١:١.

(٤) تيموثاوس: ٣: ١٦.

(٥) الاجوبة الفاخرة، القرافي، ١٢٠.

المطلب الثاني: الشيخ ابن تيمية[1] وجهوده في نقد عقيدة الاتحاد والحلول:

أولا: أسس المنهج السلفي:

فيما تقدم علمنا ان الشيخ ابن تيمية الرائد الأول في استخدام المنهج السلفي في محاجة اهل الكتاب، لذا سنقف في هذا المحور على بيان أسس المنهج السلفي وقواعده، لنبين الصبغة المنهجية للشيخ ابن تيمية(رحمه الله)، في مناقشة النصارى في عقيدتي الاتحاد والحلول.

---

(١) ابن تيمية: هو تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن ابي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، ولد يوم الاثنين سنة (٦٦١هـ)، ونشا نشأة علمية حتى انه افتى وله تسع عشرة سنة او اقل، اما شيوخه فهم كثيرون؛ منهم: زين الدين احمد بن عبد الدائم المقدسي، وشمس الدين الحنبلي، وابو بكر الهروي، وفخر الدين بن البخاري، وغيرهم مما يزيد على مائتي شيخ، واما تلامذته فكثيرون ايضا، ومنهم ابن القيم، ومحمد بن احمد الذهبي، ومحمد بن احمد بن عبد الهادى، وغيرهم، واما مؤلفاته: فانها تزيد على الثلاثمائة مجلد؛ منها: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، قواعد الاديان، الرد على المنطقيين، الفتاوى الكبرى، درء تعارض العقل والنقل، وغيرها من الكتب وعاش ابن تيميه حياة علمية طيبة، وقد تعرض لمحن عدة بسبب فتاوى ذكرها في زمانه، حتى حبس في قلعة توفي فيها ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من الهجرة الشريفة. ينظر ترجمته كاملة في: العقود الدرية، لابن عبد الهادي، ذيل طبقات الحنابلة، ٢/٣٨٧-٤٠٨، الدرر الكامنة، ١/ ١٥٤-١٧٠، البداية والنهاية، ١٤/ ١٣٥، الاعلام، ١/١٤٤.

فقد ابتنى المنهج السلفي أسسه على ثلاث قواعد رئيسة، التي هي دعامتها، وثوابتها، وهذه القواعد هي:

القاعدة الأولى: تقديم الشرع على العقل، وتستند هذه القاعدة على:

١) النقل عن الخبر المعصوم عن الله تعالى.

٢) ان هذا الخبر يشير في ذاته إلى دلالة عقلية متضمنة فيه، غابت عن قول البشر، فيكون ذلك تذكير للإنسان وذلك كالأمثال المضروبة في القران الكريم

٣) ان النقل الصحيح لا يعارضه قط العقل الصريح.

٤) ان الدليل العقلي ليس صريح الدلالة دائما على المقصود، فأدلة العقل اما ظنية، واما يقينية، وكثيرا ما يخطئ الدليل العقلي من العديد من المجالات، فكيف يقدم على السمع؟

القاعدة الثانية: رفض التأويل الكلامي:

والتأويل له ثلاثة معان:

١) المآل، والعاقبة، والمصير

٢) التفسير البيان

٣) صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر. وهذا الاستعمال محدث لا أصل له في كتب اللغة المتقدمة، ولم يستعمل في عصر السلف، لهذا فقد رفض السلفيون النوع الثالث من

التأويـل، لأنـه يقتضـي اتخـاذ العقـل أصـلا فـي التفسـير وتقديمـه على الشرع(١).

القاعدة الثالثة: الاستدلال بالآيات والبراهين:

١) الآيات القرآنية.

٢) البراهين القرآنية:

أ- الميزان القرآني: هو تلك المقاييس العقلية، والأمثال المضروبة في القران لبيان الحقائق، وطرق معرفة التماثل والاختلاف

ب- قياس الأولى: وهو إثبات الحكم للشيء بناء على ثبوته لنظيره، أو لما الشيء أولى بالحكم فيه، وقد اعتمد السلف على هذا القياس في مسائل التوحيد والتنزيه واثبات المعاد

ت- اللزوم: ويعبر عن الحقيقة المعتبرة في كل دليل، فمن عرف ان هذا لازم استدل بالملزم على اللازم بغير ذكر لفظ اللزوم، لان الإنسان بفطرته السوية يعرف ان كل شيء مصنوع لا بد له من صانع، فيلزم من وجوده وجود الصانع(٢).

إذن هذه أهم قواعد المنهج السلفي، فلا بد ان نرى آثارها جلية عند ابن تيمية في مناقشة أهل الكتاب، ولاسيما موضوع مطلبنا الاتحاد

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيميه، ٢٠١/١، ٥/ ٢٣٤ وما بعدها.

(٢) ينظر: قواعد المنهج السلفي، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الاسكندرية، ١٩٨٥م، ط(٣)، ١٦٥-١٨٤، و السلفية، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الاسكندرية، ١٣٠٤هـ - ١٩٨٣م، ٨٩-٩٦.

والحلول. ونرى منهجه بين النظرية والتطبيق، على اعتبار انه احد ابرز أعلام هذا المنهج.

ثانيا: منهج ابن تيمية بين النظرية والتطبيق في مناقشة عقيدة الاتحاد والحلول:

يعد الإمام ابن تيمية (رحمه الله)، الرائد الأول الذي اختط لمسات المنهج السلفي في دراسة الأديان، الذي تمثل بكتابه الجليل: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)(١). وهو في ذلك حقق خير من مثل المنهج السلفي بين النظرية والتطبيق. ذلك انه قد أتيحت له من فرص الاطلاع والاستيعاب ما لم يتح لسابقيه، فكان شخصية موسوعية مستوعبة للثقافة الإسلامية(٢).

وقد حرص ابن تيمية كل الحرص على تطبيق القواعد الثلاثة في مناقشة عقيدة الاتحاد والحلول، مع نظرية المعرفة التي أعدها منهجا جوهريا في الاستدلال، إذ جعل من الإحساس والتجربة والعقل أدوات معرفية متحدة للوصول إلى اليقين العلمي، لذا فانه يعتقد ان العلوم العقلية جميعها علوم تجريبية فلا يسلم إلا بالتجربة، فأضحى منهج ابن تيمية جليا أمام تلك القواعد المعرفية التي يتخذها في مناقشة أهل الكتاب من

---

(١) تعرضنا إلى بيان كتاب الجواب الصحيح، واسباب تاليفه، ومنهج الشيخ في تقسيم فصوله، ومكانة الكتاب بين كتب مقارنة الاديان، وذلك في الفصل الثاني، ص٨٨.

(٢) نظرية المنطق، د. محمد السيد الجليند، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ط(٢)، ص١٨٩.

النصارى في كتابه الجواب الصحيح، وسنرى ذلك في فصوله النقاشية الآتية:

<u>فصل أول:</u>

"نقض قولهم أن اللطائف لا تظهر إلا في الكثائف ولهذا تجسمت كلمة الله[1] الخالقة بعيسى"

قالوا: واما تجسم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق وولادتهما معا، أي الكلمة مع الناسوت، فانه لم يخاطب الباري أحدا من الأنبياء الا وحيا أو من وراء حجاب حسب ما جاء في هذا الكتاب، بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[2]. وإذا كانت اللطائف لا تظهر الا في الكثائف روح

---

(١) ذكر الرازي في تفسير قوله تعالى: (بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم)، فمعنى (الكلمة): فيها وجهان: الأول: ان كل علوق وان كان مخلوقا بواسطة الكلمة وهي قوله (كن)، الا ان ما هو السبب المتعارف كان مفقودا في حق عيسى عليه السلام، وهو الاب، فلا جرم كان اضافة حدوثه إلى الكلمة أكمل واتم، فجعل بهذا التاويل كأنه نفس الكلمة، كما أن من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال فيه على سبيل المبالغة انه نفس الجود، ومحض الكرم، وصريح الاقبال، فكذا ههنا، والثاني: ان السلطان العادل قد يوصف بانه ظل الله في ارضه، وبانه نور الله لما انه سبب لظهور ظل العدل، ونور الاحسان، فكذلك كان عيسى عليه السلام، سببا لظهور كلام الله عز وجل، بسبب كثرة بياناته وازالة الشبهات والتحريفات عنه فلا يبعد ان يسمى بكلمة الله تعالى عن هذا التاويل ينظر: التفسير الكبير، ٨/٤٩.

(٢) سورة الشورى، الاية (٥١).

القدس وغيرها، فكلمة الله التي بها خلقت اللطائف والكثائف تظهر في غير كثيف كلا، ولذلك ظهر في عيسى ابن مريم[١].

بدا الشيخ ابن تيمية بعد عرض مقالتهم بتقسيم جوابه على ثلاثة طرق، وسنقتصر على ذكر الطريق الأول كنموذج تطبيقي لبيان ملامح منهج الإمام ابن تيمية وجهوده في مناقشة النصارى:

<u>الطريق الأول:</u> انه يقال: هذا الذي ذكروه، وادعوا انه تجسم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق وولادتهما معا؛ أي الكلمة مع الناسوت، وهو الذي يعبر عنه باتحاد اللاهوت بالناسوت، هو أمر ممتنع في صريح العقل، وما علم انه ممتنع في صريح العقل، لم يجز ان يخبر به رسول، فان الرسل انما تخبر بما لا يعلم بالعقل انه ممتنع، فأما ما يعلم تصريح العقل انه ممتنع، فالرسل منزهون عن الأخبار عنه[٢].

يذكر لنا ابن تيمية ان النقل الصحيح لا يعارضه قط العقل الصريح، فهو يعتبر تجسم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق وولادتهما معا؛ أي الكلمة مع الناسوت، وهو الذي يعبر عنه باتحاد اللاهوت بالناسوت، هو أمر ممتنع في صريح العقل، وما علم انه ممتنع في صريح العقل، لم يجز ان يخبر به رسول، فان الرسل انما تخبر بما لا يعلم بالعقل انه ممتنع، فأما ما يعلم تصريح العقل انه ممتنع، فالرسل منزهون عن الأخبار عنه. لذا النقل الصحيح للمعصوم لا يعارضه العقل البتة. وان خبر

---

(١) الجواب الصحيح، ١/٤٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ١/ ٤٥٦.

المعصوم يشير في ذاته إلى دلالة عقلية متضمنة فيه، غابت عن قول البشر. ثم يعمد لمناقشة ذلك من وجوه عدة:

احدها: ان يقال المتحد بالمسيح اما ان يكون هو الذات المتصفة بالكلام، أو الكلام فقط، وان شئت قلت: المتحد به اما الكلام مع الذات، واما الكلام بدون الذات فان كان المتحد به الكلام مع الذات، كان المسيح هو الأب، وهو الابن، وهو روح القدس، وكان المسيح الاقانيم الثلاثة، وهذا باطل باتفاق النصارى وسائر أهل الملل، وباتفاق الكتب الإلهية، وباطل بصريح العقل

وان كان المتحد به هو الكلمة فقط، فالكلمة صفة، والصفة لا تقوم بغير موصوفها، والصفة ليست إلها خالقا، والمسيح عندهم اله خالق، فبطل قولهم على التقديرين، وان قالوا: المتحد به هو الموصوف بالصفة، فالموصوف هو الأب، والمسيح عندهم ليس هو الأب، وان قالوا: الصفة فقط، فالصفة لا تفارق الموصوف، ولا تقوم بغير الموصوف، والصفة لا تخلق ولا ترزق، وليست الإله، والصفة لا تقعد عن يمين الموصوف، والمسيح عندهم صعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، واما كونه هو الأب فقط، وهو الذات المجردة عن الصفات، فهذا أشد استحالة، وليس فيهم من يقول بهذا.

الوجه الثاني: ان الذات المتحدة بناسوت المسيح مع ناسوت المسيح أن كانتا بعد الاتحاد ذاتين، وهما جوهران كما كانا قبل الاتحاد، فليس ذلك باتحاد، وان قيل: صارا جوهرا واحدا، كما يقول من يقول منهم: إنهما صارا كالنار مع الحديدة، أو اللبن مع الماء، فهذا يستلزم استحالة كل

منهما، وانقلاب صفة كل منهما، بل حقيقته كما استحال الماء واللبن، إذا اختلطا، والنار مع الحديدة، وحينئذ فيلزم ان يكون اللاهوت استحال وتبدلت صفته وحقيقته، والاستحالة لا تكون الا بعدم شيء ووجود آخر، فيلزم عدم شيء من القديم الواجب الوجود بنفسه.

وقد عبر ابن تيمية عن هذا الوجه بلزوم الحقيقة المعتبرة، في كل دليل فان كان هذا لازما، فيستدل بالملزم على اللازم، وان لم يكن ملزم فينتفي لزومه، ولننظر لذلك في حديثه، قال: وما وجب قدمه استحال عدمه، وما وجب وجوده امتنع عدمه، فان التقديم لا يكون قديما الا لوجوبه بنفسه، أو لكونه لازما للواجب بنفسه، إذ لو لم يكن لازما له، بل كان غير لازم له، لم يكن قديما بقدمه، والواجب بنفسه يمتنع عدمه، ولازمه لا يعدم الا بعدمه، فانه يلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم.

الوجه الثالث: ان يقال: الناس لهم في كلام الله (عز وجل)، أقوال عدة: وقول النصارى باطل على جميع الأقوال التي قالها الناس في كلام الله، فثبت بطلانه على كل تقدير، وذلك ان كلام الله سبحانه اما ان يكون صفة قائمة به، واما ان يكون مخلوقا له بائنا عنه، واما ان يكون لا هذا ولا هذا، بل هو ما يوجد في النفوس، وهذا الثالث ابعد الأقوال عن أقوال الأنبياء، وهو قول من يقول من الفلاسفة والصابئة: ان الرب لا تقوم به الصفات، وليس هو خالقا باختياره، ويقولون مع ذلك: انه ليس عالما بالجزئيات، ولا قادرا على تغيير الأفلاك، بل كلامه عندهم ما يفيض على النفوس، وربما سموه كلاما بلسان الحال، وهؤلاء ينفون الكلام عن الله،

ويقولون، ليس بمتكلم، وقد يقولون: متكلم مجازا، لكن لما نطقت به الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، أطلقه من دخل في الملل منهم[١].

ثم بعد ذلك يستعمل ابن تيمية الميزان القرآني في توجيه المقاييس العقلية، فهو يذكر لهم: انما خص المسيح بتسمية كلمة الله دون سائر البشر، لان سائر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات، يخلق الواحد من ذرية آدم من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم ينفخ فيه الروح، وخلقوا من ماء الأبوين الأب والأم، والمسيح(عليه السلام)، لم يخلق من ماء رجل، بل لما نفخ روح القدس في أمه حبلت به، وقال الله كن فكان. ثم نجد ابن تيمية يستعمل في هذا المقام الامثال المضروبة في القران الكريم لبيان حقائق معرفية ثابتة، لذا نجده يستشهد بقول الحق في مشابهة خلق المسيح بآدم (عليهما السلام): ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٢].

ويستعمل ابن تيمية قياس الأولى الذي هو إثبات الحكم للشيء بناء على ثبوت نظيره، ومن ذلك قوله: واما القول بان كلمات الله لا نهاية لها مع إنها قائمة بذاته، فهو القول المأثور عن أئمة السلف، وهو قول أكثر أهل الحديث، وكثير من أهل الكلام ومن الفلاسفة والمقصود هنا ان قول النصارى باطل فانه على قول الجمهور الذين يجعلون لله كلمات كثيرة، اما كلمات لا نهاية لها ولم تزل، واما كلمات لها ابتداء، وإذا كان له

---

(١) الجواب الصحيح، ١/ ٤٥٦ وما بعدها.

(٢) سورة ال عمران، الاية (٥٩).

كلمات كثيرة، فالمسيح ليس هو الكلمات التي لا نهاية لها، وليس هو كلمات كثيرة، بل إنما خلق بكلمة من كلمات الله ومن ذلك قوله تعالى في قصة بشارة المسيح: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]، وقد أخبر الله في القرآن بخلقه للأشياء بكلماته في غير موضع، بقوله: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[3]. وفي التوراة: ليكن يوم الأحد، ليكن كذا، ليكن كذا، فعلى قول هؤلاء، وعلى قول من يجعل كلامه اما معنى واحد، واما خمسة معاني، واما حروف وأصوات، هي شيء واحد، فكلهم يقولون: ان الكلام صفة قائمة بالموصوف، لا يتصور أن يكون جوهرا قائما بنفسه، ولا يتصور ان يكون خالقا، ولا للكلام مشيئة، ولا هو جوهر آخر غير جوهر المتكلم، ولا يتحد بغير المتكلم، بل جمهورهم يقولون: انه لا يحل أيضا بغير المتكلم. ومن قال بالحلول منهم، فلا يقول: ان الحال جوهر، ولا اله خالق، فتبين ان ما قاله النصارى باطل على جميع الأقوال التي قالها الناس في كلام الله، مع ان أكثر هذه الأقوال خطأ، ولكن كان قول

---

(١) سورة ال عمران، الاية (٤٧).

(٢) سورة مريم، الايتان(٣٤-٣٥).

(٣) سورة يس، الاية (٨٢).

النصارى فساده أظهر للعقلاء، كان الخطأ الذي في أكثر هذه الأقوال قد خفي على العقلاء الذين قالوها، ولم يخف عليهم فساد قول النصارى(١).

ثم يعبر ابن تيمية عن **الوجه الرابع**: بان يقال: لو كان المسيح نفس كلمة الله، فكلمة الله ليست هي الإله الخالق للسماوات والأرض، ولا هي تغفر الذنوب، وتجزى الناس بإعمالهم، سواء كانت كلمته صفة له، أو مخلوقة له كسائر صفاته ومخلوقاته، فان علم الله وقدرته وحياته لم تخلق العالم، ولا يقول احد: يا علم الله اغفر لي، ويا قدرة الله توبي عليّ، ويا كلام الله ارحمني، ولا يقول: يا توراة الله، أو يا أنجيله، أو يا قرانه اغفر لي وارحمني، وانما يدعو الله سبحانه، وهو سبحانه متصف بصفات الكمال، فكيف والمسيح ليس هو نفس الكلام، فان المسيح جوهر قائم بنفسه، والكلام صفة قائمة بالمتكلم، وليس هو نفس الرب المتكلم، فان الرب المتكلم هو الذي يسمونه الأب، والمسيح ليس هو الأب عندهم، بل الابن، فضلوا في قولهم من جهات:

منها: جعل الاقانيم، وصفا الله لا تختص بثلاثة.

ومنها: جعل الصفة خالقة، والصفة لا تخلق.

ومنها: جعل المسيح نفس الكلمة، والمسيح خلق بالكلمة، فقيل له: كن فكان.

وانما خص المسيح بتسمية كلمة الله دون سائر البشر، لان سائر البشر خلقوا على الوجه المعتاد في المخلوقات، يخلق الواحد من ذرية آدم

---

(١) الجواب الصحيح، ١/ ٤٥٩.

من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم ينفخ فيه الروح، وخلقوا من ماء الأبوين الأب والأم، والمسيح(عليه السلام)، لم يخلق من ماء رجل، بل لما نفخ روح القدس في أمه حبلت به، وقال الله كن فكان، ولهذا شبهه الله بآدم في قوله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1][2].

ثم لنأخذ فصلا آخراً من الفصول التي بسطها ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح في مسالة الاتحاد والحلول، ولنبرز مزيدا من جهوده في دراسة الأديان وفق القواعد المنهجية التي اعتمدها ابن تيمية (رحمه الله).

فصل ثاني: تفنيد مراد النصارى بظهور الله في عيسى(عليه السلام):

قالوا: ولذلك ظهر في عيسى ابن مريم، إذ الإنسان أجل ما خلقه الله، ولهذا خاطب الخلق، وشاهدوا منه ما شاهدوا.

فيقال لهم: ان ادعيتم ظهوره في عيسى كما ظهر في إبراهيم، وموسى، ومحمد (صلوات الله عليهم وسلامه)، وكما يظهر في بيوته التي أذن الله ان ترفع ويذكر فيه اسمه، وذلك بظهور نوره، ومعرفته، وذكر أسمائه، وعبادته، ونحو ذلك من غير حلول ذاته في البشر ولا اتحاده به، فهذا أمر مشترك بين المسيح وغيره، فلا اختصاص للمسيح بهذا، وهذا أيضا قد يسمى حلولا، وعندهم ان الله يحل في الصالحين، وهذا مذكور

---

(١) سورة ال عمران، الاية (٥٩).

(٢) الجواب الصحيح، ١/ ٤٥٦،٤٦١.

عندهم في بعض الكتب الإلهية، كما في كتبهم في المزمور الرابع من الزبور، يقول داود (عليه السلام)، في مناجاته لربه: وليفرح المتوكلون عليك إلى الأبد، ويبتهجون، وتحل فيهم ويفتخرون، فاخبر أنه يحل في الصالحين المذكورين، فعلم ان هذا لا اختصاص للمسيح به، وليس المراد بهذا باتفاقهم واتفاق المسلمين، أن ذات الله نفسه تتحد بالبشر ويصير اللاهوت والناسوت كالنار والحديد، والماء واللبن، ونحو ذلك مما يمثلون به الاتحاد، بل هذا يراد به حلول الإيمان به، ومعرفته، ومحبته، وذكره، وعبادته، ونوره، وهداه(١).

يلاحظ ان الإمام ابن تيميه له اطلاع على كتب القوم، وفي ذلك فقد اشر لنا مؤشرا في الاستشهاد من نصوص الكتب الإلهية بالرغم من علمه بتحريفها، يعطي هذا جدوى علمية في المناقشة والزام، وفي ذلك فإننا نعد استعمل ابن تيمية للنصوص يصب في المنهج الالزام.

ثم يحيل ابن تيمية المناقشة إلى منهجه في الاستشهاد بخبر المعصوم، الذي تكون دلالته دلالة عقلية قاطعة، يقول ابن تيمية: وقد يعبر عن ذلك بحلول المثال العلمي، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢)(٣)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى

(١) الجواب الصحيح، ١/ ٤٦٨.
(٢) سورة الزخرف، الاية (٨٤).
(٣) ذكر القرطبي في تفسيره لهذه الاية الكريمة: هذا تكذيب لهم في أن لله شريكا وولدا، أي هو المستحق للعبادة في السماء والارضينظر: الجامع ١٦/ ١٢١.

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[1] ﴿ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[2].

فهو سبحانه له المثل الأعلى في قلوب أهل السموات وأهل الأرض، ومن هذا الباب ما يرويه النبي(ﷺ) عن ربه، قال: "يقول الله: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه"[3]. فاخبر ان شفتيه تتحرك به، أي باسمه، وكذلك قوله في الحديث الصحيح: "عبدي مرضت فلم تعدني، فيقول العبد: رب كيف أعودك، وأنت رب العالمين؟ فيقول: اما علمت ان عبدي فلانا مرض، فلو عدته لوجدتني عنده"[4]، فقال: لوجدتني عنده، ولم يقل: لوجدتني إياه، وهو عنده في قلبه والذي في قلبه المثال العلمي[5].

ثم يقول ابن تيمية: فان أردتم بقولكم ظهر في عيسى حلول ذاته واتحاده بالمسيح أو غيره، فهذه دعوى مجردة من غير دليل متقدم ومتأخر، وكون الإنسان اجل ما خلقه الله لو كان مناسبا لحلوله فيه أمر لا يختص بالمسيح، بل قد قام الدليل على ان غير عيسى (عليه السلام)، أفضل منه، مثل إبراهيم، ومحمد (ﷺ)، وهذان اتخذهما الله خليلين، وليس

---

(١) سورة الانعام، من الاية (٣).

(٢) سورة الروم، من الاية (٢٧).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب (٤٣)، رقم الحديث (٧٥٢٤)، ١٣/ ٦١١ وما بعدها.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة، باب عيادة المريض، رقم الحديث، (٣٩)، ١٦/ ٣٤٠.

(٥) الجواب الصحيح، ١/ ٤٦٨.

فوق الخلة مرتبة، فلو كان يحل في اجل ما خلقه الله من الإنسان لكونه اجل مخلوقاته، لحل في اجل هذا النوع، والخليل ومحمد (ﷺ)، وليس معهم قط حجة على ان الجسد المأخوذ من مريم إذا لم يتجسد باللاهوت على أصلهم انه أفضل من الخيل وموسى وإذا قالوا: انه لم يعمل خطيئة، فيحيى بن زكريا لم يعمل خطيئة، ومن عمل خطيئة، وتاب منها فقد يصير بالتوبة أفضل مما كان قبل الخطيئة، وأفضل ممن لم يعمل تلك الخطيئة، والخليل وموسى أفضل من يحيى الذي يسمونه يوحنا المعمدان(١).

وبهذا القدر نكون قد أبرزنا جوانب من جهود الإمام ابن تيمية في دراسة عقيدة الاتحاد والحلول، ونقدها وفق القواعد العلمية.

وقبل مغادرة المطلب أريد ان أعقد محورا توافقيا ببيان منهج الإمام الباقلاني في الرد على عقيدة الاتحاد والحلول، وذلك لهدفين، الأول: تعضيد جهود الإمام ابن تيمية، والثاني: توجيه فكر القارئ إلى منهجية الإمامين وهي تتمازج مع بعضها كتمازج الماء والتراب، وهكذا مناهج علماء الإسلام بالرغم من إضفاء الصبغة الخاصة عليها، إلا أنها لم تستطع ان تكن بعيدا عن باقي المناهج، ولننظر إلى منهج الباقلاني، وليلمس القارئ الكريم الصبغة النقاشية بين منهجية الباقلاني وابن تيمية.

---

(١)الجواب الصحيح، ١/ ٤٧٦.

محور توافقي في بيان منهج الباقلاني في مناقشة الاتحاد والحلول:

عرض الباقلاني عقيدة الاتحاد والحلول وذلك تبعا لمنظور فرق المسيحية، ثم ناقشها تبعا لمنهجه العقلي، ونجمله فيما يأتي:

١- من زعم أن معنى الاتحاد هو ظهور الابن في الجسد وادراعه له على سبيل ظهور الوجه في المرآة، والنفس في المطبوع من غير حلول الوجه في المرآة، وانتقال النقش إلى الشمع، فلا معنى له، لأن الوجه لا يظهر في المرآة، ولا ينتقل إليها ولا يوجد على صفحتها، ولا ممازجاً لها وانما يدرك الإنسان وجه نفسه عند مقابلة الأجسام الصافية الصقيلة بإدراك يحدث له بجري العادة، عند مقابلة الأجسام بانعكاس الشعاع، فيظن عند إدراكه لنفسه الصقيل أن في المرآة صورة هي وجه أو مثل وجه وليس كذلك.

٢- ومن قال منهم: أن الاتحاد إنما هو حلول الكلمة في المتحد به واختلاطها به وممازجتها له يقال له: إذا جاز على الكلمة الحلول في الجسد المخلوق وممازجتها له واختلاطها به، وهي مع ذلك قديمة، فلما أنكرتم من اجتماعها مع الجسد ومماستها له ؟ وإذا جاز على القديم سبحانه المماسة والمجاورة، والمخالطة للمحدث والممازجة له، فلم لا يجوز عليه مقابلة المحدث ومحاذاته ؟ ولم لا يجوز عليه الظهور والكمون، والحركة والسكون والبعد والقرب والشغل والتفريغ والتصوير والتركيب ؟ فإن راموا في ذلك فصلاً لم يجدوه وإن مروا على ذلك قيل لهم: فإذا جاز أن يكون ما هذه صفة قديمة. وقد كان في القدم غير مماس ولا ممازج ولا مخالط، فلما أنكرتم أن يكون سائر

الأجسام المماسة المختلفة المتحركة الساكنة قديمة ؟وما الذي جعل الكلمة التي هذه صفتها بالقدم أولى منها بالحدوث ؟وما الذي جعل الأجسام بالحدوث أولى من الكلمة؟

٣- رد الباقلاني على اليعاقبة الذين زعموا أن الكلمة انقلبت لحماً ودماً بالاتحاد، بأنه جاز أن ينقلب ما ليس بلحم ولا دم، لذاته لحماً ودماً بالاتحاد، فلم لا يجوز أن تنقلب الكلمة التي تخالف المحدثات لذاتها محدثة باتحاد، فيصير القديم لذاته محدثاً بالاتحاد، كما صار لحماً ودماً عند اتحاده، ولم يصر المحدث لذاته قبل اتحاد القديم به فيخرج عن أن يكون لحماً ودماً عند اتحاده بالكلمة، فتصير الطبيعتان واحدة، ويصير ما ليس بلحم ولا دم، وما هو لحم ودم غير لحم ودم، فلا يجدون إلى دفع ذلك سبيلاً.

٤- رد على الملكانية الذين زعموا إن الاتحاد هو أن يصير الكثير قليلاً والاثنان واحداً فقال: إذا لم يجز أن يحصل الاتحاد، وأن يصير الاثنان واحد إلا بالاختلاط والامتزاج، وقد بين أن ذلك مماسة وملاصقة، وأنه بمنزلة الحركة والسكون والظهور والكمون، وأن هذه الأمور تختص بالأجسام لم يصبح الاتحاد على الكلمة القديمة، ولا أن يصير الاثنان واحداً أبداً لأنه معلق بمحال وهو مماسة ما ليس بجسم وذلك ممتنع محال. ثم قال لهم: إذا جاز أن يتحد قديم بمحدث، فيصيرا واحداً وقد كانا أثنين قبل الاتحاد فلم أنكرتم أن يتحد محدث بمحدث، إذا خالطه ومازجه، فيصيرا بذلك واحداً ؟ ولم أنكرتم

أن يصير الرطلان والقدحان اللذان أحدهما خمر، والآخر ماء إذا اختلطا وامتزجا رطلاً واحداً وقدحاً واحداً.

وبعد أن ناقشهم في معنى الاتحاد، أراد أن يناقش النصارى بجميع طوائفهم في فاعل الاتحاد، فهو يبين هنا أنهم أما أن يقولوا هذا الاتحاد لا فاعل له، وأما أن يقولوا: له فاعل، وهذا الفاعل أما أن يكون الجوهر الجامع للاقانيم دون الاقانيم، أو الاقانيم الثلاثة دون الجوهر الجامع، أو هو والاقانيم الثلاثة، أو واحد من الاقانيم. فإن قالوا: فاعل الاتحاد هو الجوهر العام الجامع للاقانيم، رد عليهم الباقلاني بأن هذا يوجب أن يكون الجوهر هو متحد بالجسد لأن المتحد عندكم هو من فعل الاتحاد، دون من لم يفعله، وأن يكون هو الإله المستحق للعبادة، لأنه هو الفاعل. وإن قالوا: الجوهر والاقانيم معاً فعلوا الاتحاد، قيل لهم: فيجب أن يكون هو والاقانيم الثلاثة متحدين بالإنسان، ولا معنى لقولكم إذن: إن الابن وحده هو المتحد دون الأب والروح، دون الجوهر العام الجامع للاقانيم، وهذا ينقض قولكم: أن الاتحاد بالابن فقط. وإن قالوا: إنما فعل الاتحاد الاقانيم الثلاثة دون الجوهر، قيل لهم: فيجب أن يكون الروح أيضاً متحداً، وإلا يكون الابن وحده من خواص الجوهر متحداً. وان قالوا: فاعل الاتحاد إنما هو الابن وحده، ولا انفراده بفعل الاتحاد كان متحداً دون الروح، قيل لهم: فإذا جاز أن ينفرد الابن بفعل حادث هو الاتحاد دون الروح والأب، ودون الجوهر العام فلم لا يجوز أن ينفرد الروح بفعل حادث، وحادث آخر، وأن ينفرد كل أقنوم من الاقانيم بعوالم وأفعال لا يفعلها الآخر، وينفرد الجوهر الجامع بفعل غير فعلها؟ وإذا كان ذلك كذلك جاز أن تتمانع وتختلف.

وإذا كانت الاقانيم تفعل، كما أن الجوهر الجامع لها يفعل فلم صار بأن يكون جامعاً لها وأن تكون خواص له أولى من أن يكون هو خاصاً لها، وهي جامعة له، فيكون أقنوماً من أقانيمها؟[1].

المطلب الثالث: عبد الله الترجمان[2] وجهوده في نقد عقيدة الاتحاد والحلول:

---

(١) ينظر: التمهيد: للباقلاني ٨٧ – ٩٠.

(٢) وهو عبد الله ابن عبد الله الترجمان، وأصله من مدينة ميورقة، وهي مدينة كبيرة على البحر بين جبلين، وهي قريبة من جزر صقليه، ولما كان عمره ست سنين قرأ الإنجيل على معلم من القسيسين، حتى حفظ أكثر من شطره في سنتين، ثم تعلم لغة الإنجيل والمنطق في ست سنين، وبدأ يرتحل من ميورقة إلى مدينة إلى أخرى حتى انتهى به المطاف ليسكن في كنيسة وفيها قسيس كبير السن كبير القدر، وكان منزلته رفيعة، وقد لازمه القراءة والخدمة له عشر سنين، ثم أصاب القسيس في أحد الأيام مرضاً فتخلف عن حضور مجلس إقرائه وهم يتذاكرون مسائل من العلوم إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله تعالى على لسان المسيح عليه السلام، انه يأتي من بعده نبي اسمه البارقليط، فبحثوا في تعيين هذا النبي من هو من الأنبياء؟ وبقي الترجمان يضم المسالة حتى ذهب إلى قسه الكبير فسأله بحق الله وعيسى من هو البارقليط ؟ وبعد إلحاح منه على قسيسه، فذكر له وعيناه تفيض من الدمع بأن البارقليط هو اسم من أسماء نبيه محمد (ﷺ)، وبعدها هاجر من الكنيسة بعد اذن قسيسه إلى صقلية ومن ثم إلى تونس، ليسلم هناك أمام السلطان أبي العباسي احمد ينظر: قصة إسلامه كاملة في مقدمة كتابه تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تحقيق الدكتور الطاهر المعموري، دار بو سلامة للطباعة، تونس، د.محمود علي حماية، دار المعارف القاهرة، ٣٨–٤٢.

وسنعتمد بالدراسة على تحقيق د. محمود علي حماية، لما له من تعليقات وتحقيقات واسعة، اشمل من تحقيقات، د. الطاهر المعموري.

مما هو معلوم ان عبد الله الترجمان كان مسيحيا اسبانيا من جزيرة ميورقة، وكان اسمه: (انسلم تورميدا)، وقد هداه الله للإسلام، فسمى نفسه عبد الله، وأضيف إليه لقب الترجمان، لأنه اشتغل بالترجمة لسلطان تونس بعد إسلامه، وقد ألف كتابه: (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)، في عام (٨٢٣هـ)[١].

وقد آثرنا على اختيار عبد الله الترجمان، وذلك بسبب:

١) له علم واسع بالإنجيل، إذ انه حفظ الإنجيل وعمره ست سنين، ومن ثم تعلم لغته، وعلم المنطق مدة ست سنين أخرى.

٢) سفره وارتحاله في المدن، واحتكاكه بالوسط العلمي لاسيما طلاب العلم النصارى.

٣) لازم القس الأعلم (نقلا مرتيل)، عشر سنين، وهو يتذاكر مسائل العلم عنده[٢].

٤) كونه أصبح عالما متبحرا في المسيحية.

٥) اشتهار كتابه (تحفة الأريب)، في الوسط العام.

وعندما هداه الله للإسلام، ناقش القوم مناقشة علمية تطبيقية من واقع مؤلفه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)، ولأهمية الكتاب ومباحثه في الردود على النصارى، واشتهاره في الوسط العام، عمدنا إلى إدراجه

---

(١) ينظر: تحفة الاريب في الرد على اهل الصليب، عبد الله الترجمان، تحقيق: د.محمود على حماية، ص٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٣٨-٤٢.

مع مؤلفات العلماء في الردود على النصارى، وخاصة وان زمن تأليفه يعود إلى القرن التاسع الهجري.

أولا) مضامين كتابه:

قسم عبد الله الترجمان موضوعات كتابه على ثلاثة فصول[1]:

الفصل الأول: ذكر فيه قصة ابتداء إسلامه، وخروجه من الملة النصراني إلى الملة الحنيفية.

الفصل الثاني: فيما اتفق لي في أيام مولانا أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز، وذكر طرفا من سيرته، وآثاره الجليلة وقت تصنيفيه لهذا الكتاب هو عام ثلاث وعشرين وثمانمائة من الهجرة النبوية.

الفصل الثالث: في مقصود الكتاب الرد على النصارى في دينهم، وثبوت نبوة سيدنا محمد (ﷺ)، بنص التوراة والإنجيل، وسائر كتب الأنبياء(صلوات الله عليهم أجمعين).

ثانيا: منهجية الشيخ عبد الله الترجمان في دراسة عقائد النصارى:

١) استعمل الشيخ المنهج الوصفي في بيان عقائد النصارى، وسماها بالقواعد الخمسة، التي يدور حولها حقيقة الإيمان المسيحي، وهي[2]:

أ) التغطيس. ب) الإيمان بالتثليث. ج) اعتقاد الالتحام اقنوم الابن في بطن مريم. د) الإيمان بالقربان كيف ينبغي. هـ) الإقرار بجميع الذنوب للقسيس.

---

(١) ينظر: تحفة الاريب، ص٣٣ وما بعدها.

(٢) فصلنا القول في اسرار الكنيسة السبعة في الفصل الرابع، واقتصر المؤلف على ذكر أربعة منها.

٢) عرض العقيدة المسيحية وتحليلها وتبيين معانيها، وقد حقق في ذلك المنهج الموضوعي والتحليلي.

٣) بيان حيل القساوسة في إظلال عامتهم.

٤) استعمال منهج الإلزام في مناقشة القوم، وذلك تبعا لا يراد نصا إنجيليا، أو محاجة عقلية يستحيل صرف المسالة إلى طريق آخر.

ولنرى منهجه في سياق مناقشة قواعد الاتحاد والحلول عند المسيحية.

ثالثا: بيان جهود الشيخ عبد الله الترجمان في مناقشة قواعد الاتحاد والحلول، وفيها مسائل:

المسالة الأولى: اتحاد اللاهوت بالناسوت:

عرض المسالة:

قال الترجمان: وعندهم لا يمكن دخول الجنة الا به على ما شهدت به أئمة الضلال والكفر والإضلال من اوائلهم، فيؤمنون بان اللهـ تعالى عن قولهمـ ثالث ثلاثة، وان عيسى هو ابن الله، وان له طبيعتين ناسوتية، ولاهوتية، وتلك الطبيعتان صارتا شيئا واحدا، فصار اللاهوت إنسانا محدثا، تاما مخلوقا، وصار الناسوت إلها تاما غير مخلوق[١].

بيان المسالة ونقدها:

قال الترجمان: ولا يشك ذو عقل سليم ان كل من له مسكة من العقل يجب عليه ان يحول نفسه عن اعتقاد هذا آلافك الغثيث ويلزمهم على مقتضى قولهم ان المسيح ابن الله ان تكون ذاته

---

(١) تحفة الاريب، ص ٨٣.

كذات الله، وله علم وقدرة كعلمه وقدرته إلى سائر الصفات الأزلية وهو باطل.

ثم يورد نصا إنجليا يبطل ذلك: ما قاله مرقس في الفصل الثالث عشر من إنجيله:" ان الحواريين سألوا عيسى عن الساعة التي هي القيامة، فقال لهم: ان ذلك اليوم لا تعلمه الملائكة الذي في السماء، ولا يعلمه الا الأب وحده"[١]. يعني تعالى، فهذا إقرار عيسى بأنه ناقص علم حتى عن الملائكة، وان الله تعالى هو المنفرد بعلم الساعة وقيامها، وان عيسى لا يعلم الا ما علمه الله تعالى. وفي الفصل السادس والعشرين من إنجيل متى: ان عيسى (عليه السلام)، حين عزم اليهود على أخذه وقتله تغير في تلك الليلة وحزن حزنا شديدا[٢]. وكل من يحزن ويتغير، فليس باله، ولا بابن اله عند كل ذي عقل صحيح.

وان هذا شنع من قولهم في هذه القاعدة: بان عيسى له طبيعتان، لاهوتية وناسوتية، وانهما صارتا شيئا واحدا، وهذا أقبح ممن يقول: ان الماء والنار صارا شيئا واحدا، والنور والظلمة صارا شيئا واحدا، لان ادعاء هذا في النار والماء والنور والظلمة، انما كان محالا من جهة ان كل واحد من هذا ضد الآخر، وخالق الخلق الغني بذاته وصفاته عنهم المقدس في عظمته وكبريائه عن شبه شيء منهم، كيف يتقرر في عقل

---

(١) مرقس: ١٣: ٣٢

(٢) متى: ٢٦: ٣٧-٣٨.

سليم انه مازج بعض مخلوقاته حتى صار شيئا واحدا، فتعالى الملك الحق عما يشركون علوا كبيرا[1].

المسالة الثانية: الاتحاد والحلول وقت الصلب:

عرض المسألة:

يقول الترجمان: أين كان لاهوته لما مات ناسوته، لاسيما على قولهم: انهما اتحدا وتمازجا والتحما؟ فما الذي فرق بينهما عندما ضرب جسده وناسوته بالسياط على قولهم وعصب رأسه بالشوك، وصلب على خشبة، وطعن الرماح حتى مات وهو يصيح جزعا وخوفا؟. فأين غاب لاهوته عن ناسوته في هذه الشدائد مع الممازجة والالتحام على قولهم؟. وهم يزعمون ان لاهوته فارقه عند الصلب والقتل وكان ناسوته في القبر مدفونا حتى رجع إليه لاهوته، فأخرجه من القبر[2].

مناقشة المسألة:

يقول الترجمان: هذه كلها دعاوى باطلة، وهي من الكفر الركيك، وفضايح لا يرخصها عقل سليم، وكيف يزعمون ان لعيسى طبيعتين صارتا شيئا واحدا، وفي أناجيلهم ما يشهد بأنه ليس الا طبيعة واحدة آدمية؟. وبرهان ذلك ما قاله متى في الفصل الثالث عشر من إنجيله[3]:" ان عيسى (عليه السلام)، لما انتقل إلى المدينة التي ولد بها، استخف الناس به، فقال: لا يستخف بنبي الا في مدينته". فهذا إقرار منه بأنه نبي

(١) تحفة الاريب، ٨٣- ٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٥.

(٣) متى: ١٣: ٥٧.

من جملة الأنبياء، وليس للأنبياء كلهم الا طبيعة واحدة آدمية. وقال لوقا في آخر إنجيله[1]:" ان عيسى بعد ما قام من قبره لقيه رجلان من تلاميذه، وهما القلوباس ولوقا، فقال لهما: مالكما؟ فقالا له: كأنك غريب وحدك في مدينة القدس، لم تعرف ما جرى فيها في هذه الأيام من أمر المسيح الذي كان رجلا صادقا مصدقا في الله في مقاله وأفعاله عند الله وعند الناس. فهذه شهادة تلميذه انه رجل مصدق من الله ليس بخالق، ولا اله، ولا ابن اله[2].

المسالة الثالثة: اعتقادهم ان اقنوم الابن التحم بعيسى في بطن مريم.

عرض المسألة:

ان النصارى يعتقدون ان الله تبارك وتعالى عاقب آدم، وذريته بجهنم من اجل خطيئة آدم في أكله من الشجرة، ثم ان الله (جـ)، عليهم فمنّ عليهم بخروجهم من النار، بان بعث ولده فالتحم في بطن مريم بجسد عيسى، فصار إنسانا من جوهر أمه، والها من جوهر أبيه ثم ما مكنه من خروج آدم وذريته من النار الا بموته، وبه يفدي جميع الخلق من يد الشيطان، وانه مات بالقتل ثم عاش بعد ثلاثة أيام، ونزل لجهنم، واخرج منها آدم وذريته[3].

---

(١) لوقا: ٢٤: ١٣-١٩.

(٢) تحفة الاريب، ص٨٥ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه، ص٨٨ وما بعدها.

<u>نقد المسألة:</u>

قال الترجمان: فهذه عقيدة كفرهم البارد الغثيث، ودينهم المرذول الخبيث، كما مهد أوائل شياطينهم من غير استناد إلى دليل، ولا نقل عن نبي ولا رسول، وحاشا أنبياء الله ورسله من هذه الخسائس فمن المحال ان يكون الخالق الأزلي قد استحال لحما ودما أو يكون له ولد في الأرض أو في السماء، أو يكون قدمه وبقاؤه اللذان لا نهاية لها محدودين، أو متحيزين، أو منتقلين، كلا بل هو الله الذي لا شبيه له، ولا نظير. تقدس جلاله وتعالى كماله، على ان يحل في بشر يموت، وكيف وهو الحي الذي لا يموت، أو يصير بذاته العلية القدسية في بطن امرأة، وهو الذي وسع كرسيه السموات والأرض.

ويقال لهم: انكم تعتقدون ان عيسى هو الله، ومن لم يعتقد هذا فليس بنصراني، فلا يجدون بّدا من ان يقولوا: نعم. فيقال لهم: لقد أقدمتم على بهتان عظيم، ومحال بين، حيث صيرتم إنسانا من الناس خالقا أزليا، وهو حادث مخلوق، ولا يخلو أمركم في عيسى من خمسة أوجه:

الوجه الأول: اما ان تكونوا جعلتموه إلها أزليا، أو مسكنا للإله الأزلي.

الوجه الثاني: هل قال عيسى هذا عن نفسه، أو قال عنه تلاميذه الذين نقلوا لكم دينه.

الوجه الثالث: ان تكونوا جعلتموه إلها لصعوده إلى السماء.

الوجه الرابع: ان تكونوا جعلتموه إلها لأجل الآيات الخارقة، التي ظهرت على يده.

الوجه الخامس: ان تكونوا جعلتموه إلها لعجب مولده في كونه من غير أب.

فليس ذلك أعجب من كونه آدم خلق من تراب من غير أب ولا أم، ولا أعجب من كون الملائكة خلقوا من غير والد، ولا والدة، ولا مادة ولا طينة، ولا سمى شيء من الملائكة وادم إلهة، وانتم تمنعون من ذلك فاخبرونا ما الفرق بينهم، وبين عيسى، وهم في حكمة الإيجاد أعجب منهم ختم الترجمان مناقشته بذكر جملة من الآيات الخارقة التي ظهرت على يد الأنبياء من قبله، وفاضاها مع معجزات عيسى (عليه السلام)، تبين ان معجزاته لم تكن اكبر من إخوته الأنبياء (عليهم السلام)[١].

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٨٩، ٩٣.

المبحث الخامس

عقيدة الفداء والصلب وجهود العلامة عبد الرحمن الباجه جي والشيخ احمد ديدات في نقدها

تعد عقيدة الفداء والصلب من أعظم أركان العقيدة النصرانية، ولعلها هي "الحجر الأساسي للدين النصراني التي أخذها بولس عن الوثنيين، وهي عقيدة لا تتماشى من المنطق، والعقل السليم، ولا يمكن هضمها حسب الفطرة، ولا الإيمان بها الا بعد عزل العقل عن حجيته، وهي غريبة عن وحي السماء لا تنطبق مع حكمة الخالق وعدله، ولا يبقى معها داع لبعث الأنبياء، وإنزال الكتب، وتعليم البشر الأخلاق، والمثل العليا، ومعها يبطل الثواب والعقاب، والجنة والنار، ويذهب جهاد الأنبياء عبثا وباطلا، لان المسيح قدم نفسه ذبيحة، وفداء للبشرية كفارة عن ذنوب المذنبين الذين لا يبقى عليهم ذنب لأنه مغفور لهم ذلك بقتل المسيح وصلبه، ودخوله الجحيم"(١).

سندرس في هذا المبحث جهود كل من العلامة الجليل (عبد الرحمن الباجه جي زاده)، والشيخ احمد ديدات (رحمهما الله تعالى)، في مناقشة عقيدة الفداء والصلب، مع تعرضنا إلى بيان عقيدة الفداء والصلب في المنظور المسيحي.

---

(١) الكتاب المقدس في الميزان، الشيخ العاملي، ص٣١٧.

المطلب الأول: عقيدة الفداء والصلب في المنظور المسيحي:

لقد قام بولس الرسول سوق النصرانية على عقيدة الفداء والصلب، فقد ذكر في رسالته إلى أهل رومة: "جميع الناس قد خطئوا فحرموا مجد الله، ولكنهم بُروا مجانا بنعمته بحكم الفداء الذي تم في المسيح يسوع"(١).

وفي ذلك فقد قام بولس بأعظم جناية على البشرية بغرسه عقيدة الفداء في التعاليم المسيحية، حيث جعل تصور فكرة صلب المسيح هي الإيمان الحقيقي، وهي طريق الخلاص(٢). فسارت هذه العقيدة مسارا تصديقيا كغيرها من المعتقدات، وأشربت دلالتها في قلوب القوم، حتى نادى أصحاب معجم اللاهوت الكتابي:" انه لفداء غالي الثمن، حيث انه يستبدل تقديم الذبائح غير العاقلة بالذبيحة الشخصية والاختيارية، بعبد الرب الذي أفاض للموت نفسه، فيسوع لم يأت ليُخدم بل ليَخدم، وليبذل نفسه فداء عن كثيرين(٣)، وسوف تكون ذبيحته هي وسيلة خلاصنا(٤)، وهذا الطابع الاختياري في موت يسوع هو الذي يقصد إبرازه القديس يوحنا"(٥).

---

(١) رسالة بولس الى اهل رومه، ٣: ٢٣-٢٨.

(٢) الكتاب المقدس في الميزان، العاملي، ص٣١٨.

(٣) ينظر: متى: ٢٠- ٢٨، ومرقس ١٠: ٤٥.

(٤) ينظر: يوحنا: ١٨: ٤-٨.

(٥) معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة لجنة من كبار علماء النصارى، جمعيات الكتاب المقدس في الشرق، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ص٥٩٦ وما بعدها.

ومن هنا تتضح معنى البشارة في الفكر المسيحي، إذ ان معنى كلمة الإنجيل تشير إلى معنى البشارة، و البشارة تشير الى يسوع بخلاص البشر من الخطيئة، ومجيء ملكوت السموات أي ملكوت الله في الأرض[1].

وبحسب معتقدهم ان آدم (عليه السلام) وذريته جمعاء، أذنبت ودخلت أرواحها السجن. وكما صورتها رسالة بطرس: " فان المسيح أيضا تألم مرة واحدة من اجل الخطايا، البار من اجل الآثمة لكي يقربنا إلى الله مُماتا في الجسد، ولكن محي في الروح الذي فيه أيضا ذهبت فكرز الأرواح التي في السجن"[2]. ثم جاء ليفدي من لم يؤمن يوم كان نوح (عليه السلام)، يقول بطرس:" لهؤلاء الذين رفضوا فيما مضى ان يؤمنوا يوم كان نوح في الفلك"[3].

فتكون خطيئة آدم (عليه السلام)، واكله من الشجرة المنهي عنها، هي التي حمل وزرها وذريته، لذلك باتوا آثمين مستحقين العقاب والعذاب، وبما ان الله عادل فيقتضي عليه معاقبتهم على إثمهم، كذلك انه رحيم يستلزم منه عفوهم، ومن اجل هذا نزل عن عرشه ودخل بطن مريم فتكون إنسانا من جهة كونه من مريم، وهو الإله كونه ابن الله، وفي النهاية هو الله نفسه، ومن ثم قبض عليه، وحكم عليه محاكمة الناس، وصلب وقتل،

---

(١) ينظر: مقدمة الكتاب المقدس العهد الجديد.

(٢) بطرس الاولى: ٣: ١٨-١٩.

(٣) بطرس الاولى: ٣: ١٩-٢٠.

وهذا بمحض إرادته فداء لخطايا الناس وخطيئة آدم[١]. ونصوص ذلك في كتبهم المقدسة كثيرة ولاسيما العهد القديم[٢].

من اجل هذا أصبحت هذه العقيدة معتبرة عند خاصة النصارى وعامتهم، ومهما يكن دس بولس الرسول لهذه العقيدة، وتلاعبه بالإيمان المسيحي، فالنتيجة هي التصديق لمقالته الوثنية، يقول صاحب كتاب الكتاب المقدس في الميزان:" ومما يؤكد لنا حقيقة هذا الأمر تلاعبه بنصوص التوراة ولعنه للنبي العظيم عيسى (عليه السلام)، فقد جاء بالتوراة: (وإذا كان على الإنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلق على الخشبة، بل تدفنه في ذلك اليوم، لان المعلق ملعون من الله)[٣]. فالآية تنص على ان من اقترف خطيئة يستحق عليها القتل، فقتل وعلق على خشبة يكون ملعونا لان المعلق ملعون، وبولس جعل المسيح مستحقا للصلب بخطيئة البشر ثم جعله ملعونا بصلبه لكي يفدي البشرية بزعمه فهو لعن فوق لعن، وما ذلك الا لحقده على المسيح"[٤].

ثم لنفتش عن أصول عقيدة تكفير الخطيئة في الفكر المسيحي، لنجدها مقالات أديان وثنية، اقتبسها الفكر المسيحي، فلننظر إلى أقوال

---

(١) ينظر: الاساس في التفسير، سعيد حوى، ١٢٢/١ وما بعدها.

(٢) خطيئة ادم كما يعتقدها المسيحيون ويؤمنون بها، مبسوطة في سفر التكوين، الاصحاح: ٢، ٣.

(٣) سفر التثنية: ٢١: ٢٢-٢٣.

(٤) الكتاب المقدس في الميزان، العاملي، ص٣١١ وما بعدها.

علماء الغرب في ذلك، فقد برهن علماء أوربا ومؤرخوهم من علماء الآثار، بان عقيدة الصلب مقتبسة من العقائد الوثنية القديمة، ومن هؤلاء:

١) قال دوان(١) في كتابه خرافات التوراة: ان تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبحية فداء عن الخطية قديم العهد جداً عند الهنود والوثنين وغيرهم ويعتقد الهنود بان كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو، والذي لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم، تحرك كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فاتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة(٢).

٢) وقال هوك(٣): ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء للناس عن الخطيئة(٤).

٣) وجاء في كتاب جوجيوس الراهب صورة الإله أندرا هذا مصلوباً، وهذا ما روى عن بوذا فهو أكثر تشابهاً مع ما يرويه النصارى عن المسيح

---

(١) دوان: (١٨٧٢ - ١٩٣٥): ولده بفلاديليفيا بأمريكا، وتخرج من جامعة هارفارد، وله مؤلفات عديدة، الموسوعة العربية الميسرة، ص٨٠٨.

(٢) خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الاخرى، ص ١٨١ وما بعدها.

(٣) هوك:- ولد في جزيرة ويت ١٦٣٥م، ومن عائلة دينية وله مؤلفات عديدة، توفي في سنة ١٧٠٣ م، ينظر: دائرة المعارف باللغة الفارسية، ص٩٢.

(٤) تفسيرالقران الحكيم المعروف بالمنار، محمد عبده، تاليف محمد رشيد رضا، ٣٢/٦، نقله عن المجلد الرابع من رحلة هوك/٣٢٦

(عليه السلام)، من جميع الوجوه وحتى الاسامي والألقاب وقولهم أنه إنسان كامل واله كامل تجسد بالنا سوت[1].

٤) ونقل عن أندرادا الكروزويس – وهو أول أوروبي دخل بلاد التبت والنيبال – قال في الإله(اندرا)، الذي يعبدونه أنه أريق دمه بالصلب، وثقب بالمسامير من أجل خلاص البشر من ذنوبهم، وأن صورة الصليب موجودة في كتبهم[2].

هذه الأقوال هي بعض من الشواهد على وثنية عقيدة الصلب، وقد رأينا أن العالم الوثني، مملوء بنظرية الخطيئة والفداء وكثيراً من حكايات الألم وكانت حجر الزاوية والأساس الذي بنيت عليه معظم الديانات الوثنية.

المطلب الثاني: جهود العلامة (عبد الرحمن الباجه جي زاده)[3]، في نقد عقيدة الفداء والصلب:

ألف العلامة عبد الرحمن الباجه جي كتابه (الفارق بين المخلوق والخالق) للرد على النصارى، وانه من روائع ما ألف في كتب الردود على

---

(١) تفسير المنار، ٦ / ٣٢، ومقارنة الأديان المسيحية، أحمد شلبي، ٢/ ١٧٦.

(٢) تفسير المنار، ٦ / ٣٢

(٣) هو عبد الرحمن بن سليم بن عبد الرحمن ابن الباجه جي، حنفي، من اعيان العراق، موصلي الاصل، ولد في بغداد عام (١٢٤٨هـ)، وعاش فيه، وعين رئيسا لمحكمتها التجارية، وانتخبه نائبا في المجلس العثماني، صنف كتابه الفارق بين المخلوق والخالق، توفي عام(١٣٣٠هـ)، ينظر: معجم المؤلفين العراقيين، ٢/٢٤٣، ايضاح المكنون ٢/١٥٣.

أهل الكتاب في عصره، فلننظر إلى ثنايا كتابه، وما انضوت عليه مباحثه، كي تتبين جهوده الجليلة في دراسة النصرانية، ونقده لعقيدة الصلب والفداء. ولنبدأ في بيان مقدمة محقق الكتاب.

١) مقدمة محقق كتاب الفارق:

حقق كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، الأستاذ عبد المنعم فرج درويش، وطبع بمطابع البيان التجارية في دبي، عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، وذكر المحقق في خطبته لمقدمة الكتاب فبعد ان حمد الله وأثنى عليه، قال:" واني أقدم هذا السفر العظيم إلى كل من ينشد الحق دون وكس وشطط، ودون ترغيب ولا ترهيب، إلى كل من يسعى إلى تقرير حرية الضمير، والكلمة، إلى كل من يسعى إلى تكريم الإنسانية الشريفة بالكلمة الطيبة، والحوار المسؤول أقدم هذا السفر العظيم. واني طالما كنت اسمع من العلماء الأفاضل والمشايخ الأماثل عن عظمة هذا السفر المسمى الفارق بين المخلوق والخالق الجليل، فكثيرا ما نوهوا بفضله بالثناء العاطر، حتى وجدت نفسي على مراكب الشوق إلى العلم والوقوف على ما في هذا الكتاب ففتشت في كل مخزون، ونقبت عن كل مدفون حتى استجاب الله لي، وعثرت على نسخة بحي الأزهر الشريف بالقاهرة فاستخرت الله وعملت على نشرها بين الناس مساهمة مني في نشر العلم والثقافة، كما يأمرنا ديننا الإسلامي الحنيف"(١).

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق، خطبة الكتاب، ص أ.

٢) أسباب تأليف الكتاب:

ذكر العلامة عبد الرحمن الباجه جي سبب تأليف كتابه الفارق، في مقدمة كتابه، وعلى ما يبدو ان هناك أسباب عدة، قادته إلى تأليف كتابه، يقول (رحمه الله): "انني لما توجهت من بغداد سنة (١٣١٢هـ)، سالكا طريق البحر إلى البصرة ومنها إلى القاهرة والإسكندرية، قاصدا دار الخلافة الإسلامية مركز السلطة العلية المحروسة قسطنطينية، وكنت أروح النفس إثناء الطريق بمطالعة ما لدي من الكتب الدينية إلى ان استطرد الحال لقراءة ما لفقه رؤساء الملة النصرانية في الطعن على الملة الحنيفية السمحاء، وإنكار نبوة خاتم الأنبياء، وما تضمنت كتبهم من تكذيب المسيح، وتحقيره والقول بإلوهيته، وصلبه وتشهيره، فكنت أعجب من تلك الخرافات، وصرت اكرر ما بأيديهم من إصحاحات الإنجيل وأسفار التوراة، لعلي أقف على سردق عن الإدراك، فهما احتاطوا به من بين الأمم علما، فإذا القوم سكارى وما هم بسكارى، لكنهم في ظلمة من الضلال، حيارى لا يعلمون ما يقولون ولما وصلت إلى دار السعادة مركز الخلافة والسيادة كنت ازداد عجبا من امة يربو عددها على الملايين، انتشرت في جوانب الأرض شرقا وغربا، وهم على ما هم عليه لا يهتدون إذا بالأمر قد تفاقم والخطب عم وتعاظم ظهرت هناك مقالات في أنحاء العالم لرجل كبير بين قومه يسمى(موسيو هانوتو)، يسفه آراء الأمة الإسلامية، وينسبها للتوغل في الجهل بخضوعها للملة الحنيفية واني لأشكر من انتدب فوزا ولله الحمد من السادات المسلمين لا جابته وإفحامه ومما يقضي منه العجب ان بعض حملة الأقلام من النصارى في هذا

العصر اخذوا يلفقون كتبا مملوءة من الهذيان، ويظهرون أنها مؤلفة من سالف الاعصار، أو ينسبونها إلى رجل من المسلمين في اسم مختلق ولقب مستعار ثم رأيت الصواب الدخول في هذا الباب، والتعلق بتلك الأسباب، إذ لا يخلو ذلك فائدة ومصلحة للدين عائدة، والتزمت خدمة نوع الإنسان على العموم بتأليف كتاب يتضمن شرح الأناجيل، وبيان ما فعله أهل الضلال من الأباطيل في شأن عيسى (عليه السلام)، ومقام الرب الجليل، فاستعنت بالله تعالى فيما قصدت، وعليه سبحانه توكلت فيما اعتمدت، ورتبته على مقدمة وأربع مقاصد، سميته: (الفارق بين المخلوق والخالق)(١).

٣) جهود العلامة عبد الرحمن الباجه جي في نقد عقيدة الفداء والصلب:

اتخذ العلامة (عبد الرحمن الباجه جي) مناهج عدة في دراسة الديانة المسيحية، وسنلحظها في مناقشاته الآتية:

أ) مناقشته لعقيدة الصلب من واقع النصوص المقدسة:

اتخذ العلامة الباجه جي منهجا في محاجة القوم، وإلزامهم بالنصوص المقدسة، فقد ابتداء مناقشة النصارى في عقيدتهم الفداء والصلب، بإيراد آيات قرآنية وطرحها على أفئدة القوم، لتصحيح مفاهيم عقيدتهم الباطلة، وذلك لتحفيز نظرهم العقلي، فيقول: ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن ادعاء اليهود: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا

---

(١)الفارق بين المخلوق والخالق، خطبة الكتاب، ص٣ وما بعدها.

﴿صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[(١)]، وقد اجمع علماء الإسلام من الصدر الأول إلى هذا العصر بأنه لا معنى لهذه الآية الكريمة إلا نفي القتل والصلب عن المسيح، ولما كان الباري عالما بما يحدث من الاختلاف في شأنه بين القوم نبيه عيسى، أعلمنا قوله تعالى تكميلا للآية: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[(٢)]. ثم يعمد بعد ذلك إلى إيراد نصين مختلفين من الكتاب المقدس، اللذين أعدهما النصارى دليلين على الصلب، ومما هو جدير بالذكر ان العلامة عبد الرحمن اعتمد على نسختين أصيلتين، احدها مطبوعة في لندن قديما، سنة (١٨٤٨م)، والأخرى المطبوعة في بيروت سنة (١٨٨٤م)، وأكثر النقل منهما.

فيعمد إلى توجيه النصوص المقدسة، ويستخرج تناقضاتها، فيذكر لنا ما: جاء في النسخة المطبوعة في بيروت، وفي المزمور العدد(٦٩): "ويجعلون في طعامه علقما، وفي عطشي يسقونني خلا"[(٣)]. فالنصارى تزعم ان هذا النص في حق المسيح (عليه السلام)، فان سلم زعمهم فهو معارض لما في المزمور السادس، ونصه:" ابعدوا عني جميع فاعلي الاثم

---

(١) سورة النساء، من الآية (١٥٧).

(٢) سورة النساء، من الآية (١٥٧).

(٣) مزمور: ٦٩: ٢١.

لان الرب قد سمع صوت بكائي سمع الرب تضرعي الرب يقبل صلاتي جميع أعدائي يخرون ويرتاعون جدا ويعودون ويخرون بغتة"[1].

ثم يناقش النصين، فيقول: فهذا النص نقض حكم النص الأول، على ان الأول لا يصدق عليه، لأنه قال فيه: ويجعلون في طعامي علقما، واليهود لم يجعلوا في طعام عيسى علقما ولا أطعموه شيئا، فهل يقال ان الزبور وارد كله تنويها بالمسيح، وحيث إلوهيته يخالف الدليل العقلي وجب ضرورة تأويل الآيات التي فيها اثر من التنويه على زعمهم بصلب ذات المسيح، وإذا تقرر لدى المطالع ان القران الكريم ينفي صلب ذات المسيح، وذلك الأليق باعتقاد انه نبي كريم لا ترد دعوته، وقد استغاث بالله تعالى فقبل دعوته، كما صرح بذلك بولس في رسالته العبرانية، وخلاصته: بان الله تقبل دعاءه، وخلصه من الموت، كما هو عقيدتنا فيثبت بالضرورة وبداهة العقل، ان تلك الرواية المختلفة المتناقضة في صلب المسيح لا أصل لها، وان ما حكوه من التحقير والاهانة في قضية الصلب والتشهير فرية[2].

ب) عرضه لمقالات فرق النصارى في الصلب ونقدها:

بين العلامة ان جوهر الديانة النصرانية، تدور في أفلاك خمسة، أطلق علها بالبدع، وهي: (بدع الفلسفة، بدع الأخلاق، البدع المتعلقة بطبيعتي المسيح، بدع المجادلة، البدع الصورية أو العادية). ثم بين ان جملة هذه البدع كان سببا في انعقاد المجامع، وتعاليم تلك المجامع سببا

---

(١) مزمور: ٦: ٨-١١.

(٢) ينظر: الفارق، ص٢٧٨.

لانقسام الكنائس إلى تقليدية، وإنجيلية ثم قسم ظهور تلك البدع على أزمان:فأما بدع الفلسفة، فظهرت في عهد الرسل أي الحواريين وبولس، وأما بدع الأخلاق فمن أصحابها النقلاويون الذين ظهروا في القرن الأول بعد الميلاد، وكانوا يقربون الذبائح للأوثان، ويتمرغون في أقبح الفواحش، وأما البدع المتعلقة بطبيعتي المسيح، فقد كان منشؤها بين القدماء من المسيحيين، واهم مباحثهم كانت تأييد التثليث، وأما بدع المجادلة، فمن أصحابها البيلاجيون، أصحاب بيلاجيوس البريطاني، ورفيقه سلستيون الايرلندي، وكانا راهبين في روما وأما البدع الصورية فهي ما وقع بينهم منم النزاع في الاعتقادات[1].

ثم بعد ان بين الانقسامات الكنسية عرض مقالات النصارى في اتحاد اللاهوت بالناسوت، ثم ربط تلك المقالات بقضية الصلب، قال: ان النصارى تفرقوا في اعتقاد ذات المسيح شيعا؛ فمن قائل منهم: انه هو الله، وقائل: هو ابن الله. وقائل: ان الله حل فيه. وقائل: انه اتحد مع الله فكيفما توجهوا فانهم راجعون إلى مذاهب ثلاث على عدد التثليث:

<u>الأول:</u> مذهب الملكية، وهم الروم القائلون ان المسيح بعد الاتحاد، جوهران، واقنوم واحد، وله طبيعتان لاهوتية وناسوتية، فله بطبيعة لاهوتيته مشيئة كمشيئة الأب، وله بطبيعة ناسويته مشيئة كمشيئة موسى وداود وغيرهما من الأنبياء، لكنه اقنوم واحد، وردوا هذا الاتحاد إلى الاقنومية، إذ رأوه بالنسبة إلى الجوهرية قبيحا.

---

(١) الفارق، ص ١٥ وما بعدها.

الثاني: مذهب النسطورية: وهم نصارى المشرق يقولون: ان المسيح بعد الاتحاد جوهران، واقنومان باقيان على طباعهما، كما كانا قبل الاتحاد، غير ان لهما مشيئة واحدة يفعل بها فعل الإله، وفعل الإنسان، وردوا الاتحاد إلى خاص النبوة، إذ رأوه بالنسبة إلى الجوهرية والاقنومية محالا.

الثالث: مذهب اليعقوبية: وهم نصارى الإفرنج، قالوا: ان المسيح صيره الاتحاد طبيعة واحدة، واقنوما واحدا، فهو عندهم بعد الاتحاد اله كله، إنسان كله، وله طبيعة واحدة، يفعل بها ما يشبه فعل الإله، وما يشبه فعل الإنسان، وهو اقنوم واحد(١).

مناقشة مقالاتهم:

قال العلامة الباجه جي: فعلى تقدير صحة مقالتي (الملكية واليعقوبية)، يمتنع قتل المسيح، فان ابو إلا القول بقتله، فنقول لهم: أليس بزعمكم انه تركب من جوهر اللاهوت، وجوهر الناسوت، اقنوم شخص واحد؟. فإذا أقروا ولابد من إقرارهم به، مقتضى تقريرهم، فنقول لهم: الافتراق بالمشيئة لا يمكن مع الاتحاد في الاقنومية، وإذا قلتم: ان الذاتيين صيرهما الاتحاد، واقنوما واحدا أي شخصا واحدا، لم يمكنكم ادعاء قتله بعد، لان الجوهر اللاهوتي قد كان قبل اتحاده بالناسوتي مقدسا، على ان تناله الأيدي، فكيف انحط عن عزة لاهوتيته، وسموه، وجبروتيته، بمشابكة الناسوت.

---

(١) ينظر: الفارق ، ص٢٧٩

ثم يقال لليعاقبة: على انفرادهم إذا تحقق عندكم على زعمكم كون المسيح اقنوما واحداً مركبا من طبيعتين لاهوتية وناسوتية، فمحال ان يقال انه: قتل ولم يقتل، وصلب ولم يصلب، لان القتل عندهم وقع على الناسوت، ولم يقع على اللاهوت، فامتنع، والحالة هذه قتله على مقتضى عقيدتهم هذه أيضا. إذ قالوا ان طبيعة اللاهوت والناسوت صارتا طبيعة واحدة، واقنوما واحدا، وما كان كذلك لا سبيل إلى تفصيل الأحكام فيه، فيقال: قتل ولم يقتل، فلا سبيل إلى عدمه.

وأما على ما ذهبت النسطورية، فانه ممتنع قتله، لأنهم لما قنطوا من الجمع بين الاتحاد والقتل، واستحال عليهم ذلك، ردوا الاتحاد إلى خاص النبوة فقط، ولكنهم وافقوا أصحابهم في عبادة المسيح، واعتقاد ربوبيته، وتلك الموافقة تمنع من اعتقاد قتله، إذ ما ثبت قدمه استحال عدمه، وهذا إنما أوردناه جدلا لإبطال مذهبهم في الصلب بمقتضى مذهبهم في ذات المقتول والمصلوب، وإلا فمن أين ثبت لهم دعوى الاتحاد، وهي لا تخرج عن دعوى تعدد الآلهة، وهم ذاتهم يفرون منها[1].

ج)عرضه لشهادات نصرانية على عدم وقوع الصلب:

ناقش العلامة قضية عدم صلب المسيح فَضَمن مقصدا منفردا، تفرعت عنه ثلاثة قضايا: فأما القضية الأولى: بين استحالة وقوع الصلب، وأما القضية الثانية: رد دعوى صلب ذات المسيح، بالأخبار التاريخية،

---

(١) الفارق، ص٢٧٩.

والأدلـة العقليـة، كمـا أورد شـهادات مـن علمـاء النصـرانية الأولـى، ،امـا القضية الثالثة: فقد أورد عشرين دليلا على رد دعوى الصلب بالأدلة

قال العلامة الباجه جي: ان النصرانية تدعي ان صلب المسيح ثابت بالإجماع، ولا يلتفتون إلى ان ذلك ممتنع عقلا ونقلا، مع انه لا إجماع بينهم على هذا الأمر، فضلا أن يكون هناك إجماع من خلافهم، ولعله كإجماع بني إسرائيل على عبادة العجل، وأما أهل الإسلام فلا يعتقدون صحة ذلك قطعيا لتصريح القرآن الكريم بنفيه، لكنهم لا ينكرون وقوع الصلب على غيره، وبقية المسألة دائرة بين اليهود والنصارى، فأما اليهود فلا إجماع عندهم البتة فلم يجد شيئا يوافق ما تحكيه النصارى عنهم، وهم شركاء متشاكسون، ومع هذا فإجماعهم على وقوع الصلب لا ينافي ما جاء به القرآن العظيم، من كون المصلوب شبيه عيسى وقد تقدم في الآية عن اليهود، وإنهم في شك منه[1]، أيما كان فهم أعداء المسيح، وأتباعه، وقد نتجت عداوتهم عن عناد وكفر وحسد من كهنتهم، والمقرر عند أرباب العقول، إن الشهادة المتناقضة لبعضها ساقطة، ،لاسيما إذا كانت من الأعداء، فهي إذا غير مسلمة، والتاريخ يشهد بان عداوة اليهود للأنبياء توارثتها الخلف عن السلف، واقرب ما يستدل به العاقل على عداوتهم قول المسيح: يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء والمرسلين. فقد سقطت دعوى الإجماع

---

(١) حكى الله تعالى قولهم، ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ النساء: ١٥٧.

مـن الطـائفتين، ولا مجـال للعاقـل فـي إنكـار عـداوة اليهـود للنصـرانية، وبالعكس.

ثم بعد هذا الاستهلال، يذكر لنا العلامة الباجه جي ثلاث شهادات من علماء النصرانية:

الأولى: قال (المسيو اردوارسيوس)، الشهير احد أعضاء الانسيتودي الفرنسـي فـي بـاريس، المشـهور بمعارضـة المسـلمين فـي كتابـه)عقيـدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية)، في صحيفة (٤٩): "ان القرآن ينفي قتل عيسى وصلبه، ويقول بأنه القي شبهُ على غيره، فغلط اليهود فيه، وظنوا أنهم قتلوه، وما قاله القرآن موجود عند طوائف نصرانية منهم (الباسيليدون)، كانوا يعتقدون بغاية السخافة ان عيسى وهو ذاهب لمحل الصلب القى شبهه على (سيمون السيرناي)، والقي شبه (سيمون)، عليه ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهدي اليهود الغالطين". فإنهم قرروا ان احـد الحـواريين صـلب بـدل عيسـى، وقـد عثـر علـى فصـل مـن كتـب الحواريين، واذا كلامه نفس كلام (الباسيليدين).

الثانيـــة: قـال (المسـيو ارتسـت ذي بولسـن الالمـاني)، فـي كتابـه المسمى(الإسلام أي النصرانية الحقة)، في صحيفة (١٤٢)، ما معناه: ان جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شابهه من الذين لن يروا المسيح لا من أصول النصرانية الأصلية.

الثالثـة: قال (ملمن)، في الجزء الأول من كتابه المسمى (تاريخ الديانة النصرانية): ان تنفيذ الحكم كان في وقت الغلس وإسدال ثوب

الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذي كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم وبالجملة فان اغلب الشعوب الشرقية قبل الإسلام رفضت مسألة الصلب والقتل(١).

د) عرض حقائق تاريخية في عدم وقوع الصلب:

يورد العلامة الباجه جي بعض الحقائق التاريخية المشفوعة بالأدلة العقلية على عدم وقوع الصلب، ومنها:

١) لا يخفى على من وقف على حقائق التاريخ ان مسألة الصلب من أهم المسائل التي ولدت الشقاق بين النصارى عموما، ونصارى البلاد الشامية ومصر قبل الإسلام خصوصا، فان الأكثر منهم كانوا يرفضون حصول الصلب رفضا كليا، لان البعض منهم كان يعده اهانة لشرف المسيح، ونقصا، وأي نقص أعظم من نقص الإله الذي تلحقه مثل هذه الاهانات، والبعض الآخر كان يرفضه استنادا على الأدلة التاريخية، وهؤلاء الأقوام الجاحدون للصلب طوائف كثيرة لم يسلموا بوجه من الوجوه ان المسيح سُمر فعلا، ومات على الصليب

٢)قال بعض المؤرخين: ان الخلاف الذي وقع بين النصارى في مبدأ الأمر كان سببا لانسلاخ جملة طوائف، وتشتيتها واعتبارها في رأي آخرين مارقة من الدين، ولكن هذه الطوائف المضطهدة المهضومة كانت أفكارها منطبقة على الأصول النصرانية عقلا ونقلا، بخلاف

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق، ٢٨١ وما بعدها.

أفكار مضطهديهم، فان هذه الطوائف حيث اعتقدت بإلوهية عيسى جزمت بأنه لا يجوز أن يمتهن واستنتجت من هذا انه لم يصلب قطعا.

٣) ان ألفاظ التوجع والتضجر التي نسبتها إليه كتب النصارى المتأخرين لم يتفوه بها، ولا تصح نسبتها إليه، وبالجملة ان الشخص المصلوب غير عيسى قطعا، وانه لم تسلط عليه أيدي مضطهديه، بل رفع إلى السماء[١] وعلى فرض النبوة فقط لا يمكن عقلا ان يتصور صلبه بالصورة التي ذكرتها الأساقفة في الأناجيل[٢].

هـ) عرضه لبراهين عقلية على عدم وقوع الصلب:

عرض العلامة (الباجه جي) براهين عقلية عدة تفند الصلب، منها:

البرهان الأول:

ان قولكم بصلب ذات المسيح دعوى مجردة عن الدليل، لان كتب اليهود وكتبكم لا يصح الاستدلال بها في تعيين ذات المصلوب لوجود الاختلاف بينكم وبينهم فقد قضي الصلب، والمصلوب، ووقت الصلب، ومكانه، وهذا دليل على أنهم في شك من ذلك كما اخبر الله تعالى في كتابه العزيز، حال كونهم هم الذين قاموا في أحداث هذه الحادثة، وهؤلاء

---

(١) هذه هي عقيدتنا، إذ قرر القرآن الكريم نهاية المسيح (عليه السلام): ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ سورة النساء:.١٥٨

(٢) الفارق، ص٢٨٠.

الرومانيون الذين هم حكام هذه المسألة بدعوى الطائفتين اليهودية والنصرانية، لم يوثر عنهم شيء يصح ان يكون دليلا على ان المصلوب هو ذات المسيح مع ضبطهم كليات الأمور وجزئياتها، والحكاية المحكية عنهم في هذه الأناجيل تنفي صلب المسيح، وتدل دلالة واضحة على ان المصلوب مشبه، كما مر بيان ذلك، فأين الإجماع؟ فلم يكن دعوى الإجماع الا الوهم المجرد عن الدليل، والظن الذي لا يغني عن الحق شيئا.

البرهان الثاني:

يعلم كل مطلع على أحوال الأمم الماضية، ان تسلط الرومانيون على اليهود كان تسلطاً محكوما، وان سعي الحكومة الرومانية إذ ذاك كان بضد عقائد اليهود ليتم لهم توحيد الوثنية، ويكفي في صحة ذلك ما ذكرته (جريدة العالمين في تاريخ ١٥ مارس سنة ١٨٩٣) تحت عنوان (اليهود تحت حكم الرومان)، وهي من إنشاء الكاتب الشهير (ارنست رنان)، العضو في الاقادم الفرنسوي، قال من جملة كلامه: ان الحكومة الرومانية تجهد في نيل هذا المطلوب حتى كادت معالم اليهودية ان تمحى من صحيفة الوجود، ووقع ذلك سيء الوقع في نفوس البقية القليلة من اليهود حتى اعتصمت بدينها انتهى. فإذا كان الأمر كذلك فهل يصدق العقل بان الحكومة الرومانية، وهي على ما نرى من قصد محو معالم اليهود ان تجيبهم إلى ما طلبوه من تنفيذ أمر الصلب، أو تعيره اذن صاغية، والحاكم الروماني إذ ذاك كان ذا حقد على اليهود، وديانتهم فيكون تنفيذه لطلبهم هذا تأييدا لشعائرهم الدينية.

البرهان الثالث:

إذا سلمنا دعوى وقوع الصلب على ذات المسيح، وسكتنا عن كونه متناقضاً للقول بإلوهيته الذي هو أساس العقيدة النصرانية، فنسأل أرباب تلك الدعوى، هل عندكم دليل سوى هذه الكتب التي تدعون أنها من الوحي، فلا بد من الجواب بان دعواهم هذه مبنية على هذه الكتب، وقد علم المطلع حالة أولها وأولاها هو إنجيل المترجم هذا المدعي انه من مصنفات متى الحواري، وحالة الأناجيل الثلاثة إجمالا حتى أقرت العلماء منهم في المناظرات العلنية الرسمية وغير رسمية، بفقدان السند المتصل بالمصنفين لها، وأنها مملوءة من الأغلاط والمناقضات وان دعوى التحريف بسائر أقسامه فيها دعوى مسلمة لا ينكرها أرباب العقول منهم[1].

و) رد دعوى الصلب بالأدلة النقلية:

عمد العلامة الباجه جي إلى رد وإبطال عقيدة الصلب، برفد أدلة نقلية من نصوص أناجيلهم المقدسة، زادت على عشرين دليلا، ثم عمد إلى عقد مقابلة بعض نصوص الإنجيل الواحد معتمدا على طبعة لندن، وأخرى طبعة بيروت، وبين حقيقة تناقضها عند بيانه للتحريق اللفظي والمعنوي، ومن تلك الأدلة التي أوردها[2]:

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق، ص٢٨٢-٢٨٤.

(٢) الفارق بين المخلوق والخالق ، ص٢٨٦ وما بعدها.

الدليل الأول:

صرحت الأناجيل الأربعة بان المسيح (عليه السلام)، لما استحس بإصرار اليهود على قتله، صار يتضرع ويدهش وعرقه نازل كالدم وهو يخر للأرض ساجدا يستغيث الله ان يخلصه من كيد اليهود، والموت، فسمع الله دعاءه وخلصه من الموت، كما نص على ذلك القديس بولس في رسالته إلى العبرانيين[١]. والعاقل يعلم ان هذا القديس هو الذي شرع لهم هذا الدين، فقد حسم بيننا الجدال.

الدليل الثاني:

وجاء في متى[٢]: ان رئيس الكهنة قال له: استحلفك بالله الحي ان تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله، قال له يسوع، أنت قلت، ولم يقل له أنا المسيح.

ولوقا: حكى ما هو قريب منه[٣]. وذلك نص بان السؤال لم يكن ذات المسيح، ولو كان ذاته لم يتأخر في الجواب، ويستعمل الحيدة عن إجابة رئيس الكهنة، وكان ينبغي ان يعرفهم بنفسه ليؤمنوا به، لاسيما وقد اقسم عليه بالله تعالى، هل أنت المسيح، فيبعد ان يكون هو المسيح، ولم يجبه، بل هو المشبه.

---

(١) ينظر: رسالة بولس الى العبرانيين: ٥: ٥-٧.

(٢) ينظر: انجيل متى: ٢٦: ٦٣-٦٥.

(٣) ينظر: انجيل لوقا: ٢٢: ٦٦-٧١.

الدليل الثالث:

ما جاء في إنجيل مرقس، ولوقا[1]، حديث التجلي: ان يسوع صعد الجبل ليصلي ومعه بطرس ويوحنا ويعقوب، فبينما هو يصلي إذ تغير منظر وجهه، وابيضت ثيابه، فصارت تلمع كالبرق، ونظروا إلى موسى بن عمران، وايلياء، قد ظهرا لهم، وجاءت سحابة فأظلتهم، فأما التلاميذ الذين كانوا معه، فوقع عليهم النوم، فناموا.

وهذا دليل على رفع المسيح في تلك الساعة وصيانته من يد أعدائه اليهود، وأي مانع يمنع من ان يكون ذلك قد رفع في اليوم الذي طلبته فيه اليهود، أو قتله بيوم أو يومين، والرواة تناقضوا، واختلفوا في نقلها كما تناقضوا واختلفوا في نقل غيرها.

الدليل الرابع:

أفرطت رواة الأناجيل الأربعة، وتغالت في حكايتها ان الذي اخذ للصلب قد غيرت هيئته، وشاهت صورته، وسيق ذليلا، وتوج من الشوك أكليلا، والبس ارجوانا، وكسي هوانا، وجذب، وسحب، ولطم، وضرب، ونتفت لحيته، وبصق على وجهه، وصقع على قفاه، وجلد واهين، فاركبوه القصبة، وحملوه خشبة الصليب، فمن كان حاله كما ذكرنا، كيف لا تتغير صورته، ،لا يشتبه عليهم هيئته، على ان لوقا حكى في الإصحاح الأول

(١) ينظر: مرقس:٢: ٨-٩، ولوقا: ٩: ٢٨-٣٦

من إنجيله: ان جبرائيل بشر مريم والدة المسيح، بان الله يجلس ولدها على كرسي داود، ويملكه على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا شك ان قول جبرائيل حق، ووعد الله صدق، فلو قال: ان المهان المصلوب هو المسيح للزم منه بطلان تلك البشارة، وهو محال فبالضرورة ثبت ان المهان المصلوب ليس هو ذات المسيح (عليه السلام).

الدليل الخامس:

قدم العلامة الباجه جي نماذج عملية من النصوص الإنجيلية، إذ قابل نصوص طبعة لندن القديمة، بطبعة بيروت الحديثة، اثبت تناقضها، وقد استعمل المنهج المقارن، ومن بين تلك النصوص نأخذ نصا واحدا لبيان ذلك:

قال مرقس:

نسخة لندن	نسخة بيروت
فلما جاز السبت ابتاعت مريم المجدلانية طيبا ومريم أم يعقوب وسالومي لياتين ليأتين ويطيبن يسوع وفي احد السبوت بكرا أتين جدا وافين القبر إذ طلعت الشمس فكن فيما يقلن بعضهم لبعض من يدحرج لنا القبر الحجر على باب القبر فتطلعن ونظرن لأنه الحجر قد دحرج لأنه كان عظيما جدا. انتهى	وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطا ويدهنه وباكرا جدا في أول الأسبوع إلى القبر إذ طلعت الشمس وكن يقلن بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب فتطلعن ورأين ان الحجر قد دحرج كان عظيما جدا. انتهى

ويعلق العلامة على ذلك بعد ان وصل إلى نتيجة التحريف الحاصل في نصوصهم المقدسة بالقول: فان أيدي المحرفين لعبت بتلك الرواية، وأخرجتها على صورتها الأصلية، ويكفي الناقد ان ينظر إلى الفقرة الأولى

من نسخة لندن، وهي من قوله: فلما جاز السبت إلى قوله ويطيبن يسوع، وقابلها على نظرتها في نسخة بيروت، ومن نظر إلى الفقرة الثانية أيضا، يرى التحريف قد ذهب فيها كل مذهب، لان المتبادر من رواية نسخة لندن، ان ذهاب المجدلانية، وأم يعقوب كان بكرة احد السبوت، فأبدله صاحب نسخة بيروت، بقوله: وباكرا جدا في أول الأسبوعالخ. مدلوله ان إتيانهما القبر كان بكرة الأحد التالي لليوم الواقع بعد الصلب، ومدلوله نسخة لندن انه كان بكرة احد السبوت لا على التعيين، ومعلوم ان شراء الحنوط وقع بعد مضي السبت، فلابد ان يكون إتيان النساء القبر في صبيحة احد آخر، ولا اقل من ان يتخلل حينئذ بين الدفن، وإتيانهن القبر أسبوع، والمصحح البيروتي بدل احد السبوت بأول الأسبوع، ليصرف العبارة عن معناها المتبادر، ويجعل المراد بأحد السبوت يوم الأحد لا واحدا من السبوت فرارا من بعض المتناقضات، والمخالفات لباقي الأناجيل مع ان التركيب صريح فيما قلنا لا يخفى على من يعرف اللسان العربي وحيث ان ابتياع الطيب وقع بعد مضي السبت، فيبعد ان يكون ذلك دليلا، لان مضى السبت لا يتم إلا بدخول الليل، وقد حصلت تلك الأراجيف المخوفة في المدينة من وقوع الزلزلة، وقيام الأموات من قبورهم، وانشقاق الهيكل والظلمة، كما صرح بذلك الإنجيل فمن يجسر ان يخرج في تلك الليلة لشراء حنوط ميت، ولاسيما طائفة النساء ومع ان مريم

ورفيقتها قد رأتا هذا الميت حنط بمائة رطل من أنواع الطيب، كما حكاه يوحنا في إنجيله، وعلى الرغم انه في اليوم الثالث سيقوم من قبره، فأي حاجة بقيت للحنوط؟ ثم مرقس بعد ان حكى ان مريم وصاحبتها خرجتا، وفرتا من القبر وما رأتا يسوع كيف ينقض كلامه هذا بقوله: قام باكرا احد السبوت وظهر أولا لمريم فهل هذا إلا خبص وهذيان لا يكاد يصدر مثله حتى المجانين والصبيان، وحيث قد أتيا على تلك الجملة من رواية المترجم، ومرقس فلا باس من إتباعها أمام المطالع[١]

وقد حقق العلامة من مقابلة النصوص، إثبات تناقضها، وكذا منهجا إلزاميا، يلزم القوم بها، فيقول:" اما كونها ليست إنجيلا واحدا، فان التناقض اللفظي والمعنوي أرشدنا إلى المنقول عن متى ناقض المنقول عن لوقا، والمنقول عن لوقا كذب المنقول عن مرقس، والمنقول عن مرقس اتهم المنقول عن يوحنا، اوجب الأمر عدم الوثوق بشيء من هذه الأناجيل، إذ ليس البعض بأولى من البعض[٢].

---

(١) الفارق، ص٢٩٤ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢.

المطلب الثالث: الشيخ احمد ديدات(1) وجهوده في مناقشة عقيدة الفداء والصلب:

---

(1) ولد أحمد حسين ديدات في (تادكهار فار) بإقليم سورات بالهند عام ١٩١٨ م لأبوين مسلمين، وانتقل والده إلى جنوب أفريقيا وعاش في ديربان وغير أبيه اتجاه عمله الزراعي وعمل ترزياً ونشئ الشيخ على منهج أهل السنة منذ نعومة أظافره فلقد التحق الشيخ أحمد بالدراسة بالمركز الإسلامي في ديربان لتعلم القرآن الكريم وعلومه وأحكام الشريعة الإسلامية وفي عام ١٩٣٤ م، وكانت نقطة التحول الحقيقي في حياته في أربعينيات القرن العشرين وكان سبب هذا التحول هو زيارة بعثة آدم التنصيرية في دكان الملح الذي كان يعمل به الشيخ وتوجيه أسئلة كثيرة عن دين الإسلام لم يستطع وقتها الإجابة عنها. وقرر الشيخ أن يدرس الأناجيل بمختلف طبعاتها الإنجليزية حتى النسخ العربية كان يحاول أن يجد من يقرأها له وقام بعمل دراسة مقارنة في الأناجيل وبعد أن وجد في نفسه القدرة التامة على العمل من أجل الدعوة الإسلامية ومواجهة المبشرين قرر الشيخ بأن يترك كل الأعمال التجارية ويتفرغ لهذا العمل وقد كان في فترة متأخرة أثناء عمله في باكستان عثر على كتاب (إظهار الحق) لرحمت الله الهندي، واخذ الشيخ يمارس ما تعلمه من هذا الكتاب في التصدي للمنصرين، ثم أخذ يتفق معهم على زيارتهم في بيوتهم كل يوم أحد. فقد كان يقابلهم بعد أن ينتهوا من الكنيسة، ثم انتقل إلى مدينة ديربان وواجه العديد من المبشرين كأكبر مناظر لهم. أسس معهد السلام لتخريج الدعاة، والمركز الدولي للدعوة الإسلامية بمدينة ديربان. وألف أحمد ديدات ما يزيد عن عشرين كتاباً، وطبع الملايين منها لتوزع بالمجان بخلاف المناظرات التي طبع بعضها، وقام بإلقاء مئات المحاضرات في جميع أنحاء العالم، ولهذه المجهودات الضخمة مُنح الشيخ أحمد ديدات جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٦م وأعطي درجة "أستاذ".وفي عام ١٩٩٦ بعد عودة الشيخ من أستراليا بعد رحلة دعوية أصيب بمرضه الذي أقعده طريح الفراش طيلة تسع سنوات، وقيل انه كان قد أصيب بجلطة في الشريان القاعدي في شهر أبريل عام ١٩٩٦ بسبب عدة عوامل على رأسها أنه مريض بالسكري منذ فترة طويلة، وانه قد=

يعد الشيخ الداعية احمد ديدات من أعظم من ناظر النصارى في عصرنا الحاضر، ثم ان محاضراته في النصرانية، وفي الدعوة الإسلامية دلت على غزارة علمه، وفطنته، والمطالع لإعماله العلمية، ليقف أمامها موقف الاحترام والتبجيل، لضخامة أعماله الدعوية.

الذي يعنينا هو إبراز جهوده في تفنيد عقيدة الفداء والصلب، وقد أسعفنا مؤلفه الجليل:" مسالة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء"(١)، في إبراز تلك الجهود.

ابتدأ الشيخ احمد ديدات مناقشة عقيدة الصلب في كتابه (مسألة صلب المسيح) في مطلع الفصل السادس والفصول التي تلت، وقد عنون لكل فصل عنوانا حسب ما اقتضت المباحث المراد مناقشتها. غير ان طابعه المنهجي اتصف بميزات خاصة، لابد من الإشارة إليها. فقد صور وقائع الصلب كأنها مسرحية يعرضها أمام الرائي، ثم يعقبها بالتعليق، فكان يعلق على وقائع الصلب منذ بدا المحاكمة إلى التنفيذ، ويمزجها بالنصوص الإنجيلية، ثم يحيل النص الإنجيلي إلى العقل. يبدأ شيخنا بعرض مواقف اليهود تبعا للتصوير الإنجيلي، وإصرارهم على صلب

=أجهد نفسه في الدعوة للإسلام وعندما عاد حدث له ما جرى وأصيب بجلطة في الدماغ. توفي صباح (يوم الاثنين الثامن من أغسطس ٢٠٠٥م الموافق الثالث من رجب ١٤٢٦هـ). ينظر ترجمته كاملة: موقع:

ar.wikipedia.org/wiki/احمد_ديدات .تاريخ الزيارة: ١٥/٢/٢٠١٢م.

(١) ترجم كتاب مسالة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، الاستاذ علي الجوهري، وطبعته دار الفضيلة، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.

يسوع، في الوقت الذي يبين موقف الحاكم الروماني من رد القضية لعدم ثبوت الإدانة، ثم يبين تحيال اليهود على حاكم الرومان، من نسب التهم الملفقة على يسوعثم قيامته وموقف حوارييه من ذلك، وكذا المرأة اليهودية (مريم المجدلية) ولقاءه بهم. فلننظر إلى التصوير الرائع في التنقل بين نصوص الأناجيل الذي يدل على تمكنه منها واكتشاف مظان التناقض فيها، فلننظر إلى ذلك وفق التأمل والتحقيق لتلك الجهود.

١) عرضه لمصير عيسى (عليه السلام):

عرض الشيخ احمد ديدات مصير عيسى تبعا للأناجيل، يقول: ان مصير عيسى (عليه السلام)، قد تم حسمه بالفعل، ان (كايفاس)، رئيس الكهنة على رأس السنهدرين(وهي الهيئة الدينية لأحبار اليهود)، لا يمكن له اعتبار بنظر أي محكمة للعدل، منحصرة بسبب رأيه المسبق في المتهم، لقد كان بالفعل قد حكم على عيسى بالموت دون استماع إليه والى دفاعه، كان قد أوصى مجلسه حتى قبل النظر في القضية بقوله:" ولا تفكرون انه خير لنا ان يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها"(١).

وفي منتصف الليل كان اليهود قد جهزوا شهود زور ليشهدوا ضد يسوع، وانعقاد المحكمة بعد منتصف الليل، كان ضد معتقدات اليهود، لكن هذا الخروج من الإجراءات لا يهم، ورغم تشجيع وتعاطف المحققين والمحلفين للشهود، فان شهود الزور لم يستطيعوا ان يتفقوا في القرائن

---

(١) يوحنا: ١١: ٥٠.

والوقائع التي يشهدون بها. كان الوصف فوق احتمال (يسوع)، لم يستطع ان يحتفظ بسلامه، كان عليه ان يعترف ويحتج، قال في دفاعه عن نفسه:" انا كلمت العالم علانية، انا علَّمت كلَ حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما وفي الخفاء لم أتحدث بشيء"[١].

وفي جوهر أقواله لم ينشر تعاليمه سرية ولا عقائد خفية، لم يُعلِّم شيئا في الخفاء، لم يكن ليعلنه للجميع، وهي القضية التي كان يمكن لليهود ان يجمعوا جيشا من الشهود، ولكن ياله من مهزلة!

ان اليهود لم يستطيعوا ان يجدوا اثنين من الشهود تتطابق شهادتهما. كما ورد في إنجيل مرقس، كانت حجته قوية لدرجة ان ضابطا متعصبا باغت به القحة إلى حد ان يضربه في صمت، هل اوهن هذا من عزيمة يسوع؟ كلا بدلا من ان تفل عزيمته توجه إلى متحديه قائلا:" ان كنت تكلمت ردياً فاشهد على الردَّى وان حسنا فلماذا تضربني"[٢].

كانت الضحية تتفلت من بين أصابعهم، فرصتهم الآن أو لا فرصة لهم على الإطلاق، من الناحية القانونية لم يستطيعوا ان يُجرِّموه يتدخل الكاهن الأكبر في المحاكمة قائلا:" اخبرنا إذن أأنت المسيح بن المبارك، فقال يسوع انا هو"[٣]. تقول انك (ابن الله)، كفى تجديفا، كان رئيس الكهنة فرحانا تعمره النشوة، شعر ان سؤاله قد فتح الثغرات، ولكل يضفي طابعا مسرحيا على نصره الذي انتزعه اخذ يشق ثوبه وهو يقول حسب رواية

---

(١) يوحنا: ١٨: ٢٠.

(٢) يوحنا: ١٨: ٢٣.

(٣) مرقس: ١٤: ٦١-٦٢.

مرقس:" وما حاجتنا بعد إلى شهود فالجميع حكموا عليه انه مستوجب الموت"[١][٢].

٢) **حتمية موت المسيح:**

حكم اليهود بغير حق ان يسوع قد جدّف على الله وهو ما يشبه الخيانة العظمى فيما يتعلق بالناحية الروحية وموقف المسيحيين يتحد مع موقف اليهود في هذا الصدد معتبرين لأنه اله فمن حقه ان يجدّف على الله ولا يكون ثمة تجديف. كلا الفريقين يهودا ومسيحيين يريدون يسوع المسكين ان يموت، يريد الفريق الأول ليخلصوا منه، ويريد الفريق الثاني ان يموت ليتحقق لهم (أحلى خلاص) من الخطايا والآثام. كان الحكم سريعا وبالإجماع، وكان معدا وجاهزا، ولكن دونما مساندة من الرومان لم يكن اليهود ليستطيعوا ان يشنقوه، اخذوا ضحيتهم في الصباح إلى (بيبلاطس)، لأنهم حسب قولهم:" لا يحق لنا قانونا ان نقتل أحدا"[٣].

وقد غيروا اليهود اتهامهم من التجديف إلى الخيانة، بدأوا اتهامهم بقولهم: "اننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع ان تعطى جزية قيصر قائلا انه مسيح ملك"[٤]. ثم نسبوا تهمة زائفة أخرى، تتعلق بالضرائب: "أعطوا مالقيصر لقيصر وما لله لله"[٥].

---

(١) مرقس: ١٤: ٦٣-٦٤.

(٢) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، احمد ديدات، ص٢٠ وما بعدها.

(٣) يوحنا: ١٨:٣١.

(٤) لوقا: ٢٣:٢

(٥) متى: ٢٢: ٢١.

فأي خير في هذا؟[١].

فيسال بيلاطس يسوع غير مصدق حسب رواية يوحنا: "أنت ملك اليهود أجابه يسوع مملكتي ليست من هذا العالم، ولو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكيلا اسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا"[٢]. فهو دفاع مقنع فيمض بيلاطس إلى اليهود المنتظرين بالخارج ليرد المتهم الذي لم يثبت عليه بالاتهام، وهو يقول:" أنا لم أجد له علة واحد"[٣].

نقد لأصحاب الأناجيل الأربعة:

نقد الشيخ احمد ديدات أصحاب الأناجيل الأربعة من تلك الواقعة، يقول: ورغم ان المفروض ان متى ومرقس ولوقا، قد دونوا سجلات مستقلة، كل منهم عن الآخر في موضوع حياة المسيح (عليه السلام)، فانه لأمر مدهش ان نجد تلك الرؤية لأنصاف وأجزاء من الأمور دون رؤية النصف الآخر أو الأجزاء الأخرى، ان الثلاثة الأول (متى ومرقس ولوقا) لم يكونوا قد سمعوا كلمات المسيح (عليه السلام)، التي تقول:" مملكتي ليست من هذا العالم" على الإطلاق. لو كان الله سبحانه قد املىء هذه الكلمات على يوحنا وحده على وجه القصر والإفراد، أو لو كان احد الشهود قد اخبره بها فمن اللازم ان هذه الكلمات قد تحركت بها شفتا يسوع انها وجه دفع وبراءة هام جدا في دفاعه البارع ضد اتهام اليهود

---

(١) مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ص٢٦ وما بعدها.

(٢) يوحنا: ١٨: ٣٣-٣٦.

(٣) يوحنا: ١٨: ٣٨.

الزائف له، كيف وصلت هذه الكلمات إلى أي إذن دون ان يكون يسوع قد فتح فمه؟ أم تكلم مغلق الفم؟[1].

ثم نعود بعد هذا النقد إلى حكم اليهود على يسوع بالموت، ففي الوقت الذي يجد فيه بيلاطس ان اليسوع لي مذنبا، لكن أعداء يسوع الحاقدين يلجئون إلى المساومة والابتزاز مع بيلاطس يقولون" ان أطلقت هذا فلست بمحب لقيصر. كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر"[2] وان بيلاطس كان يحاذر ان يصدق على حكما الإعدام على احد الرعايا الأبرياء غير الضارين، فانه لم يستطع ان يتغلب على ضغط اليهود، واجبر على ان يستسلم لصياح اليهود خارج القصر صارخين (ليصلب)[3].

٣) مناقشة قيامة المسيح (عليه السلام) تبعا للتصوير الإنجيلي:

ناقش الشيخ احمد ديدات واقعة قيامة المسيح (عليه السلام)، من النصوص الإنجيلية، واعتمد قي ذلك مناقشة جانب من تلك الواقعة، ألا وهي زيارة المرأة اليهودية المقبرة، وكذا الحواريون، والأحداث التي دارت، غير أن الشيخ طرح المنهج الاستفهامي على النص الإنجيلي، وعلى الحادثة، ثم يحاول بعد ذلك إيجاد ردود عقلية، يسبغها العقل. وبالجملة فإنما أراد الشيخ إثبات حقائق لابد للقارئ أن يمعن النظر بها، ومن ثم يجعل العقل فيصلا في قبولها أو ردها.

(١) مسألة صلب المسيح، ص٢٩.
(٢) يوحنا: ١٢:١٩.
(٣) مسألة صلب المسيح، ص٢٩.

يقول الشيخ احمد ديدات: تروي الأناجيل: ان مريم المجدلية زارت بمفردها مقبرة يسوع[١]. والسؤال لماذا ذهبت هناك؟ هل ذهبت هنالك لتمسح عليه بالزيت، كما يخبرنا القديس مرقس: (١٦:١)، والسؤال الثاني هو هل جرى العرف بين اليهود ان يمسحوا جسد المتوفي بالزيت في اليوم الثالث لوفاته، الإجابة هي (لا). إذن لماذا أرادت المرأة اليهودية (مريم المجدلية)، ان تدلك جسد المسيح بعد ثلاثة أيام، من إعلان وفاته؟ ونحن نعلم انه خلال ثلاثة ساعات يغدو الجسم متصلبا وفي ثلاثة أيام يتحلل الجسم فهل يكون لتدليك الجسم إذن معنى؟ الإجابة هي (لا).

لكن هناك معنى، ومعنى كبير مفهوم لو كانت مريم المجدلية تبحث عن شخص حي، وأنت أيها القارئ تدرك أنها كانت بالقرب من الشخصين الوحيدين قاما بالطقوس الأخيرة لجثمان يسوع، وهما (يوسف الاريماتي، ونيكوديموس)، ولو كانت قد شاهدت أي دليل على وجود دبيب للحياة في أي عضو من أعضاء جسد يسوع لما كان معقولا أن تصيح انه حي! إنها تعود بعد ليليتين ويوم عندما كان سبت اليهود قد انقضى لكي تعنى بيسوع. وعند وصولها إلى المقبرة استبدلت بها الدهشة، إذ وجدت ان شخصا ما كان قد سبقها بالفعل وأزاح الحجر الذي يسد مدخل المقبرة وبالدخول إليها تجد ان الملاءة التي يلف بها جسد الميت مطوية ملفوفة مكومة بالداخل(بدل ان تكون ملفوفة حول جسد الميت)، هل ثمة مجال لأمثلة أكثر؟ نعم يثور ثمة سؤال يقول: لماذا أزيح الحجر (من باب

---

(١) ينظر: مرقس ١٦: ٩، ويوحنا: ٢٠: ١.

المقبرة)؟ الجواب على ذلك انه بالنسبة لشخص يعود إلى الحياة (بقدرة الله)، شخص كان قد قهر الموت (بإرادة الله)، ليس من الضروري ان يتزحزح الحجر كي يخرج من المقبرة، كما لم يكن ضروريا للملاءة الملفوف بها الجسد ان تلف لكي يخرج منها.

الجواب على ذلك انه بالنسبة للروح لا تشكل جدران الحجارة سجنا، ولا تحد قضبان الحديد قفصا وان تزحزح الحجر وانفلات الملاءة من ضرورات تحرير جسم مادي، كانت المقبرة الخالية تشكل قمة الإثارة التي لم تكن (مريم المجدلية)، تتوقعها. ولذا فان المرأة التي أصابتها الهستيرية (لدرجة ان القديس مرقس يقول ان يسوع كان عليه ان يخرج منها سبعة شياطين)[١].

تنهار وتبكي، وكان يسوع يرقبها من مكان مجاور ليس من السماء ولكن من الأرض كانت المقبرة من ممتلكات (يوسف الارماتي)، وكان واحدا من أثرياء اليهود كان يسوع هناك! وكان يرقب مريم المجدلية، انه يعرف من تكون ويعرف لماذا هي موجودة بالمكان، يقترب خلفها، ويجدها تبكي أو تصرخ، لذلك فانه يسألها:" يا امرأة لماذا تبكين، من تطلبين"[٢]. وقبل ان تجيب مريم المجدلية، . يقول الشيخ احمد. دعني أتدخل فأثير سؤالا: لماذا يسال يسوع أسئلة لا لزوم لها؟ الا يعرف الأسباب الظاهرة. بالطبع يعرف إذن لماذا يسال؟. الجواب على ذلك انها كانت أسئلة لها ما يبررها نعم انه يعرف. انها كانت تبحث عنه، لكن خاب أملها (إلى حد

---

(١) مرقس: ١٦: ٩.

(٢) يوحنا: ٢٠

الصدمة)، بعدم عثورها عليه. ومن ثم كان نحيبها، لكنه أيضا يعرف إنها لن تتعرف عليه بسبب تنكره التام المتقن. ولذا فهو يستدرجها إلى حالة السواء والاعتدال بالكلام إليها، وعند وصف هذه الجزئية يقول القديس يوحنا: "وهي إذ اعتقدت انه البستاني قالت له" والآن لماذا تعتقد مريم انه البستاني؟ هل العائدون من بين الموتى يلزم بالضرورة ان يشبهوا عمال البساتين؟ كلا. إذن لماذا تعتقد انه البستاني؟ الجواب هو ان يسوع كان متنكرا كبستاني! ولماذا يتنكر كبستاني؟ الجواب لأنه خائف من اليهود! ولماذا يخاف من اليهود؟ لأنه لم يمت، ولم يهزم الموت! لو كان ثمة داع للخوف، ولم لا؟ لان الجسم لا يموت مرتين! من القائل بهذا؟ الكتاب المقدس يقول به أين؟ في الرسالة إلى العبرانيين، يقول:" وكما وضع للناس ان يموتوا مرة واحدة ثم بعد ذلك الدينونة"[١].

وإذ تظن مريم المجدلية يسوع في تنكره، تظنه البستاني فإنها تقول:" يا سيد ان كنت أنت حملته فقل لي أين وضعته"[٢]. إنها لا تبحث عن جثة لو كانت تبحث عن جثة لاستعملت ضمير غير العاقل **(It)**، في الانكليزية، ولكنها استعملت من ضمير العاقل **(him)**

وهي إذن تبحث عن إنسان حي، وهي تريد ان تعرف أين (أرقده)، وفعل يرقد شخصا ليستريح لا يستخدم لغير الأحياء، وهي لم تقل له: أين دفنته؟. تأخذه معها، أين؟ ماذا تفعل بميت؟ ان محاولة يسوع مداورة هذه المرأة' قد ذهب إلى حد بعيد، ولم تكن المرأة قد استطاعت ان تكشف

---

(١) رسالة الى العبرانيين، ٩: ٢٧.

(٢) يوحنا: ٢٠: ١٥.

التنكر بعد، ولم يستطع ان يتمالك نفسه أكثر من ذلك. يندفع قائلا (مريم)، ! كلمة واحدة لكنها كانت كافية، فعلت كلمة مريم ما لم تفعله كل الكلمات السابقة مكنت مريم من ان تتعرف على (سيدها).

ويستطرد يسوع في كلامه إلى مريم، ويقول:" لأني لم اصعد بعد إلى أبي"(١). ولم تكن مريم المجدلية عمياء كانت تستطيع ان ترى الرجل واقفا أمامها، فماذا يعني بقوله: لم اصعد بعد عندما كان واقفا على الأرض أمامها بالضبط؟ انه في الحقيقة يقول لها انه لم يبعث من بين الموتى" فلما سمع أولئك الحواريين انه حي وقد نظرته أي (المجدلية) لم يصدقوا"(٢). ابتهج الحواريون وعجبوا ماذا عساه ان يكون قد حدث؟ كانوا قد ظنوه ميتا مضى. ولكن ها هو ذا (معلمهم)، يقف بينهم بلحمه وعظمه بخصائص ١٠٠% للرجل الحي. وليؤكد لهم أكثر، وليهدئ أعصابهم المهتزة، يسأل "هل عندكم هاهنا شيء من اللحم: أو أي شيء يؤكل؟ وأعطوه شيئا من لحم السمك وعسل وأخذه واكله بالفعل(٣).

ثم بعد مناقشته لجزئيات قيامة المسيح، يعمد إلى القول:" لقد قدمت بين يديك أيها القارئ الكريم الدليل الحاسم من كتابات المسيحيين ونصوصهم المقدسة، حيث كان يقال ويقال ان يسوع حي حي، فهل يصدق أتباعه اليوم هل هم مستعدون ان يصدقوا معلمهم الذي كان قد قال: كما كان يونان كذلك سيكون ابن الإنسان! ليس هذا جائزا! لن

---

(١) يوحنا: ٢٠: ١٧.

(٢) مرقس: ١٦: ١١.

(٣) ينظر: مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ٩٤. ١٢٨.

يقنعوا. هل تذكرون توما؟ انه احد المنتخبين كحواري للمسيح الملقب لدى المسيحيين (بالتوأم)، (ولم يكن معهم (الحواريون) حين جاء المسيح)[1]. في أول الحجرة العلوية، وكنتيجة لذلك فانه عندما شهد أولئك الحواريون انهم قد تحسسوا ولمسوا وأكلوا مع يسوع، وانهم قد رأوا (المعلم)، وليس الله، وليس شبح يسوع، ولكنه هو يسوع بنفسه وبلحمه وعظامه حيا. قال لهم توما: (ان لم أبصر في يديه اثر المسامير واضع أصبعي في اثر المسامير واضع يدي جنبه لا أومن)[2][3].

وبهذا يكون الشيخ احمد ديدات (رحمه الله)، قد اثبت ان المسيح (عليه السلام) لم يصلب، وانه حي، وان الأناجيل المسيحية التي زعمت الصلب وفداء خطيئة البشر، من اليسير مناظراتها، لم حوت من تناقضات، ومن تفسيرات بعيدا عن الوقائع التي لا بد من تأويل يتناسب ومكانة المسيح(عليه السلام) عند الله.

---

(١) يوحنا: ٢٠: ٢٤.

(٢) يوحنا: ٢٠: ٢٥.

(٣) مسألة صلب المسيح، ص١٥٤.

المبحث السادس

جهود علماء المسلمين في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ) من واقع كتب القوم المقدسة

دلت الآيات القرآنية دلالة قطعية، على وجود بشارات نبينا محمد(ﷺ)، في كتب القوم المقدسة، وان الله تعالى بشر به على لسان الأنبياء (عليهم السلام)، على مدى تعاقبهم في شعوبهم مع تقلب الأزمان والفترات، لذا فإنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وانه للحق من ربهم، وان أوصافه باتت مستفيضة في كتبهم، ومن شواهد الآيات الكريمة التي دلت على ذلك:

١) إشارة القران الكريم إلى معرفة القوم بالنبي(ﷺ)، كما يعرفون أبناءهم، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

٢) إشارة القرآن الكريم إلى وصفه في كتبهم قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

---

(١) سورة البقرة، الاية (١٤٦).

(٢) سورة الانعام، الاية (٢٠).

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1].

٣) أشار الله تعالى إلى ميثاق الأنبياء وعهدهم وشهادتهم له: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[2].

٤) ثم بين الله تعالى كفر القوم به عندما جاءهم(ﷺ)، بالرسالة والتبليغ، بعدما كانوا يستفتحون به على عدوهم، قال تعالى واصفا ذلك: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الاعراف، من الاية (١٥٧).

(٢) سورة ال عمران، الاية (٨١).

(٣) سورة البقرة، الاية (٨٩).

(٤) سورة البقرة، الاية (١٠١).

٥) أشار القرآن الكريم إلى نداء المسيح (عليه السلام)، بالبشارة الصريحة، قال تعالى حاكيا نداء المسيح في شعبه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[١].

إذن هذه بعض الشواهد القرآنية كدلالات واضحة على بشارات نبي الإسلام(ﷺ). وبينت ان أوصافه وشمائله ودعوته (ﷺ) مذكورة عند القوم في كتبهم المقدسة. غير ان القوم لم يؤمنوا الا قليلا منهم. فأما اليهود فقد صرفوا البشارة إلى (مسيا المخلص)، أي المسيح المخلص، فان ارتقاب اليهود لظهور المسيح(عليه السلام)، على انه المخلص ليعيد لهم مجدهم، ويخلصهم من الهوان والذل أمر عقدي مهم، لأنهم: "منذ زمن موسى (عليه السلام)، وهم يعتقدون ان حياتهم سوف تعاني ضيقا وذلة، وان يهوه سوف يرسل منقذا ليخلصهم ما هم فيه من الضيق والذلة وسوف يقودهم هذا المنقذ إلى حياة أكثر بهجة، وهذا المنقذ عندهم يسمى: (ميسياه)"[٢].

وقد كان التأمل وفقا لنبوءة دانيال في رؤيته، الذي جاء به السياق التوراتي وحدده وفق تفاسير غريبة[٣]، قاد باليهود إلى تأمله كسياق

---

(١) سورة الصف، الاية (٦).

(٢) التفكير الديني في العالم قبل الاسلام، رؤوف شلبي، ص٤٠٦.

(٣) سرد سفر دانيال رؤى عدة راها النبي دانيال، اخبرت عن نهاية العالم وعن خلاص الشعب وولادة عالم جديد، ومجئ المخلص (ابن الانسان)، صاحب المعبد والسلطان والملكوت ينظر: سفر دانيال: ٧: ١٣-١٤.ونقرا في موضع اخر من السفر: ان نبوخذ نصر راى تمثالا راسه من ذهب وصدره وذراعه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس،=

لخلاص بني إسرائيل من الذل والقهر والهوان، فباتت رؤية دانيال الأمل الوحيد لمجيء المنقذ المخلص. لذا عمدوا إلى قرأته والتأمل في تفسيراته، ليصبح بعد ذلك إيمانا عقديا لا يحيد عن دينهم.

لقد اعد اليهود ظهور المسيح المخلص استئنافا الهيا للانبيائهم، لذا كان منظورهم للحركة النبوية منذ مبعث موسى (عليه السلام)، ومن جاء من بعده من الأنبياء والرسل، نظرة التعالي كونه شعبا خصه الله تعالى دون شعوب الأرض. بل يلزمون الله بذلك كونهم أبناء الله وأحباؤه. وان التزاحم الضخم للأنبياء والمرسلين الذين أرسلوا فيهم وما ذكرته أسفارهم المقدسة للدلالة على خاصيتهم عند الله تعالى، ولسنا هنا بصدد التعليق على ذلك بقدر ما نريد الإشارة إلى صرف اليهود البشارات إلى غير مواضعها.

اما النصارى فانظر كيف صرفوا البشارة التي بشر بها عيسى (عليه السلام)، فانه" قال عن محمد رسول الله(ﷺ)، كلاما كثيرا، سماه (بيراكليت)، أي (احمد)، ووصفه بالروح القدس، أي احمد المنتسب إلى الله القدس الطاهر، لا إلى الشياطين التي أرواحها نجسة، ومن

=وساقاه من حديد، وقدماه بعضهما من حديد والبعض الاخر من خزف، واذا بحجر يقطع بغير يدين فيضرب التمثال على قدميه فيسحقهما ولما عجز المنجمون عن تفسير هذا الحلم جيء بدانيال، وقد كان اسيرا في القصر الملكي، فسر الحلم على انه: الراس الذهبي للتمثال يرمز لنبوخذنصر ولملكه، ثم ستليه مملكة اخرى ستكون اقل قوة، ثم ثالثة من نحاس ستهيمن على جميع الأرض، ثم رابعة ستكون صلبة كالحديد ستسحق الجميع، وعنده هل سيقيم الله السموات مملكة لن تنقرض ابدا وملكها لا يترك لشعب اخرينظر: سفر دانيال: ٢: ٣٤-٣٦، ٢:٤٤.

كلامه:(واما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم)[١]، وكما فعل النصارى نبوءة (ابن الله)، المذكورة في المزمور الثاني فعله في نبوءة الروح القدس، فالأرثوذكس قالوا: ان الله انقلب إلى مسيح بقوة الروح القدس، فالله والمسيح والروح واحد، والكاثوليك قالوا: ان روح القدس منفصل عن الله، ومنفصل عن الابن، وهي محاولة منهم للتضليل في (بيراكليت)، الذي هو اسمه احمد (ﷺ)"[٢].

وقد ورد في العهد القديم ان موسى بشر بنبي يشبهه[٣]، وقد ذكر ذلك سفر أعمال الرسل[٤]، أي ان نبوات العهد القديم قد تحققت بظهور نبوة نموذجية أخرى مماثلة لنبوة موسى، رمز النص الإنجيلي لهذه الفكرة مشهد يظهر فيه المسيح واقفا إلى جانب موسى هكذا تقدم النصوص الإنجيلية المسيح اعتباره موسى الجديد الذي يشارك موسى القديم في مثالية نبوته، لكنه سيتميز عنه بعد ذلك بتجاوزه الناموس

(١) يوحنا: ١٤: ٢٦.

(٢) الادلة الكتابية، د. احمد السقا، ص ١٣٢ وما بعدها.

(٣) سفر التثنية: ١٨: ١٥ – ١٨.

(٤) اعمال الرسل: ٧: ٣٧.

والنبوة لأنه جاء في حقيقة الأمر ليختم ذلك كله وإكماله[1].

إذن بات واضحا تضليل القوم البشارة بالنبي الخاتم(ﷺ)، وصرفها حسب أهوائهم، وما تهوى أنفسهم. وتغييبها عن عامتهم وجحودهم جحودا تامة، لينكروا نبوته(ﷺ)، ورسالته إلى العالم كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

من اجل هذا تضافرت جهود علماء الإسلام، في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)، من واقع كتب القوم، وإلزامهم بها، وإقامة الحجة عليهم، ودعوتهم إلى النور والرحمة المهداة(ﷺ).

وبعد هذه التقدمة، نعمد إلى بيان جهود علماء الإسلام في إثبات بشارات نبينا محمد(ﷺ)، في نصوص الكتب المقدسة، وسنقتصر على ذكر بعض البشارات، وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: منهج علماء المسلمين في إثبات البشارات.

المطلب الثاني: في بشارات إبراهيم (عليه السلام).

المطلب الثالث: في بشارة هاجر (عليها السلام).

المطلب الرابع: في بشارات موسى (عليه السلام).

المطلب الخامس: في بشارات داود (عليه السلام).

---

(١) النبوة في الأديان الكتابية، احمد المشرقي، دار الجيل، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ط(١)، ص ٥٢.

(٢) سورة سبأ، الاية (٢٨).

المطلب السادس: في بشارات إنجيل متى.

المطلب السابع: في بشارات إنجيل يوحنا.

المطلب الأول: منهج علماء المسلمين في إثبات البشارات:

لقد تضمنت أسفار الكتاب المقدس لدى القوم بشارات الأنبياء (عليهم السلام)، وقد استعمل علماء الإسلام منهجا علميا في إثبات البشارة، ومن ذلك:

١) اعتماد النص القرآني في بيان شمائل النبي(ﷺ)، كدلالة تامة عليه(ﷺ).

٢) بيان انطباق نصوص البشارات على نبينا محمد(ﷺ)، ولا حجة في إنكارها.

٣) بيان اعتراف الذين هداهم الله إلى الإسلام وان كتبهم المقدسة حملت بشارات الأنبياء، بالنبي (ﷺ). ومن هؤلاء مؤلف كتاب بذل المجهود (للسموئل يحيى المغربي)، وكتاب تحفة الأريب) لـ(عبد الله الترجمان).

٤) عرض نص البشارة الموجودة في سفر ما، ومن ثم يناقشونها، ويبينون دلالاتها. ومن ثم يدعموها بالأدلة النقلية أو العقلية. عما سنرى في المطالب الاتية:

المطلب الثاني: في بشارات إبراهيم (عليه السلام).

أولا: البشارة الأولى:

١) نص بشارة إبراهيم (عليه السلام)[١]:

قال الله تعالى: "في هذا العام يولد لك ولد اسمه أسحق، فقال إبراهيم: يا ليت هذا يحيا بين يديك بمجدك، فقال الله تعالى: قد استجبت لك في إسماعيل واني أباركه، وأنميه جدا جدا بما قد استجبت فيه وأصيره امة كثيرة وأعطيه شعبا جليلا سيلد أثنى عشر عظيما"[٢].

٢) بيان الإمام القرافي دلالة النص:

يقول القرافي: اتفقت الأمم على أنه لم يظهر من قبل إسماعيل (عليه السلام)، الا نبيا صلوات الله عليه، فان الأنبياء إنما كانوا يكونون من ذرية إسحاق (عليه السلام)، ولما ظهرت بركته ونمت أمته، كان الشعب الجليل الذي أعطيه إسماعيل(عليه السلام)، فملأت من المشارق والمغارب، وعلى التوالي الأيام، لا يبلى جديدها، ولا يقصم عودها، فتحققت البشارة الربانية لإسماعيل(عليه السلام)، وظهرت أمنية الخليل (عليه السلام)، بالإحسان والإكرام[٣].

---

(١) أورد النص الامام القرافي في كتابه الاجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة، ص ١٩٩.
وكذلك اورده السموئل يحيى المغربي في كتابه افحام اليهود، ص٣٤. ما نصه: قال الله تعالى:" واما في اسماعيل فقد قبلت دعاءك، قد باركت فيه، واثمره واكثره جدا جدا.

(٢) سفر التكوين: ١٧: ١٨-٢١.

(٣) الاجوبة الفاخرة، القرافي، ص١٩٩ وما بعدها.

٣) مناقشة الحكيم السموئل يحيى المغربي لنص البشارة:

يقول الحكيم: كلمة جدا جدا، انها كلمة المبالغة من الله سبحانه وتعالى، فلا أسوة لها من كلمات الآية المذكور، وإذا كانت هذه الآية أعظم مبالغة من باقي كلمة تلك الآية، فلا عجب أن تتضمن الإشارة إلى أجل أولاد إسماعيل شرفا، وأعظمهم قدرا محمد(ﷺ). وإذ قد بينا انه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها من الكلمات هذه الآية، ولا هذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة فقد بطل اعتراضهم(١).

<u>ثانيا: البشارة الثانية:</u>

١) نص البشارة(٢):

قال الله تعالى: "اني جاعل ابنك إسماعيل لأمة عظيمة لأنه من ذرعك"(٣).

٢) بيان الإمام القرافي دلالة النص:

يقول الإمام القرافي: ولم يكن امة عظيمة مضافة إلى إسماعيل دون اسحق الا امة محمد(ﷺ)، فيكون هو الموعود به(٤).

---

(١) افحام اليهود، السموئل يحيى المغربي، ص٣٤ وما بعدها.

(٢) اوردها القرافي، ص١٩٩، والامام ابن قيم الجوزية، في كتابه هداية الحيارى، ص١٢٠.

(٣) سفر التكوين ٢١: ١٢.

(٤) الاجوبة الفاخرة، ص٢٠١.

٣) مناقشة الإمام ابن قيم الجوزية النص:

يقول ابن القيم: وهذه البشارة بمن جعل من ولده لأمة عظيمة، وليس هو سوى محمد بن عبد الله(ﷺ)، الذي هو من صميم ولده، فانه جعل لأمة عظيمة، ومن تدبر هذه البشارة جزم بان المراد بها رسول الله(ﷺ)، لان إسماعيل لم تكن يده فوق يد إسحاق قط، وكانت يد إسحاق مبسوطة إليه بالخضوع، وكيف يكون ذلك وقد كانت النبوة والملك في إسرائيل وعيسو، وهما ابنا إسحاق، فلما بعث رسول الله(ﷺ)، وانتقلت النبوة إلى ولد إسماعيل، ودانت له الأمم وخضعت له الملوك، وجعل خلافة الملك إلى آخر الدهر[١].

<u>المطلب الثالث: في بشارة هاجر (عليها السلام).</u>

١) <u>نص البشارة[٢]:</u>

ان الملك ظهر لهاجر وقد فارقت سارة، فقال: ياهاجر من أين أقبلت؟ والى أين تريدين؟ فلما شرحت له الحال، قال ارجعي فاني سأكثر ذريتك ورزقك حتى لا يحصون، وها أنت تحبلين وتلدين ابنا وتسميه إسماعيل، لان الله تعالى قد سمع بكاءك وخضوعك

---

(١) هداية الحيارى، ص١٢١

(٢) اوردها القرافي في كتابه الاجوبة ص٢٠١، وابن تيميه في الجواب الصحيح، ٢٧٢/١ ومابعدها، وابن القيم في كتابه ص١٢٠، وعبد الله الترجمان في كتابه تحفة الاريب، ص١٣٧. مع الملاحظ انه يوجد هناك بعض التفاوت بالالفاظ، يعود ذلك الى الترجمات المختلفة للكتاب المقدس من عصر الى عصر.

ولدك تكون يده فوق الجميع، وآمر الكل، ومسكنه على تخوم جميع أخوته[١].

٢)بيان الإمام القرافي لدلالة النص:

قال القرافي: ولم يأت من ذرية هاجر من هو يده على جميع الخلق، وأمره الكل إلا سيد المرسلين(ﷺ)[٢].

٣) بيان ابن تيميه لدلالة النص:

قال الإمام ابن تيميه: ان يد إسماعيل قبل بعثة محمد(ﷺ)، لم تكن فوق أيدي بني إسحاق، بل كان في بني إسحاق النبوة والكتاب، ،قد دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب، فلم يكن لبني إسماعيل فوقهم يد، ثم خرجوا منها لما بعث موسى، وكانوا مع موسى أعز أهل الأرض، لم يكن لأحد عليهم يد، ثم مع يوشع بعده إلى زمن داود، وملك سليمان الذي لم يؤت احد مثله، وسلط عليهم بعد ذلك بختنصر ، فلم يكن لبني إسماعيل عليهم يد، ثم بعث المسيح وخربت بيت المقدس الخراب الثاني، حيث افسدوا الأرض مرتين، ومن حينئذ زال ملكهم، وقطعهم الله في الأرض أمما، وكانوا تحت حكم الروم والفرس، لم يكن للعرب عليهم حكم اكثر من غيرهم، فلم يكن يد لولد إسماعيل فوق الجميع، حتى بعث الله محمدا(ﷺ)، الذي دعا به إبراهيم وإسماعيل، حيث قال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ

(١) سفر التكوين ١٦: ٨-١٣.

(٢) الاجوبة الفاخرة، ٢٠١.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[(١)].

فلما بعث صار يد ولد إسماعيل فوق الجميع، فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم، وقهروا فارس والروم، وغيرهم من الأمم، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين، فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة" وتكون يده فوق الجميع"[(٢)].

٣) بيان الإمام ابن القيم دلالة النص:

قال ابن القيم: وهذه البشارة تضمن ان يد ابنها على يد كل الخلائق، وان كلمته العليا، وان أيدي الخلق تحت يده، فمن هذا الذي ينطبق عليه هذا الوصف سوى محمد(ﷺ)[(٣)].

٤) مناقشة عبد الله الترجمان النص:

يقول الترجمان: معلوم ان إسماعيل وأولاد صلبه، لم يكونوا متصرفين في معظم الدنيا، وانما الإشارة بذلك لعظيم ذريته، وهو نبينا محمد(ﷺ)، لان دينه دين الإسلام علا على أهل الأرض، وأكثر معمورها، وتصرفت أمته في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا أمر تعرفه علماء اليهود وجماهيرهم، ولكنهم يكتمونه عن عوامهم[(٤)].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٩).

(٢) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ١/٢٧٣.

(٣) هداية الحيارى، ص١٢٠.

(٤) تحفة الاريب، عبد الله الترجمان، ص١٣٨.

المطلب الرابع: في بشارات موسى (عليه السلام).

أولا: البشارة الأولى[1]:

١) نص البشارة:

"اقبل الله من سيناء وتجلى من ساعير وظهر من جبال فاران، معه ربوات الأطهار عن يمينه"[2].

٢) بيان الإمام القرافي لدلالة النص:

سيناء هو الجبل الذي كلم الله تعالى يفه موسى(عليه السلام)، و(ساعير)، هو جبل الخليل بالشام، وكان المسيح (عليه السلام)، يتعبد فيه، ويناجي ربه، و(فاران)، جبل بني هاشم الذي كان محمد(ﷺ)، يتحنث فيه ويتعبد، فإقبال الله تعالى من سيناء إقبال رسالته وتجلية من بساعير وظهور فضله بإرسال عيسى(عليه السلام)، بإحياء التوراة، وظهوره من جبال فاران، وفاران مكة باتفاق أهل الكتاب، ولذلك عندهم ان إسماعيل وحاجر كانا ببرية فاران وهما كانا بمكة، فظهوره تعالى منها ظهور الرسالة المحمدية إلى جميع البرية، وخصص موسى(عليه السلام)، نبينا محمدا(ﷺ)، بما لم يذكره لغيره، وهو ربوات الأطهار عن يمينه وهم لا

---

(١) اوردها القرافي في الاجوبة الفاخرة ص ٢٠٢، الشيخ ابن تيمية في الجواب الصحيح٢/ ٢٦٦، وابن القيم في هداية الحيارى ص١١٨، والسموئل يحي في كتابه بذل المجهود في افحام اليهود، ص٣٥.

(٢) سفر التثنية: ٣٣: ١-٢.

أصحابه ثم يقول القرافي هذا نص ظاهر يقوي جميع ما تقدم ويزيده بيانا وتعين المراد به بحيث يصيره كالشمس[١].

٢) مناقشة الإمام ابن تيمية النص:

يقول ابن تيمية: ليس بهذا خفاء على من تدبره، ولا غموض، لان مجيء الله من طور سينا إنزاله التوراة على موسى من طور سيناء، كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا، وكذلك يجب ان يكون إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على المسيح، وكان المسيح من ساعير ارض الخليل بقرية الناصرة وباسمها يسمى من اتبعه نصارى، وكما وجب ان يكون إشراقه من ساعير بالمسيح، فكذلك يجب ان يكون استعلاؤه من جبال فاران إنزاله القرآن، على محمد(ﷺ)، وجبال فاران هي جبال مكة وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في ان فاران هي مكة، فان ادعوا أنها غير مكة، فليس ينكر ذلك من تحرفهم وأفكهم.

قلنا: أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هجر وإسماعيل فاران، وقلنا: دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران، والنبي الذي انزل عليه كتابا بعد المسيح، اوليس (استعلن)، و(عَلِنَ)، وهما بمعنى واحد؟ وهو ما ظهر وانكشف، فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الإسلام، وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه؟ وبجانب بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح قرية تسمى إلى اليوم ساعير، ولها جبل تسمى ساعير، وفي التوراة: ان نسل العيص كانوا سكانا بساعير، وأمر الله موسى ان لا

---

(١) الاجوية الفاخرة، ص ٢٠٢.

يؤذيهم، وعلى هذا فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقا، جبل حراء الذي ليس حول الكعبة جبل أعلى منه، ومنه كان نزول أول وحي على النبي(ﷺ)، وحوله من الجبال جبال كثيرة، حتى قد قيل: ان بمكة اثني عشر ألف جبل، وذلك المكان يسمى فاران إلى هذا اليوم، وفيه كان ابتدأ نزول القرآن.

والبرية التي بين مكة وطور سيناء تسمى برية فاران، ولا يمكن أحد ان يدعي انه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض، ولا بعث نبي، فعلم انه ليس بالمراد باستعلائه من جبال فاران إلا إرسال محمد، وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على الترتيب، فذكر إنزال التوراة، ثم الإنجيل، ثم القران، وهذه الكتب نور الله وهداه، وقال في الأول: جاء أو ظهر، وفي الثاني: أشرق، وفي الثالث: استعلن، وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر، أو ما هو اظهر من ذلك، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس، زاد به النور والهدى، وأما نزول القرآن، فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء، ولهذا قال: "واستعلن من جبال فاران" فان النبي(ﷺ)، ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين، كما يظهر نور الشمس إذا استعلت في مشارق الأرض ومغاربها، ولهذا سماه الله سراجا منيرا، وسمى الشمس سراجا وهاجا. والخلق يحتاجون إلى السراج المنير، أعظم من حاجتهم إلى السراج الوهاج، فان الوهاج يحتاجون إليه كل وقت، وكما قيل قد ينظرون به بعض الأوقات، وأما السراج المنير يحتاجون إليه في كل وقت وهذه

الأماكن الثلاث اقسم الله بها في القران في قوله تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[(١)].

فاقسم بالتين والزيتون، وهو الأرض المقدسة الذي ينبت فيها ذلك، ومنها بعث المسيح، وانزل عليه فيها الإنجيل، واقسم بطور سينين، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى، وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة، واقسم بالبلد الأمين، وهي مكة، وهو البلد الذي أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه، وهو الذي جعله الله محرما آمنا، ويتخطف الناس من حوله خلقا وأمرا قدرا، وشرعا، فان إبراهيم حرمه، ودعا لأهله، فقال: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[(٢)]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝١٢٥ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ

---

(١) سورة التين، ، الايات (١-٨)

(٢) سورة ابراهيم، الآية(٣٧).

﴿ٱلْمَصِيرُ﴾[1]. فاخبر الله تعالى ان إبراهيم دعا الله ان يجعل مكة بلدا آمنا، واستجاب الله دعاه إبراهيم، وذكر ذلك في غير موضع[2].

٣) مناقشة الإمام ابن القيم النص:

وهذه متضمنة للنبوات الثلاثة، نبوة موسى، ونبوة عيسى، ونبوة محمد(ﷺ)، فمجيئه من سيناء وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، ونباه عليه إخبار نبوته وتجليه من ساعير وهو مظهر المسيح من بيت المقدس، وساعير قرية معروفة هناك إلى اليوم، وهذه بشارة نبوة المسيح، وفاران هي مكة وشبه سبحانه موسى بمجيء الصباح ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضيائه، ونبوة خاتم الأنبياء بعدهما باستعلاء الشمس وظهور ضوئها في الآفاق، ووقع الأمر كما اخبر به سواء فان الله سبحانه صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته، وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح، وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد(ﷺ)، وذكر هذه النبوات الثلاثة التي اشتملت عليها البشارة نظير ذكرها في أول سورة التين[3]، وقد ذكرنا تفاصيل الآية عند الإمام ابن تيمية فلا داعي من أعادت ذلك.

(١) سورة البقرة، الايتان(١٢٥-١٢٦).

(٢) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ٢/ ٢٦٦-٢٧٢.

(٣) هداية الحيارى، ص١١٨ وما بعدها.

٤) مناقشه السموئل يحيى المغربي النص:

قال الحكيم السموئل: وهم يعلمون أن جبل سيعير هو جبل الشراة الذي فيه بنو العيص، الذين آمنوا بالمسيح عيسى(عليه السلام)، بل في هذا الجبل كان مقام المسيح (عليه السلام)، وهم يعلمون ان سيناء هو جبل الطور، لكنهم لا يعلمون ان جبل فاران هو جبل مكة، وفي الإشارة إلى هذه الأماكن الثلاثة التي كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء للعقلاء ان يبحثوا عن تأويله المؤدي إلى الأمر بإتباع مقالتهم، فأما الدليل الواضح من التوراة على ان جبل فاران هو جبل مكة، فهو ان إسماعيل لما فارق أباه الخليل(عليه السلام)، سكن إسماعيل في برية فاران، ونطقت التوراة بذلك في قولها:

"وبيثب بمد يارفاران وتقاح لواموا اشامثا يرص مصرايم" تفسيره: وأقام في برية فاران وانكحته امه أمراة من ارض مصر، فقد ثبت من التوراة ان جبل فاران مسكن لآل إسماعيل، وإذا كانت التوراة قد أشارت في الآية التي تقدم ذكرها إلى نبوة تنزل على جبل فاران لزم ان تلك النبوة على آل إسماعيل، لأنهم سكان فاران، وقد علم الناس قاطبة ان المشار إليه بالنبوة من ولد إسماعيل هو محمد(ﷺ)، وانه بعث من مكة التي كان فيها مقام إبراهيم وإسماعيل، فدل على ان جبل فاران من جبال مكة، وان التوراة أشارت إليه في هذه المواضع إلى نبوة المصطفى(ﷺ)، وبشر به.

الا ان اليهود لجهلهم وضلالهم، لا يجوزون الجمع بين هاتين العبارتين من الآيتين، بل يسلمون بالمقدمتين ويجحدون النتيجة لفرط جهلهم، قد شهدت عليهم التوراة بالإفلاس من الفطنة والرأي ذلك قوله

تعالى: "كي غوى اوباذ عيصون هيما وابن باهيم تسونا". تفسيره: انهم لشعب عادم الرأي وليس فيهم فطانة[١]

ثانيا: البشارة الثانية:

١) نص البشارة[٢]:

قالت التوراة:" قال موسى(عليه السلام) لبني إسرائيل لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين فسيقيم لكم الرب نبياً من إخوانكم مثلي فأطيعوا ذلك النبي[٣].

٢) بيان القرافي لدلالة نص البشارة ومعانيه:

وهذا الموعد به ليس هارون(عليه السلام)، لقول التوراة أنه مات قبل موسى (عليه السلام)، فما أقيم لهم، بل كان القائم موسى(عليه السلام)، ولأن نبوته أقيمت قبل هذا الخطاب ولا يوشع بن نون(عليه السلام)، لأنه أقيم نبياً قبل هذا الخطاب، ولأنهما من بني إسرائيل وموسى (عليه السلام)، قال: (من أخوتهم) ولم يقل من أنفسهم، فتعين أن يكون من ولد إسماعيل أخي إسحاق أبي إسرائيل، فأنهم أخوان و أولاد أحدهما أخوة الآخرين، ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد (ﷺ) فيكون هذا الموعود به[٤].

---

(١) بذل المجهود، ص٣٥ وما بعدها.

(٢) الأجوبة الفاخرة، ص ٢٠٠.

(٣) سفر التثنية ١٨: ١٥ – ١٩.

(٤) الأجوبة الفاخرة، ص٢٠٠.

المطلب الخامس: في بشارات داود (عليه السلام).

أولا: البشارة الأولى[1]:

١) نص البشارة:

قال داود في الزبور:" سبحوا الله تسبيحا جديدا وليفرح بالخالق من اصطفى الله له أمته وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه"[2].

٢) مناقشة الإمام ابن تيمية لدلالة النص:

يقول ابن تيمية: وهذه الصفات انما تنطبق على صفات محمد(ﷺ)، وأمته، فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في آذانهم للصلوات الخمس، وعلى الأماكن العالية. ويكبرون إذا رموا الجمار، ويكبرون على الصفا والمروة، ويكبرون في الطواف عند المحاذاة الركن، وكل هذا يجهرون فيه بالتكبير غير ما يسرونه، ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[3]. ولما ذكر الهدى الذي يُقَرب في عيد النحر، وهو يوم الحج الأكبر، ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ

---

(١) اورد الامام ابن تيمية نص البشارة في كتابه الجواب الصحيح، ٢/ ٢٧٤، وابن القيم، ص١٤٩، الشيخ رحمت الله الهندي في اظهار الحق، ص٤٣٦.

(٢) مزامير داود:١٤٩: ١-٩.

(٣) سورة البقرة، من الآية (١٨٥).

مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

والنصارى يسمون عيد المسلمين (عيد الله اكبر) لظهور التكبير فيه، وليس هذا لأحد من الأمم أهل الكتاب ولا غيرهم غير المسلمين، وإنما كان موسى يجمع بني إسرائيل بالبوق والنصارى لهم بالناقوس. وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة، فإنما هو شعائر المسلمين، فان الأذان شعار المسلمين وبهذا يظهر تقصير من فسر ذلك بتلبية الحجاج وكذلك قوله:" بأيديهم ذات شفرتين": وهي السيوف العربية التي بها فتح الصحابة، واتباعهم البلاد، وقوله: "يسبحونه على مضاجعهم"، بيان لنعوت المؤمنين الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، ويصلي احدهم قائما، فان لم يستطع فقاعدا، فان لم يستطع فعلى جنب، فلا يتركون ذكر الله في حال، بل يتذكرونه حتى في هذه الحال، ويصلون في البيوت على المضاجع، بخلاف أهل الكتاب، والصلاة أعظم تسبيح كما في قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾[2][3].

---

(١) سورة الحج، الايتان(٣٦-٣٧).

(٢) سورة الروم، الايتان(١٧-١٨).

(٣) الجواب الصحيح، ابن تيمية، ٢/٢٧٤-٢٧٧.

٣) مناقشة الشيخ رحمت الهندي لدلالة النص:

لقد أورد الشيخ رحمت الله الهندي النص بلفظ أخر، وحسب ما توفر له من ترجمة للكتاب المقدس: "سبحوا الرب تسبيحاً جديدا، سبحوه في مجمع الأبرار، فليفرح إسرائيل بخالقه وبنو صهيون يبتهجون بملكهم، فليسحبوا اسمه بالمصاف بالطبل والمزمار ويرتلوا له، لأن الرب يسر شعبه ويشرف المتواضعين بالخلاص، تفتخر الأبرار بالمجد ويبتهجون على مضاجعهم، ترفيع الله في حلوقهم وسيوف ذات فمين في أياديهم ليصنعوا انتقاما في الأمم وتوبيخات في الشعوب، ليقيدوا ملوكهم بالقيود و أشرافهم بأغلال من حديد ليصنعوا بهم حكماً مكتوباً، هذا المجد يكون لجميع الأبرار "[١].

وقد ناقش الشيخ الهندي النص من أوجه عدة، وهي[٢]:

<u>الأول</u>: عبر النص عن المبشر به بأنه (ملك) وعن أتباعه بـ(الأتقياء) ووصفهم بأنهم يهتفون بين الأمم مسبحون بحمد الله فيعاقبون شعوب الوثنية، ويقيدون بسلال الحديد ملوكهم وأشرافهم امتثالا لأمر ربهم ونشراً لدين الله تعالى، وهذا أمر لم يتحقق لأحد للنبي محمد(ﷺ)، فهذا ينطبق عليه بتمامه دون سواه.

<u>الثاني</u>: وليس المبشر به سليمان (عليه السلام)، لأنه ما وسع مملكته على مملكة أبيه، وعلى زعم أهل الكتاب، ولأنه صار مرتداً عابد الأصنام

---

(١) اظهار الحق، ص٤٣٦

(٢) المصدر نفسه.

في آخر عمره على زعمهم، حاشا نبي الله سليمان أن يكون كذلك بل عبداً مخلصاً.

الثالث: ولا عيسى ابن مريم (عليها السلام)، لأنه اسر ثم قيل على زعمهم وكذا أسر أكثر حواريه بالقيود والأغلال ثم قتلوا بأيدي الملوك والأشراف والكفار، فلا تنطبق عليه الأوصاف المذكورة.

الرابع: ولا نسلم بأن النص نشيد لبني إسرائيل ليبتهجوا بملكهم المنتظر، لأن ملكهم زال وإلى الأبد ولأن الوقائع التاريخية شهدت على انطماسهم إلى الأبد بعدما اجتاحتهم الملوك والأمم ليتفرقوا ويتشتتوا والى الأبد، فأين الملك المنتظر حتى ينشدوا له.

وعليه فان دلالة البشارة منحصرة على نبوة محمد (ﷺ) فقد ابتهج ببركة ملكه وأن شريعته باقية إلى قيام الساعة.

ثانيا) البشارة الثانية:

١) **نص البشارة:**

قال داود (عليه السلام): "سيكون من يجوز من البحر إلى البحر ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض، تخر أهل الجزائر بين يديه، وتجلس أعداؤه التراب، وتسجد له ملوك الفرس، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، وتخلص المضطر البائس ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، ونصلى عليه ونبارك في كل حين"[١].

---

(١) المزمور ٧٢: ٨-١٥.

٢) بيان القرافي لدلالة النص ومعانيه:

يقول القرافي: وهذه صفات النبي محمد (ﷺ)، ولم توجد لغيره، خرت الملوك بين يدي أصحابه (رضي الله عنهم)، ودانت إطاعة له الأمم، وصلى عليه مع طول الأيام[١].

٣) بيان ابن تيمية دلالة النص:

وهذه الصفات منطبقة على محمد وأمته، لا على المسيح، فانه حاز من البحر الرومي إلى البحر الفارسي، ومن لدن الأنهار مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها، وهو يصلي عليه تبارك في كل حين، في كل صلاة، في الصلوات الخمس وغيرها، يقول كل من أمته:" اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد، فيصلي عليه ويبارك ومنه خرت أهل الجزائر بين يديه، أهل جزيرة العرب، وأهل الجزيرة التي بين الفرات ودجلة، وأهل الجزيرة قبرص، وأهل جزيرة الأندلس، وخضعت له ملوك الفرس، فلم يبق منهم إلا من اسلم أو أدى الجزية عن يد وهم صاغرون، بخلاف ملوك الروم، فان فيهم من لم يسلم ويؤدي الجزية، فلهذا خص ملوك فارس، ودانت له الأمم التي تعرفه وتعرف أمته، كانت إما مؤمنة أو مسلمة له منافقة، أو مهادنة مصالحة، أو خائفة منهم، وأنقذ الضعفاء من الجبارين. وهذا بخلاف المسيح، فانه لم يتمكن هذا التمكن في حياته، ولا من اتبعه بعد موته تمكنوا هذا التمكن[٢].

---

(١) الاجوبة الفاخرة، ص٢٠٨.

(٢) الجواب الصحيح، ٢/ ٢٨٠.

ثالثا: البشارة الثالثة:

١) نص البشارة:

"إن ربنا عظم محمود"، وفي مكان آخر: " إلهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا"[١].

٢) بيان ابن القيم دلالة النص:

فقد نص داود (عليه السلام) على اسم محمد وبلده، وان كلمته قد عمت الأرض[٢].

المطلب السادس: في بشارات إنجيل متى.

أولا: البشارة الأولى[٣]:

١) نص البشارة:

سأل أحد تلاميذ المسيح (عليه السلام)، فقال: يا معلم لماذا تقول أن (إيليا) يأتي؟ فقال(عليه السلام): (أن إيليا يأتي ويعلمكم كل شئ، وأقول لكم أن إيليا قد جاءكم فلم تعرفوه بل فعلوا به الذي أرادوا)[٤].

٢) بيان القرافي لدلالة النص ومعانيه[٥]:

---

(١) مزامير: ٦٧: ٥.٤، ١١١: ٢.١.

(٢) هداية الحيارى، ص١٥٣.

(٣) اورد البشارة القرافي، في الاجوبة الفاخرة، ص ٢٠٦.

(٤) إنجيل متى / ١٧: ١٠ – ١٢. ونص البشارة في الكتب التي بين أيدينا: فسأله أحد التلاميذ: لماذا يقول معلمو الشريعة: يجب أن يجئ إيليا. أولاً ؟، فأجابهم: نعم يجئ= =ايليا ويصلح كل شئ، ولكني أقول لكم جاء ايليا فما عرفوه، بل فعلوا به على هواهم، وكذلك أبن الإنسان سيتألم على أيديهم.

(٥) الاجوبة الفاخرة، ص ٢٠٦.

يقول القرافي: لقد فسر النصارى إيليا بأنه النبي، وفيه ثلاثة مقاصد:

الأول: أنهم أخبروه أن الكتب تقتضي ورود نبي أخر غير عيسى (عليه السلام) فصدقهم على ذلك.

الثاني: أن المسيح(عليه السلام)، صرح بتكذيب النصارى واليهود أنه ليس أبناً وسمى نفسه (إيليا) وأنهم فعلوا معه ما أرادوا ولم يتعبوه.

الثالث: أنه أخبر أنه سيأتي نبي يعلمهم كل شئ ولم يوجد ذلك إلا في نبينا محمد (ﷺ)، فيكون هو الموعود به.

ثانيا: البشارة الثانية:

١) نص البشارة[١]:

ألم تقرؤا أن الحجر الذي أرذله البناؤون صار رأس الزاوية من عند الله كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، ومن اجل ذلك أقول لكم: أن ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع الى امة اخرى لتأكل ثمرتها، ومن سقط عليه هذا الحجر يتشدخ وكل من سقط عليه يمحقه[٢].

٢) بيان الإمام القرافي للبشارة:

فأمة محمد(ﷺ)، قطعا هم الذين دُفع إليهم ملكوت الله، وهم قطعا ومن ذلك الحجر الذي من عاداه شدخه ومن عانده قتله، ونبينا محمد(ﷺ)، هو الذي صار أفضل البشر بكونه الزاوية المشار إليها[٣].

---

(١) اورد الامام القرافي البشارة في الاجوبة، ص ٢٠٧، وابن القيم في هداية الحيارى، ص ١٧٨.

(٢) انجيل متى ٢١: ٤٢-٤٤.

(٣) الاجوبة الفاخرة، ص ٢٠٦.

المطلب السابع: في بشارات إنجيل يوحنا.

اولا: نص البشارات(١):

١) نص البشارة الأولى:

"إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله إلى كل شيء هو يعلمكم كل شيء".

٢) نص البشارة الثانية:

"إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وأنا اطلب من الأب أن يعطيكم (فارقليط)، أخر يثبت معكم إلى الأبد، وروح الحق الذي لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه".

٣) نص البشارة الثالثة:

"من يحبني يحفظ عليَّ كلمتي وأبي يحبه واليه يأتي، وعليه يتحد المنزل، كلمتكم بهذه لأنه عندكم غير مقيم والفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كما قلت لكم".

٤) نص البشارة الرابعة:

"إذا جاء الفارقليط الذي أبي يرسله روح الحق الذي من أبي يشهد لي، قلت لكم هذا حتى إذا جاء تؤمنون به ولا تشكون فيه".

٥) نص البشارة الخامسة:

"إن خيراً لكم أن انطلق لأني أن لم أذهب لم يأت الفارقليط فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء هو يوبخ العالم على الخطيئة وأن لي

---

(١) ينظر: إنجيل يوحنا ١٦: ١٣، ١٤: ١٧، ١٤: ٢٣ -٢٦، ١٥: ٢٦ -٢٧، ١٦: ٧- ١٣.

كلاماً كبيراً أريد قوله ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن إذا جاء روح الحق ذلك يرشدكم إلى جميع الحق لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل ما يأتي ويعرفكم جميع ما للأب ".

<u>**ثانياً: بيان القرافي لدلالة النصوص وبيان معانيه:**</u>

(١) معنى الفارقليط عند النصارى هو: الحمَّاد، وقيل الحامد، وجمهورهم قالوا: بأنه المُخلصّ، ونبينا محمد (ﷺ) مخلص الناس من الكفر، وهو المعلم لكل شيء، وقد سماه المسيح (عليه السلام)، روح الحق وهو غاية المدح.

(٢) ما ورد في نص البشارة الثانية إن عيسى عليه السلام قال: (إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي...) ثم اخبر عن فارقليط يثبت معهم إلى الأبد. وفي ذلك يقول القرافي: والذي يثبت إلى الأبد هو رسالة الرسول لا ذاته، ورسالة نبينا محمد (ﷺ) باقية على مر الأيام والدهور ومستمرة إلى يوم البعث والنشور، فيكون هو الموعود صوناً لقول المسيح (عليه السلام) من الخلل.

(٣) وكذلك ما ورد في البشارة الثانية: (أن روح الحق الذي لم يطق أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه....)، فيقول القرافي: "وفي هذا يشير النص إلى أن نبينا محمد (ﷺ) بعث بالتوحيد في زمن غلب فيه الجهل وعبادة الأوثان وبيوت النيران والقول بالثالوث، وهو غاية المنافاة والبعد عما جاء به، ولذلك قالوا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[1].

(١) سورة ص: الآية ٥.

(٤) ما ورد نص البشارة الخامسة إن عيسى (عليه السلام) قال: إن خيراً لكم إن انطلق لاني إن لم اذهب لم يأت الفارقليط ... فيقول القرافي: وهذا الكلام فيه مقصدان:

الأول: أن المسيح (عليه السلام) اخبر إن الأتي افضل منه.

الثاني: واما معنى قوله إذا انطلقت أرسلته إليكم، إما لان المصطفى(ﷺ)، موقوف على ذهاب المسيح(عليه السلام)، فالمسيح تحقق إرساله بذهابه أو على حذف مضاف أي يرسله، كما جاء في نص البشارة الثالثة، واما قول المسيح(عليه السلام):"فإذا جاء هو يوبخ العالم على الخطيئة" فقد وبخ(ﷺ)، اليهود، والنصارى، والمجوس، والعرب فانه وجد الجميع ضالين.

ويقول القرافي: وفي هذا شهادة لنبينا (ﷺ)انه لاينطق عن الهوى وانما يتكلم بما اوحى اليه ولذلك قال الكتاب العزيز: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1]. ولم يأتي من هذه الصفات ولاياتي ألا نبينا محمد(ﷺ)، فيكون هو الموعود جزماً.

(٥) لقد أنكرت النصارى إن الفارقليط المبشر هو محمد(ﷺ)، وقد قالوا: إن الفارقليط الموعود به ألسن النار تنزل من السماء على التلاميذ فيفعلوا الآيات والعجائب، وقد رد القرافي على هذه المزاعم والافتراءات بالقول:

---

(١) سورة النجم / ٣، ٤.

وهذا الكلام غير صحيح، إما لانه لم يثبت نزول هذه الألسن ولا مجال لتصديق المسيح (عليه السلام)، على أمر لم يثبت، أو لان سيّر التلاميذ تشهد بأنهم عذبوا وأهينوا بأنواع الهوان، فكذب قولهم إن السن النار تؤيدهم على أعدائهم. ثم إن التلاميذ جماعة في وقت واحد، والمسيح يشير لواحد عظيم منفرد، فقولهم في التلاميذ هذيان، ثم إن نص البشارة الثالثة والتي يقول عيسى فيها (والفارقليط روح الله الحق يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء.... فقد حمل المسيح أصحابه هذه الأمانة ليؤدوها بعدهم كما هي سنة الأنبياء عليهم السلام، والذي جاء بعده يُعلم كل شيء عنده ونبينا محمد(ﷺ)، ذكر كل شيء، ولذلك دلت نصوص البشارات على غاية التعظيم، والمدح لنبينا محمد (ﷺ)، والتأكيد على أتباعه[١].

وقبل أن ينهي القرافي كتابه الأجوبة الفاخرة أشار إلى ملاحظة هامة قد يستخدمها الخصم أداة في طعن البشارات، فيقول: فان قيل كيف تتمسكون بهذه الكتب وهي غير صحيحة عندكم؟.

قلنا: نبوة نبينا محمد (ﷺ)، ثابتة بالمعجزات غنية عن هذه الكتب، وانما نذكر ما فيها من الدلالة على نبوته(ﷺ)، إلزاما لاهل الكتاب الذين يعتقدون صحتها، هي مثل جميع كتبهم في الصحة، فأن كان يحسن الأشكال بها تم مقصودنا، وان كانت لا يحسن بها الاستدلال بطل جميع ما بيد أهل الكتاب، لان جميعه مثلها، وكيف يسع أهل الكتاب أن يعتقدوا صحة هذه الكتب؟ ولا يقبلوا مافيها من الدلالة على محمد (ﷺ)، الواصلة

---

(١) الاجوبة الفاخرة، ٢٠٢-٢٠٥.

حد القطع من كثرتها، وإنها عميت منهم البصائر، وطمست السرائر، فلا يجد الحق في قلوبهم محلاً، ولا سماع التذكرَ أهلا، والله تعالى هو المحمود بما يليق بجلاله، الذي جعلنا مخصوصين بدينه القويم وصراطه المستقيم وهو حسبنا ونعم الوكيل[١].

ثالثا: بيان الإمام ابن تيمية لدلالة النصوص ومعانيها:

قال الإمام ابن تيمية: وهذا اللفظ لفظ الفارقليط في لغتهم ذكروا فيه أقوالا: قيل: انه الحماد، وقيل: انه الحامد، وقيل: انه المعز، وقيل انه الحمد، ورجح هذا طائفة، وقالوا: الذي يقوم عليه البرهان في لغتهم، انه الحمد، والدليل عليه قول يوشع: من عمل حسنة تكون له فارقليط جيد، أي حمد جيد، ومنه قولهم المشهور في تخاطبهم: فارقليط، وفارقليطان، وما زاد على الجميع أي حمد، ومنه كما نقول نحن: يد ومنة، ومن قال: معناه المخلص، فيحتجون بأنها كلمة سريانية، ومعناها المخلص، وقالوا هو مشتق من قولنا: (راوف)، ويقال بالسريانية: فاروق، فجعل فارق، قالوا ومعنى (ليط) كلمة تزاد، والتقدير كما يقال في العربية رجل هو، وحجر هو، وبدر هو، وكذلك يزاد في السريانية (ليط)، والذين قالوا: هو المعز، قالوا: هو في لسان اليونان المعز.وهذه الصفات لا تنطبق الا على محمد(ﷺ)، وذلك ان الأخبار عن الله بما هو متصف به من الصفات، وعن ملائكته وعن ملكوته، وعن ما اعد الله في الجنة لأوليائه، وفي النار لأعدائه، أمر لا يحتمل عقول كثير من الناس معرفته فقال لهم المسيح

---

(١) الاجوبة الفاخرة، ص٢٢١٠ وما بعدها.

(عليه السلام):" ان لي كلاما كثيرا، أريد ان أقوله، ولكنكم لا تستطيعون حمله" وهو الصادق المصدوق في هذا، لهذا ليس في الإنجيل من صفات الله وصفات ملكوته، ومن صفات اليوم الآخر إلا أمور مجملة، وكذلك التوراة ليس فيها من ذكر اليوم الآخر الا أمور مجملة، مع ان موسى كان قد مهد الأمر للمسيح، ومع هذا فقد قال لهم المسيح:" اذا جاء روح الحق ذلك الذي يرشدكم إلى جميع الحق"، وقال:" انه يخبركم بكل مأياتي، ويعرفكم ما للرب". فدل هذا على ان هذا الفارقليط هو الذي يفعل هذا دون المسيح، وكذلك كان محمد(ﷺ)، أرشد الناس إلى جميع الحق، حتى اكتمل الله له الدين، وأتم به النعمة، ولهذا كان خاتم الأنبياء، فانه لم يبق شيء يأتي به غيره، واخبر محمد(ﷺ)، بكل ماياتي، من أشرط الساعة، والقيامة، والحساب، والصراط، ووزن الأعمال، والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأنواع عذابها، ولهذا كان في القرآن من تفصيل أمره الآخرة، وذكر الجنة والنار، وما يأتي من ذلك، أمور كثيرة توجد لا في التوراة، ولا في الإنجيل وقال: اني ﴿نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[1] فاخبر من الأمور التي تأتي في المستقبل بما لم يأت به نبي من الأنبياء، كما نعته المسيح (عليه السلام)، حيث قال:" انه يخبركم بكل ماياتي" ولا يوجد مثل هذا قط عن احد من الأنبياء قبل محمد(ﷺ)، فضلا عن ان يوجد شيء نزل على قلب بعض الحواريين، وأيضا فقال: "ويعرفكم جميع ما للرب". فبين انه يعرف الناس جميع ما لله، وذلك يتناول ما لله من الأسماء والصفات، وما

---

(١) سورة سبأ، من الآية (٤٦).

له من الحقوق، وما يجب من الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله، بحيث يتضمن ما جاء به من الكتاب والحكمة[1].

رابعا: مناقشة عبد الله الترجمان للبشارة:

وما اتفق عليه الأربعة، الذين كتبوا الأناجيل الأربعة، ان عيسى (عليه السلام)، قال للحواريين حين رفع إلى السماء، أني ذاهب إلى أبي وأبيكم، والهي والهكم وأبشركم بنبي يأتي من بعدي اسمه (بارقليط)، وهذا الاسم الشريف باللسان اليوناني، وتفسيره بالعربية (احمد)، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2]، وهو في الإنجيل باللطيني (براكلتس)، وهذا الاسم الشريف المبارك هو الذي كان سبب إسلامي، فالبارقليط هو نبينا محمد(ﷺ)، وهو الذي علم الناس كل شيء بما اوحاه الله تعالى إليه من القران العظيم، الذي فيه علوم الأولين والآخرين، وما فرط الله فيه من شيء، كما قال تعالى جل ذكره: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[3]، ولم يظهر بعد المسيح نبي مرسل بهذه الصفة غير نبينا محمد(ﷺ)، فهو المراد بهذه البشارة الجليلة وهذه صفته(ﷺ)، بالأخبار المتواترة، بحيث لا ينكرها الا مخذول، مطرود عن أبواب رحمة الله تعالى، فأما كونه لا ينطق عن الهوى، ولا يقول الا بوحي يوحى، فهذا

---

(١) الجواب الصحيح، ١/٢٩٠-٣٠٢.

(٢) سورة الصف، الآية (٦).

(٣) سورة الانعام، من الآية (٣٨).

يشهد الله به، ولا خلاف فيه بين أمته، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[١]، وأما أخباره بالحوادث والغيوب فباب واسع جمعت فيه كتب، وهو بحر لا يحاط بساحله[٢].

---

(١) سورة النجم، الايتان(٤.٣).

(٢) تحفة الاريب، عبد الله الترجمان، ١٣٩. ١٤١.

الفصل الخامس

جهود علماء المسلمين في دراسة الديانات القديمة

المبحث الأول: جهود علماء المسلمين في دراسة الصابئة.

المبحث الثاني: جهود الشهرستاني في بيان مقالات الثنوية ومعطلة العرب.

المبحث الثالث: الإمام أبو زهرة وجهوده في دراسة الديانات القديمة.

الفصل الخامس

جهود علماء المسلمين في دراسة الديانات القديمة

تتفاوت المعتقدات الدينية لدى الشعوب بحسب مناظيرهم المتنوعة، وان تلك المعبودات والمعتقدات تنوعت تبعا للإيمان المطلق بطبيعة المعبود[1]، والعالم الإنساني تجوبه ديانات ومعتقدات عدة قد يتعذر حصرها، أساسها التطور العقدي الذي له الأثر في تنوع مقالاتها. وقد أشار القرآن الكريم في آيات عدة إلى عقائد وديانات أقوام عبر مراحل زمنية ومكانية مختلفة، "اعتنقها الإنسان في أزمان لا يعيها تاريخ، ولا تداركها معرفتنا الإنسانية، ولقد دلت الآثار على تأييد ما أشار إليه القرآن"[2]. والإخبار القرآني في هذا المقام هدفه العبر والعظات، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[3]. ثم إشارته لحقيقة المعتقد قال تعالى:

---

(١) تعرضنا في الفصل الاول الى بيان تعاريف الدين من وجهتين؛ الاولى: اسلامية، والثانية: غير اسلامية، وقد ذكرنا تعاريف الدين تبعا لمناهج علماء الاجتماع والماديين وغيرهم، وكذلك ذكرنا تعاريفه تبعا لتصنيف اصحاب النظريات، ولعل الاخير هو مرادنا في هذا الفصل الذي انضوت تحته: اديان قبلية، واديان قومية، واديان عامة ينظر: الفصل الاول، ٢٤-٢٥.

(٢) العقائد والاديان الديانات الكبرى المعاصرة، د. محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م، ص٧.

(٣) سورة يوسف، الاية(١١١).

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[4]، ثم دعاهم الله فقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[6]، ثم دعا تعالى الناس جميعا لعبادته، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[7].

---

(١) سورة الفرقان، الاية (٤٣).
(٢) سورة الانبياء، الاية (٢١).
(٣) سورة الزمر، الآية (٤٣).
(٤) سورة الحج، الآية (١٧).
(٥) سورة المائدة، الاية (١٠٤).
(٦) سورة لقمان، الاية (٢١).
(٧) سورة البقرة، الاية (٢١).

وقد بلغ بعض علماء الإسلام جهدا عاليا في بيان حقائق تلك الديانات ومعبوداتها، ثم تصنيفها في مصنفات كتب: (الملل، والنحل، والمقالات). ومن بين هؤلاء الإمام ابن حزم في كتابه (الفصل)، والإمام الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل)، وغيرهم من العلماء والرحالة الذين افنوا أعمارهم في البحث والتقصي عن حياة الشعوب ومعتقداتها، وتسجيلها في مؤلفاتهم

وسنقصر دراستنا في هذا الفصل على بعض الفرق ومقالاتها، نظرا لكثرتها وتشعب مقالاتها، خاصة في سفري ابن حزم والشهرستاني وبعض علماء المسلمين، وسنقسم الفصل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: جهود علماء المسلمين قي دراسة الصابئة، وفيه أربعة مطالب:

- ❖ المطلب الأول: بيان مذاهب علماء المسلمين في الصابئة.
- ❖ المطلب الثاني: جهود الإمام ابن حزم في دراسة الصابئة.
- ❖ المطلب الثالث: جهود الشهرستاني في بيان مقالات الصابئة.
- ❖ المطلب الرابع: مقارنة منهجية بين الإمام ابن حزم والشهرستاني.

المبحث الثاني: جهود الشهرستاني في بيان مقالات الثنوية ومعطلة العرب. وفيه مطلبان:

- ❖ المطلب الأول: جهود الشهرستاني في بيان فرق المجوس ومقالاتهم:

❖ المطلب الثاني: بيان الشهرستاني لمعطلة العرب.

المبحث الثالث: الإمام أبو زهرة وجهوده في دراسة الديانات القديمة.

وفيه ثلاثة مطالب:

❖ المطلب الأول: الإمام أبو زهرة ومنهجه في ترتيب موضوعات دراسته.

❖ المطلب الثاني: الإمام أبو زهرة وجهوده في بيان الديانة البرهمية.

❖ المطلب الثالث: الإمام أبو زهرة وجهوده في بيان الديانة البوذية.

المبحث الأول

جهود علماء المسلمين في دراسة الصابئة

المطلب الأول: بيان مذاهب علماء المسلمين في الصابئة.

تعرض علماء الإسلام كثيرا لنحلة الصابئة في مواضع مختلفة من مؤلفاتهم ولكل واحد منهم اتجاه معين في البحث عن عقائدهم، وتسمياتهم، وفرقهم، وقد يعود ذلك الاهتمام إلى أمرين:

أحداها: من حيث أنهم نحلة قائمة منذ زمن بعيد، لها من جذور تاريخية تمتد إلى عصور غابرة وقد حرصوا على الحفاظ على كيانهم الديني، رغم إنهم عاشوا تحت كنف أقوام ينتحلون نحلا أخرى.

وأما الثاني: من حيث أن القران الكريم ذكرهم في مواضع ثلاث:

فأما الموضع الأول فقد ذكرهم الله تعالى في جملة المؤمنين الصالحين، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(1).

وأما الموضع الثاني فهو في سورة المائدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(2).

---

(١) سورة البقرة، الآية/٦٢.

(٢) سورة المائدة، الآية /٦٩.

أما الموضع الثالث فهو في سورة الحج: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[1].

وقد ذكر ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره للآية الكريمة الأولى: "لما بين تعالى حال من خالف أوامره، وارتكب زواجره، وتعدى في فعل ما لا إذن فيه وانتهك المحارم، وما أحل بهم من النكال نبه تعالى على أن من أحسن من الأمم السابقة وأطاع، فان له جزاء الحسنى، وكذلك الأمر إلى قيام الساعة كذلك كل من أتبع الرسول النبي الأمي فله السعادة الأبدية ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه كما قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[2]، وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾[3][4].

وذكر الواحدي في أسباب نزول الآية الثانية والستين من سورة البقرة، نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، بينما هو يحدث النبي(ﷺ)، إذ ذكر

---

(١) سورة الحج، الآية/١٧

(٢) سورة يونس/ الآية ٦٢.

(٣) سورة فصلت/ الآية ٣٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ١/٢٣٨.

أصحابه. فقال: كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبياً، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم، قال له نبي الله (ﷺ)، : (يا سلمان هم أهل النار) فأشتد على سلمان، فأنزل الله هذه الآية.[١].

وهذا بيان لعدله سبحانه وتعالى يوم القيامة، فلا ظلم ولا جور بعد ذلك اليوم، إنما توفى الخلائق أجورهم يوم القيامة.

وإنما وصفهم رسول الله(ﷺ)، بـ(أهل النار)، ذلك لأنه "لا يقبل من أحد طريقة ولا عملاً إلا ما كان موافقاً لشريعة محمدﷺ بعد أن بعثه بما بعثه به، فأما قبل ذلك فكل من تبع الرسول في زمانه فهو على هدى وسبيل ونجاة، فاليهود أتباع موسى (عليه السلام) الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم، واليهود من الهوادة وهي المودة أو التهود وهي التوبة. فكأنهم سموا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض. فلما بعث الله عيسى (عليه السلام) وجب على بني إسرائيل أتباعه والانقياد له، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى، فلما بعث الله محمداً (ﷺ)، خاتماً للنبيين ورسولاً إلى بني آدم على الإطلاق وجب عليهم تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والإنكفاف عما عنه زجر، وهؤلاء هم المؤمنون حقاً. وسميت أمة محمد (ﷺ)، مؤمنون لكثرة إيمانهم وشدة إيقانهم، ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية."[٢].

---

(١) أسباب النزول، الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص٢٢ وما بعدها.

(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ١/ ٢٣٩ وما بعدها.

وعلى ذلك وجب أتباع رسول الله لطالما بعث إلى الناس كافة، ناسخ لكل الشرائع والأديان التي أعترها الانحراف والتغيير بعد ما كانت أصولها توحيدية، ولذلك أثنى الله تعالى على تلك الأمم من قبل أن يتخبطها التغيير، ويتسرب إليها الشرك والوثنية وبين مصيرها إذا بقوا على نهجهم هذا.

وقد ذهب الطبري رحمه الله ت(٣١٠هـ) في تفسيره للآية السابقة بالذكر من سورة البقرة، أن الصابئين: ليسوا يهوداً ولا نصارى، ولا دين لهم، وهم أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون: (لا إله إلا الله)، ولم يؤمنوا برسول الله، ويعبدون الملائكة، ويصلون إلى القبلة ويصلون الخمس، ومنزلتهم بين المجوس، واليهود، ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم، وقد زاد الطبري بأنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور [(١)].

ولم يسعفنا الطبري في ذلك، لطالما في كلامه لبس وخلط، أشكل علينا، وأعتقد إن هناك تناقض في القول، فمن جهة ينسبهم إلى منزلة بين المجوس واليهود، ومن جهة أخرى ينسب إليهم التوحيد، ومن ثم يسميهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور. ويحرم أكل ذبائحهم ونكاح نساءهم. فكيف السبيل من ذلك

وأما المسعودي تـ(٣٤٦هـ) فقد ذهب إلى أن مؤسس هذه الديانة هو (بوذاسب) أو (بوداسف) الذي كان هندياً وقد خرج من أرض الهند إلى

---

(١) جامع البيان في تفسير أي القرآن، محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ تحقيق: محمود وأحمد شاكر، دار المعارف مصر، ١٤٥/٢وما بعدها.

السند وساح في مناطق متعددة من الهند وفارس حيث تنبأ بأنه رسول الله وأنه واسطة بين الله وخلقه وهو أول من أظهر مذاهب الصابئة وكان قد أمر الناس بالزهد في هذا العالم والاشتغال بما علا من العوالم إذ كان من هناك بدء النفوس ويقول(بوذاسب): أن معالي الشرف الكامل، والصلاح الشامل ومعدن الحياة في هذا السقف المرفوع وأن الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات وهي التي في أفلاكها وقطعها ومسافاتها واتصالها بنقطة[1].

ثم يتحدث المسعودي عن أهم عقائد الصابئة، فيذكر أن الصابئة تزعم أن إدريس النبي هو هرمس، ومعنى هرمس عطارد، وهذا النبي هو الذي أخبر الله تعالى في كتابه رفعه مكاناً علياً، ويشير المسعودي أحياناً وبإيجاز إلى ما بين أمم الصابئة من أوجه الاتصال والاختلاف فيقول: إن الصابئة من المصريين بقيمتهم في الوقت أي وقت المسعودي صابئة حران، والفرق بين صابئة حران والعراق هم مباينون في نحلتهم وديارهم بين واسط، والبصرة من أرض العراق نحو البطائح والآجام[2]. وقد يكون المسعودي مصيباً حين فرق بين صابئة حران، وصابئة البطائح، وهذا ما يؤيده الأستاذان(نعيم بدوي وغضبان رومي) وهما من مثقفي الصابئة

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين السعودي ت٣٢٨هـ، تحقيق يوسف أسعد داغر، بيروت ١٩٧٣م ٢٢٧/٢ وما بعدها، والتنبيه والإشراف، المسعودي، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة ١٩٣٨م، ص٧٩

(٢) مروج الذهب، ٢٤٦/١٠، والتنبيه والإشراف، ١٠١

المعروفين، اللذين قاما بترجمة كتاب ليدي دراوور[١]، فهما يعللان ذلك: "أن باطنية الدين الصابئ وجهل مؤرخي العرب باللغة المندائية، ومشاهدتهم بعض الطقوس الدينية وشعائر الصابئين وهي غريبة عليهم حقاً وتلقيهم كثيراً من المعلومات عن طريق المارقين عن الدين الصابئ. ثم ظهور الحرانيون باسم الصابئين وبروزهم في مقر الخلافة العباسية، وحقيقة كون الحرانيون الصابئون عبدة كواكب ونجوم كل ذلك أدى إلى الخلط الكبير فيما يخص ديانة الصابئين الحقيقيين أي (الصابئين المندائي) أو صابئة البطائح أو "المغتسلة"[٢].

وفي ذلك تأييد لما ذهب إليه المسعودي من الفرق بين الجماعتين، ولعل أهم مصادر المسعودي التي اعتمدها في حديثه عن الصابئة هو مشاهدته الحيَة في مدينة حران، إذ شاهد المسعودي بنفسه بعض الكتابات على باب مجمع الصابئة بمدينة حران وهي مكتوبة على مدقة الباب بالسريانية، وهي قول لأفلاطون وقد ترجمها أو فسرها كما يقول المسعودي له أحد أهالي حران المسمى (مالك بن عقبون)، وهي: (من عرف ذاته تأله)[٣].

---

(١) كتاب ليدي دراوور: هو واحد من أهم الدراسات الاستشراقية التي عنت به المستشرقة ليدي دراوور (١٨٧٩-١٩٧٢) التي تناولت فيه طقوس الصابئة، وقد قام الأستاذان نعيم بدوي وغضبان رومي بترجمة الكتاب وتم طبعه ببغداد.

(٢) الصابئة المندائيون، ليدي دراوور، مقدمة الأستاذين رومي وبدوي/ص١٢

(٣) مروج الذهب المسعودي، ٢/٢٣٨.

ولعل شيخ الإسلام ابن تيمية ت(٧٢٨هـ) قد حقق مذهب الصابئة في كتابه (الرد على المنطقيين) قال: إن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء، وصابئة مشركون، أما الصابئة الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل من اليهود والنصارى، وهؤلاء حمدهم الله وأثنى عليهم. وهم يقولون (لا اله إلا الله) فقط وليس لهم كتاب ولا نبي وأما الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية[١].

هذا تقسيم حسن لابن تيمية، وقد جعل فيصلاً للتفريق بين الموحدين والمشركين من الصابئة وبالتالي يستبين الأمر من دون خلط أو لبس.

وقد أورد ابن النديم في الفهرست معلومات واسعة عن هؤلاء وتحدث كثيراً عن طقوسهم وعباداتهم، يقول: "إن الصابئة يدعون إلى الله وإلى الحنيفية وان من مشاهيرهم: (أراني واغاتاديسون وهرميس وربما صولون جد أفلاطون)، ثم يذكر أن هؤلاء جعلوا قبلتهم نحو القطب الشمالي وقالوا بحركة السماء الاختيارية والعقلية ثم بين ما يقومون به من صلاة لها علاقة بالأوتاد الثلاثة التي هي وتد الشرق، ووتد السماء ووتد الغرب، كما

---

(١) الرد على المنطقيين، شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ، إشراف وتحقيق عبد الصمد شرف الدين الكبتي _ إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان الطبعة السادسة، ١٩٧٦م، ص٤٥٤ وما بعدها.

ذكر إن هؤلاء يقربون القرابين إلى الكواكب ولهم تدخينات وتماثيل وحيوانات"[1].

وتحدث ابن النديم في موضع آخر من كتابه عن المغتسلة ويسمهم: (صابئة البطائح) ويذكر: أن هؤلاء يقومون بالاغتسال، ويغسلون كل ما يأكلون، ويعظمون الكواكب وهم عامة الصابئة المعروفين بالحرانين[2]، ثم ينفى ذلك القول عنهم بقوله "وقيل أنهم غير ذلك جملة وتفصيلاً"[3]، وفي الحقيقة فان معلومات ابن النديم واسعة، وقد تتفق بمجموعها وتجتمع مع ما قاله المسعودي.

ولعل الراجح من تلك الأقوال والله اعلم هو لابد من تفريق وتقسيم الصابئة على قسمين، كما ذهب إليه الإمام ابن تيمية: (صابئة حنفاء، وصابئة مشركون)، والحنفاء هم بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل من اليهود والنصارى، وهؤلاء حمدهم الله وأثني عليهم وهم يقولون (لا اله إلا الله) فقط وليس لهم كتاب ولا نبي وأما الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية.

---

(١) الفهرست، ابن النديم، ت٣٧٨ هـ، المطبعة التجارية، القاهرة، (٤٥٦-٤٥٧) و(٤٦١-٤٦٧)

(٢) الفهرست، ص٤٦٨ - ٤٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٩١.

المطلب الثاني: جهود الإمام ابن حزم في دراسة الصابئة(١).

يشير ابن حزم إلى تركيبة الصابئة بالقول "هذه فرقة ويدخل في هذه الفرقة من وجه، ويخرج منها من وجه آخر النصارى. فأما الوجه الذي يدخلون به فهو قولهم بالتثليث، وأن خالق الخلق ثلاثة، وأما الوجه الذي يخرجون به فهو أن للصابئين شرائع يسندوها إلى (هرمس) ويقولون: أنه (إدريس) وإلى قوم آخرين، يذكرون أنهم أنبياء (كايلون)، ويقولون: أنه نوح (عليه السلام) و(أسفلانيوس) صاحب الهيكل الموصوف و(عاظيمون) و(بوداسف) وغيرهم، والنصارى لا يعرفون هؤلاء ولكن يقرون بنبوة كل نبي تعرفه من بني إسرائيل، وإبراهيم وإسحق ويعقوب (عليهم السلام). والصابئون لا يقرون بنبوة أحد ممن ذكرنا أصلاً وكذلك المجوس لا يعرفون إلا زرادشت فقط"(٢).

---

(١) الصابئة جمع صابئ وهو من انتقل إلى دين آخر وكل خارج من دينه كان عليه آخر غيره سمي في اللغة صابئا، وهم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمجوس ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم، قاله القرطبي، وقال مجاهد والحسن الصابئة بين اليهود والمجوس لا دين لهم اما الصابئة انفسهم فيرجعون معنى كلمة صابيء إلى المتعمد لان التعميد شعار كل صابيء وبالتعميد يرتسم الصابيء بصابئيته وكلمة صابيء مشتقة من من فعل صبا المندائي الارامي ويعني (تعمد)، أو (اصطبغ) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو العلي الفضل بن الحسن الطبرسي، الجامع، القرطبي١/٣٨٠، تعاليم دينية لابناء الصابئة، غضبان رومي، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٧٢م، ص١٤.

(٢) الفصل، ١/ ٥١ وما بعدها.

والدارس المتتبع لمنهج ابن حزم في دراسة الصابئة، يجد انه لم يفرد عنوانا رئيسا للصابئة، كما فعل بدراسته لليهودية والمسيحية والمذاهب الإسلامية، واقتصر على ذكرهم وذكر مقالاتهم ضمن سياق الحديث عمن قال" ان فاعل العالم ومدبره أكثر من واحد"(١).

ولو افرد الإمام ابن حزم مبحثا تاما في الصابئة، وتناول فيه فرقهم ومقالاتهم وشريعتهم كما فعل الشهرستاني لكان اشمل في الدرس والتحليل، والنقد، ولم يترك موضوعاتها متناثرة في ثنايا موسوعته، فتضعف موضوعاتها، وتضيع في ثنايا السطور، والإمام ابن حزم قد عاصر بعضهم، واطلع على جوهر ديانتهم.

١) تقسيم ابن حزم للقائلين: ان فاعل العالم ومدبره أكثر من واحد:

قسم ابن حزم من قال ان فاعل العالم أكثر من واحد على فرقتين:

أ) احداها: تذهب إلى ان العالم غير مدبريه، وهم القائلون بتدبير الكواكب السبعة، وأزليتها، وهم المجوسوقد يضاف إلى جملة من قال مدبر العالم أكثر من واحد الصابئون، ويقولون بتعظيم الكواكب السيارة، والبروج ويصورونها في هياكلهم ويقولون بقدمها، ويقربون الذبائح والدخن.

ب) واما الفرقة الثانية، فإنها تذهب إلى ان العالم هم مدبروه، لا غيرهم البتة أي بأزلية الطبائع الأربع، وإنها بسائط غير ممتزجة، ثم حدث الامتزاج، فحدث العالم بامتزاجها(٢)

أما أدلة الفريق الأول ومنهم الصابئة:

---

(١) الفصل، ١/ ٤٩.

(٢) الفصل، ١/ ٥١.

أ) قالوا: ان الحكيم لا يفعل الشر، ولا يخلق خلقا ثم يسلط عليه غيره، وهذا عيب في العهود، ووجدنا العالم كله ينقسم قسمين كل قسم منهما ضد الآخر كالخير والشر

ب) قالوا: لا يفعل الفاعل أفعالا مختلفة الا بأحد وجوه أربعة: اما ان يكون ذا قوى مختلفة، واما ان يفعل بآلات مختلفة، واما ان يفعل باستحالة، واما ان يفعل بأشياء مختلفة، فلما بطلت هذه الوجوه كلها، إذ لو قلنا: انه يفعل بقوى مختلفة لحكمنا عليه بأنه مركب، فكان من احد المفعولات، لو قلنا: انه يفعل باستحالة لوجب ان يكون منفعلا للشيء الذي أحاله ولو قلنا انه يفعل أشياء مختلفة لوجب ان تكون تلك الأشياء معه فلا يكون مخترعا للعالم ولا فاعلا له فعلمنا بذلك ان الفاعلين كثير[١].

<u>نقد ابن حزم أدلتهم:</u>

وبعد ان حقق ابن حزم أدلتهم عمد إلى تفنيدها، ضمن منهجه الذي التزمه في مناقشة أهل المقالات وسنأخذ جانبا من ذلك يذكر لنا ابن حزم: ان هذه عمدة ما عول عليه من لم يقبل بالتوحيد، وكلا هذين الاستدلالين خطا فيقال لمن احتج من انه لا يفعل الحكيم الشر و العبث، لا يخلو علمكم بان هذا الشيء شر وعبث من احد وجهين لا ثالث لهما، اما ان تكونوا علمتموه بسمع وردكم وخبر، واما ان تكونوا علمتموه بضرورة العقل، فان قلتم علمتموه بطريق السمع. قيل لكم: هل معنى السمع شيء غير

---

(١) الفصل، ١/٥٥.

ان مبتدع الخلق ومرتبه سمى هذا الشيء شرا وأمر باجتنابه، وسمى هذا الشيء خيرا وأمر بإثبات؟ فلا بد من نعم إذ هو هذا معنى اللازم عند كل من قال بالسمع. فيقال لهم: فإنما صار الشر شرا لنهي الواحد الأول عنه، وإنما صار الخير خيرا لأمر به. فلا بد من نعم، فإذا كان هذا فقد ثبت ان من لا مبدع ولا مدبر له ولا آمر فوقه لا يكون شيء من فعله شرا إذ السبب في كونه الشر شرا هو الإخبار بأنه شر ولا مخبر يلزم طاعته إلا الله. وان قالوا: فكيف يفعل شيئا قد اخبر انه شر؟ قيل لهم: ليس بفعل الجسم فيما يشاهد غير الحركة والسكون، والحركة كلها جنس واحد في انها نقلة مكانية وكذلك السكون جنس واحد كله فإنما أمرنا الله تعالى بالفعل بعضها ونهانا عن فعل بعضها ولم يفعل هو تعالى الحركة قط على انه متحرك بها ولا السكون على انه ساكن به، وإنما فعلهما على سبيل الإبداع، فتحركنا نحن بحركة نهينا عنها وسكوننا بسكون نهينا عنه هو الشر وهذا كله غير موصوف به تعالى(١).

والرأي عندي لم يكن ابن حزم موفقا في تحقيق أدلة الصابئة، ونقدها، لان تحقيق ابن حزم ونقده كان على عموم المقالة، وان القول شمل المجوس وفرقهم والصابئة والعموم هنا لا يخدم البحث، وخاصة ان الصابئة ينقسمون إلى: (أصحاب روحانيات، وأصحاب هياكل، وأصحاب أشخاص)، فكانت حاجتنا ان يحقق لنا ابن حزم مذاهب الصابئة

---

(١) الفصل، ١/ ٥٥ وما بعدها.

ومقالاتها، ثم ينقدها ويبين تهافتها وخاصة ان قضية المعتقد قضية جوهرية ورئيسة في المذهب.

٢) بيان ابن حزم شعائر الصابئة الدينية:

يقول ابن حزم: ان الصابئة لهم صلوات خمس في اليوم والليلة تقرب من صلوات المسلمين، ويصومون شهر رمضان، ويستقبلون في صلاتهم الكعبة والبيت الحرام، ويعظمون مكة والكعبة، ويحرمون الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ويحرمون من القرائب ما يحرم على المسلمين وكان الذي ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر، والغالب على أهل الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعه. فبعث الله عز وجل إليهم إبراهيم خليله (عليه السلام) بدين الإسلام، وتصحيح ما أفسدوه بالحنيفية السمحة التي أتى بها محمد(ﷺ) من عند الله تعالى، فبين لهم كما نص في القرآن بطلان ما أحدثوه، من تعظيم الكواكب وعبادتها وعبادة الأوثان، فلقى منهم ما نصه الله في كتابه، وكانوا في ذلك الزمان وبعده يسمون بالحنفاء"[١].

---

(١) الفصل، ٥١/١.

المطلب الثالث: جهود الشهرستاني[1] في بيان مقالات الصابئة.

أولا: جهود الشهرستاني في تقسيم موضوعات كتابه (الملل والنحل).

لقد قسم الشهرستاني موضوعات كتابه الملل والنحل على جزأين، وقد سمى الجزء الأول بالقسم الأول، وجعله تحت عنوان (أرباب الديانات والملل)، ومن ثم قسمه على ثلاثة أجزاء، وكل جزء باسم ديانة رئيسة، فكان الجزء الأول بعنوان (المسلمون)، ثم قسم الجزء على سبعة أبواب، وعنون كل باب باسم المذاهب الإسلامية، ومن ثم عمد إلى بيان تشعب المذهب الرئيس إلى فرق عدة. فلننظر إلى منهجه في تصنيف تلك الفرق:

الجزء الأول: المسلمون.

الباب الأول: المعتزلة. ويتفرع عنها:

١) الواصلية. ٢) الهذيلية. وهكذا.

الباب الثاني: الجبرية.

١) الجهمية. ٢) الضرارية وهكذا إلى الباب السابع الذي كان في بيان أهل الفروع.

---

١) ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر أحمد المتكلم الفقيه الشافعي، ولد سنة (٤٦٧هـ)، بشهرستان، وقيل سنة(٦٧٩هـ) كان كثير الحفظ حسن المحاورة، دخل بغداد سنة (٥١٠هـ)، واقام بها بها ثلاث سنين، وظهر له قبول كثير عند العوام، له تصانيف كثيرة منها: نهاية الاقدام وغيره، توفي سنة (٥٤٩هـ) في شهرستان وقيل غير ذلك ينظر: وفيات الاعيان، ٥٧٣/٤-٧٧٥، وسير اعلام النبلاء، ص٢٨٦/٢-٢٨٨.

وعلى ما ذكرنا فقد حقق الشهرستاني في هذا الجزء بيانا تاما في اغلب الفرق الإسلامية ومقالاتها، ونشأتها، وتسمياتها، وكذا بيان أحكام المجتهدين والتقليد، وأصناف المجتهدين من أصحاب الحديث وأصحاب الرأي[1].

وأما الجزء الثاني: فكان تحت عنوان **(أهل الكتاب)**، وجعله على بابين، فأما الأول قام في بيان اليهودية خاصة[2]، وفرقهم ومقالاتهم، كالعنانية والعيسوية، وأما الباب الثاني فاختص في بيان النصرانية وفرقهم وعقائدهم ومقالاتهم، كالملكانية واليعقوبية[3]

وأما الجزء الثالث، فكان تحت عنوان **(من له شبه كتاب)**، أراد بذلك بيان حقائق المجوس والمانوية وسائر فرقهم، فجعل الباب الأول خاصا في بيان المجوس وفرقها ومقالاتها، وأما الباب الثاني قام ببيان الثنوية وفرقها كالمانوية وغيرها[4]، وفي نهاية هذا الباب انتهى القسم الأول من كتاب الملل والنحل للشهرستاني، ليبدأ بعد ذلك القسم الثاني.

وأما القسم الثاني فقد قسمه الشهرستاني على أربعة أجزاء، وهي كالطريقة الأولى المتبعة في القسم الأول، فأما الجزء الأول من القسم الثاني فقد كان تحت عنوان الصابئة، وجعله في ثلاثة أبواب:

---

(١) ينظر: الملل والنحل، تحقيق ابو محمد محمد فريد، المكتبة التوقيفية، القاهرة، ١/ ٦١-٢١٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٢١٧-٢٢٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٢٣٢.

(٤) ينظر: الملل والنحل، ١/ ٢٣٤-٢٦١.

الباب الأول: في أصحاب الروحانيات ومقالاتهم، وذكر مناظرات بين الصابئة والحنفاء وأما الباب الثاني فكان في بيان أصحاب الهياكل والأشخاص ومقالاتهم، ومن ثم عمد إلى بيان مناظرة الخليل (عليه السلام)، للفريقين. وأما الباب الثالث فكان في الحرنانية ومقالاتها[1]

واما **الجزء الثاني** ففي الباب الأول تعرض إلى بيان الفلاسفة الحكماء السبعة:(طاليس إلى أفلاطون)، وأما في الباب الثاني فقد بين آراء جم غفير من الفلاسفة، وكذلك الباب الثالث ثم عمد إلى الباب الرابع ليبين فيه مقالات المتأخرون من فلاسفة الإسلام، ابن سينا وكلامه في المنطق ومقالاته الأخرى في القياس والأجناس العشر، وفي الإلهيات وذلك في عشرة مسائل، وفي الطبيعيات في سبع مقالات[2].

وأما **الجزء الثالث** فكان بعنوان آراء العرب في الجاهلية، وبيان أصناف العرب والبيوت المتخذة للعبادة، وحكم البيت العتيق، وجعلها في بابين، الأول: في بيان معطلة العرب وإنكارهم الخالق والبعث والإعادة، ومنكري الرسل، وعباد الأصنام، ثم بين العلوم عند العرب، ومعتقداتهم، وسنن العرب التي اقرها الإسلام، وبعض عاداتهم[3].

ثم عمد في الجزء الرابع إلى بيان آراء الهند، وجعله في خمسة أبواب، الباب الأول فكان في البراهمة ومقالاتهم في التناسخ، اما الثاني بيان أصحاب الروحانيات وأما الثالث بيان عبدة الكواكب الشمس والقمر، ثم

---

(١) ينظر: الملل والنحل، ٢/ ٥- ٤٥.

(٢) ينظر: الملل والنحل، ٢/ ٥٠-٢٠٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٢١٩-٢٣٢.

الباب الرابع بين فيه عبدة الأصنام، وعبادة الماء والنار، وختم ذلك في بيان حكماء الهند وافتراقهم في الباب الخامس والأخير[١]. وختم كتابه بعد ذلك.

ثانيا: أهمية جهود الشهرستاني في كتابه الملل والنحل:

علمنا ان كتاب الشهرستاني اشتمل على مقالات فرق عدة، ولعل هذا الكم العظيم الذي نقله إلى كتابه، يلحظ انه استسقى من مصادر متنوعة، وقد قدم الشهرستاني جهودا متفانية، كي يعطي الوصف الحقيقي لكل نحلة، وجملة تلك الجهود توجت بكتابه (الملل والنحل)، الذي يرتقي مرقى عاليا لما له من شهرة ومكانة في الأوساط العلمية.

وفي جهده الجليل فانه حقق، دائرة معرفية موسوعية، إذا ما قورنت بالدوائر المعرفية المعاصرة التي يحققها جم غفير من الأساتذة والعلماء، الذين عكفوا عليها زمنا طويلا ضمن جهودهم المشتركة ويدل هذا على تفاني جهود الشهرستاني في إخراج كتاب منفرد، وكذا يدل على غزارة معلوماته، وعمق ثقافته.

يقول الشهرستاني في مطلع كتابه الملل:" فلما وفقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العالم من أرباب الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل، والوقوف على مصادرها، ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها، أردت أن اجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ما تدين به المتدينون، وانتحله المنتحلون، عبرة لمن استبصر، واستبصارا لمن اعتبر"[٢].

---

(١) ينظر: الملل والنحل ، ٢/ ٢٣٧-٢٥٠.

(٢) الملل والنحل، ١/ ١٩.

وقد يكون هناك اعتراضا في ضياع الشهرستاني جهوده في تصنيف مقالات نحل باطلة ومتنوعة، وقد يثار هذا الاعتراض على كل علماء الإسلام وجهود في الأديان وبالتالي لابد من بيان، كي نوضح أهمية تلك الجهود، وخاصة جهود الشهرستاني في هذا المقام.

ونذكر في هذا المقام تعليق محقق الكتاب الأستاذ (أبو محمد محمد بن فريد بن فراج بن احمد السلفي الشبراوي)، على جهود الشهرستاني في كتاب الملل والنحل، يقول: " ثم ان هذا الجهد وهذه الدقة أولى بهما ان يصرفا إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة، والعلوم المعينة على فهمها، ومدارسة فهم السلف، وإشباع القلب بنورهما وضيائها مع الكفر بكل ما سوى ذلك جملة وتفصيلا"(١). هذا كلام حسن للمحقق، ونحن متفقون على ان اشرف العلوم هي علوم التفسير والحديث والفقه، لا خلاف بيننا في ذلك.

لكن قبل مناقشة ذلك لابد من توجيه أهمية جهود علماء الإسلام في دراسة مقالات أرباب الملل والنحل، في مقدمات نسال فيها على سبيل الاستنكار !.

لماذا تصدر بعض علماء الإسلام لدراسة الأديان ومقالات أهل النحل؟ ولماذا وضعوها في مؤلفات منفردة، وأخرى مباحث ضمنية؟. وما حاجتهم لذلك؟. وهل ذلك التأليف كان ضياعا لجهودهم، ووقتهم؟ وهل انتقص ذلك من مكانتهم العلمية؟

---

(١) مقدمة الملل والنحل، ص١٣.

فنظرة هادئة لنناقش مجمل تلك الأسئلة وتحقيقها وفق الأطر العلمية. فالمطلع لمناهج علماء المسلمين، وجهودهم في دراسة الأديان، ليجد ان هناك ثمة بواعث رئيسة، قادت بهم إلى التأليف في الأديان، نجملها في محورين:

١) بواعث دعوية.   ٢) الاحتجاج.

١) فأما البواعث الدعوية، فان الداعي يحتاج إلى اطلاع واسع وعميق على مقالات القوم التي يعتنقونها اعتنقا عظيما، ويقدمون لها تضحيات كبيرة في الدفاع عنها ذاك لقداستها في قلوبهم وفكرهم، وهي منهاج حياتهم، التي بجملتها أورثوها جيلا عن جيل لذا فان الداعي يحتاج إلى تحقيق تلكم العقائد ضمن دائرة معرفية موسوعية، ومن ثم مناقشتها تبعا للمنهج العقلي، الذي لابد من استعماله مع أصحاب تلك المقالات.

وقد كفانا علماؤنا عن ذلك عندما حققوا لنا تلك المقالات كالشهرستاني وابن حزم، وغيرهم. فقد وضعوا أمامنا مادة علمية جاهزة، يستفيد منها الدعاة في مناقشة القوم ودعوتهم إلى ترك مقالاتهم الباطلة التي لم ينزل بها من سلطان. وهنا تنجلي لنا قضية الحوار مع الديانات الأخرى سماوية كانت ام وضعية. وكذا موضوعات الحوار التي هي مرادنا في هذا التحقيق

فان موضوعات الحوار هي قلب الحوار بين الشعوب، بل هي الركن الأعظم فيه، من هنا يتحتم على الداعي عند حواره مع الديانات ان يناقش قضية جوهرية ألا وهي المعتقد الديني عند القوم، وكيف يقدم الداعي على محاورة ناجحة مثمرة، ما لم يمتلك اطلاع موسوعي على تلك

المعتقدات والمقالات؟. ومن جانب آخر لو أردنا ان نوجه الحوار تبعا للكتاب العظيم والسنة المطهرة، فإننا قدمنا في دراستنا حقائق عظيمة، من واقع المصدرين العظيمين في الإسلام. قادت بنا إلى القول بمشروعية الحوار لأجل الدعوة إلى الدين الحق. لذا لم يكن علماء الإسلام بعيدين عن البيان القرآني لمعتقدات القوم، ورأينا الشهرستاني الذي قدم في كتابه شواهد قرآنية عظيمة في بيان معتقدات القوم، كنا قد ذكرناها في سياق تحقيق جهوده في الأديان. وكذلك علماء الإسلام فإنهم اتبعوا المنهج القرآني في ذلك، ولم يكن الأمر بدعا من خواطر أنفسهم، بل هو منهج دعوي تحتم على الدعاة نهجه كسبيل علمي يخاطب عقول عامة القوم وخاصتهم.

وقد كنا قد عرضنا منهج الداعية (احمد ديدات رحمه الله)، في محاجة القوم، وقد رأينا في سيرته العلمية وعكوفه زمنا غير يسير على كتب النصارى ومقالاتهم، وكذا كتب علماء الإسلام التي حققت تلك المقالات، فكان من ثمرات ذلك دخولهم الإسلام فهل ضيع احمد ديدات جهوده وهو يدرس الأناجيل بطبعاتها المختلفة والمتناقضة؟ فالجدال بالعلم له فائدة عظيمة، وأما الجدال بلا علم فيكون فاقد للأصل.

أما كون الجدال اقتصر على مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية، وانتهى، فهذا فيه إقحام للدعوة وإجحاف في حقها ومن زعم ان آيات الجدال نسخت بآيات الجهاد، فقد اعتراه الوهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح: "وإذا كان النبي(ﷺ)، يحاج الكفار بعد نزول الأمر بالقتال، وقد أمره الله تعالى، ان يجير المستجير حتى يسمع كلام

الله ثم يبلغه مأمنه، والمراد بذلك تبليغه رسالات الله، وإقامة الحجة عليه، وذلك لا يتم إلا بتسفيره له الذي تقوم به الحجة، يجاب به عن المعارضة، ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، عُلم بطلان قول من ظن ان الأمر بالجهاد ناسخ للأمر بالمجادلة مطلقا"(١). وكذا قال تلميذه الإمام ابن قيم الجوزية: "والمقصود أن رسول الله(ﷺ)، لم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بجدالهم بالتي هي أحسن في السور المكية والمدنية، وأمر ان يدعوهم بعد ظهر الحجة إلى المباهلة، وبهذا قام الدين"(٢).

٢) الاحتجاج:

حقق علماء الإسلام الاحتجاج على أهل الديانات بطرق عدة؛ منها:

أ) إثبات دعواهم خالية من الحجة والبرهان القاطع.

ب) الاستدلال بنصوص مقالاتهم بما يلزم القوم دحض حججهم.

ت) الاستدلال بتحريف كتبهم المقدسة، وتناقضها.

ث) البيان الشافي لأصول المعتقد وتطوره تبعا لمتغيرات عدة. وتشعب فرقها، وان الأصول الأولى للمعتقد ناتجة من فلسفات وإفرازات ذهنية بشرية، لم تستقم والنظرة الإلهية الحقيقية. لذا فان بعثة الرسل جاءت لتصحيح تلك المناظير، وهدايتها نحو الحق.

---

(١) الجواب الصحيح، ص١/ ٧١ وما بعدها.

(٢) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، ص٣/٦٤٢.

وجملة ما تقدم فان الأمر قاد بعلماء الإسلام إلى التأليف في الأديان، وان الموسوعات التفصيلية بالأديان التي صدرت عنهم، زادت المكتبة الإسلامية رصيدا علميا وساهمت في تنوير الفكر نحو مقالات أرباب أهل الديانات وتنوعها الكبير التي طبقت مشارق الأرض ومغاربها. فتأمل ذلك عندما يعمد مسلم إلى محاجة أحد من أهل الديانات الأخرى، ليدعوه إلى تصحيح معتقده المورث، والاستدلال بلازم كلامهم، وان العقل لا يلقى مسوغا لقبول من مثل تلك العقائد، فعند التحقيق والوصف الموضوعي للديانة، ووضعها إزاء التقويم الإسلامي الدعوي تتأتى ثمار الاطلاع الدقيق على مقالات الديانات

ثالثا: جهوده في بيان مقالات الصابئة.

١) تقسيمه للديانات:

قسم الشهرستاني الديانات في زمن إبراهيم الخليل على قسمين: احدها: الصابئة. الثاني: الحنفاء[١]. ثم عرض مقالات كل صنف من هذين الصنفين، وكما تدين بها أصحابها ولعل ربط ذلك كله بإبراهيم الخليل (عليه السلام)، يعود إلى ان الأخبار القرآني الصريح أعطى مفادا جليا لأحوال القوم ونحلهم، تتجلى في مناظرات الخليل (عليه السلام) مع القوم.

---

(١) ينظر: الملل والنحل، ١/ ٢٣٦

٢) بيانه جمل من مقالات الصابئة:

يقول الشهرستاني: فالصابئة كانت تقول: اننا نحتاج في معرفة الله تعالى، ومعرفة طاعته، وأوامره، وأحكامه إلى (متوسط)، لظن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا، لا جسمانيا، وذلك لزكاء الروحانيات[١]، وطهارتها، وقربها من رب الأرباب، والجسماني بشر مثلنا يأكل مما نأكل، ويشرب مما نشرب، يماثلنا في المادة والصورة[٢]. ثم بعد عرضه لجملة المقالة، يردفها بالبيان القرآني: قول الحق حكاية عن القوم: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾[٣].

٣) بيانه الصابئة بعد انشعابها:

تشعبت الصابئة في مقالتهم إلى شعبتين، احدها: أصحاب الهياكل. الثانية: أصحاب الروحانيات. غير اننا عند استقراء منهج الشهرستاني في العرض، شعرنا بوجود تطور ديني لدى القوم، لم يشر إليه الشهرستاني، ذاك انه التزم منهج العرض والتقرير، وكم كنا نود لو قام بالنقد بعد تحليل مفردات المقالات، لترتقي موسوعته إلى موسوعات علماء الإسلام ومناهجهم في النقد والتحليل.

---

(١) وفي العبارة لغتان روحاني بالضم من الروح، وروحاني بالفتح من الروح، والرُوح والروحَ متقاربان، فكآن الروح جوهر، والروح حالته الخاصة به، ينظر: الملل والنحل، ٦/٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) سورة المؤمنون، الاية (٣٤).

يقول الشهرستاني في افتراق الصابئة: فانه لما لم يتطرق للصابئة الاقتصار على الروحانيات البتة والتقرب إليها بأعيانها والتلقي عنها بذواتها وفزعت جماعة إلى هياكلها، وهي السيارات السبع، وبعض الثوابت، فصابئة النبط، والفرس، والروم، مفزعتها السيارات، وصابئة الهند مفزعتها الثوابت وربما نزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئا، والفرقة الأولى هم عبدة الكواكب، والثانية: هم عبدة الأصنام(١).

٤)بيانه مقالة أصحاب الروحانيات:

يقول الشهرستاني: ومذهب هؤلاء: ان للعالم صانعا، فاطرا، حكيما، مقدسا عن سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه، وهم (الروحانيون)، المطهرون، المقدسون، جوهرا، وفعلا وحالة. أما الجوهر: فهم المقدسون عن المواد الجسمانية، المبرءون عن القوى الجسدانية، المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية، قد جبلوا على الطهارة، وفطروا على التقديس، والتسبيح وإنما أرشدنا إليهم معلمنا الأول(عاذيمون) و (هرمس)، فنحن نتقرب إليهم ونتوكل عليه، وهم أربابنا وآلهتنا ووسائلنا، وشفعاؤنا عند الله رب الأرباب، واله الآلهة فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية، وتهذيب أخلاقنا قالوا: والأنبياء أمثالنا في النوع، وأشكالنا في الصورة، يشاركوننا في المادة، يأكلون مما نأكل، ويشربون

---

(١) ينظر: الملل والنحل، ١/ ٢٣٦.

مما نشرب، ويساهموننا في الصورة، أناس بشر مثلنا، فمن أين لنا طاعتهم، وبأية مزية لهم لزمت متابعتهم؟. وأما الفعل، فقالوا: الروحانيات هم الأسباب المتوسطون في الاختراع والإيجاد، وتصريف الأمور من حال إلى حال، وتوجيه المخلوقات من مبدأ إلى كمال يستمدون القوة من (الحضرة القدسية)، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية، فمنها مدبرات الكواكب السبعة السيارة في أفلاكها، وهي هياكلها، فلكل روحاني (هيكل)، ولكل (هيكل)، (فلك)، ونسبة الروحاني إلى ذلك الهيكل الذي اختص به، نسبة الروح إلى الجسد، فهو ربه، ومدبره، ومديره، وكانوا يسمون الهياكل أربابا، وربما يسمونها آباء. والعناصر أمهات، ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص، ليحصل من حركاتها انتقالات في الطبائع والعناصر، فيحصل من ذلك تركيبات، وامتزاجات في المركبات، فيتبعها قوى جسمانية، وتركيب عليها نفوس الروحانية، مثل أنواع النبات وأنواع الحيوان، ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن (روحاني كلي)، وقد تكون جزئية صادرة عن (روحاني جزئي)، فمع جنس المطر ملك، ومع كل قطرة ملك ومنها مدبرات (الآثار العلوية)، الظاهر في الجو، مما يصعد من الأرض، فينزل مثل: الأمطار، والثلوج ومما يحدث في الجو. ومما يحدث في الأرض، مثل الزلازل، والمياه والأبخرة إلى غير ذلك.

قالوا: وأما الحالة، فأحوال الروحانيات من الروح والريحان، والنعمة، واللذة، والراحة، والبهجة والسرور، في جوار رب الأرباب، ثم طعامهم وشرابهم التسبيح، والتقديس، والتهليل، والتمجيد، وأنسهم بذكر الله تعالى،

وطاعته، فمن قائم ومن راكع، ومن ساجد، ومن قاعد، لا يريد تبديل حالته لما هو فيه من البهجة واللذة[1].

٦) بيانه مقالة أصحاب الهياكل:

يقول الشهرستاني: ان أصحاب الروحانيات لما عرفوا أن لابد للإنسان من متوسط، ولابد للمتوسط من أن يرى فيتوجه إليه، ويتقرب به، ويستفاد منه، ففزعوا إلى الهياكل التي هي السيارات السبع، فتعرفوا أولا: بيوتها ومنازلها. وثانيا: مطالعها ومغاربها. وثالثا: اتصالها على أشكال الموافقة والمخالفة مرتبة على طبائعها. ورابعا: تقسيم الأيام والليالي والساعات عليها. خامسا: تقدير الصور والأشخاص والأقاليم والأمصار عليها. فجعلوا الخواتيم، وتعلموا العزائم والدعوات، وعينوا ليوم (زحل)، مثلا يوم السبت، وراعوا فيه ساعته الأولى، وتختموا بخاتمه المعمول على صورته وهيئته وصنتعه، ولبسوا حاجتهم منه، الحاجة التي تستدعي من زحل من أفعاله، وآثاره الخاصة به، فكان يقضي حاجتهم، ويحصل في الأكثر مرامهم، وكذلك رفع الحاجة التي تختص (بالمشتري)، في يومه وساعته، وجميع الإضافات وكانوا يسمونها أربابا والله تعالى هو رب الأرباب ومنهم من جعل الشمس اله الآلهة ورب الأرباب. وكانوا يتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيات، ويتقربون إلى الروحانيات تقربا إلى البارئ تعالى، لاعتقادهم بان الهياكل، أبدان الروحانيات، ونسبتها إلى الروحانيات نسبة أجسادنا، فهم الأحياء الناطقون بحياة الروحانيات، وهي تتصرف في

---

(١) ينظر: الملل، ص٢/ ٦ وما بعدها.

أبدانها ثم استخرجوا من عجائب الحيل المرتبة على عمل الكواكب ما كان بقضي منهم العجب، وهذه الطلسمات(١) المذكورة في الكتب. والسحر(٢)، والكهانة(٣) والتنجيم(٤).

---

(١) الطلسم عبارة عن علم باحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الارضية، لاجل التمكن من اظهار ما يخالف العادة او المنع ما يخالفه ينظر: كشف الظنون، ٢/ ١١٤.

(٢) السحر: هو علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على افعال غريبة باسباب خفية ومنفعته ان يعلم ليحذر لا ليعمل به، ولا نزاع في تحريم عمله ينظر: كشف الظنون، ٢/ ٩٨٠.

(٣) الكهانة: وهي مناسبة الارواح البشرية مع الارواح المجردة، أي الجن والشياطين، والاستعلام بهم عن احوال الجزئية الحادثة في عالم الكون والفساد المخصوصة بالمستقبل، واكثر ما يكون في العرب، ومن كهانة العرب واستعلامهم بالجن عن امر رسالة نبينا محمد(ﷺ)، وتصوير قولهم قال تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ سورة الجن:(٩)، فقد اخبر الله تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداﷺ، وانزل القرآن عليه، وكان من حفظه له ان السماء ملئت حرسا شديدا وطردت الشياطين عن مقاعدها لئلا يسرقوا شيئا من القرآن فيلقوه على السنة الكهنة، فيلتبس الامر ويختلط ينظر: تفسير القرآن العظيم، ٨/٢١٤، وكشف الظنون ٢/١٥٢٤.

(٤) التنجيم: وهو علم يعرف به الاستدلال إلى حوادث عالم الكون والفساد وبالتشكيلات الفلكية وهي اوضاع الافلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتسديس والتربيع إلى غير ذلك ينظر: كشف الظنون ٢/١٩٣١، ومفتاح السعادة، ١/٢٨٦.

والتعزيم[1] والخواتم والصور[2] كلها من علومهم[3].

٧) بيانه مقالة أصحاب الأشخاص:

يقول الشهرستاني: اما أصحاب الأشخاص، فقالوا: إذا كان لابد من متوسط يتوسل به وشفيع يتشفع إليه، والروحانيات وان كانت هي الوسائل، لكنا إذا لم نرها بالأبصار، ولم نخاطبها بالألسن، لم يتحقق التقرب إليها إلا بهياكلها، ولكن الهياكل، قد ترى في وقت، ولا ترى في وقت، لان لها طلوعا وأفولا، وظهورا بالليل، وخفاء بالنهار، فلم يصف لنا التقرب بها والتوجه إليها فلا بد لنا من صور وأشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب أعيننا نعكف عليها، ونتوسل بها إلى الهياكل فنتقرب بها إلى الروحانيات، ونتقرب بالروحانيات إلى الله سبحانه وتعالى، فاتخذوا أصناما (أشخاصا)، على مثال الهياكل السبعة، كل شخص مقابلة هيكل، وراعوا في ذلك جوهر الهيكل، اعني الجوهر الخاص به من الحديد وغيره، وصوروه

---

(١) التعزيم: وهو من العزم أي تصميم الراي والانطواء على الامر والنيل فيه، والايجاب على الغير، يقال: عزمن عليك أي اوجبت عليك وفي الاصطلاح الايجاب او التشديد على الجن و الشياطين ما يبدو للحائم حوله المتعرض لهم به ينظر: كشف الظنون، ٢/ ١١٣٤٧.

(٢) علم الصور المقصود هنا علم صور الكواكب، فان المنجمين تصوروا في فلك الثوابت ثماني واربعين صورة، منها ما على المنطقة يتوهم اثني عشر صورة لتعيين البروج وثمانية وعشرين صورة اخرى لتعيين منازل القمر ويندرج بعض هذه الصور في بعض وبهذه الصور ضبطوا من الكواكب الثوابت الفا واثنين وعشرين كوكبا وعرفوا مواضعا ينظر: مفتاح السعادة، ١/٣١٩.

(٣) ينظر: الملل والنحل، ٢/ ٥٠ وما بعدها.

بصورته على الهيئة التي تصدر أفعاله عنه، وراعوا في ذلك الزمان، والوقت والساعة والدرجة والدقيقة، وجميع الإضافات النجومية من اتصال محمود يؤثر في نجاح المطالب التي تستدعي منه، فتقربوا إليه في يومه وساعته وتبخروا بالبخور الخاص به، وتختموا بخاتمه ولبسوا لباسه، وتضرعوا بدعائه فيقولون: انه كان يقضي حوائجهم بعد رعاية هذه الإضافات كلها. وذلك هو الذي اخبر التنزيل عنهم، إنهم عبدة الكواكب والأوثان، فأصحاب الهياكل هم عبدة الكواكب، وأصحاب الأشخاص هم عبدة الأوثان، إذ سموها آلهة في مقابلة الآلهة السموات، فقالوا: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَٰؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1][2].

٧) ذكره مناظرات إبراهيم الخليل (عليهم السلام)، لأصحاب الهياكل وأصحاب الأشخاص:

بين الشهرستاني مناظرات إبراهيم الخليل (عليه السلام)، تبعا للقصة القرآنية التي صورتها ونقلتها نقلا دقيقا، ثم أورد بعد ذلك تعليقات على تلك المناظرات، يقول الشهرستاني: لما كان إبراهيم (عليه السلام)، مكلفا بكسر المذهبين على الفرقتين، وتقرير الحنفية السمحة السهلة احتج على عبدة الاصنام. فاحتج على عبدة الأصنام قولا وفعلا، كسرا من حيث القول، وكسرا من حيث الفعل، فقال لأبيه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا

---

(١) سورة يونس، من الآية (١٨).

(٢) ينظر: الملل، ٢/ ٥١ وما بعدها.

﴿يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾[1]، ولما كان أبوه (آزر)[2]، هو اعلم القوم بعلم الأشخاص والأصنام، ورعاية الإضافات النجومية فيها حق الرعاية، ولهذا كانوا يشترون منه الأصنام، لا من غيره، كان أكثر الحجج معه، وأقوى الالزامات عليه، إذ قال (عليه السلام) لأبيه آزر: ﴿وَإِذْ قَالَ

---

(١) سورة مريم، الآية (٤٢).

(٢) آزر أبو ابراهيم كما دلت ظاهر الاية، ومنهم من قال اسمه (تارخ)، قال الزجاج لا خلاف بين النسابين على ان اسمه (تارخ)، ومن الملحدة من جعل هذا طعنا في القران، وقال هذا النسب خطأ، وليس بصواب للعلماء هنا مقامان: الأول: اسم والد ابراهيم (عليه السلام)، هو آزر، واما قولهم اجمع النسابون على ان اسمه (تارخ)، فقول ضعيف، لان الاجماع انما حصل لان بعضهم يقلد بعضا، وبالآخرة يرجع ذلك الاجماع إلى قول واحد والاثنين مثل قول وهب، وكعب، وغيرهما، وربما تعلقوا بما يجدونه من اخبار اليهود والنصارى، ولا غبرة بذلك في مقابلة صريح القرآن.

الثاني: سلمنا ان اسمه (تارخ)، ثم لنا هنا وجوه: ١) لعل والد ابراهيم كان مسمى بهذين الاسمين، فيحتمل ان يقال ان اسمه الاصلي كان آزر، وجعل تارخ لقبا له، فاشتهر هذا اللقب، وخفي الاسم، فالله تعالى ذكره بالاسم، ويحتمل ان يكون العكس، وهو ان تارخ كان اسما اصليا، وآزر كان لقبا غالبا.

٢) ان يكون لفظة آزر صفة مخصوصة في لغتهم، فقيل ان آزر اسم ذم في لغتهم، وهو المخطىء، كانه قيل: واذا قال ابراهيم لابيه المخطىء، كأنه عابه بزيفه وكفره، وانحرافه عن الحق، وقيل آزر هو الشيخ الهرم بالخوارزمية، واعلم ان هذين الوجهين انما يجوز المصير اليها عند من يقول بجواز اشتمال القرآن على الفاظ قليلة من غير لغة العرب.

٣) ان آزر اسم صنم يعبده والد ابراهيم وانما سماه الله بهذا الاسم، لانه جعل نفسه مختصا بعبادته ومن بالغ محبة احد فقد جعل اسم المحبوب اسما للمحب. ينظر: التفسير الكبير، الرازي، ص ٧/ ٣٧ وما بعدها.

إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[1].
لأنك جهدت كل الجهد، واستعملت كل العلم حتى عملت أصناما في مقابلة الأجرام السماوية، فما بلغت قوتك العلمية والعملية إلى أن تحدث فيها سمعا وبصرا، وان تغني عنك، وتضر وتنفع، وأنت بفطرتك وخلقتك اشرف درجة منها، لأنك خلقت سميعا بصيرا، نافعا، ضارا، والآثار السماوية فيك أظهر منها في هذا المتخذ تكلفا، والمعمول تصنعا، فيا لها من حيرة إذ صار المصنوع بيديك معبودا لك، والصانع اشرف من المصنوع ثم دعاه إلى الحنيفية الحقة، قال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴾[2]. فلم تقبل حجته القولية، فعدل (عليه السلام) عن القول إلى كسر الأصنام بالفعل: ﴿ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ ﴾[3] ﴿ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4] ﴿ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾[5].

فأفحمهم بالفعل حيث أحال الفعل على كبيرهم كما أفحمهم بالقول، حيث أحال الفعل منهم وكل ذلك على طريق الإلزام عليهم ثم عدل إلى كسر مذاهب أصحاب الهياكل، وكما أراه الله تعالى الحجة على قومه،

---

(١) سورة الانعام، الآية (٧٤).
(٢) سورة مريم، الآية (٤٣).
(٣) سورة الانبياء من الآية (٥٨).
(٤) سورة الانبياء، الآية (٥٩).
(٥) سورة الانبياء، الآيات (٦٣، ٦٥).

قـــــال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[1]، فأطلعه على ملكوت الكونين والعالمين، تشريفا له على الروحانيات وهياكلها، وترجيحا لمذهب الحنفاء على مذهب الصابئة، وتقريرا: ان الكمال في الرجال، فاقبل على إبطال مذهب أصحاب الهياكـــل: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾[2]، على ميزان إلزامه على أصحاب الأصنام: ﴿ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا ﴾، وإلا فما كان الخليل (عليه السلام)، كاذبا في هذا القول، ولا مشركا في تلك الإشارة، ثم استدل بالأفول الزوال والتغيير والانتقال على انه لا يصلح أن يكون ربا إلها، فان الإله القديم لا يتغير، وإذا تغير احتاج إلى مغير هذا لو اعتقدتموه، ربا أزليا، ولو اعتقدتموه، واسطة، وقبلة، وشفيعا، ووسيلة، فان الأفول يخرجه عن حد الكمال. وعن هذا ما استدل عليه بالطلوع وان كان الطلوع اقرب إلى الحدوث من الأفول، فأنهم إنما انتقلوا إلى عمل الأشخاص لما عراهم من التحير بالأفول، فآتاهم الخليل (عليه السلام)، من حيث تحيرهم، فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته وذلك ابلغ الاحتجاج[3].

وبعد هذا العرض الذي عرضه الشهرستاني، لابد من تأمل في منهجه وهو يعرض مناظرات إبراهيم الخليل (عليه السلام)، من الآيات الكريمة،

(١) سورة الانعام، الآية (٧٥).

(٢) سورة الانعام، من الآية (٧٦).

(٣) ينظر: الملل والنحل، ١/ ٢٣٦- ٢٣٨، ٥٢/٢-٥٤.

فقد وجدناه يوجه الفكر نحو النظر والتطبيق، في قصة إبراهيم (عليه السلام)، فتارة يسرد لنا الخطاب الكلامي، وتارة التطبيق العملي، في مناظرات إبراهيم لقومه، وان مناهج النبوة هي مناهج تربوية، فدعوة الخليل إلى قومه من حيث النظرية، هي توجيه الفكر الإنساني إلى النظر السديد في حقيقة المعبود وعظمته وقدرته وما يجب في حقه ومن حيث التطبيق فـ:" قد سلك إبراهيم (عليه السلام)، هذا المسلك حين دعا قومه إلى التخلي عن عبادة الأوثان، فلم تجد الدعوة فسلك السبيل العملي للقضاء على تلك العبادةجعل إبراهيم أفول الكوكب دليلا على بطلان إلوهيته، لان شأن الإله ان لا يجري عليه ما يجري على الحوادث من بزوغ وظهور فأفول تدل الآيات على بطلان عبادة الأجرام السماوية وان اختلفت مظاهرها"(١).

٨) بيانه طقوس وشعائر الصابئة على جملتهم:

يقول الشهرستاني: والصابئون كلهم، يصلون ثلاث صلوات، ويغتسلون من الجنابة، ومن مس الميت، وحرموا أكل الجزور، والخنزير، والكلب، ومن الطير ما له من مخلب، ونهوا عن السكر في الشراب، وعن الاختتان، وأمروا بالتزويج بولي وشهود، ولا يجوزون الطلاق إلا بحكم حاكم، ولا يجمعون بين امرأتين. وأما الهياكل التي بناها الصابئة على أسماء الجواهر العقلية الروحانية، وأشكال الكواكب السماوية، فمنها: هيكل العلة الأولى، ودونها، هيكل العقل، وهيكل السياسة، وهيكل الصورة،

---

(١) دعوة الرسل، د. زكي عوض، ص٢٩١، ص٢٩٥.

وهيكل النفس، مدورات الشكل. وهيكل زحل مسدس، وهيكل المشتري مثلث، وهيكل المريخ مربع مستطيل، وهيكل الشمس مربع، وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع، وهيكل عطارد مثلث في جوفه مربع مستطيل، وهيكل القمر مثمن[١]. ثم بعد هذا البيان يعمد الشهرستاني إلى عرض نحلة الحرنانية[٢]، وقد ذكرها في تقسيماته لنحل الصابئة، فيقول:فإن عقيدتهم هو ان الصانع المعبود واحد وكثير. فاما واحد، ففي الذات، والأول، والأصل، والأزل، وأما كثير فلأنه يتكثر بالأشخاص في رأي العين، وهي المدبرات السبعة، والأشخاص الأرضية: الخبرة، العالمة الفاضلة، فإن يظهر بها، ويتشخص بأشخاصها ولا تبطل وحدته في ذاته. وقالوا: هو أبدع الفلك وجميع ما فيه من الأجرام والكواكب، وجعلها مدبرات هذا العالم، وهم الآباء، والعناصر أمهات، والمركبات مواليد.[٣].

---

(١) ينظر: الملل والنحل، ٢/ ٥٧.

(٢) الحرنانية، هم جماعة من صابئة الكلدانيين، اجتمعوا على ان للعالم علة لم يزل واحدا، لا يتكثر لا يلحقه صفة شيء من المعلومات وبعث رسلا للدلالة وتثبيتا للحجة ونسبة إلى حران المدينة القديمة التي تقع في الشمال الشرقي من بلاد مابين النهرين، وكانت مركزا هاما على الطريق التجارية الرئيسة بين العراق وسوريا وفلسطين، وقد اشتهرت في كونها مركزا لعبادة الالهة القمر (الاله سين)، وهي المدينة التي توجه اليها إبراهيم الخليل (عليه السلام)، بعد خروجه من اور الكدانية وذهب إلى كنعان، وقد روى ابن الندبم في فهرسته، قصة المأمون مع الحرانيين، وانكاره لزيهم ودينهم. ينظر: الفهرست، لابي الفرج محمد ابن النديم، ص ٣٢٠، ومفصل العرب واليهود في التاريخ، احمد سوسة، ص ٤٦٦.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني، ٢/٥٥.

وقد يلحظ على جملة الصابئة هو اقترابهم من مذاهب الفلاسفة كثيرا، لذلك ذهب المسعودي بالقول: "ولهذه الطائفة المعروفة بالحرانين والصابئة فلاسفة، إلا أنهم من حشوية(١) الفلاسفة، وعوامهم مباينون لخواص حكمائهم في مذاهبهم"(٢).

نقد وتحليل:

وقبل مغادرة المبحث الذي خصصناها في دراسة جهود علماء الإسلام في دراسة الصابئة، أرى ان نجمل ما تقدم تبعا لمنهج التحليل والتقويم:

١) أن ديانة الصابئة كانت ديانة توحيدية على ما يبدو، قبل أن يعتريها الشرك والانحراف عن أصولها التوحيدية، لذلك قد يشعر من قوله تعالى في الآية الثانية والستين من سورة البقرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إن هناك أمم منهم أمنوا بالله وعملوا من الصالحات ما سيدخلهم الجنة فامتازوا بذلك لأنهم موحدون، وإن هناك فرقة أخرى منهم انحرفت عن

(١) أما الحشوية فهو لقب تحقير أطلق على أولئك الفريق من أصحاب الحديث الذين اعتقدوا بصحة الأحاديث المسرفة في التجسيم من غير نقد، بل فضلوها بظاهر لفظها / يراجع مادة حشوية، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ماكس مايرهوف، القاهرة، ص٧/ ٤٣٩.

(٢) مروج الذهب، المسعودي، ص٢/ ٢٣٨.

أصولها التوحيدية، فلذلك ميزت الأولى عن الثانية بتوحيدها وأعمالها الصالحة، وبيانه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[١].

٢) إذا حكمنا عليهم كما حكم المحققون بـ(عبدة الكواكب والنجوم ولهم هياكل) فإنهم مشركون البتة، وان فلسفات قديمة تأثروا بها، حتى صارت من صميم عقيدتهم وإذا قلنا إنهم مؤمنون بالله ولهم من العبادات ما تشابه عبادات المسلمين، كما ذكرهم ابن حزم وغيره، حكمنا عليهم بالإشراك أيضاً، ذلك أنهم يؤمنون بذات علوية، وجعلوا لها واسطة تعبد كي تمكنهم من الوصول إليها، التي هي الروحانيات ومن الروحانيات الهياكل والهياكل تقابلها تماثيل والتماثيل هي الأشخاص التي يقربونهم من الذات الإلهية فيعكفون عليها. عندها يحتاج من علماء المسلمين إلى وضع قاعدة متفق عليها لبيان نحلة الصابئة مابين القديم والحديث وقد تفيد القاعدة في استنباط الأحكام الشرعية والفقهية تجاههم، وخاصة أن علماء المسلمين لهم في علم الأديان باع قدير ومنذ القدم، في إبراز الديانات السابقة كما تدين أصحابها، وكما جاءت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، والأخبار التاريخية.

٣) نص القرآن الكريم صراحة على مناظرة إبراهيم (عليه السلام) إليهم، كي يحيدوا عن منهجهم الشركي من عبادة الكواكب والنجوم، ولفت

---

(١) سورة النساء، الآية (٤٨).

أنظارهم إلى عبادة وتوحيد البارئ عز وجل وفي ذلك يعد إبراهيم (عليه السلام) رسول أرسل لهم، كما ذهب إليه ابن حزم.

المطلب الرابع: مقارنة منهجية بين الإمام ابن حزم والشهرستاني.

بعدما تعرضنا إلى إبراز جوانب من جهود الإمام ابن حزم في دراسة الصابئة، وكذا الديانة اليهودية، خلصنا إلى تأشير نوع المنهج الذي اتبعه الإمام ابن حزم في ذلك، تبعا للأساليب العلمية التي انتهجها في دراسته. ونظرا لأهمية دراسة ابن حزم والشهرستاني في الأوساط العلمية، سنقف هنا على مقارنة بين منهجية الإمام ابن حزم في كتابه الفصل، ومنهجية الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، (من حيث المنهج والأسلوب، والاتفاقات المنهجية):

أولا: المنهج والأسلوب:

١) من حيث منهجيتهما:

أ) فان الإمام ابن حزم اتخذ منهج التقرير والنقد، في كتابه الفصل، فانه كان يقرر تلك العقائد تقريرا كما تدين بها أصحابها، ثم يعمد بعدها إلى نقدها، وبيان تهافتها من جوانب عدة، وفي ذلك حقق الإمام ابن حزم المنهج التقريري النقدي، ويسمى هذا المنهج بالمنهج الجدلي وفي هذا يعد كتاب الفصل للإمام ابن حزم أول دراسة موسوعية نقدية لنصوص الكتب المقدسة، سبقت بآماد طويلة تلك الدراسات التي ظهرت في أوربا.

ب) وأما الشهرستاني فقد اتخذ منهج التقرير، في بيان مقالات الملل والنحل، وقد رأينا انه صرح بهذا المنهج، يقول: "وشرطي على نفسي ان أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليه، دون ان أبين صحيحه من فاسده، واعين حقه من باطلة"[١]. وتسمى مثل هذه المناهج بالمناهج الوصفية.

٢) من حيث أسلوبهما:

أ) فان الإمام ابن حزم له أسلوب في عرض المقالات، إذ لا يكتفي بتقديم موجز، بل يعمد إلى بسط القول في المقالة لفائدة، يصل إلى بيان تام وإحاطة شاملة بها. ليكشف عن بعض المعاني المعقدة في تلك المقالة

وأما من جهة تناوله لدراسة المسائل، فقد ساقها وفق ترتيب أسبقية الموضوعات، فالمطالع لترتيبات كتابه الفصل، ليجده أحسن التقاسيم، وسهولة المآخذ، ثم انه عمد إلى تعزيز المسالة الواحدة بفصول عدة يبين فيه أوجه تتعلق بالمسالة، لذا نجد في ثنايا كتابه فصول مفردة مسعفة تتبع أصول المسائل.

أما أساليبه النقدية التي تسير في فلك المحاورات النقاشية والجدلية، فمن المعروف على ابن حزم شدته وعنفه، وتجاوزه بما لا يتقضي ذلك، لان من أهم أساليب المحاورة والمناظرة، والتقويم، هو البعد عن التعنيف

(١) الملل والنحل، ص١/ ٢٤ وما بعدها.

والزام الهدوء وبالرغم من ان حياته في بلاد الأندلس وتطاول النصارى على الإسلام، وتجاوزهم عليه، قاد الأمر به إلى ذلك، فقد يعذر في ذلك.

ب) أما الشهرستاني، فقد نجده يعرض مقالات القوم بطرق مكررة، وفي ذلك إسهاب لا فائدة فيه، فهو يبين الفكرة في بداية الجزء، ثم يعيدها عند عرض المقالة، ولعل ذلك نعده من باب التمهيد، غير ان التمهيد بهذه الطريقة يصبح إسهابا، ثم كان عليه اتخاذ منهج الإيجاز في مطلع تقديم المقالات، فهذا هو التمهيد، ولان الإيجاز يصل بالقارئ إلى فكرة المقالة ببيان بسيط، وقد رأينا ذلك في مقالات الصابئة والحنفية في الجزء الأول والثاني من كتابه الملل. وعرضه إليها في الجزء الأول، ومن ثم إعادتها بالطريقة ذاتها في الجزء الثاني. ففي هذا الأسلوب التكراري لم يتبين منه معلومات أعمق وأدق من العرض الأول لذا قلنا بالإسهاب. وهذا خلاف ما وجدناه عند ابن حزم إذ يعطينا في شرح المسالة من وجوه عدة ينتهي إلى بيان ما أشكل وما أغمض على القارئ. وأما ترتيب موضوعات كتابه فهو مآخذ سهل، وقد قسم موضوعاته على أقسام وأبواب، على سبيل تيسر الدراسة والقراءة وقد يكون نظم موضوعاته بحسب أهمية الموضوعات وأسبقيتها.

ثانيا: مآخذ منهجية:

١) عاب بعض العلماء على منهجية الشهرستاني دون نقده لأصول الملل والنحل، وتوضيح خطئها، وذلك خوفا من ثبوت الفكرة الخاطئة في الأذهان عند من يطالعها دون معرفة بما يكشف زيفها وبطلانها،

والإمـام الفخـر الـرازي واحـد مـن هـؤلاء العلمـاء، إذ يضـيق بكتـاب الشهرستانـي فيقول:" العجب العجب منك ان تنسب النـاس إلـى الميل إلـى أعداء الـدين، ولا تعـرف أن إبطـال شـبهات الملحـدين بالأجوبـة الخسيسة الضعيفة سعى في تقوية شبهاتهم"(١). والكلام فيه نظر(٢).

---

(١) نقل القول، الاستاذ عبد العزيز عبد الحق، في مقدمة الرد الجميل، للغزالي، طباعة، مجمع البحوث الاسلامية، ١٣٩٣هـ، ص٩٠.

(٢) علمنا ان الشهرستاني شرط على نفسه تحرير المقالات كما تدين اصحابها، وكنا قد ادرجنا منهجه تحت منهج التقرير، وقد عاب العلماء على منهجه وكما ذكرنا ان الرازي وقف متعجبا من منهج الشهرستاني في تقرير المقالات دون نقدها، وقد وفقنا بحمد الله وفضله من تحقيق المسالة، وذلك باعتبار مؤلفات الشهرستاني الاخرى لنجعلها فيصلا في المسالة، فقد وقفت على كتاب (نهاية الاقدام في علم الكلام) للشهرستاني، ووجدت انه ناقش الصابئة (اصحاب الهياكل واصحاب الروحانيات)، وغيرهم من المجوس في انكار النبوة، ورد عليهم بالعقل والنقل، ولننظر إلى ذلك، يقول الشهرستاني: ومن عجب ما يلزم منكري النبوة ان من انكر النبوة فقد اقر بها من حيث انكرها، فان النبوة لا معنى لها الا الخبر عن الله تعالى، بانه ارسل رسولا، فقد ادعى الرسالة لنفسه، فكان انكاره اقرارا، وعاد انكاره تسليما، ومن سلم أن لله على عباده تكليفا، وامرا فقد سلم ان يرسل رسولا، وانما النزاع في ان الرسالة هل تتصور في الصورة البشرية، ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ الإسراء: الآية (٩٤)، واذا بينا ان البشرية لا تنافي الرسالة، فقد اثبتنا جواز انبعاث الرسل، والصابئة سلموا الرسالة للروحانيات واوجبوا التوجه للهياكل من الكواكب= =السبعة، وعملوا الاشخاص على الصورة والاصنام، والحنفاء سلموا الرسالة للجسمانيات، واوجبوا التوجه إلى اشخاصهم، ولم يتخذوا اصناما الهة، ولا اعتقدوا النبيين اربابا لكنهم لهم طرفان بشرية ورسالة، ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾الإسراء من الآية(٩٣)، فبطرف البشرية يشاكل نوع الانسان ويشاركه فيشاكل ويشرب وبطرف الرسالة يشاكل نوع الملائكة ويشاركه فيسبح ويقدس والمناظرة بين الفرقين أول الزمان كانت قائمة وقد اظهرها الخليل (عليه السلام)، حيث قال: ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

٢) ولا ريب ان منهج الدحض والتفنيد للآراء الباطلة بعد عرضها وتقريرها أفضل من الطريقة التي سلكها الشهرستاني، واكتفى فيها بالتوضيح والتقرير فحسب، لان دراسة الشبه دون بيان لمخاطرها قد تترك أثرا في نفس القارئ، فتعلق بذهنه دون ما يدري جوابا عليها، خصوصا للمبتدئين الذين لا يميزون بين صحيح الآراء وباطلها اما الرد على الباطل منها فيحتاج إلى قدرة خاصة في الجدل، فليس كل من يؤرخ لعقيدة يمكنه ان يضع يده على مواطن القوة والضعف فيها كما فعل ابن حزم في الفصل(١)

٣) هناك بعض الأخطاء العلمية التي وقع فيها الشهرستاني، وهو يؤرخ للملل والنحل المختلفة، من ذلك قوله عن النسطورية من فرق النصارى، إنهم أصحاب نسطور الحكيم، الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل ويحكم برأيه، وهذا خطا لان نسطور كان بطريكا بالقسطنطينية سنة (٤٢٨م)، ومكث في هذا المنصب أربعة سنين وشهرين، كما ذكر ابن البطريق وغيره من مؤرخي المسيحي، فهو سابق المأمون بزمن طويل حيث كانت خلافته بين

=الأنعام: ٧٨ – ٧٩، وبذلك امر خاتم النبيين قال على ملة ابيكم إبراهيم وغيرها من الايات، وفيه فصول كثيرة بيناها في كتاب الملل والنحل.ينظر:نهاية الاقدام في علم الكلام، ص١٩٤.وهناك مسائل اخرى في مباحث النبوات، ومسائل في الالهيات يعلق ويرجح.لذا تقرر لدينا ان الشهرستاني حرص كل الحرص في مناقشة المقالات، غير ان التزامه بالمنهج التقريري قد يكون هناك بواعث لم يصرح بها، او انه اراد ان يضع موسوعته بطريقة جديدة بمنهجية مختلفة والله اعلم.

(١) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. محمود حماية، ص١٤٩.

عـامي (٨١٣/٨٣٣هـ)، كمـا هـو ثابـت تاريخيـا، وكـذلك يخطــئ الشهرستاني عندما يقول عن الملكانية أنهم أصحاب ملكا، الذي ظهر بـأرض الـروم، واسـتولى عليهـا، فلـيس هنـاك فـي تـاريخ النصـرانية شـخص اسمه ملكـا، ابتـدع مـذهبا واستولى علـى بـلاد الـروم، وإنمـا الصـحيح ان المـذهب الملكـاني أو الملكانيـة نسبة إلـى الملـك، لأنـه المـذهب الرسـمي الـذي أخـذت بـه قياصـرة الدولـة الرومانيـة الشـرقية، ويطلق على أتباع هذا المذهب (الكاثوليك)، وهي كلمـة يونانية تعنـي (العـام)، أو (العـالمي)، أي أنهـا الديانـة العامـة العالميـة، ولقد أحسـن ابن حزم في الفصل عندما عرف مذهب الملكانية فقال: وهو مذهب جميع ملوك النصارى[1].

ثالثا: اتفاقات منهجية:

بالرغم من بعض المآخذ على منهج الشهرستاني، إلا ان هذا لا يعيب جهود الشهرستاني، ولا في منهجه، وذلك عند المفاضلة مع الإمام ابن جزم، فنجدهما:

١) تحري الدقة والضبط في حكاية ما يقول به أصحاب المقالات.

٢) الاتساع والشمول إذ ان كثيرا من كتب الأديان اقتصر على الفرق الإسلامية، مثل مقالات الإسلاميين للأشعري، وغيرها من المؤلفات في الفرق، اما كتاب ابن حزم وكتاب الشهرستاني، فقد اهتما بتاريخ الأديان جميعا.

---

(١) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. محمود حماية ، ص ١٥٣.

المبحث الثاني

جهود الشهرستاني في بيان مقالات الثنوية ومعطلة العرب

المطلب الأول: جهود الشهرستاني في بيان فرق المجوس ومقالاتهم:

١) بيانه جملة مقالاتهم:

قبل ان يقسم الشهرستاني فرق المجوس، عمد إلى بيان مقالاتهم على الجملة، فهو يقول في تحقيق ذلك: اختصت المجوس بالتثنية، واثبتوا أصلين مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور، والآخر: الظلمة، وبالفارسية:(يزدان، وأهرمن)، ولهم في ذلك تفصيل مذهب. ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين: أحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة. والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا (الامتزاج)، مبدأ، و(الخلاص)، معادا. الا ان المجوس الأصلية زعموا ان الأصلين لا يجوز ان يكونا قديمين أزليين، بل النور أزلي، والظلمة محدثة، ثم لهم اختلاف في سبب حدوثها، امن النور حدثت؟

والنور لا يحدث شرا جزيئا، فكيف يحدث أصل الشر؟ أم من شيء آخر، ولا شيء يشرك النور في الإحداث والقدم؟ وبهذا يظهر خبط المجوس. وهؤلاء يقولون المبدأ الأول من الأشخاص (كيومرث)، وربما يقولون: (زروان الكبير)، والنبي الثاني (زردشت)، والكيومرثية يقولون:

كيومرث هو آدم، وتفسير كيوميرث هو الحي الناطق[1]. وهو في ذلك فقد أعطانا تصويرا حقيقيا لمقالات الفرس على جملتها، وقد بين لنا معاني ألفاظ الفرس في النور والظلمة، واسم الخلق الأول الذي هو آدم (عليه السلام).

٢) بيان تقسيم فرق المجوسية وبيان مقالاتهم.:

بين الشهرستاني المجوس على ثلاثة فرق:

أ) الكيومرثية: وهم أصحاب المقدم الأول (كيومرث)، واثبتوا أصلين، النور والظلمة، وقالوا ان النور أزلي قديم، والظلمة محدثة، كما مر معنا. وزعموا ان النور خير الناس، وهم أرواح بلا أجساد، بين ان يرفعهم عن مواضع العتمة، وبين ان يلبسهم الأجساد فيحاربون الظلمة، فاختاروا لبس الأجساد ومحاربة الظلمة.

ب) الزراوية: قالوا ان النور أبدع أشخاصا من نور كلها، روحانية، نورانية، ربانية، ولكن الشخص الأعظم الذي اسمه(رزوان)، شك في كل شيء من الأشياء، فحدث (اهرمن)، الشيطان يعني إبليس من ذلك الشك

ج) الزردشتية: أولئك أصحاب (زردشت بن يورشب) الذي ظهر في زمان (كشتاسب بن لهراسب)، الملك، وأبوه كان من أذربيجان، وأمه من الري وقد زعموا: ان لهم أنبياء، وملوكا، أولهم: (كيومرث)، وكان أول من ملك الأرض ونزل ارض الهند، وكانت له دعوة، وبعده ظهرت الصابئة وزعموا ان الله خلق من وقت ما في الصحف الأولى، والكتاب الأعلى من

---

(١) الملل والنحل، ١/ ٢٣٨.

ملكوته خلقا روحانيا، فلما مضت ثلاثة آلاف سنة أنفذ مشيئته في صورة من نور متلالىء، على تركيب صورة الإنسان، واحف به سبعين من الملائكة المكرمين، وخلق الشمس والقمر، والكواكب، والأرض، وبني آدم، غير متحركة ثلاثة آلاف سنة، ثم جعل روح (زردشت)، في شجرة أنشأها في أعلى عليين، واحف بها سبعين من الملائكة المكرمين، وغرسها في قلة جبل من جبال أذربيجان، يعرف (باسمو يذخر)، ثم مازج شبح (زردشت)، بلبن بقرة، فشربه أبو زرادشت، فصار نطفة، ثم مضغة في رحم أمه، فقصدها الشيطان وغيرها، فسمعت أمه نداء من السماء فيه دلالة على برئها، فبرئت. ثم لما ولد ضحك ضحكة تبينها من حضر، فاحتالوا على (زردشت)، حتى وضعوه بين (مدرجة البقر)، و (مدرجة الخيل)، و (مدرجة الذئب)، فكان ينهض كل واحد منهم لحمايته من جنسه، ونشأ في ذلك إلى ان بلغ ثلاثين سنة، فبعثه الله نبيا رسولا إلى الخلق، وكان دينه عبادة الله، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف وقال النور والظلمة أصلان متضادان، وهما مبدأ موجودات العالم، وحصلت التراكيب من امتزاجها، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة والبارئ تعالى خلق النور والظلمة وهو واحد لا شريك له، ولا ضد، ولا ند ولا يجوز ان ينسب إليه وجود الظلمة وزعموا ان زرادشت له معجزات كثيرة، وانه سيظهر في آخر الزمان ويحي العدل، ويميت الجور، ويرد السنن

المغيرة إلى أوضاعها الأول، وتنقاد له الملوك ويحصل في زمانه الأمن وسكون الفتن وزوال المحن(١).

ثالثا: جهوده في بيان الثنوية ومقالاتها:

يقول الشهرستاني: وهؤلاء هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون ان (النور)، و(الظلمة)، أزليان قديمان، بخلاف المجوس فأنهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء على خمس فرق:

١) المانوية. ٢) الديصانية. ٣) المزدكية. ٤) المرقيونية. ٥)الكينوية والصيامية والتناسخية.

اما المانوية فهم أصحاب (ماني بن فاتك)، الحكيم، الذي ظهر زمان (سابور بن اردشير)، وقتله (بهرام بن خرمز بن سابور)، وذلك بعد عيسى بن مريم (عليه السلام)، أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح، ولا يقول بنبوة موسى (عليهما السلام) ثم ان الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركبين من أصلين قديمين: النور والظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا، ولن يزالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم، وزعم أنهما لم يزالا: قويين، وحساسين، داركين، سميعين، بصيرين، وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير

وأما المزدكية فهم أصحاب (مزدك)، ومقولته كمقولة كثير من المانوية وأما الديصانية، فهم ديصان، اثبتوا نورا، وظلاما، فالنور يفعل الخير قصدا والظلام يفعل الشر طبعا ولهم فلسفات في طبائع البشر

---

(١) ينظر: الملل، ١/ ٢٣٩-٢٤٥.

والألوان والطعوم والمزاجات واما الميرقوية فهم أصحاب ميرقيون، اثبتوا قديمين متضادين النور والظلمة، واثبتوا أصلا ثالثا هو (المعدل الجامع) وهو سبب المزاج، فان المتنافرين لا يتمزجان إلا بجامع، وقالوا ان الجامع دون النور وفوق الظلمة واما (الكينوية)، فدارت مقالاتهم حول الأصول الثلاثة النار، والأرض، والماء، وإنما حدثت الموجودات من هذه الأصول دون الأصلين اللذين أثبتهما الثنوية، قالوا والنار بطبعها خيرة نورانية، والماء ضدها في الطبع، فما كان من خير في هذا العالم فمن النار وما كان من شر فمن الماء، واما (الصيامية)، فمنهم من امسكوا عن طيبات الرزق، وتجردوا لعبادة الله، وتوجهوا في عباداتهم إلى (النيران)، تعظيما لها، وامسكوا عن النكاح والذبائح. و(التناسخية)، قالوا بتناسخ الأرواح في الأجساد، والانتقال من شخص إلى شخص[1].

المطلب الثاني: بيان الشهرستاني لمعطلة العرب.

١) بيانه أصناف العرب وهم:

أ) منكرو الخالق والبعث والإعادة:

يقول الشهرستاني: فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا: بالطبع المحيي، والدهر المفني، وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾[2]، أشار إلى الطبائع المحسوسة في العالم السفلي، وقصرا للحياة والموت على تركبها وتحللها،

---

(١) ينظر: الملل والنحل، ١/ ٢٥١-٢٥٩.

(٢) سورة الجاثية، من الاية (٢٤).

فالجامع هو الطبع، والمهلك هو الدهر: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾[1] فاستدل عليهم بضرورات فكرية، وآيات فطرية في كم آية، وكم سورة، فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ﴾[3]، وقال: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[4]، فاثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق، وانه قادر على الكمال ابتداءً وإعادة[5].

ب) منكرو البعث والإعادة:

يقول الشهرستاني وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق والإبداع، وأنكروا البعث والإعادة، وهم الذين اخبر عنهم القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[6]، فاستدل عليهم بالنشأة الأولى، إذ اعترفوا بالخلق الأول، فقال عز وجل: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا

---

(١) سورة الجاثية، من الآية (٢٤).

(٢) سورة الاعراف، الايتان(١٨٤-١٨٥).

(٣) سورة النحل، من الاية (٤٨).

(٤) سورة البقرة، الاية (٢١).

(٥) ينظر: الملل، ٢/٢٢٢.

(٦) سورة يس، الاية (٧٨).

﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[2][3].

ج) منكرو الرسل: عباد الأصنام:

وصنف منهم اقروا الخالق، وابتداء الخلق، ونوع من الإعادة، وأنكروا الرسل، وعبدوا الأصنام، وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة، وحجوا إليه ونحروا لها وقربوا القرابين وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر واحلوا وحرموا وهم الدهماء أي سواد الناس وعامتهم من العرب إلا شرذمة منهم نكرهم وهم الذين اخبر عنهم التنزيل: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾[4]، إلى قوله: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[5]، فاستدل عليهم بان المرسلين كانوا كذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾[6][7].

---

(١) سورة يس، الاية (٧٩).

(٢) سورة ق، الاية (١٥).

(٣) ينظر: الملل والنحل، ٢/ ٢٢٢.

(٤) سورة الفرقان، من الآية (٧).

(٥) سورة الفرقان، من الاية (٨).

(٦) سورة الفرقان، من الآية (٢٠).

(٧) ينظر: الملل، ص٢/ ٢٢٣.

٢) بيانه شبهات العرب:

يقول الشهرستاني: ان شبهات العرب كانت مقصورة على هاتين شبهتين:

أحداهما: إنكار البعث، بعث الأجساد. وثانيهما: جحد البعث بعث الرسل. فعلى الأولى، قالوا: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[1]، إلى أمثالها من الآيات وعبروا عن ذلك في أشعارهم:

حياة ثم موت ثم نشر؟ حديث خرافة يا ام عمر

ولبعضهم في مرثية (أهل بدر)، من المشركين:

فماذا بالقليب قليب بدر من (الشيزى) تكلل بالسنام

يخبرنا الرسول بان سنحيا وكيف حياة أصداء، وهام[2]

العرب من يعتقد التناسخ فيقول: إذا مات الإنسان، أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته، فانتصب طيرا، فيرجع إلى رأس القبر كل مائة سنة.

وأما عن الشبهة الثانية، فكان إنكارهم لبعث رسول الله(ﷺ)، في الصورة البشرية أشد، وإصرارهم على ذلك أبلغ، واخبر التنزيل عنهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا

---

(١) سورة الصافات، الايتان(١٦-١٧).

(٢) منهم: أبو بكر بن الاسود الليثي، وهو شداد بن الاسود، الذي رثى اهل بدر، ينظر: السيرة لابن هشام، ١/ ٥٥٣ وما بعدها.

﴿ رَّسُولًا ﴾[1] ﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾[2]. فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد ان يأتي ملك من السماء ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾[3] ومن كان لا يعترف بهم كان يقول: الشفيع والوسيلة لنا إلى الله تعالى هم الأصنام المنصوبة، اما الأمر والشريعة من الله إلينا فهو المنكر[4].

---

(١) سورة الاسراء، الآية (٩٤).

(٢) سورة التغابن، من الاية (٦).

(٣) سورة الانعام، من الاية (٨).

(٤) ينظر: الملل والنحل، ص٢/ ٢٣٤.

المبحث الثالث

الإمام محمد أبو زهرة[1] وجهوده في دراسة الديانات القديمة

---

(١) ولد محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية بمصر في (٦ من ذي القعدة ١٣١٥هـ٢٩/ من مارس 1898م)، ونشأ في أسرة كريمة عنيت بولدها، فدفعت به إلى أحد الكتاتيب التي كانت منتشرة في أنحاء مصر تعلم الأطفال وتحفظهم القرآن الكريم، وقد حفظ الطفل النابه القرآن الكريم، وأجاد تعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدي بمدينة طنطا، وكان إحدى منارات العلم في مصر تمتلئ ساحاته بحلقات العلم التي يتصدرها فحول العلماء، وكان يطلق عليه الأزهر الثاني؛ لمكانته الرفيعة .**انتاجه العلمي** كتب الشيخ أبو زهرة مؤلفات كثيرة تمثل ثروة فكرية ضخمة عالج فيها جوانب مختلفة في الفقه الإسلامي، وجلّى بقلمه فيها موضوعات دقيقة؛ فتناول الملكية، ونظرية العقد، والوقف وأحكامه، والوصية وقوانينها، والتركات والتزاماتها، والأحوال الشخصية في مؤلفات مستقلة .وتناول ثمانية من أئمة الإسلام وأعلامه الكبار بالترجمة المفصلة التي تظهر جهودهم في الفقه الإسلامي في وضوح وجلاء، وهم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وزيد بن علي، وجعفر الصادق، وابن حزم، وابن تيمية.وقد أفرد لكل واحد منهم كتابًا مستقلاً في محاولة رائدة ترسم حياتهم العلمية، وتبرز أفكارهم واجتهاداتهم الفقهية، وتعرض لآثارهم العلمية التي أثرت في مسيرة الفقه الإسلامي. وقد وفق الشيخ أبو زهرة فيما كتب وتناول؛ فهو فقيه متخصص عرف الأصول والفروع وأمعن النظر في مؤلفات الفقه ودانت له أسرارها؛ فمؤرخ الفقهاء المتمكن لا بد أن يكون فقيها لا مؤرخا فحسب يقص علينا حياة المترجم له وإنسانيته وصلته بالعلوم المختلفة. وبارك الله في وقت الشيخ فألف ما يزيد على ٣٠ كتابًا غير بحوثه ومقالاته، رزقها الله القبول فذاعت بين الناس وتهافت الناس على اقتنائها والاستفادة منها؛=

يعد الإمام أبو زهرة واحدا من أعلام العلماء المعاصرين، الذي له مؤلفات جليلة في مقارنة الأديان، وكتابه مقارنة الأديان بقسميه: (الديانات القديمة، ومحاضرات في النصرانية)، الذي هو عبارة عن سلسلة من محاضرات في علم مقارنة الأديان. ألقاها على طلبة العلم في كلية أصول الدين، وأما القسم الثاني الذي هو محاضرات في النصرانية، فإننا قد وقفنا على جوانب مهمة منها، في دراستنا لديانة المسيحية. في الفصل الرابع، وقد قمنا بتدعيم دراستنا وفق التأمل والبيان، في استسقاء معلومات لها أهمية كبيرة في الديانة المسيحية من ذلك الكتاب.

وسنقف في هذا المبحث ببيان جوانب من جهوده في كتابه (الديانات القديمة). وسنقصر دراستنا على الديانتين: (الديانة البرهمية، والديانة البوذية). وفق المطالب آلاتية:

المطلب الأول: الإمام أبو زهرة ومنهجه في ترتيب موضوعات دراسته.

=فوراءها عقل كبير وقدرة على الجدل والمناظرة وذاكرة حافظة واعية، وقد ضرب بها المثل في قدرتها على الحفظ والاستيعاب. ومن أشهر مؤلفاته غير ما ذكرناه:

تاريخ المذاهب الإسلامية، العقوبة في الفقه الإسلامي، الجريمة في الفقه الإسلام، علم أصول الفقه، محاضرات في النصرانية، زهرة التفاسير، وقد نشر بعد وفاته مقارنات الأديان، وفي الشيخ سنة ١٣٩٤هـ١٩٧٤م تاركا تراثا خالدا وذكرى عطرة ومواقف مشرفة.

ينظر ترجمته كاملة على الموقع الاتي، ضمن مقالة منشورة على موقع اهل الحديث، للاستاذ احمد تمام. تاريخ الزيارة ٢٠١٢/٤/٥م.

www0 http0ahlahdeeth0com0

المطلب الثاني: الإمام أبو زهرة وجهوده في بيان الديانة البرهمية.

المطلب الثالث: الإمام أبو زهرة وجهوده في بيان الديانة البوذية.

المطلب الأول: الإمام أبو زهرة ومنهجه في ترتيب موضوعات دراسته:

أولا: بواعث دراسته ومنهجه العام:

لعل وراء كل دراسة بواعث في عالمنا المعرفي، وبواعث شيخنا أبي زهرة كما صرح فيها، وهي: منذ ان نشأت مسلما في قوم مسلمين، وآمنت منذ نشأت بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، كنت مشغوفا منذ نعومة أظافري، ان اعرف العقائد التي تسود الفكر الإنساني في شرق الأرض وغربها، لأعرف مكان العقيدة الإسلامية بينها مع إيماني بان القرآن هو الحق الذي لا ريب فيه، وما جاء به محمد(ﷺ)، هو الصلاح الذي لا يرنقه فساد لقد درست ما وسعني الوقت والتمكن من الاطلاع، فقرات في الديانات القديمة، وما عليه الديانات السماوية، بعد ان حالت وتغيرت، لأعرف ما فيها من قضايا، ما يتفق مع حكم العقل وتسيغه الأفكار، وما لا يقبله العقل، بل يلفظه كما يلفظ اللسان مسيخ الطعام، وما تمجه الأذواق[1].

وفي ذلك حقق الإمام أبو زهرة بيانا تاما لمنهجه، ونستطيع ان نجمله في:

1) بيانه العقيدة وآثرها في الفكر الإنساني.

---

(1) الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص3.

٢) بيانه التدرج العقدي لدى الديانات.

٣) استعماله الضوابط الرئيسة في ذلك؛ أولها: القرآن الكريم، وثانيها: السنة النبوية المطهرة، وثالثها: العقل الذي هو بدوره يسيغ الأفكار أو يلفظها.

ثانيا: منهجه في ترتيب موضوعات دراسته:

لقد درس الإمام أبو زهرة في كتابه (الديانات القديمة)، أربع ديانات قديمة، وهي: (الديانة المصرية القديمة، الديانة البرهمية، الديانة البوذية، الديانة الكونفوشيوسية)، وقد رتب كتابه على أربعة أقسام، كل قسم انضوت تحته ديانة من الديانات الأربع، وقد جعل موضوعات الديانة بكل تفصيلاتها تحت محاور وصفية، عما سنرى في التقسيم الآتي:

١) الديانة المصرية القديمة، وتضمنت مباحث عدة:

ابتدأ أبو زهرة دراسته في بيان طبيعة التدين عند المصرين، وشدة تدينهم، ثم بين التغيير العقدي عندهم بحسب تغير أقاليمهم، وتقديسهم فرعون، ثم عمد إلى بيان عباداتهم بعض الحيوانات، وقد وقف على أوصاف العجل المقدس عندهم. ثم عرج على بيان عقيدة الحياة الآخرة في منظورهم الفكري، وكتاب الموتى، وما اشتمل عليه ولم يفت أبو زهرة قضية التوحيد في الديانة المصرية، فقد عقد لها محورا لمناقشة التوحيد فيها والرد على من زعم من المؤرَخين انها ديانة توحيدية، الا انه لم يقطع بعدم وجود التوحيد البتة، لذا تجده يعقد محورا بحثيا تحت عنوان لا يخلو

ماضيهم من دعوات التوحيد، ومحاولة الكهنة من حملهم على آلهة واحدة، ثم ذكر قصة يوسف (عليه السلام)[١].

٣) الديانة البرهمية، وتضمنت مباحث عدة:

افتتح الإمام أبو زهرة مبحثه هذا في بيان العلاقة بين الهنود والآرية، ثم بين ديانة الهند قبل البرهمية، وتمازجهما، ثم ناقش في محور مستقل قضية مهمة جدا الا وهي عقائد الخاصة وعقائد العامة، وناقش البيروني[٢]، في ادعائه ان الخاصة موحدون. ثم عمد بعد ذلك إلى إظهار قضية الاقانيم عند البرهمة، وحلول الإله في بعض الأشخاص وقد قدم أبو زهرة موازنة بين أقوالهم في كرشنه، وكلام النصارى في المسيح(عليه

---

(١) الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة ، ٥-٢٠.

(٢) ولد (أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني) في شهر ذي الحجة سنة ٣٦٢هـ/٣ من سبتمبر٩٧٣م، في إحدى ضواحي خوارزم، وهي مدينة (كاث) التي توجد مكانها حاليا بلدة صغيرة تابعة لجمهورية أوزبكستان، وكانت مدينة (خوارزم) مركزًا عظيمًا من مراكز الثقافة الإسلامية، ازدادت شهرتها بعد انهيار الخلافة الإسلامية في بغداد.نشأ البيروني في الجو الذي يحث على طلب العلم ويدفع إلى التعلم، فحفظ القرآن الكريم ودرس الفقه والحديث النبوي الشريف، وفي رحلاته خالط التجار الهنود اليونانيين وغيرهم، فتعرف على طباعهم، وتعلّم لغتهم، فاتسع إدراكه وازدادت خبرته وتعمقت تجاربه،، من اهم مؤلفاته: **(كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة)** أودع فيه نتيجة دراساته من تاريخ وأخلاق وعادات وعقائد وآداب وعلوم الهند، ومن جملتها ما كان عندهم من المعرفة بصورة الأرض وفاته: وفي رجب سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م توفي البيروني، لمزيد من الاطلاع على ترجمته ينظر: الموقع الاتي، ضمن حملة التعرف على علماء ومخترعون في ظل الإسلام، تاريخ الزيارة، ١٥/٤/٢٠١٢م.

السلام). ثم عمد إلى بيان عقيدة النفس وخلودها عندهم، وقضية تناسخ الأرواح، والأسس التي قام عليها وحقيقته، ثم إذا ما انتهى من ذلك أعطى وصفا إلى نظام الطبقات الهندية بحسب تقسيم أصحابه، وختم مبحثه في تعريف كتابهم المقدس (الفيدا)، وما احتوى على أقسام[1].

٤) الديانة البوذية، وتضمنت مباحث عدة:

قدم أبو زهرة في بداية دراسة الديانة البوذية، حياة بوذا وميلاده وتزوجه، ثم ادعائه بان الله حل فيه، وعندها توقف الإمام ليعقد موازنة بين أقوال البوذيين في بوذا، وأقوال النصارى في المسيح. ثم بعد ذلك بين آراء بوذا والإلهيات، وادعاء بعضهم انه أنكر الإله، أنكر النفس ثم بين أعمال البوذية من رياضات النفس والمستقيمات الثمانية، والإشراق والتفكير المستقيم، واللفظ المستقيم، والحياة الصحيحة، ثم بين أصول الفضائل عند البوذية، وختم بذكر وصايا بوذا، وانقسام القوم بهذه الوصايا، ثم بيان كتب البوذية المقدسة[2].

---

(١) ينظر: الديانات القديمة، ٢١- ٥٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٥٣- ٧٩.

٤) الديانة الكونفوشيوسية، وتضمنت مباحث عدة:

ابتدأ الإمام أبو زهرة دراسة الديانة الكونفوشيوسية، بتقديم عن العقلية الصينية، وطبيعتها العملية، والأخلاق الصينية، ووضع ذلك ضمن البيان النفسي، ثم عمد بعدها إلى دراسة جوانب كبيرة من حياة(كونع فوس)، وهو كونفوشيوس، ابتدأ من معنى اسمه بالصينية، ونشأته، واصله، ونبل نسبه، وتعليمه، وطوافه في الأقاليم الصينية، ورأيه في السياسة الحكيمة وتجاها، وصلة أخلاق الرؤساء بالسياسة الحكيمة ثم بعدما ان استوفى تلك المباحث، عمد إلى بيان عقيدة كونفوشيوس في ربطه بين حكم السماء والأرواح، وأرواح الآباء اعتقادهم ان حكم الكواكب يوجب العدل في الرعية. ثم بين أراؤه في أخلاق الناس من فضائل ورذائل، فبين ان أخلاق الناس ومدى تأثرها في الأحداث الكونية، وان الإنسان مفطور على الخير ثم عرض محاولات كونفوشيس في الإصلاح[١]

ثم ختم محاضراته ببيان موجز جدا عن وثنية اليونان[٢]، ووثنية الرومان[٣] وصلتها بعقائد المصريين، وبهذا فقد تتم كتابه الديانات القديمة.

---

(١) ينظر: الديانات القديمة ، ٨٠-١١١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ، ١١٢-١١٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ١١٤-١١٥.

المطلب الثاني: الإمام أبو زهرة وجهوده في بيان الديانة البرهمية:

لقد عرف الهنود القدماء عبادة الحيوانات، كما عرفوا عبادة قوى الطبيعة وفي العصور الآرية اندمج هذا الإله مع الإله الذي تكون منه الثالوث الهندي. وعبادة الهنود للحيوانات نشأت عن الفكر الطوطمي، أو عن اعتقادهم بان الله يتجلى في بعض الأحياء، فيحل فيها، فيحتمل حلوله في هذا الحيوان أو ذاك، أو لأنهم آمنوا بالتناسخ فجاز عندهم ان يكون الحيوان جدا قديما، أو صديقا عائدا إلى الحياة وبما ان الهند مركز من مراكز الحضارة القديمة في العالم(١)، فقد يحتاج الأمر إلى منهجية درسية متنوعة، يكشف فيها أحوال ومعتقدات تلك الحضارة العريقة، الضاربة في القدم عبر قرون تاريخية طويلة. وقد استعمل شيخنا الجليل العالم محمد أبو زهرة مناهج عدة في بسط الديانة البرهمية وغيرها من الديانات القديمة، عما سنرى بعد قليل.

١) المنهج التاريخي:

لقد استعمل الإمام أبو زهرة المنهج التاريخي في بيان جوانب مهمة من تاريخ الهند، وحضارتها وأصول ديانتها القديمة، والتمازج العقدي مع الغزو الآري(٢):

---

(١) ينظر: اديان الهند الكبرى، د. احمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ص ٢٧وما بعدها.

(٢) يرى بعض الباحثين ان الجنس الآري اسيوي الاصل، كان يعيش في وسط اسيا في بلاد التركستان بالقرب من نهر جيحون، ثم زحفت افواج ضخمة من هذا الجنس في ازمنة غير واضحة واتجهت نحو ايران عبر الهند واتجهت كذلك نحو اوربا، ويبدو ان=

أ) بيان التمازج العقدي:

إذ ان الهند من الأمم ذات التاريخ العريق، لها مدنية قديمة، وحضارة توغل في القدم إلى ابعد أغوار التاريخ، وقد صارت كنزا مدفونا في بطون القدم لم يكشف عنه التاريخ بعد، والآثار الباقية التي اتصل تاريخها هب الجزء من تاريخهم التي ابتدأ بالغزو الآري الذي بعده تكونت حضارة اتصلت سلسلتها وأحاط بها التاريخ فكان التاريخ يروي ان قبيلة آرية غزت الهند حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وفرضت على الهنود مدنيتها، وحضارتها وديانتها، وجاءوا إلى حضارة الهند التي كانت لهم قبل الغزو، فطمسوا معالمها، وقوضوا دعائمها، ولم يتركوهم أحرارا في دياناتهم القديمة، بل فرضوا عليهم ديانتهم، ونسخوا آلهتهم، واستبدلوا بها آلهتهم التي يعبدونها هم[1].

ثم يبين أبو زهرة اختلاف المؤرخين في الجنس الآري، فهنا تختلف كلمة المؤرخين، وتتباين مناحي آرائهم في جزئية نشير إليها، ولا نلم بتفاصيلها، تلك هي مقام العنصر الآري الأول، أهو أوربا، ورحل فريق منها إلى ربوع أسيا، فكان منه في فارس والهند قبائل وأفخاذ، وبطون بتلك الرحلة. وعلى هذا الرأي أكثر العلماء والباحثين، يقولون: ان الهند كانت قبل الغزو الآري مسكونة بقوم ساميين، ثم جاءهم الآريون غزاة فاتحين، ولكن يرى بجوار هذا الرأي آخرون، ان اللآريين كان مقامهم الأول في

=لزحف الآري إلى الهند قد تم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ينظر: اديان الهند الكبرى، احمد شلبي، ص٢٢ وما بعدها.

(١) ينظر: الديانات القديمة، ص٢١ وما بعدها.

التركستان، ومن التركستان انسابوا في بلاد أسيا كفارس والهند، واستغرقوا كل أوربا ومها يكن من شيء فان للهند مدنية تضرب في القدم إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة، لكن طمست آثارهم بحضارة أخرى أتى بها غزاة فاتحون آريون ويهمنا نحن في دراسة تاريخ ديانتهم ان نقول: ان أولئك الغزاة كانوا يحملون معهم ديانة أخرى غير ديانة الهند القديمة، الديانة البرهمية التي سندرسها هي ليست الديانة القديمة، بل أصولها من ديانة هؤلاء الفاتحين[1].

ب) بيان أصول الديانة الهندية القديمة:

ان التاريخ لا يشير إليها إشارة واضحة، ولكن جملة ما يقال فيها، وتشير الآثار أن قوام هذه الديانة عبادة النيران، فإنها كانت المعبود المقدس الذي تقدم، إليه القرابين من خبز وأعشاب وخمر، ويتولى الكهنة معابد النيران، والقيام بما يقتضيه التقديم من طقوس، ورسوم في تلك الديانة، ولم تكن النار الإله المتفرد بالإلوهية، بل كان يشاركها في التقديس آلهة أخرى منها الشمس، لما تفيض به على الكون من أشعة مضيئة ومنها حيوانات مخيفة كتنين مفزع، ووحش هائل، وكانوا يعتقدون ان هناك عالم آخر، وهو عالم الأموات، وان الأخيار، إذا ماتوا، وقد رضيت عنهم آلهتهم تمنح أرواحهم معرفة الغيب وقد استمرت تلك الديانة حتى جاءت ديانة الفاتحين[2].

---

(١) ينظر: الديانات القديمة، ٢٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٣.

٢) المنهج الوصفي:

كان للتمازج العقدي اثر بليغ في الديانة الهندية القديمة كما رأينا غير ان ذلك المزيج بالرغم من اتخاذه الصورة الجديدة، للديانة البرهمية الجديدة، لابد من وجود بقايا رواسب الدين القديم في الفكر الهندي، فهل استطاع الدين الجديد تغيير ذلك؟ فلننظر إلى تحقيق شيخنا أبي زهرة، ضمن منهجه الوصفي للبرهمية[١].

أ) تقسيم الهنود على قسمين:

يقول أبو زهرة: يقسم البيروني الهنود بالنسبة لاعتقادهم في البرهمية إلى خاصة وعامة، ويفرض ان الخاصة (موحدون)، وغيرهم وثنيون، وهو يقول في هذا المقام: إنما اختلفت اعتقاد الخاص والعام، في كل امة بسبب ان طباع الخاصة تنازع المعقول، وتقصد التحقيق في الأصول، وطباع العامة تقف عند المحسوس، وتقتنع بالفروع، ولا تروم التدقيق وبعد ذلك يبين اعتقاد الخاصة بان معبودهم واحد أزلي، فيقول: واعتقاد الهند في سبحانه وتعالى: انه الواحد الأزلي من غير ابتداء، ولا انتهاء، المختار في فعله القادر الحكيم الحي المحي المدبر المنفرد في ملكوته من الأضداد، والأنداد، لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء[٢].

ولنترك الآن مناقشة شيخنا الإمام أبي زهرة، لمقولة البيروني كون الخاصة هم موحدون، ونعمد إليها عند الانتهاء من وصف تلكم العقائد.

---

(١) لابد من ذكر ان شيخنا استقى مصادره بالدرجة الاولى من كتاب البيروني: (ما للهند من مقولة).

(٢) ينظر: الديانات القديمة، ص٢٤.

ب) بيانه منشأ الوثنية في البرهمية وتطورها العقدي:

<u>أصل المعتقد:</u> انهم كانوا يعبدون القوى المؤثرة في الكون، وتقلباته في زعمهم، ثم لم يلبثوا ان جدوا تلك القوى.

<u>التطور العقدي</u>: اعتقد القوم ان تلك القوى حلت في بعض الأجسام، فعبدوا الأصنام لحلولها فيها، وتعددت آلهتهم حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلها، ثم عرا عقائدهم التغير والتبديل، حتى انحصر الآلهة في ثلاثة اقانيم، وذلك انهم توهموا أن للعالم ثلاثة آلهة، وهي:

- براهما: وهو الإله الخالق مانح الحياة، والقوى التي صدرت عنه جميع الأشياء وينسبون إليه الشمس التي بها الدفء، وانتعاش الأجسام، وتجري الحياة في الحيوان والنبات في زعمهم.

- سيفا، أو سيوا: وهو الإله المخرب المفني، الذي تصفر به الأوراق الخضراء، ويأتي الهرم بعد الشباب، وتفنى مياه الأنهار وينسبون إليه النار، لأنها عنصر مدمر مخرب

- ويشنو أو يشن: ويعتقد ان ويشنو هذا حل في المخلوقات ليعي العالم من الفناء التام

وهذه الآلهة الثلاثة اقانيم لإله واحد في زعمهم، والإله الواحد هو الروح الأعظم، واسمه بلغتهم (آتما). ودون هذه الآلهة الثلاثة، آلهة أخرى دون هذه الإلهة سلطانا، وقوة، وعبادة، وهم من هؤلاء في الدرجة الثانية

أو الثالثة ولكن براهمتهم، وهم علماء الدين يرجعون كل شيء إلى الآلهة الثلاثة، ويرجعون كل شيء إلى اله واحد(١).

مناقشة مقولة البيروني:

لقد ناقش الإمام أبو زهرة مقولة البيروني: ان خواص الهنود موحدون، وعوامهم وثنيون. وعلى ما يبدو ان البيروني استسقى مقالته مما نقله من نصوص كتبهم ففي هذه الكتب عبارات تفيد وحدة الإله المسيطر، بينما فيها ما يفيد التثليث كما تقدم معنا في الاقانيم الثلاثة في الديانة. ويجب ان يفهم هذا محمولا على ذاك، يتكون منها وحدة مؤلفة الأجزاء مترابطة الأفكار، فإذا فسرنا الوحدة إذن بما يتفق مع عقيدة التثليث والحلول لا تكون فكرة التوحيد التي نقل عبارتها مفيدة لمعنى التوحيد الذي يفهمه المسلمون، ولو سلمنا أن الكتب التي نقل عنها لا يفسر فيه التوحيد إلا بالمعنى الذي نفهمه معاشر المسلمين، وما تدل عليه ظواهر عبارتها، فمن أين جاء لنا ان الخواص لم ينحرفوا عن مسلك تلك الكتب؟ وانك تجد في التوراة التي يقرؤها اليهود عبارات وأحكاما دينية، قد تجانف عنها اليهود جميعا اليوم، خواصهم وعوامهم في ذلك سواء. ولو كان قد حكى لنا ـ أي البيروني ـ أخبارا عن موحدي الخواص الذين لقيهم، وشاهدهم، وتحدث إليهم، وحاورهم، وعرف حقيقة نحلتهم، لتلقينا كلامه بالقبول، ولصدقناه في كل ما يدعي من توحيد الخواص، اما نقل نص من الكتب، فليس بكاف لإثبات ان الانحراف لم يقع.

---

(١) الديانات القديمة، ص٢٧ وما بعدها.

فان الانحراف عن المبادئ الدينية، إذا وقع شمل الخواص والعوام. بل في بعض الأحيان يبدأ بالانحراف من يكون في مرتبة الخواص، وان الفرق التي ضربها في الإسلام مثلاـ وهم المشبه والجبريةـ حجة عليه، وليسوا حجة له، فان أولئك لا نستطيع ان نقول أنهم من العوام، بل هم في مرتبة الخواص، لان منهم من كان ذا فلسفة، وذا علم، لهذا كله لا نستطيع ان نسلم للبيروني دعواه، لان ما ساقه من الأدلة لا ينتجها، وليس بطلان الدليل مستلزما بطلان المدلول، فيجوز ان يكون فيهم موحدون يعتقدون التوحيد، كما يعتقد المسلمون، ولكن ما ساقه من دليل لا يصلح ان يكون حجة في هذا المقام، ويظهر على أية حال ان موحديهم (ان كانوا)، من الندرة بحيث لا يمنعون تعميم الحكم بالوثنية على البرهميين، لان الحكم يتبع الغالب الشائع، ولا يتبع القليل النادر[١].

٣) المنهج التحليلي المقارن:

يعتقد الهنود ان آلهتهم حلت في إنسان اسمه (كرشنه)، والتقى فيه الإله بالإنسان، أو حل اللاهوت في الناسوت في كرشنه، كما يعبر المسيحيون عن المسيح، ويصفونه بأنه البطل الوديع المملوء إلوهية، لأنه قدم شخصه فداء للخليقة عن ذنبها الأول، يقولون ان عمله لا يقدر عليه احد سواه، ويعتقدون ان الإله (وشنو)، وهو الابن وثاني الاقانيم قد حل فيه.

---

(١) الديانات القديمة، ص٢٦ وما بعدها.

وقد عمد الإمام أبو زهرة في كتابه، إلى عقد مقارنة بين نصوص المقدسة لدى الهنود، والنصوص المقدسة لدى النصارى قدم في خمس وأربعين محورا، اتفاقا في شكلية النص وموضوعه في كتب الفريقين، وقد عرج الإمام عليها بالقول: ومن العجيب أي الهنود إنهم يذكرون حول كرشنه من الأساطير والعجائب ما يشبه ما جاء بالأناجيل عن المسيح، فكرشنه ولد من عذراء مخطوبة اسمها (ديفاكي)، ويصفون بأنه الإله وان ولادته أحيطت بعجائب، فالأرض سبحت، وظهر نجمه في السماء، وترنمت الأرواح فرحا وطربا؛ ورتل السحاب بأنغام مطربة، وقد ولدته أمه في غار فأضاء عند ولادته بنور عظيم كما اعتقد النصارى ان مريم أم المسيح كان لها خطيب اسمه يوسف النجار، والقول الجلي ان الهنود يعتقدون في كرشنه ما يعتقده المسيحيون في المسيح وبيان ذلك وفق النموذج الآتي[(١)][(٢)]:

(١) الديانات القديمة، ٣٠-٤١.

(٢) لم يكن شيخنا اول من عقد هذه المقارنة بل هناك مقارنات عدة؛ منها: كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، الأستاذ محمد طاهر التتير موازنة بين أقوال الهنود في كرشنه، وأقوال المسيحيين في المسيح، فتقارب الاعتقادان حتى أوشكا ان يتطابقا، وإذا كانت البرهمية اسبق من النصرانية المحرفة فقد علم إذن المشتق والمشتق منه، والأصل وما تفرع عنه، وعلى المسيحيين ان يبحثوا عن أصل دينهم.، ينظر: الديانات القديمة، ص٢٩. وكذا د.احمد شلبي، في كتابه مقارنة الاديان المسيحية، ١٨٢-١٨٧.

أقوال الهنود الوثنيين في كرشنه	أقوال النصارى المسيحيين في يسوع ابن الله
١) كرشنه: هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله من والاقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو القدس الأب والابن وروح القدس	١) يسوع هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثاني الثالوث المقدس وهو الأب والابن وروح
٢) قد مجد الملائكة ديفاكي والدة كرشنه عيسى بن الله، قالوا يحق للكون ان يفاخر بابن معك هذه الطاهرة.	٢) دخل الملاك على مريم العذراء والدة وقال لها سلام لك أيها المنعم عليها الرب
٣) عرف الناس ولادة كرشنه من نجمه بواسطة الذي ظهر في السماء.	٣) لما ولد يسوع ظهر نجمه في المشرق ظهور نجمه عرف الناس محا ولادته.
٤) لما ولد كرشنه سبحت الأرض وسرورا وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحا وطربا ورتل السحاب بأنغام مطرية.	٤) لما ولد يسوع رتل الملائكة فرحا وظهر من السحاب أنغام مطرية.
٥) كان كرشنه من سلالة ملوكانية ولكنه ولد في غار بحال الذل والفقر حالة	٥) كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه ملك اليهود ولكنه ولد في الذل والفقر بغار.
٦) وآمن الناس بكرشنه واعترفوا وأعطوه بلاهوته وقدموا له الهدايا من صندل وطيب	٦) وآمن الناس بيسوع وقالوا بلاهوته هدايا من طيب.
٧) وسمع نبي الهنود نارد بمولد الطفل الإلهي كرشنه فذهب وزاره في (توكول) وفحص النجوم المشرق فتبين له من فحصها انه مولود الهي يعبد. أين	٧) ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيردوس الملك إذ المجوس من قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين: هو المولود ملك اليهود.
٨) لما ولد كرشنه كان (ناندا) خطيب أمه غائبا عن ديفاكي غائبا عن البيت	٨) ولما ولد يسوع كان خطيب أمه البيت واتى كي يدفع ما عليه للملك.

أقوال الهنود الوثنيين في كرشنه	أقوال النصارى المسيحيين في يسوع ابن الله
حيث آتى إلى المدينة من خراج كي يدفع ما عليه من الخراج للملك.	
٩) وسمعناندا خطيب أمه ديفاكي والدة كرشنه نداء من السماء يقول له: قم وخذ ويفر الصبي وأمه فهربهما إلى كاكول واقطع نهر جمنه لان الملك طالب إهلاكه.	٩) وانذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه بهما إلى مصر لان الملك طالب إهلاكه.
١٠) وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنه الإلهي الطفل الإلهي وطلب قتل الولد وكي أمنيته أمر يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد ولدوا في الليلة الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها المسيح. كرشنه.	١٠) وسمع حاكم البلاد بولادة يسوع وطلب قتله وكي يتوصل إلى بقتل كافة الأولاد الذين التي ولد فيها يسوع
١١) واسم المدينة التي ولد فيها كرشنه في(مطرا) وفيها عمل الآيات العجيبة	١١) واسم المدينة التي هاجر إليها يسوع مصر (المطرية) ويقال عمل فيها آيات.
١٢) كرشنه صلب ومات على الصليب.	١٢) يسوع صلب ومات على الصليب
١٣) لما مات كرشنه حدثت مصائب جمة وعلامات شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء فوق وأظلمت الشمس في وسط النهار وأمطرت السماء الساعة نارا ورمادا وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون في الأرض وشاهد الناس ألوفا وخرجوا من الأرواح في جو السماء يتراوحون صباحا ومساء وكان ظهورها في كل مكان.	١٣) لما مات يسوع حدثت مصائب متنوعة وانشق حجاب الهيكل من إلى تحت وأظلمت الشمس من السادسة إلى الساعة التاسعة وفتحت القبور وقام كثيرون من القديسين من قبورهم.
١٤) وثقب جنب كرشنه بحربة.	١٤) وثقب جنب يسوع بحربة.

أقوال الهنود الوثنيين في كرشنه	أقوال النصارى المسيحيين في يسوع ابن الله
١٥) ومات كرشنه ثم قام من بين الأموات.	١٥) ومات يسوع ثم قام من بين الأموات.
١٦) وصعد كرشنه بجسده إلى السماء وكثيرون وكثيرون شاهدوه صاعدا.	١٦) وصعد يسوع إلى السماء شاهدوه صاعدا.
١٧) وهو أي كرشنه يدين الأموات في الاخير اليوم الأخير.	١٧) ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير.

إذن هذه بعض الأقوال من جملة خمسة وأربعين قولا، تبين في المحاور المتقدمةالمنهج المقارن الذي اتخذه شيخنا أبو زهرة لإثبات أصول النصوص المقدسة لدى المسيحية.

٤) بيانه نظام الطبقات الديانة الهندية:

مر معنا ان هناك خواص وعوام في الديانة الهندية، ولم يقتصر الأمر على القسمين، بل ان هناك نظام طبقي في الديانة الهندية، يوجب على الكل مراعاته، والالتزام به، والانقياد إليه، فانهم ينقسمون على أربع طبقات بحسب طبيعة الأعمال، يقول شيخنا أبو زهرة: الناس في نظر الديانة البرهمية ليسوا سواء، لا من حيث العبادة أو الزهادة أو طلب الزلفى، بل هم مختلفون من حيث الطبقات والأعمال، وما ينتمون من مهن، فقد قسم الناس فيها من حيث مهنهم، وأصولهم وأنسابهم إلى أربع طبقات:

الطبقة الأولى: وهي أسماها طبقة البراهمة، وهم رجال الدين ويزعمون أنهم خلقوا من رأس الإله براهما، ولذلك كانوا أعلى الناس، وخلاصة الجنس البشري

الطبقة الثانية: هم طبقة الجند، ويزعمون أنهم خلقوا من مناكب براهما ويديه ومرتبتهم دون مرتبة البراهمة

الطبقة الثالثة: وهم طبقة الزراع والتجار، وهم مخلوقون من ركبتي الإله براهما في زعمهم.

الطبقة الرابعة: وهي طبقة الخدم والاسارى، وهؤلاء خلقوا فيما يزعمون من قدمي الإله براهما

ولكل طبقة من هذه الطبقات آداب تتحلى بها فيجب على البرهمي ان يكون وافر العقل، ساكن القلب صادق اللهجة، مقبلا على العبادة مصروف الهمة إلى الديانة ويجب ان يكون الجندي مهيبا شجاعا معظما، ذلق اللسان، سمح اليد ويجب ان يكون الزراع والتجار مشتغلين بالزراعة، ويراعوا العناية بالسوائم، والقيام بشؤون التجارة ويجب ان يكون الخدم والاسارى مجتهدين في الخدمة وهناك طبقات دون هذه الطبقات الأربع، وهم طبقات المحرومين الذين يمتهنون الأعمال القذرة في المدن، والأعمال الحقيرة ويعتبرونهم المنبوذين(١).

وقد أشار د. احمد شلبي إلى نشأة هذا التقسيم، يقول: ان هذا التقسيم نشأ عن التقاء الآريين بالتوارنيين والسكان الأصليين ومعنى هذا انه نشأ أو ما نشأ على أساس الجنس وكانوا الآريون يعتقدون اعتقادا جازما بسمو جنسهم على سواهم من الأجناس وكلمة آري التي عرفوا بها معناها النبلاء وأما المنبوذين فإنهم لم يدخلوا التقسيم، ولم يكونوا إحدى طبقات المجتمع

---

(١) الديانات القديمة، ص٤٦ وما بعدها.

الهندوسي، إذ لم يعدوا منه على ان الفلسفة الهندية لم تقنع بالجنس والعنصر سببا لنشأ، نظام الطبقات، بل رأت ان تربطه بنص مقدس، فورد في قوانين (منو)، يقول وهو يعدد خلق برهما للكائنات:" ثم خلق البرهمي من فمه، والكاشتريا من ذراعه، والويشا من فخذه، والشودرا من رجله، فكان لكل من هذه الطبقات منزلته على هذا النحو"، وبناء على هذا التفكير الذي يرى ان الطبقات خلقها الله على هذا الوضع يصبح هذا التقسيم أبديا، فهو من صنع الله ولا طريق لإزالته، وعلى هذا لا يرتفع أي شخص من أي قسم إلى قسم أعلى. وبناء عليه وعلى الاعتقاد بان الابن يأتي على نمط أبيه، لا يجوز لرجل ان يتزوج امرأة من طبقة أعلى من طبقته، لعدم الكفاءة، ولان أولاده منها سيهبطون إلى مستواه، وهذه خسارة على التكوين الاجتماعي، ولكن يجوز للرجل ان يتزوج امرأة من طبقة اقل من طبقته على ان لا تكون من الطبقة الرابعة (الشودرا) التي ليست الا للخدمة وجاء في قوانين (منو) ان الرجل من الطوائف الثلاثة الشريفة ان غلبه الحب فتزوج بامرأة من غير هذه الطوائف، فانه سوف يرى هلاك أسرته وتلتقي هذه الطبقات الأربعة في الاعتقاد، وكلها تخضع للنظام الطبقي، والبراهمة هم ملجأ الجميع في حالات الميلاد والزواج والوفاة[١].

وقد عرج د. احمد شلبي على قضية دين المنبوذين، فان المنبوذين سكان الهند الأصليون، الذين لا يجري في عروقهم الدم التوراني أو الدم الآري، ويسمون (زنوج الهند)، وقد حرمهم المجتمع الهندوسي حقوق

---

(١) اديان الهند الكبرى، د. احمد شلبي، ٥٢-٥٥.

الإسلام، ونزل بهم إلى مستوى اقل أحيانا من مستوى الحيوان. ولم يسمحوا لهم بان يعتنقوا الدين الهندوسي وتُركوا هكذا في حياة بدائية مريرة، ومن ثم اتجهوا في تدينهم إلى الأمور البدائية، فأصبح دينهم أشبه بعبادة الأرواح، التي اعتصمت بها الأقوام الفطرية الساذجة ولا يزال المنبوذون يعانون هذا أو أكثره حتى اليوم، فالحرف الحقيرة وقف او ضريبة عليهم، ودور العلم لا تفتح لهم إلا قليلا، وقد دفع هذا الوضع برؤسائهم أن يهددوا باعتزال الهندوس والدخول في مجتمعات الأديان الأخرى، ومن اجل هذا فقط خفت حدة المعاملة التي كان يعاملهم بها الهندوس، خوفا ان ينضموا إلى الأديان الأخرى التي تحارب الهندوسية، وساعد ذلك ما أصدرته الحكومة الهندية من قوانين المساواة التي ان لم تحقق المساواة الكاملة وقد انتهزت فرق التبشير المسيحية هذا الوضع فتوغلت بين جماعات المنبوذين تدعوهم للدخول للمسيحية[١].

---

(١) اديان الهند الكبرى، د. احمد شلبي ، ٥١ وما بعدها.

٥) كتب الديانة البرهمية المقدسة:

يقدم الإمام أبو زهرة كتب الديانة البرهمية المقدسة، ويذكر ان أقدم كتبهم هو كتاب (الفيدا)[١]، ولم يعرف المؤرخون عصر كتابتها على وجه التحقيق والضبط، وأقصى ما تأكد لديهم ان (الفيدا)، كانت موجودة قبل خمسة عشر قرنا، فقد كانت مع الفاتحين الآريين على أنها من أصول ديانتهم، والفيدا مجموعة من الأشعار، ليس في كلام الناس ما يماثلها في زعمهم، ويقول جماهيرهم ان البشر يعجزون عن ان يأتوا بأمثالها[٢].

وقد قسم د.احمد شلبي تاريخ الفكر الهندي إلى العصور الآتية:

أ) **العصر الويدي الأول:** ويشتمل ثلاث مراحل فرعية: (مرحلة انتشار الأفكار البدائية، مرحلة تدوين الفيدا وتأويلها على أيدي البراهمة، مرحلة تلخيص الويدا في أسفار مقدسة).

ب) **عصر الإلحاد:** وفيه ظهرت الديانة الجينية، والديانة البوذية، وضعفت الديانة الويدية ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد.

---

(١) كلمة ويدا او فيدا، كلمة سنسكريتية معناها: الحكمة، والمعرفة، ولذلك يطلق على واضعيها كلمة (الريشيون) او الحكماء او العارفون، ينظر: اديان الهند الكبرى، ص٣٤، هامش(١).

(٢) ينظر: الديانات القديمة، ٥٠ وما بعدها.

ت) **العصر الويدي الثاني:** وهو عصر عودة النصر للويدا، وانتصارها على ديني الإلحاد وتوسعوا في شرح الويدات، وأهمها قوانين (مونو) التي وضعت حوالي القرن الثالث قبل الميلاد[١].

والفيدا أو الويدا أربع مجموعات لكل واحدة منها نهج خاص في القراءة، وتلحين خاص في الإلقاء، ومواضع لا يتلى فيها غيرها، ولا يرتل فيها سوى نوع خاص من بينها:

أولها: نوع يقال له (الرجفيدا)، وله ثلاثة مناهج للتلاوة، ويرتل عند تقديم قرابين النار.

ثانيها: ويقال له(الياجور فيدا)، والفرق بينه وبين الأول في النغم والتلحين، وان كان مثله عند تقديم القرابين.

وثالثها: (السامافيدا)، وله نغم أيضا خاص به، ويرتل عند صنع الشراب المقدس وتناوله.

ورابعها: (الآثار فيدا)، ويتلى عند السحر والتعاويذ، وله لحن خاص به.

ويحكون لكل مجموعة من هذه الأسفار أسطورة كانت سببا لتنزيله كما يزعمون، وترتيل هذه القصائد لا يصح من غير البراهمة[٢].

---

(١) ينظر: اديان الهند الكبرى، ٣٣-٣٥.

(٢) ينظر:الديانات القديمة، ص ٥١ وما بعدها.

نموذج من نصوص الفيدا، أو الويدا:

أغنية لاندرا اله الآلهة[1]:

هو الأعلى من كل شيء وهو الاسنى
اله الآلهة ذو القوة العليا
الذي أمام قدرته الغالية
ترتعد الأرض والسموات العالية
أيها الناس استمعوا لشعري
انما هو أندرا اله الكون
هو الذي قهر الشياطين في الحساب
وأجرى الأقمار السبعة الصافية الكبار
واقتحم كهوف الكآبة والاكدار
واخرج البقرات الجميلة من الأرحام
وأضاء النار القديمة من البرق في الغمام
ذلك هو اندارا البطل الجسور
الجيش المتقدم للهيجاء
يناديه للنصرة يوم الحرب
الأعزاء بصيته الذائع يهتفون
والأذلاء يذكرون اسمه بشفاهم ويهمسون
وقائد الجيش على العجلة الحربية
يدعو ويستنصر أندرا اله الحرب

ولهم كتب غير هذه تسمى (البرهميات)، وهي كتب من منثور القول، لا من منظومه كالفيدا، وهي أقسام كثيرة، وموضوعاتها مختلفة، فمنها ما فيه أحكام شريعتهم، وفقه ملتهم من حث على الخلاص، وترغيب في فداء الروح بالجسم، وغير ذلك، ومنها ما هو خاص بالمطالعات التي يطالعها النساك، والذين ينسابون في الأحراش، ويرغبون في التخلص بالفعل من

(١) اديان الهند الكبرى، ص ٤٣ وما بعدها

المـادة، لينعمـوا بحريــة الـروح، فيطـالعون تلـك الكتـب لتقـوى عـزائمهم، ويسـتحفظونـها، ليعطـوا العلـم البـاطني بـالروح الأكبـر، وتـربط نفوسـهم بالموجود الأعظم(١).

المطلب الثالث: الإمام أبو زهرة وجهوده في بيان الديانـة البوذيـة:

ابتدأ الإمام أبو زهرة دراسة الديانة البوذية في بيان أصولها، ومنشئها وعـرج علـى ولادة بـوذا وأسـرته وزواجـه، ومـن ثـم بـين اعتزالـه وخلواتـه، والفلسفة التي جاء بها لتصبح الدين المعتبر لدى أوساط المجتمع، ولننظر إلى ذلك من واقع العرض التاريخي.

١) أصل ومنشأ الديانـة البوذيـة:

يذكر الإمـام أبـو زهرة فـي كتابـه الـديانـات القديمـة: ان الديانـة البوذيـة نشأت بالهند، كما حلت البرهمية فيه، وقد كان منشئها برهميا، وهي في تخفيف لما جاء في البرهمية من تعاليم، وإزالـة لما أحدثتـه البرهميـة من تفريق بين الناس يتوارث بينهم خلفا عن سلف.

ومنشئ تلك الديانة هو (بوذا)، واسمه (سداثتا) أو سذهاتا واسم أسرته (جوتامـا)، وهـي أسـرة نبيلـة وفيهـا امـارة، وكـان هـو أميـرا، وقـد ولـد قبـل المسيح بـ(٦٥٠سنة)، وقد شب مترفا في النعيم فاكها في الثروة، وتزوج في التاسعة عشرة من عمره، وأقام أمدا في حياة زوجية حتى بلغ التاسعة والعشـرين انصـرف إلـى الزهـد والتأمـل وهجـر زوجـه، وخـرج هائمـا فـي الأحراش والغابات راغبا عن الدنيا،، وأقام على ذلك ست سنين دأبا حتى

---

(١) ينظر: الديانات القديمة، ص٥٢.

إذا بلغ السادسة والثلاثين من عمره أحس بأن نوعا من المعرفة قد أشرقت في نفسه، وقذف بنور في قلبه، وصارت مذهبا يجب ان يدعو إليه بقوله وعمله، فالتف به شيب وشباب، وصار له تلاميذ يدعون بدعايته، وانبعثوا في الآفاق دعاة مرشدين فكانت مدة دعايته مكثت على ذلك أربعا وأربعين سنة، أو تزيد وفيها نما المذهب وازداد أنصاره وكثروا وانسابوا في البلاد دعاة[١].

٢) فلسفة بوذا:

علمنا ان بوذا قد آثر العزلة، ليصل إلى المعرفة، وقد سلك من اجل هذا وسائل متعددة كالتصوف والفلسفة، ثم انجذب نحو الرهبنة، فبدأ حياة الترهيب، لذا تسميه المصادر باسم (غوتاما)، أي الراهب قبل تسميته ببوذا وبينما كان يمشي وحيدا موحشا مال إلى شجرة ليتفيأ ظلالها، طاب له المقام في ظلها، يقول واصفا ذلك: سمعت صوتا داخلي يقول بكل جلاء وقوة، نعم في الكون حق، أيها الناسك وقلت لعقلي وجسدي اسمعا، لا تبرحا هذا المكان حتى أجد ذلك الحق وتم له في هذه الجلسة الاشراقة التي كان يترقبها فأصبح بعد ذلك اسمه (بوذا)، أي العارف المستيقظ والعالم المتنور بعد ذلك، يقول: لما أدركت هذا تحررت من الهوى، تحررت من شرور الكون قد انتهى الصراط المقدس، قد تمت الفريضة،

---

(١) ينظر: الديانات القديمة، ص ٥٤.

فلن أرجع إلى هذه الدنيا رجعة أخرى قد أبصرت هذا[1]. فقد انتهى إلى فلسفة باتت مؤثرة في حياة مقلدي المذهب.

يقول شيخنا أبو زهرة: انه قد وصل إلى تعاليم وحقائق عن طريق التجربة، والمقابلات الدقيقة بين الأمور، والآراء المختلفة، وانه كان على جانب عظيم من طيبة النفس، وحسن الخلق، ولطف المعشر، وكانت نفسه معتركا شديدا لنضال بين نوازع الجسم، وما أخذ به نفسه بالرياضة، حتى انتهى بالانتصار على لذاته انتصارا مؤزرا، ،لكن مع الاعتقاد بوجوده ان كل ما أحيط به من أساطير باطل، لا يقوى على النظر الصحيح والفكر الثاقب[2].

أ) الالوهيات:

آثرنا هنا ان نذكر الإلهيات، لوقوف على مسالة تقويمية نبين فيها بعض الأمور، اما في الإلهيات فلم تفد المصادر ان بوذا تكلم في الإلهيات، "لم يعن بوذا بالحديث عن الإله، ولم يشغل نفسه بالكلام عنه إثباتا أو إنكارا، وتحاشى كل ما يتصل بالبحوث اللاهوتية، وما وراء الطبيعة أو عن القضايا الدقيقة في الكون، إذ كان يرى ان خلاص الإنسان متوقف عليه هو لا على الإله"[3].

---

(١) ينظر: اديان الهند الكبرى، احمد شلبي، ١٣٦ وما بعدها، ويقارن قصة الديانات، سليمان مظهر، دار الوطن العربي للطباعة بيروت.، ص١٠٠.

(٢) الديانات القديمة، ص ٦٩.

(٣) اديان الهند الكبرى، احمد شلبي، ص١٦١.

كذا يرى الإمام أبو زهرة، ان بوذا لم يتعرض للبحث في الإلوهية بسلب أو إيجاب، وان مذهبه إصلاحي اجتماعي خلقي أكثر، من انه ديني، لذا لم يتعرض للاهوت، برغم مزاعم بعض المؤرخين ان بوذا أنكر وجود اله أنشأ الأكوان، ويقولون انه كان يقول: وما الإله؟ أهو من العناصر نفسها؟ ويقول أنصار ذلك: انه كان يعتقد ان العالم فقط روحا عاما متغلغلا في كل شيءوان جميع منتحلي نحلته كانوا جميعا يؤمنون بقوة مسيطرة على العالم، ولم يمنعهم ذلك من ان يجمعوا بين عقيدتهم ومذهبهم، وإذا كان من متبعيه من نحلة أوصاف الإله، فذلك دليل يظن معه انه ليس من دعايته إنكار الإله(١).

وكلام شيخنا عن بوذا وأتباعه، فيه نظر وتقويم وكان حري بشيخنا ان يعمد إلى تقويم مسالة الإلوهية في البوذية، وذلك لأهميتها في توجيه السلوك، وإذا عرفنا ان بوذا كان يبحث عن حقيقة من حقائق دفع الالم، وقد وصل إليها من فلسفته، لذا نادى: أيها الرهبان هذه الحقيقة المقدسة عن الالم، المولد الم، الهرم الم، المرض الم، الموت الم، الاجتماع بغير المألوف ألم، الافتراق عن المألوف ألم، عدم ظفر الرجل بما يهوى ألم(٢). أليس تلك الحقائق بحاجة إلى توجيهها بقدرة عظيمة، وإيمان مفعم، بوجود قوة تساعد الإنسان على الخروج من تلك الآلام؟. ثم تجاهل بوذا بوجود قوة غيبية مدبرة لكل ما في الكون، وإهمال رعاية الإلهة للإنسان يؤشر لنا مؤشراً حادا نحو الإلحاد.

---

(١) الديانات القديمة، ص٦٩ وما بعدها.

(٢) اديان الهند الكبرى، ص ١٥٦.

يقول د. احمد شلبي: من اجل إهمال بوذا الإله أو الاتجاه إلى نكرانه أحيانا اتجه براهمة عصره إلى ان يصموه بوصمة الإلحاد، والإيمان بالله، اتجاه نفسي قوي لا يقل عن قوة الغرائز في البشر، وإهمال هذا الاتجاه يحدث ارتباكا واضطرابا، ومن اجل هذا نجد أتباع بوذا من بعده يفكرون في الإله، ويعملون على الوصول إليه أو التعرف عليه، ولما كان بوذا قد ترك هذا المجال خاليا، فقد لعبت بهم الأهواء، فاتجه بعضهم إلى الاعتقاد ان بوذا ليس إنسانا محضا، بل ان روح الله قد حلت به، وهذه العقيدة تشبه عقيدة الحلول التي يعتنقها بعض المسيحيين في السيد المسيح[١].

ب) قضية إنكار النفس، وقضية التناسخ:

فقد رفض الإمام أبو زهرة قضية التناسخ عند بوذا، ولذلك لتناقضها مع قضية إنكار النفس عندهم. يقول أبو زهرة: فقد ورد منحولا له، ولكن لا يتلاءم مع جملة أفكارهم ان إنكار بعضهم للنفس يتنافى مع اعتقادهم الثابتة نسبته لهم، والتوفيق بينها يؤدي إلى أمور لا يقبلها العقل، أو يؤدي إلى هدم احد الأمرين، اعتقاد التناسخ أو إنكار النفس، والتناسخ لا يفهم إلا إذا كان للنفس كون قائم مستقل عن الجسم، وليست خاصة له، ولا ظاهرة من ظواهره، وبيان ذلك ان التناسخ يقتضي ان يكون شيئا منتقلا من جسم إلى جسم، حتى يصعد في مدارج الرقي، أو يكفر عن الخطايا بالنزول في جسم أدنى، ونحو ذلك ولا جائز ان يكون ذلك الشيء جسما، لأنه لا معنى لانتقال جسم حي في جسم آخر حي، إلا إذا كان في

---

(١) اديان الهند الكبرى، ص١٦٢.

احدهما خاصة ليست في الأول، وهي غير الحياة، لان كليهما فيه الحياة، فلا بد ان يكون ذلك معنى نفسيا، ولهذا رأى بعضهم لكي تتلاءم فكرة التناسخ مع فكرة إنكار النفس ان يقول: ان النفس غير موجودة، ولكن هناك رغبة هي التي تنتقل من جسم إلى جسم تبعا لقانون التناسخ، وهذا تناقض لان هذه الرغبة أهي للجسم أم هي شيء غير الجسم؟ فان كانت شيئا غير الجسم فهي النفس سواء أسموها رغبة أم نفسا، وبذلك يعود هذا على أصلهم بالنقض[١].

هذا تحقيق حسن لشيخنا، وهذا يقرر عندما تستقيم المناظير الفكرية، ولا يعتريها شائب يعكر منظورها السليم، لأننا وجدنا في الديانات معتقدات تتناقض فيما بينها، تناقضا يخرجها عن ضرورة حكم العقل، الذي هو فيصل فيها، والحقيقة ان منظورنا لذلك يتجه بأخذ اعتبار كلام بوذا في التناسخ أولا، ومن ثم إمكانية حصول التناقض الفكري، وانعكاسه عمليا على المذهب.

فقد ورد في أقوال بوذا ما يشرح به فلسفته، يقول: الإنسان مركب جسدي، يملك قوى يتحرك بها، وآلات يشعر بها فهو يحس، ويلمس، ويبصر، ويسمع، ويشم، ويدرك، وهو بهذه الحواس والمشاعر يتصل بالعالم الخارجي، اما طبعه فيشتمل على النزعات، والكفاءات المنتجة من الماضي فهي، حسنة كانت أو قبيحة ارث له من الحياة التي عاشها في الماضي، وهي التي تكيف شخصيته التي تبدأ بها حياته جديدة، وذلك أن

---

(١) الديانات القديمة، ص٧٠ وما بعدها.

الحيـاة الداخليـة للشـخص ليسـت إلا سلسـلة مـن الخيـالات والرغبـات، والعواصـف، فـإذا انفصلت الأواصـر الماديـة بـالموت تقمصـت قوى المـادة الأولية جسدا جديدا، ولا تزال هذه القوى متواصلة ان لم يكن ماديا فنفسيا، فيسـعد الشـخص الجديـد أو يشـقى حسـبما تهيـأ لـه مـن السـلوك السـابق، والعناصـر التـي تشكل شخصـا جديدا لا تزال فـي تبـدل مستمر، ولكنهـا لا تتلاشـى كليـة، حتـى تفنـى تلـك القوة التـي تتمسـك بهـا وتـدفعها إلـى الميلاد الجديدوليست تلك القوة إلا لرغبة في الوجود المنفرد[١].

وإذا كـان منظـور بـوذا للـنفس بهـذه الفلسـفة التناسـخية، فمـن أيـن لشـيخنا ان ينكـر نسـبة عقيـدة التناسـخ عنـد القـوم، وتناقضـها مـع قضـية إنكـار الـنفس؟. والأمـر منظـور لقضـية خـروج الفكـر عـن البـدهيات العقليـة فـإذا خـرج فالتنـاقض واقـع، ولكـن إذا وقـع فـإلى أي مـدى اثـر هـذا التنـاقض فـي عقـول عـوام النـاس، وعقيـدتهم؟ ألـيس يكـون منهـاج حيـاة وفكـر قـائم فـي أجيـال وأجيـال وإذا لـم يخـرج التنـاقض والتنـافي، عنـدها يكـون كـلام شـيخنا ضـمن الإطـار السـليم الذي يجب ان يكون في المذهب.

---

(١) اديان الهند الكبرى، ص ١٥١.

٣) منهج التحليل المقارن:

أ) مقارنة بين النصوص البوذية المقدسة والنصوص المسيحية:

وكما استعمل شيخنا المنهج التحليلي المقارن بين نصوص البرهمية المقدسة، وبين نصوص المسيحية المقدسة الأناجيل فكذلك اتخذ المنهج ذاته بين الديانة البوذية والمسيحية، يقول أبو زهرة: حياة ساذجة لا تعقد فيها، ولا تزيد، ولكن يأبى الذين جاءوا من بعد بوذا، إلا ان يحوطوها بشتى الأساطير، اوحت بها الأوهام، ودفعت إليها أخيلة خصبة، فقد زعموا أن أمه بشرت به في المنام، وان ولادته سبقتها معجزات، وان الإله حل فيه، وان حياته كلها قد أحيطت بالمعجزات، وهكذا من الأوصاف التي انتهوا بها إلى انه المنقذ الذي قدم نفسه فداء للخليقة من الخطايا، وقد كثرت هذه الأوهام عند البوذيين الذين يسكنون في (التبت)، في الشمال، اما أهل الجنوب وهم يبلغون نحو أربعمائة مليون، فلم تزل كثيرا فيهم هذه الخرافات، وتلك الأوهام، ومن الغريب ان الأوهام التي جعلها بوذيو التبت أوصافا لبوذا تتوافق مع ما ينحله المسيحيون شخصية المسيح بعد تغيير النصرانية، وهذه بعض المقابلات بينهما لتعرف وجه التطابق(١):

---

(١) الديانات القديمة، ٥٤- ٦٨.

اقوال الهنود الوثنين بوذا ابن الله

١) كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء (مايا).

٢) وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء يدعونه نجم بوذا.

٣) لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد قائلين ولد اليوم بوذا على الأرض كي يعطي الناس المسرات والسلام ويرسل النور إلى المحلات المظلمة ويهب بصر للعمى.

٤) وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة.

٥) لما كان بوذا طفلا قال لامه مايا انه أعظم الناس جميعا.

٦) كان بوذا ولدا مخيفا وقد سعى الملك بميسارا وراء قتله لما اخبروه ان هذا الغلام سينزع الملك من يده ان بقي حيا.

٧) وصام بوذا وقتا طويلا.

٨) وقد عمد بوذا المخلص حين عمادته بالماء وكان روح الله حاضرا وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا.

٩) وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تطوره.

١٠) وفي صلاتهم لبوذا يتأمل المؤمنون به دخول الفردوس.

١١) لما مات بوذا ودفن انحلت

اقوال النصارى المسيحيين في المسيح ابن الله

١) كان تجسد يسوع بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم.

٢) وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في المشرق

٣) لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ورتلوا الأناشيد حمدا للواحد المبارك قائلين المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.

٤) وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر .

٥) لما كان يسوع طفلا قال لامه أنا ابن الله.

٦) كان يسوع ولدا مخيفا سعى الملك هيردوس وراء قتله كيلا ينزع الملك من يده.

٧) وصام يسوع وقتا طويلا.

٨) ويوحنا عند يسوع بنهر الأردن، وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل والروح القدس الذي فيه تم تجسده عندما حل بالعذراء مريم فهو الأب والابن وروح القدس.

٩) وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تصوره.

١٠) وفي صلاتهم ليسوع يتأمل المؤمنون بإلوهيته دخول الفردوس.

١١) لما مات يسوع ودفنت انحلت الأكفان وفتح القبر بقوة إلهية.

١٢) وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما أكمل

الاكفان وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية أي بقوة إلهية.	عمله في الأرض.
١٢) وصعد بوذا إلى السماء لجسده لما أكمل على الأرض.	
١٣) ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.	١٣) ولسوف يأتي يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويفيد السلام والبركة فيها.
١٤) جاء في كتاب البوذية القانونية المقدسة ان الجموع طلبوا من بوذا علامة أي آية ليؤمنوابه	١٤) وجاء في كتب النصارى المقدسة ان الجموع طلبوا من يسوع آية كي يؤمنوا به.

إذن هذه بعض محاور من جملة ست وأربعين محورا نقلها الإمام أبو زهرة في كتابه الديانات القديمة، تبين فيها مطابقة موضوعات النصوص المقدسة لدى الفريقين.

ب) مقارنة بين البرهمية والبوذية:

قارن الإمام أبو زهرة بين البرهمية والبوذية، ضمن منهجه التحليلي المقارن، الا ان دراسته التحليلية في هذا المقام كانت عبارة عن نتائج استخلصها من كلتا الديانتين، يقول أبو زهرة:

تبين ما مضى ان البوذية لم تعن بالبحث عما وراء الطبيعة، فلم تتجه إلى الدراسات التي تصل بالإلوهية بل كل عنايتها كان لإصلاح الإنسانية بإنقاذها من الآلام وهذا فارق بين البوذية والبرهمية، فالبرهمية كانت فيها العناية الكبرى بالجانب الإلهي، والتقرب للمعبود، والفناء فيه.

فإذا اتحدت البوذية والبرهمية في النسك والزهد في الملاذ وهجرهما فالغاية مختلفة، فغاية البرهمي الزلفى والتقرب للمعبود أما البوذي فغايته من النسك رياضة الإرادة على الحرمان.

ولقد كان ابلغ ما أحدثته البوذية من اثر في المجتمع الإنساني إلغاؤها نظام الطبقات، واعتبار بني الإنسان سواسية كأسنان المشط، يتفاضلون في المواهب، لا فرق بين شخص وشخص بنسبه أو طبقته محا بوذا الفرق بين الطبقات، وتلاقى الناس مذهبه عند الوحدة الإنسانية(١).

٤)الفلسفة البوذية العملية:

للوصول إلى السعادات لابد من تطبيق عملي لتلك الفلسفة في حياة الفرد البوذي، ولعل تلك الفلسفة تدور في فلك الأخلاق، وإصلاح المجتمع، وقد اظهر الإمام أبو زهرة المذهب البوذي العلمي من واقع دراسته لتلك الديانة، فيذكر أبو زهرة: ان الجزء الخصب في البوذية هو مذهبهما في الأخلاق، وإصلاح المجتمع، وتخيف ما فيه من شقاء، فقد لاحظ بوذا ان هذه الحياة تحوطها الاكدار والآلام من كل جانب ولاحظ ان منشأ تلك الآلام هي اللذات، والأماني التي تبعثها الرغبات، فاللذات في عقباها الألم فلولا انبعاث اللذات ما كانت الآلام، ولولا استهواء الأماني التي تبعثها اللذات ما كان الألم الحرمان لهذا كله كان العماد الذي أقام عليه بوذا مذهبه في السلوك القويم للإنسان، ان يجاهد الشخص الشهوات ويروض إرادته والصبر على الحرمان منها فلا يكون الم، ولكي يصل الشخص في يسر ومن غير عنف إلى تلك الغاية السامية، وهي رياضة الإرادة، لكي يتحمل الحرمان يجب عليه سلوك الجادة المستقيمة، والممر

---

(١) الديانات القديمة، ص ٧٨.

الوسط، وذلك بان يكون في حياته كلها مقيدا نفسه بثمانية أمور في كل شأن من شؤون الحياة، وتلك الثمانية هي:

أ- الاتجاه الصحيح المستقيم بان يتجه إلى أي أمر يريده اتجاها صحيحا مستقيما خاليا من كل سلطان للشهوة واللذة وفي الجملة ينفي نفسه من كل ما يتصل باللذة عند الاتجاه.

ب- الإشراق الصحيح المستقيم، وذلك أن الإنسان عند الاتجاه من الأمور اتجاها مستقيما خاليا من شوائب اللذات، تعتريه نورانية تجعله يستطيع الوصول إلى حقائق الأشياء.

ت- التفكير الصحيح المستقيم، وذلك ان العقل ان خلا من شوائب اللذة، ونال الإشراق الصحيح كان تفكيره مستقيما، وكانت العمليات العقلية التي يقوم بها التفكير في هذا الأمر مستقيمة لا تؤثر فيها نزعة هوى

ث- ولاشك ان هذه المستقيمات الثلاثة السابقة، الاتجاه المستقيم، والإشراق المستقيم، والتفكير المستقيم، يترتب عليها أمر رابع مستقيم، هو اطمئنان العقل، والقلب إلى فكرة خاصة من بين ما يعرض لها من الأفكار، والارآء والأنظار وذلك هو الإيمان المستقيم.

ج- والذي يتم الأمور الأربعة السابقة لفظ مستقيم، وذلك بان يكون نطق الإنسان بما انتهى إليه من فكرة مطابقا تماما لاعتقاده، ولما ارتاح إليه.

ح- السلوك المستقيم وذلك هو الأمر السادس الذي لابد منه لسلوك الممر الوسط والسلوك المستقيم، ما يكون مطابقا لكل ما قام بالقلب من اعتقاد، فيكون العمل على وفق العلم.

خ- الحياة الصحيحة، بان يكون قوامها هجر اللذات هجرانا ما، وان يكون كل ما يجري فيها متطابقا مع السلوك القويم والعلم الصحيح.

د- الجهد الصحيح وذلك بان تكون كل الجهود التي يبدلها الإنسان في سبيل ان تكون الحياة مستقيمة، سائرة على مقتضى السلوك والعلم والحق(١).

٥) الكتب البوذية المقدسة:

يقول أبو زهرة: كتب البوذيين ليست منزلة، ولا يدعون ذلك، بل هي عبارات منسوبة إلى بوذا، أو حكاية لأفعاله، ونصوص تلك الكتب المقدسة مختلفة بسبب انقسام البوذيين في نحلهم. فبوذيو الشمال لديهم نصوص ليست عند أهل الجنوب، وأكثرها قد اشتمل على أوهام كثيرة تتعلق بوذا، أو حلول الإله فيه، ونصوص بوذي الجنوب هي الأصح نسبا، والأصدق قولا، والأبعد عن الأوهام، وهي نعتمد على بيانها، تنقسم الكتب البوذية إلى ثلاثة أقسام:

أولها: يشتمل على مجموعة قوانين البوذية، ومسالكها، وقد جمعت تلك المجموعة سنة (٣٥٠ق.م)، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام، قسم يحوي العقوبة المفروضة على ما يقع من البوذي من ذنوب ومخالفات، ويحوي

---

(١) الديانات القديمة، ص٧٣ وما بعدها.

نحو سبع وعشرين ومائة فقرة، وقسم يحوي التعاليم التي يجب إتباعها لتربية النفس على ما يدعو إليه البوذيون، وفيه قرارات المجالس البوذية التي انعقدت بين سنتي (٣٨٠-٣٢٠ق.م).

ثانيها: مجموعة من الخطب التي ألقاها بوذا، ووصاياه، وهي مجموعة مختلفة تضم كل مجموعة طائفة من المسائل المتقاربة.

ثالثها: الكتاب: الذي يحوي بيان أصول المذهب، والفكرة التي نبع منها، وبعبارة أدق فيه الفلسفة التي قامت عليها الديانة البوذية، والأصل الذي استنبطت منه تعاليمها، وفيه بحوث تدور حول الخير والشر واللذة والألم.

وفي الجملة نرى في كتب البوذية كلاما خصبا قيما، فيه بيان للأخلاق والسلوك القويم، وقد ترجمت إلى اللغات الحية، وكانت مادة لدراسات فلسفية خلقية.[1].

---

(١) الديانات القديمة، ص٧٨ وما بعدها.

الخاتمة

الخاتمة

بعد دراستي المستفيضة في كتابي الموسوم (جهود علماء المسلمين في دراسة الاديان)، والمقصد الاسمى من هذه الدراسة هو ابراز عظمة الاسلام في توجيه اصحاب الديانات نحو الديانة الحقة، وابراز جهود علماء المسلمين الذين افنوا اعمارهم في الدرس والتحليل والتحقيق والنقد العلمي لمصادر الديانات، والخلوص الى نتائج يضعونها امام اهل الديانات من باب الدعوة الى الله تعالى، ويعد هذا اعظم هدفاً واسمى مقصداً، ومن اهم النتائج التي توصل اليها الباحث:

١) لم يكن لنشأة علم تاريخ الديانات، أو علم الدين المقارن، بأمر بدعي، بل هو وليد تبعا لظروف الدعوة وهي في مهدها إلى ما شاء اللهلذلك وجدناه في القرآن الكريم وفي مضان عدة، فالنداءات لأهل الكتاب وغيرهم، والمحاورات والمناقشات، والمناظرات سجلت نواة نشأة الدين المقارن بالتالي قادت إلى وضع ركائز علم الدين المقارن كدراسة موضوعية للعقائد.

٢) اشتغال علماء المسلمين بدراسة الأديان له اثر عميق، وشعور ديني صريح، لا يستطيع العلماء مغادرته، نظرا لمسؤولية دين الإسلام تجاه الشعوب والأمم، وذلك عملا بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، من الآية (١٤٣).

٣) ان العوامل السياسية والفكرية والاجتماعية، قد تفرض دورها على المجتمعات باجمعها، حينها تصير الأمور وفقا لتلك الظروف والعوامل، الا ان علماء المسلمين لم يصيبهم العجز والكسل برغم قسوة وشراسة العوامل السياسية التي حلت بالأمة، لذا لم يتركوا الساحة الفكرية والعلمية أمام الذين يريدون النيل من الإسلام وأهله، فانبرى العلماء وانكبوا على التأليف نتج عنه الإرث المعرفي الجليل.

٤) ان الدراسات المنهجية المقارنة التي حققها علماء الإسلام سبقت علماء الغرب بقرون طويلة، وقد انكب علماء الغرب عليها بالدرس والتحليل، واعتمادها في مؤلفاتهم ودراساتهم المعاصرة.

٥) ان المسالك المنهجية بكل تشعبانها والتي اعتمدها علماء الإسلام في مؤلفاتهم أعطتنا مسلك استدلالي خلصنا إلى تأسيس قواعد في البحث والمناظرة وهدم مقالات اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الديانات، من واقع تلك المناهج وألوانها.

٦) اسند علماء الإسلام مؤلفاتهم إلى مصادر علمية، إذ رتبوا منهجيتهم في العرض والتقرير والنقد والتحليل على: (القرآن الكريم وعلومه، السنة المطهرة وعلومها، ومباحث علم الكلام وتراثه الأصيل، والأدب العربي والإسلامي، ونصوص الكتب المقدسة لدى القوم، والمؤلفات المعتبرة عند القوم، والوقائع التاريخية والتطور العقدي في الديانات، وغيرها من المصادر).

٧) لقد مثلت مؤلفات علماء الإسلام الدراسات الشمولية الموضوعية، والتأصيل المعرفي في حقب زمنية متعددة. فالتراكم المعرفي عبر تلك

الحقب أثرت باتجاهين: الأول: ازدياد التأليف وحرص العلماء على التأليف امتازت المكتبة الإسلامية بعظمة تلك المؤلفات. الثاني: تصويب أنظار أهل الديانات إلى التأصيل العلمي بمستواه الجديد، اعني إصلاح المفهوم العقدي.

٨) اثبت علماء الإسلام بالملموس حقائق التبديل والتزييف لمعظم نصوص الكتب المقدسة لدى القوم، ومن وجوه عدة:

أ. الاستدلال بنصوص كتبهم وبما يسلمون به.

ب. الاستدلال بلازم كلامهم.

ت. الاستدلال بتحريف كتبهم وذلك بإثبات تناقضها في النسخة الواحدة، وكذا مع مقابلتها بالنسخ الأخرى المطبوعة طبعات مختلفة.

وفي ذلك فقد حقق منهج الإلزام مراميه، وهدم البنية الرئيسة للديانة بكل مقالاتها.

٩) لقد أفاد المحققين المعاصرين من المسلمين من تلكم المناهج الراقي في بناء وتكوين أفق علمي في دراسة الأديان، والوقوف على العقائد والمقالات وإخضاعها إلى التقويم والتحليل بالتالي تحققت أهداف البحوث العلمي ونتائجها، ووضع الفكر أمام معطيات علمية حقيقية.

١٠) في الوقت الذي فند علماء الإسلام مقالات أهل الديانات من واقع كتب القوم المقدسة، فإنهم في الوقت نفسه تفانوا في إثبات نبوة نبينا محمد(ﷺ)، من واقع تلك النصوص المقدس، دل على أنهم جهدوا أنفسهم جهدا عظيما لاستخلاص البشارات من بين ثنايا سطور الكتب

المقدسة، وبيان دلالاتها اللغوية والمعنوية، وإثباتها لذا تزينت مؤلفاتهم وتعطرت بمباحث مستقلة في إثبات نبوة نبينا محمد (ﷺ).

١١) ضمت مؤلفات علماء الإسلام في ثناياها مباحث مشتركة، خاصة مقالات النصارى: (التثليث، الاتحاد والحلول، الصلب والفداء، وابن الله، والكلمة والتجسد)، وجملة المباحث المشتركة دلت على تفاني علماء الإسلام في نقد تلك العقائد، وقد وجدنا مناهجهم تسير باتجاهين: الأول: استعمال المنهج النقلي الذي أساسه القرآن الكريم، ونصوص الكتب المقدسة. الثاني: استعمال المنهج العقلي الذي وجدناها عند كل من الأئمة: الباقلاني، والقرطبي، وابن تيمية عند استعماله لقواعد نظرية المعرفة، وكذا القرافي، وابن قيم الجوزية وغيرهم.

التوصيات:

١) ضرورة الاهتمام بدراسة علم مقارنة الأديان، لما له من أهمية في الأوساط العلمية، وإبراز جهود علماء الإسلام في الردود والدفاعات، وطرقهم العلمية في دراسة الأديان، وبسطها على محاور مناهجهم العلمية، لذا نوجه أنظار طلاب العلم لمثل تلك الدراسات، وخاصة للدعاة.

٢) الاهتمام في تحقيق مخطوطات علماء الإسلام في دراسة الأديان.

٥) فتح أقسام خاصة في الأكاديميات لدراسة الأديان والعقائد.

٤) ادخال اللغات العالمية في مناهج اقسام مقارنة الاديان.

٥) ادخال مادة علم الاديان ضمن مناهج الكليات المتخصصة بدراسة العقائد والاديان والمذاهب، فضلاً عن اقسام الدراسات العليا التابعة لتلك الكليات في الجامعات العراقية.

والله أسال ان ينفعنا بما علمنا وان يعلمنا ما ينفعنا، وان يرزقنا علما نافعا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولا: الكتب:

١. أباطيل وأسمار، الشيخ محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٣٩١هـ /١٩٧٢م).
٢. الاجتماع الديني مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، د. احمد الخشاب، ط/٣، مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٧٠م.
٣. الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة مجدي محمد الشهاوي، طبع بالقاهرة مكتبة القران، ١٩٩٢م
٤. الأديان، دراسة مقارنة، د.رشدي عليان، د.سعدون الساموك، بغداد.
٥. أديان الهند الكبرى، احمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية.
٦. الأديان في علم الاجتماع، جاذ بول ويليم، ط/١، ترجمة بسمة بدران، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٧. الأساس في التفسير، سعيد حوى، ط/٣، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (١٤١٢هـ/١٩٩١م).
٨. الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، د. عبد القادر شيبة الحمد.
٩. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. علي محمد جريشة، و.د.محمد شريف الزيبق ط/٣، دار الوفاء، القاهرة، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٠. أسباب النزول، الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

١١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، الإمام عز الدين ابي الحسن الجزري ت٦٣٠هـ، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
١٢. إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل احمد دار العهد الجديد القاهرة ١٩٦٧م.
١٣. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، د.علي عبد الواحد وافي، ط/١، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
١٤. الإسلام والأديان، دراسة مقارنة، مصطفى حلمي، ط/١، دار الدعوة الإسكندرية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
١٥. الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي، ط/١، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٣٥٥هـ.
١٦. الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل علي بن محمد العسقلاني المصري الشافعي ت ٨٥٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٧. الإعلام بمناقب الإسلام، لأبي الحسن محمد بن يوسف العامري، ت ٣٨١هـ، تحقيق احمد غراب، دار الأصالة الرياض، ١٤٠٨هـ.
١٨. أصول التشريع الإسلامي، الشيخ علي حسب الله، دار المعارف، ط/٣، مصر، ١٩٦٤م.
١٩. أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط/٩، مؤسسة الرسالة (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٢٠. أصول الدين، د.قحطان الدوري، ود.رشدي عليان، ط/٤، بغداد(١٤١١هـ ١٩٨٠م).
٢١. أصول الفقه، محمد الخضري، دار الحديث، القاهرة.
٢٢. أصول المسيحية كما يصورها القران، د.داود على الفاضلي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط.
٢٣. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، الشركة التونسية، ١٩٧٩م.
٢٤. أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية د شوقي أبو خليل، دار الفكر، ٢٠٠٩م.
٢٥. إظهار الحق، الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي، دار الجيل، بيروت.
٢٦.إظهار الحق، الشيخ رحمت الله الهندي، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.
٢٧. الأعلام، خير الدين الزر كلي، ط/٦، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.
٢٨. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام واثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، تأليف القرطبي، تقديم وتحقيق وتعليق، د.احمد حجازي السقا، دار التراث العربي، القاهرة.
٢٩. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة.

٣٠. اقانيم النصارى، د.احمد حجازي السقا، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.
٣١. الله أم ثالوث، محمد مجدي مرجان، دار النهضة العربية.
٣٢. انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، احمد زكي، ط/١، دار الحداثة، للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥.
٣٣. أنوار البروق في أنواء الفروق، شهاب الدين القرافي، ت٦٨٤هـ، إحياء الكتب العربية، مصر. ١٣٤٤هـ.
٣٤. إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون، إسماعيل بن محمد البغدادي، وكالة المعارف، استنبول، ١٣٦٦هـ.
٣٥. الباقلاني وآراؤه الكلامية، محمد رمضان، مطبعة الأمة، بغداد، ١٩٩٦م.
٣٦. البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، ت٧٧٤هـ، تحقيق احمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
٣٧. بروتوكولات حكماء صهيون، الأستاذ عجاج نويهض، ط/١، دار الجيل للنشر عمان، ١٩٨٤.
٣٨. البشارة نبي الإسلام في التوراة والإنجيل، د. احمد حجازي السقا، دار البيان العربي.
٣٩. بذل المجهود في إفحام اليهود، السموءل يحيى المغربي الأندلسي، ت٥٧٠هـ، مطبعة الفجالة، مصر.
٤٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، دار السعادة، القاهرة، ١٣٢٦هـ

٤١. البلاغة العربية، اسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق.
٤٢. بنو إسرائيل في القرآن والسنة، سيد طنطاوي، ط/١، طباعة جامعة الموصل، ١٩٦٨م.
٤٣. تاريخ أوربا الحديث والمعاصر د. عبد الفتاح حسن، ود. إسماعيل باغي، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٩م.
٤٤. تاريخ الأديان وفلسفتها، طه الهاشمي، ط/١، بيروت، (١٩٦٣م).
٤٥. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، د. حسن إبراهيم حسن، ط/٧، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٤.
٤٦. تاريخ الأمة القبطية زكي شنودة، دون ذكر مكان وسنة الطبع.
٤٧. تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيمان، نقله إلى العربية د. السيد الباز العريني، نشر وتوزيع دار الثقافة، ١٩٦٧م، بيروت.
٤٨. تاريخ الديانتين، د. رشدي عليان، د. سعدون الساموك، ط جامعة الموصل.
٤٩. تاريخ الفكر المسيحي، للقس حنا الخضيري.
٥٠. تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، ط جامعة الإمام سعود الإسلامية، ١٤١١هـ.
٥١. التاريخ اليهودي العام، الأستاذ صابر طعيمة، ط/١، دار الجيل بيروت ١٩٧٥م.
٥٢. تاريخ بغداد، أبو بكر احمد بن علي المعروف بابن الخطيب ت ٤٦٣هـ، طبعة المثنى.

٥٣. تاريخ سورية الدنيوي والديني، يوسف اليأس الدبس الماروني، المطبعة العمومية الكاثوليكية المارونية، بيروت، ١٨٩٣هـ ١٩٠٥م.
٥٤. تاريخ المذاهب الإسلامية، الإمام أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
٥٥. تاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، سعيد بن البطريك.
٥٦. تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، تحرير زالمان شازار، ترجمة من العبرية احمد محمود هويدي، تقديم ومراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.
٥٧. التبشير والاستشراق، د. بكر زكي، ود. عبد الرؤوف عبد القادر، القاهرة.
٥٨. تحريف مخطوطات الكتاب المقدس، علي الريس، طباعة مكتبة النافذة.
٥٩. التحرير والتنوير، العلامة محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التنوسية للنشر، ١٩٨٤م.
٦٠. تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، عبد الله الترجمان، تحقيق الدكتور الطاهر المعموري، دار بو سلامة للطباعة، تونس. واخرى: تحقيق، د. محمود علي حماية، دار المعارف القاهرة.
٦١. ترجم كتاب مسالة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، الاستاذ علي الجوهري، وطبعته دار الفضيلة، القاهرة، سنة ١٩٨٩م.
٦٢. التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دراسات بيانية في الأسلوب القرآني.

٦٣. التعريفات، السيد الشريف الجرجاني، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م. واخرى:، المطبعة الخيرية، القاهرة.
٦٤. تعاليم دينية لابناء الصابئة، غضبان رومي، مطبعة الجاحظ، بغداد، ١٩٧٢م.
٦٥. تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير ٧٧٤هـ، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٦٦. تفسيرالقران الحكيم المعروف بالمنار، محمد عبده، تاليف محمد رشيد رضا.
٦٧. التفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ت ٦٠٤هـ، ط/٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.
٦٨. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٦٩هـ.
٦٩. التفكير الديني في العالم، د. رؤوف شلبي. دون ذكر مكان وسنة الطبع.
٧٠. تقريب التهذيب، احمد بن علي بن حجر، ابو الفضل العسقلاني، تحقيق ابو الاشبال الباكستاني، دار العاصمة.
٧١. التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، ابن حزم، نشر وتحقيق د. إحسان عباس، بيروت، ١٩٥٩م.
٧٢. التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، ط/٦، دار النفائس – بيروت، ١٩٨٥م.

٧٣. التلمود والصهيونية، د. اسعد رزوق، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠م.
٧٤. التمهيد، للإمام الباقلاني، عني بتصحيحه ونشره رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧م.
٧٥. التنبيه والإشراف، المسعودي، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة ١٩٣٨م.
٧٦. التوراة، مصطفى محمود، دون ذكر مكان وسنة الطبع.
٧٧. التوراة العقل والعلم والتاريخ، بدران محمد بدران، مطبعة القدس، القاهرة ١٩٧٩م.
٧٨. التوراة الهيروغليفية، د. فؤاد علي حسنين، دار الكتاب العربي، القاهرة.
٧٩. جامع البيان في تفسير أي القرآن، محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ تحقيق: محمود وأحمد شاكر، دار المعارف مصر.
٨٠. الجامع لاحكام القرآن، لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، ت(٦٧١م)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٨١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق محمد حسن.
٨٢. الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي، ط/١، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٥٤م.

٨٣. الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، شاكر احمد، طباعة الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
٨٤. ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، د. محمود علي حماية، ط/١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م.
٨٥. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، ط/١، دار إحياء الكتب العلمية، ١٩٦٨م.
٨٦. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ادم متر، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة الخانجي.
٨٧. حضارة العرب، للمستشرق (غوستاف لوبون)، طبع في سنة ١٣٩٩هـ، وقام بترجمته عادل زعيتر.
٨٨. حكم أحكام القران، مصطفى الزلمي طباعة شركة الخنساء بغداد.
٨٩. الحوار دائما، د. شوقي ابو الخليل، دار الفكر، سوريا.
٩٠. الدارس في تاريخ المدارس، الدمشقي، طبعة، دمشق ١٩٤٨م.
٩١. دائرة المعارف، بطرس البستاني، مطبعة المعارف، بيروت ١٨٧٦م.
٩٢. دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ماكس مايرهوف، القاهرة.
٩٣. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ط/٣، بيروت ١٩٧١م.
٩٤. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لابن تيميه، ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمن، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧/١٩٩٧.

٩٥. دراسات في مناهج المحدثين، د.أمين القضاة، ود.عامر حسن صبري.
٩٦. دراسات نقدية في مذاهب الفرق الكلامية، د.محمد الانور السنوتي، دار الثقافة العربية، القاهرة.
٩٧. دراسة العقائد النصرانية، منهجية ابن تيمية ورحمت الله الهندي، محمد الفاضل بن علي اللافي، المعهد العالمي، للفكر الإسلامي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٩٨. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دار الأفكار للطباعة والنشر، بيروت.
٩٩. الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة. ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت.
١٠٠. دروس في الفلسفة، د.ابراهيم مدكور، ويوسف كرم، مطابع مدكور، مصر، ١٩٥٤م.
١٠١. دروس في تاريخ الأديان، حسن توفيقي، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، طهران.
١٠٢. دعوة الرسل، د.بكر زكي إبراهيم عوض، مطبعة أولاد عثمان، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ط(١).
١٠٣. دقائق التفسير، ابن تيميه، تحقيق د.محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القران، دمشق، ١٤٠٤هـ، ط(٢).
١٠٤. دلائل تحريف الكتاب المقدس، شريف سالم دون ذكر مكان وسنة الطبع.

١٠٥. الديباج المذهب في معرفة علماء اعيان المذهب، لابن فرحون المالكي، تحقيق محمد الاحمد، دار التراث للطبع والنشر.
١٠٦. الدين، بحوث ممهدة لدراسة الاديان، الشيخ محمد دراز، دار القلم، الكويت ط(٢)، ١٩٧٠م
١٠٧. الدين والعلوم العقلية، تأليف عبد الباري الندوي، قدم له أبو الحسن الندوي، دار ابن حزم، للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ط(٢).
١٠٨. الدين والوحي والإسلام، مصطفى عبد الرزاق باشا، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٣٦٤هـ ١٩٤٥م.
١٠٩. ديوان الإمام الشافعي، أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.
١١٠. الذخيرة، شهاب الدين القرافي، ت٦٨٤هـ، تحقيق قاسم الفالح، ط كلية الشريعة، الازهر.
١١١. ذييل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن شهاب ابن رجب، دار المعرفة، بيروت.
١١٢. الرد الجميل، للامام الغزالي، ت٥٥٥هـ، تحقيق الاستاذ عبد العزيز عبد الحق، طباعة، مجمع البحوث الاسلامية، ١٣٩٣هـ.
١١٣. الرد على ابن النغريلة اليهودي، ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، مكتبة العروبة، القاهرة، ١٩٦٠م.
١١٤. الرد على المنطقيين، شيخ الإسلام ابن تيمية ت ٧٢٨هـ، إشراف وتحقيق عبد الصمد شرف الدين الكبتي – إدارة ترجمان السنة،

لاهور، باكستان الطبعة السادسة، ١٩٧٦ م. واخرى، ط الهند، ١٩٤٩م.
١١٥. رسالة الآداب في علم البحث والمناظرة، محمد محي بن عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٨م، ط٠٧
١١٦. رسالة اللاهوت والسياسة، تقديم وترجمة د. حسن حنفي، راجعها د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م.
١١٧. روح الفلسفة المسيحية في مصر في العصر الوسيط، تاليف اتين جلسون، عرض وتحقيق امام عبد الفتاح امام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م.
١١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، ت١٢٧٠هـ، تحقيق محمد احمد وعمر عبد السلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٢٠هـ ١٩٩٩م)، ط١.
١١٩. الروض الانف في شرح السيرة النبوية، ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٨هـ.
١٢٠. زاد المعاد، ابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ، تحقيق شعيب وعبد القادر الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٢١. السلفية، د. مصطفى حلمي، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٣٠٤هـ ١٩٨٣م.

١٢٢. سوسنة سليمان في أحوال العقائد والإيمان، نوفل جرجس الطرابلسي.
١٢٣. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، دار السلام.
١٢٤. سير أعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي.، تحقيق شعيب الارنؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت:ط(١)، ١٤٠١هـ.
١٢٥. السيرة النبوية، السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا. بيروت، ١٣٩٩هـ.
١٢٦. السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق جمال ثابت وآخرون، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
١٢٧. الشخصية اليهودية عبر التاريخ، جودت السعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٥م، ط(١).
١٢٨. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبي الفلاح عبد الحي الحنبلي، المكتبة التجارية للطباعة.
١٢٩. شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، ت ٧٩٣هـ، تحقيق وتعليق د.عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب.
١٣٠. شرح الباجوري على جوهرة التوحيد، إبراهيم البيجوري، ت١٢٧٧هـ، القاهرة، ١٩٦٤.
١٣١. شرح الخريدة البهية، سيدي احمد الدردير ت ١٢٠١، حاشية الصاوي عليه، مطبعة الاستقامة، مصر.

١٣٢. شرح العقائد النسفية في العقيدة الإسلامية، د. عبد الملك السعدي ط/١، مكتبة دار الانبار، بغداد، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ط(١).
١٣٣. شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني ت ٧٩٣هـ، مكتبة المثنى بغداد.
١٣٤. شرح العقيدة الواسطية، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
١٣٥. شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الاصول، الإمام القرافي، ت ٦٨٤هـ، باعتناء مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت. واخرى، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط/١، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٧٣م.
١٣٦. شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، حققه الشيخ الدكتور احمد حجازي السقا، وطبع في القاهرة، من قبل المكتبة الأزهرية للتراث، سنة (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)
١٣٧. الصابئة الأقدمون، عبد الحميد أفندي، بغداد ١٠٢٧م ط(١).
١٣٨. الصابئة المندائيون، ليدي دراوور، ترجمة غضبان رومي، نعيم بدوي. بغداد.
١٣٩. الصابئة قديما وحديثا، عبد الرزاق الحسني، مطبعة القاهرة، مكتبة الخانجي،١٩٣١م.
١٤٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجواهري، ت٣٩٣هـ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم الملايين، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٤١. صحيح البخاري دار ابن كثير، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ط(٣)، تحقيق مصطفى ديب البغا.
١٤٢. صحيح الترمذي بشرح الإمام بن العربي المالكي، دار الكتب، بيروت.
١٤٣. صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ت ٦٧٦هـ، دار المعرفة، بيروت.
١٤٤. صفة التلمود والزوهار في الديانة الصهيونية، د. احمد سوسه، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، العدد(١)، ١٠٧٤م.
١٤٥. صور من عقائد أهل الأرض، شافع توفيق المحامي، المركز العربي للنشر والتوزيع إخوان معروف.
١٤٦. طبقات الأمم أو السلائل البشرية، جورجي زيدان، مطبعة الهلال، مصر، (١٩١٢م).
١٤٧. طبقات الشافعية، عبد الوهاب تقي الدين السبكي ت٧٧١هـ، الحسينية، مصر.
١٤٨. طبقات الشافعية الكبرى، الإمام السبكي ت٧٧١هـ، طبعة القاهرة، ١٣٢٤هـ ١٩٠٩م.
١٤٩. طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، بيروت، دار الندوة الجديدة، (١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م).
١٥٠. العقائد والأديان، عبد القادر صالح، دار المعرفة، بيروت.
١٥١. العقائد والاديان الديانات الكبرى المعاصرة، د.محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.

١٥٢. العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م.
١٥٣. علم اللاهوت النظامي، تاليف القس جيمس انس، راجعه ونقحه القس منيس عبد النور.
١٥٤. عيسى المسيح والتوحيد، محمد عطا الرحيم، ترجمة عادل حامد محمد، مركز الحضارة العربية، القاهرة ٢٠١م، ط(١).
١٥٥. الفارق بين المخلوق والخالق، تأليف العلامة عبد الرحمن الباجه جي زادة، مراجعة عبد المنعم درويش، مطابع البيان التجارية، دبي، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ذيل هداية الحيارى، لابن قيم الجوزية.
١٥٦. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن احمد ابن حزم الأندلسي، تحقيق احمد السيد، المكتبة التوفيقة، القاهرة.
١٥٧. فقه الإيمان، وميض العمري، راجعه فضلية الشيخ إبراهيم النعمة، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.
١٥٨. فقه السيرة، د، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الشروق، بغداد.
١٥٩. الفكر الديني الإسرائيلي – أطواره ومذاهبه، د. حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١م.
١٦٠. فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، تأليف لويس غرديه، و. ج. قنواتي، نقله إلى العربية: د. صبحي الصالح، والاب د. فريد جبر، ط/١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧م.
١٦١. الفهرست، ابن النديم، ت٣٧٨ هـ، المطبعة التجارية، القاهرة.

١٦٢. فوات الوفيات، الكتيبي، تحقيق الشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ٢٠٠٠ م.
١٦٣. في ظلال القران، سيد قطب، ط/٧، دار التراث العربي، بيروت، ١٩٧١م، واخرى: دار الشروق، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ط(٨).
١٦٤. قاموس الكتاب المقدس، د. جورج بوست، المطبعة الأمريكانية، بيروت ١٨٩٤.
١٦٥. قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص من اللاهوتيين، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت ١٩٧١م.
١٦٦. قاموس الكتاب المقدس جورج يوسف ت ١٩٠٩ م، مكتب العلوجي والحجية مطبعة، دار البصري بغداد، ١٩٧٦م، المطبوع مع وعد بلفور.
١٦٧. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي ت٨١٧هـ المكتبة التجارية – القاهرة.
١٦٨. قصة الحروب الصليبية، د. راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع القاهرة، ٢٠٠٩م
١٦٩. قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدراني، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٢م.
١٧٠. قصة الديانات، سليمان مظهر، دار الوطن العربي، بيروت.
١٧١. قواعد المنهج السلفي، د. مصطفى حلمي، ط/٣، دار الدعوة، الاسكندرية، ١٩٨٥م.

١٧٢. كبرى اليقينيات الكونية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط/٢، دار الفكر للطباعة، بيروت.
١٧٣. كتاب القاديانية- الحركات الهدامة، هي مجموعة رسائل لأبي الحسن الندوي، وأبي الأعلى المودودي، ومحمد الخضر حسين، الناشر رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
١٧٤. كتاب القاديانية والاستعمار الانجليزي، د.عبد الله سلوم السامرائي، دار واسط، بغداد.
١٧٥. الكتاب المقدس، ط/٤، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، لبنان، العهد القديم الإصدار الثاني ١٩٩٥م.
١٧٦. الكتاب المقدس في الميزان، الشيخ محمد علي برُّ العاملي، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
١٧٧. الكتب التاريخية في العهد القديم، د. مراد كامل، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م.
١٧٨. الكشاف عن حقائق التنزيل، الإمام محمد بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
١٧٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى حاجي خليفة، المطبعة الإسلامية، طهران.
١٨٠. لسان العرب، جمال الدين بن منظور المصري ت ٧١١هـ، دار صادر – بيروت.
١٨١. لسان الميزان، احمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني، تحقيق عبد الفتاح ابو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤٢٣هـ.

١٨٢. لهذا أكره إسرائيل، ، أمين سامي الغمرواي، ط/١، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٤.
١٨٣. لوثر، السيرة الذاتية، تأليف ايفان غوبري، ترجمة سلمان حرفوش، منشورات الهيئة العامة السورية، للكتاب، دمشق، ٢٠٠٧م.
١٨٤. مباحث فلسفية، بولس سباط.
١٨٥. مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، ط/٦، دار القلم دمشق، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
١٨٦. المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين، سيف الدين الامدي ت (٦٣١هـ)، تحقيق د. حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط(٢)، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
١٨٧. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو العلي الفضل بن الحسن الطبرسي ت٥٤٨هـ. دار التقريب القاهرة، ١٣٨٧هـ.
١٨٨. محاضرات في التاريخ الكنسي المجامع الكنسي، نيافة الأنبا يوأنس، ط/١، الانبا رويس الاوفست، العباسية، القاهرة، ١٩٩٤.
١٨٩. محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
١٩٠. المختار في الرد على النصارى، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق ودراسة د. محمد عبد الله الشرقاوي دار الجيل، بيروت.
١٩١. المدخل إلى دراسة علوم الحديث، سيد عبد الماجد الغفوري، ط/١، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٣م.

١٩٢. المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، د. سلطان عبد الحميد سلطان، ط/١، مطبعة الامانة، القاهرة.
١٩٣. مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، ط/١٩. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١م.
١٩٤. المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، د. إبراهيم الكروي، د. عبد التواب شرف الدين، ط/٢، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
١٩٥. مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين السعودي ت٣٢٨هـ، تحقيق يوسف أسعد داغر، بيروت ١٩٧٣م.
١٩٦. المسامرة بشرح المسايرة، لابن ابي شريف القدسي، ت ٩٠٦.
١٩٧. المستصفى في علم الأصول، أبو حامد الغزالي، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.
١٩٨. المستفاد من القصص القرآني للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
١٩٩. المسيح في مصادر العقائد المسيحية، العميد احمد عبد الوهاب، القاهرة ١٩٧٨م.
٢٠٠. المسيح في مصادر المسيحية، مهندس احمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، (١٤٠٨هـ ١٠٨٨م)، ط(٢).
٢٠١. المسيح والتثليث، د. محمد وصفي، دار الفضيلة، القاهرة.
٢٠٢. مسالة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، احمد ديدات، ترجمة علي الجوهري، دار الفضيلة، القاهرة.

٢٠٣. معجم اللاهوت الكتابي، ترجمة لجنة من كبار علماء النصارى، جمعيات الكتاب المقدس في الشرق، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦.
٢٠٤. معجم المؤلفين وتراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، دار احياء التراث العربي.بيروت.
٢٠٥. المغني في ابواب التوحيد، القاضي ابو الحسن عبد الجبار الاسدآبادي، ت٤١٥هـ، تحقيق مصطفى السقا.
٢٠٦. مفاتيح كنوز الأسفار الإلهية، مكتبة كنسية الإخوة بجزيرة بدران، شبرا، ١٩٦٨م.
٢٠٧. مفتاح السعادة، طاش زاده كبرى.
٢٠٨. مفصل العرب واليهود في التاريخ د. احمد سوسة، دار الحرية، بغداد.
٢٠٩. المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط/١، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٧٠م.
٢١٠. مقارنات الأديان، الديانات القديمة / محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
٢١١. مقارنة الأديان، اليهودية، د.احمد شلبي، ط/١٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٧م.
٢١٢. مقارنة الأديان، المسيحية، د. احمد شلبي طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥م.
٢١٣. الملل والنحل، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني ت ٥٤٨هـ، تحقيق أبي محمد محمد بن فريد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٢١٤. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الحديث، القاهرة.
٢١٥. منطق ابن تيمية، محمد الزين، المكتب الاسلامي، بيروت، ط(١)، ١٩٧٩م.
٢١٦. منهج التفسير التحليلي للنص القرآني سورة النصر أنموذجا د.محمد صالح الحمداني، ط/١، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
٢١٧. منهج الرسول(ﷺ)في دعوة أهل الكتاب، د. محمد بن سيدي بن الحبيب الشنقيطي، مكتبة أمين سالم، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
٢١٨. منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، د.هادي حسين حمود. طباعة بغداد.
٢١٩. موسوعة الإعجاز العلمي في القران الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج احمد، مكتبة ابن حجر، دمشق، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
٢٢٠. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، د.عبد الوهاب المسيري، ط/١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٥
٢٢١. الموسوعة الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، الشعب، القاهرة.
٢٢٢. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، ط/٥، دار الندوة العالمية للطباعة، الرياض، (١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م).

٢٢٣. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، د. عبد المنعم الحنفي، دار الميسرة، بيروت، ١٩٨٠م

٢٢٤. الموسوعة اليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م

٢٢٥. الموسوعة الفلسطينية، عبد الرزاق اسود، الدار العربية للموسوعات، ١٩٧٨م.

٢٢٦. موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، د. سعد رياض، ط/١، دار ابن الجوزي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٢٢٧. النبوة في الأديان الكتابية، احمد المشرفي، ط/١، دار الجيل، القاهرة، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

٢٢٨. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

٢٢٩. نشأة الدين، علي سامي النشار، ط/٢، دار الثقافة، الإسكندرية، ١٩٤٩م.

٢٣٠. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار، ط/١، دار السلام للطباعة، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨.

٢٣١. نصيحة الملوك، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ت٤٥٠هـ، تحقيق محمد جاسم الحديثي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

٢٣٢. النظام الاجتماعي والسياسي في الإسلام، د. علي مشاعل، ط(١).

٢٣٣. نظام التعليم في علم اللاهوت القويم، جيمس انس، ط/١، بيروت ١٨٩٠م.
٢٣٤. نظرية المنطق، د. محمد السيد الجليند، ط/٢، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م.
٢٣٥. نهاية السول في شرح منهاج الأصول، للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٥هـ.
٢٣٦. النظر في علم الكلام، د.محسن الراوي، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد الثامن، ١٤٢٩هـ.
٢٣٧. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، تحقيق د. احمد حجازي السقا، دار التراث، القاهرة.
٢٣٨. هدية العارفين، إسماعيل باشا، استنبول، ١٩٥١م.
٢٣٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، احمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت.
٢٤٠. يسوع المسيح، بولس الياس اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٥م.
٢٤١. اليهودية واليهود، د. علي عبد الواحد وافي، دار الهنا.

ثانيا:الرسائل والاطاريح:

١) الاتجاهات العقائدية في الفكر الإسلامي المعاصر، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، من قبل الطالب إسماعيل محمد عواد الكبيسي.

٢) التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود، رسالة ماجستير للطالب حامد عيدان (رحمه الله)، كلية العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين.
٣) السيدة مريم (عليها السلام) في الفكر الإسلامي والفكر المسيحي، رسالة ماجستير للطالب حاتم جاسم. كلية العلوم الإسلامية، بغداد.
٤) سيدنا ادم(عليه السلام) في القران الكريم والكتب السماوية، رسالة ماجستير، للطالب لجين عبد الله. كلية العلوم الإسلامية، بغداد.
٥) (الشورى في الديانات الثلاث) أطروحة دكتوراه للطالب إبراهيم درياس. كلية العلوم الإسلامية، بغداد.
٦) مقام الأنبياء في الأديان السماوية الثلاثة، رسالة ماجستير للطالب سليم فليح، كلية العلوم الإسلامية، بغداد.

ثالثا: المجلات:

١) مجلة المشرق، (كلمة التوراة) بحث للأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي، م (٢٩)، سنة ١٩٣١م، ص٤١١-٤١٨، و٤٩٨-٥٠٤).

رابعا: المواقع على الشبكة العنكبوتية الالكترونية:

١. موقع أهل الحديث:www0 http0ahlahdeeth0com0.
٢. موقع علماء مخترعون في ظل الإسلام.
٣.ملتقى أهل التفسير، ومنتدى التوحيد:
http://www.tafsir.net/vb/tafsir
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php

4. موقع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الالكترونية:
http://www.iu.edu.sa/Magazine

٥. موقع احمد ديدات الالكتروني: *ar.wikipedia.org/wiki*

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: نظرة في علم اللاهوت المسيحي.	٤٤٩
المطلب الرابع: الفرق المسيحية وعقائدها.	٤٥٤
المبحث الثاني: الأناجيل المسيحية وجهود الإمام القرافي والشيخ رحمت الله في دراستها ونقدها.	٤٧٢
المطلب الأول: التعريف بالأناجيل المسيحية.	٤٧٢
المطلب الثاني: الإمام القرافي وجهوده في دراسة الأناجيل ونقدها.	٤٨٨
المطلب الثالث: الشيخ رحمت الله وجهوده في دراسة الأناجيل ونقدها.	٤٩٩
المبحث الثالث: عقيدة التثليث وجهود الإمام الباقلاني والقرطبي في دراستها ونقدها.	٥٢٢
المطلب الأول: بيان عقيدة الاقانيم الثلاثة تبعا للإيمان المسيحي.	٥٢٢
المطلب الثاني: البيان القرآني لعقيدة التثليث.	٥٣١
المطلب الثالث: الإمام الباقلاني وجهوده في نقد عقيدة التثليث.	٥٣٤
المطلب الرابع: القرطبي وجهوده في نقد عقيدة التثليث.	٥٥٥
المبحث الرابع: عقيدة الاتحاد والحلول وجهود الشيخين ابن تيمية وعبد الله الترجمان في نقدها.	٥٧٩
المطلب الأول: بيان عقيدة الاتحاد والحلول تبعا للمنظور المسيحي.	٥٧٩

طبع بمطابع هيئة ادارة واستثمار اموال الوقف السني

e-mail : printprint25@yahoo.com



Efforts of Muslim Scholars

In the study of religions

Critical analytical study

Ph.D.

Hazim Adnan Ahmed